بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩

﴿ باب ﴾

☼(الرياح و أسبابها و أنواعها)☼

الآيات :

البقرة: و تصريف الرياح [١] .

الاعراف : و هو الّذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته [٢] .

الحجر : و أرسلنا الرياح لواقح [٣] .

الاسراء : فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم [٤] .

الانبياء : ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض الّتي باركنا فيها [٥]

الفرقان : و هو الّذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته [٦] .

النمل : و من يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته [٧] ..

الروم : و من آياته أن يرسل الرياح مبشّرات وليذيقكم من رحمته و لتجري

---

(١) البقرة : ١٦٤ .

(٢) الاعراف : ٥٧ .

(٣) الحجر : ٢٢ .

(٤) الاسراء : ٦٩ .

(٥) الانبياء : ٨١ .

(٦) الفرقان : ٤٨ .

(٧) النمل : ٦٣ .

الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون [١] .

و قال تعالى : ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرّاً لظلّوا من بعده يكفرون [٢].

الذاريات : والذاريات ذرواً [٣] . و قال سبحانه : و في عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم [٤] .

القمر : إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمرّ [٥] .

المرسلات : و المرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً فالناشرات نشرا [٦] .

تفسير : « و هوالّذي أرسل الرياح بشراً » قال الرازيّ : حدّ الريح أنّه هواء متحرّك ، فنقول : كون هذا الهواء متحرّكاً ليس لذاته ولا للوازم ذاته و إلّا لدامت الحركة بدوام ذاته ، فلابدّ و أن يكون بتحريك الفاعل المختار و هو الله جلّ جلاله . قالت الفلاسفة : ههنا سبب آخر ، و هو أنّه يرتفع من الأرض أجزاء أرضيّة لطيفة مسخّنة[٧] تسخيناً قويّاً شديداً ، فبسبب تلك السخونة الشديدة ترتفع و تتصاعد ، فإذا وصلت إلى القرب من الفلك كان الهواء الملتصق بمقعّر[٨] الفلك متحرّكاً على استدارة الفلك بالحركة المستديرة الّتي حصلت لتلك الطبقة من الهواء ، فهي تمنع هذه الأدخنة من الصعود بل تردّها عن سمت حركتها ، فحينئذ ترجع تلك الأدخنة و تتفرّق في الجوانب و بسبب ذلك التفرّق تحصل الرياح ، ثمّ كلّما كانت تلك الأدخنة أكثر وكان صعودها أقوى كان رجوعها أيضاً أشدّ حركة فكانت الرياح أشدّ وأقوى . هذا حاصل ما ذكروه و هو باطل ، ويدلّ لى بطلانه وجوه :

---

(١) الروم ، ٤٤ .

(٢) الروم ، ٥١ .

(٣) الذاريات ، ١ .

(٤) الذاريات ، ٤١ .

(٥) القمر ، ١٩ .

(٦) المرسلات ، ١ـ٣ .

(٧) في المصدر : تسخنه .

(٨) بقعر (خ) .

الاول : أنّ صعود الأجزاء الأرضيّة إنّما يكون لشدّة تسخّنها ، ولاشكّ أنّ ذلك التسخّن عرضيّ ، لأنّ الأرض باردة يابسة بالطبع، فإذا كانت تلك الأجزاء الأرضيّة متصغّرة جدّاً كانت سريعة الانفعال ، فاذا تصاعدت ووصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء امتنع بقاء الحرارة فيها بل تبرّده جدّاً ، وإذا بردت امتنع بلوغها في الصعود إلى الطبقة الهوائيّة المتحرّكة بحركة الفلك ، فبطل ما ذكروه .

الثاني: هب أنّ تلك الأجزاء الدخانيّة صعدت إلى الطبقة الهوائيّة المتحرّكة بحركة الفلك ، لكنّها لمّا رجعت وجب أن تنزل على الاستقامة ، لأنّ الأرض جسم ثقيل ، و الثقيل إنّما يتحرّك بالاستقامة ، و الرياح ليست كذلك ، فإنّها تتحرّك يمنة و يسرة .

الثالث : أنّ حركة تلك الأجزاء الأرضيّة النازلة لا تكون حركة قاهرة ، فإنّ الرياح إذا أحضرت الغبار الكثير ثمّ عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحسّ أحد بنزولها وترى هذه الرياح تقلع الأشجار وتهدم الجبال وتموّج البحار .

الرابع : أنّه لو كان الأمر على ماقالوه لكانت الرياح كلّما كانت أشدّ وجب أن يكون حصول الأجزاء الغباريّة الأرضيّة أكثر ، لكنّه ليس الأمر كذلك ، لأنّ الرياح قد يعظم عصوفها و هبوبها في وجه البحر مع أنّ الحسّ يشهد بأنّه ليس في ذلك الهواء المتحرّك العاصف شيء من الغبار و الكدرة ، فبطل ماقالوه .

و قال المنجّمون :إنّ قوى الكواكب هي الّتي تحرّك هذه الرياح وتوجب هبوبها و ذلك أيضاً بعيد ، لأنّ الموجب لهبوب الرياح إن كان طبيعة الكواكب وجب دوام الرياح بدوام تلك الطبيعة ، وإن كان الموجب هو طبيعة الكواكب بشرط حصوله في البرج المعيّن و الدرجة المعيّنة وجب أن يتحرّك هواء كلّ العالم وليس كذلك . وأيضاً قد بيّنّا أنّ الأجسام متماثلة فاختصاص الكوكب المعيّن و البرج المعيّن و الطبيعة الّتي لأجلها اقتضت ذلك الأثر الخاصّ لابدّ و أن يكون بتخصيص الفاعل المختار فثبت أنّ محرّك الرياح هو الله سبحانه ،وثبت بالدليل العقليّ أيضاً صحّة قوله «وهو الّذي يرسل الرياح» .

قوله « نشرا » أي منتشرة متفرّقة ، فجزء من أجزاء الريح يذهب يمنة ، وجزء آخر يذهب يسرة ، و كذا القول في سائر الأجزاء ، فإنّ كلّ واحد منها يذهب إلى جانب آخر ، فنقول : لاشكّ أنّ طبيعة الهواء طبيعة واحدة و نسبة الأفلاك و الأنجم و الطبائع إلى كلّ واحد من الأجزاء من ذلك الريح نسبة واحدة ، فاختصاص بعض أجزاء الريح بالذهاب يمنة و الجزء الآخر بالذهاب يسرة وجب أن لا يكون ذلك إلاّ بتخصيص الفاعل المختار (١)

« بين يدي رحمته » أي بين يدي المطر الّذي هو رحمته ، فإن قيل : فقد نجد المطر ولا تتقدّمه الرياح ، قلنا : ليس في الآية أنّ هذا التقدّم حاصل في كلّ الأحوال فلم يتوجّه السؤال . وأيضاً فيجوز أن تتقدّمه هذه الرياح و إن كنّا لا نشعر بها . وعن ابن عمر : الرياح ثمان ، أربع منها عذاب وهو : القاصف ، و العاصف ، و الصرصر ، و العقيم ، وأربع منها رحمة : الناشرات ، و المبشّرات ، و المرسلات ، و الذاريات . وعن النبيّ صلى الله عليه وآله : نصرت بالصبا ، و اُهلك عاد بالدبور ، و الجنوب من ريح الجنّة . و عن كعب : لوحبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيّام لأنتن أكثر الأرض (٢) .

« فيرسل عليكم قاصفاً من الريح » قال الطبرسيّ ـ ره ـ : أي فإذا ركبتم البحر أرسل عليكم ريحاً شديده كاسرة للسفينة ، و قيل : الحاصب : الريح المهلكة في البرّ و القاصف : المهلكة في البحر . « فيغرقكم بما كفرتم » من نعم الله (٣) .

« أن يرسل الرياح » قال البيضاويّ : أي الشمال و الصبا و الجنوب ، فإنّها رياح الرحمة ، و أمّا الدبور فريح العذاب ، و منه قوله صلى الله عليه وآله « اللّهمّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحا » و قرأ ابن كثير و الحمزة و الكسائيّ « الريح » على إرادة الجنس « مبشّرات » بالمطر « و ليذيقكم من رحمته » يعني المنافع التابعة لها ، و قيل : الخصب التابع لنزول المطر المسبّب عنها أو الروح الّذي هو مع هبوبها ، و العطف على علّة

---

(١) مفاتيح الغيب : ج ١٤ ، ص ١٤٠ (من المطبوع بمصر)
(٢) مفاتيح الغيب : ج ١٤ ، ص ١٤١ .
(٣) مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٤٢٨ .

محذوفة دلّ عليها « مبشّرات » أو عليها باعتبار المعنى ، أو على « يرسل » بإضمار فعل معلّل دلّ عليه . « و لتبتغوا من فضله » يعني تجارة البحر [١] .

« فرأوه مصفرّاً » أي فرأوا الأثر والزرع ، فإنّه مدلول عليه بما تقدّم ، وقيل : السحاب لأنّه إذا كان مصفرّاً لم يمطر ، واللام موطّئة للقسم دخلت على حرف الشرط. و قوله « لظلّوا من بعده يكفرون » جواب سدّ مسدّ الجزاء و لذلك فسّر بالاستقبال وهذه الآية[٢] ناعية على الكفّار بقلّة تثبّتهم وعدم تدبّرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكّرهم وسوء رأيهم ، فإنّ النظر السويّ يقتضي أن يتوكّلوا على الله ويلجؤوا [٣] إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته ، و أن يبادروا إلى الشكر و الاستدامة بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار ، و أن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه [٤] .

أقول : وقد مرّ تفسير الذاريات بالرياح الّتي تذرو التراب و هشيم النبت . وقال الطبرسيّ ـ ره ـ :الريح العقيم هي الّتي عقمت عن أن تأتي بخير، [و] من تنشئة سحاب ، أو تلقيح شجر ، أو تذرية طعام ، أو نفع حيوان ، فهي كالمرأة الممنوعة عن الولادة ، إذ هي ريح الإهلاك [٥] . و قال في قوله تعالى « ريحاً صرصراً » أي شديدة الهبوب ، و قيل : باردة من الصرّ و هو البرد « في يوم نحس [٦] مستمرّ » أي دائم الشؤم ، استمرّ عليهم بنحوسته « سبع ليال وثمانية أيّام » حتّى أتت عليهم ، و قيل : إنّه كان يوم الأربعاء آخر الشهر لايدور ، رواه العيّاشيّ بالإسناد عن أبي جعفر عليه السّلام [٧] .

---

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٢) في المصدر ، الايات .

(٣) في المصدر ، يلتجئوا .

(٤) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٤٩.

(٥) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٥٩

(٦) في المصدر ، أي في يوم شوم .

(٧) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٩٠ .

أقول : وقد مرّ أيضاً تفسير « المرسلات عرفاً » بالرياح اُرسلت متتابعة كعرف الفرس ، و« العاصفات عصفا » بالرياح الشديدات الهبوب ، و« الناشرات نشرا» بالرياح الّتي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشراً للغيث .

١ ـ **الفقيه** : قال عليّ عليه السلام : للريح رأس و جناحان [١] .

بيان : لعلّ الكلام مبنيّ على الاستعارة ، أي يشبه الطائر في أنّها تطير إلى كلّ جانب ، و في أنّها في بدء حدوثها قليلة ثمّ تنتشر كالطائر الّذي بسط جناحه ، و الله يعلم .

٢ ـ **الفقيه** : عن كامل ، قال : كنت مع أبي جعفر عليه السلام بالعريض ، فهبّت ريح شديدة ، فجعل أبوجعفر عليه السلام يكبّر ، ثمّ قال : إنّ التكبير يردّ الريح . وقال عليه السلام : مابعث الله ريحاً إلاّ رحمة أو عذاباً ، فإذا رأيتموها فقولوا : اللّهمّ إنّا نسألك خيرها وخيرما اُرسلت له ، ونعوذبك من شرّها وشرّ ما اُرسلت له ، وكبّروا وارفعوا أصواتكم بالتكبير فإنّه يكسرها [٢] .

٣ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ماخرجت ريح قطّ إلاّ بمكيال إلاّ زمن عاد ،فإنّها عتت على خزّانها فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد [٣] .

٤ ـ و قال الصادق عليه السلام : نعم الريح الجنوب ، تكسر البرد عن المساكين ، و تلقح الشجر ، وتسيل الأودية [٤] .

٥ ـ و قال عليّ عليه السلام : الرياح خمسة ، منها العقيم فنعوذ بالله من شرّها ، و كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا هبّت ريح صفراء أو حمراء أو سوداء تغيّر وجهه واصفرّ ، وكان كالخائف الوجل حتّى ينزل من السماء قطرة من مطر فيرجع إليه لونه ، و يقول : جاءتكم بالرحمة [٥] .

٦ ـ **توحيد المفضل** : قال : قال الصادق عليه السلام : اُ نبّهك يامفضّل على الريح وما فيها ، ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الّذي يكاد يأتي على

(١و٢) الفقيه ، ١٤٢ .

(٣و٤و٥) الفقيه ، ١٣٣ .

النفوس ، و يحرّض الأصحّاء ، و ينهك المرضى ، و يفسد الثمار ، ويعفّن البقول ، و يعقّب الوباء في الأبدان و الآفة في الغلّات ؟ ففي هذا بيان أنّ هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق . و اُنبّئك عن الهواء بخلّة اُخرى ، فإنّ الصوت أثر يؤثّره اصطكاك الأجسام في الهواء ، و الهواء يؤدّيه إلى المسامع ، و الناس يتكلّمون في حوائجهم و معاملاتهم طول نهارهم و بعض ليلهم ، فلوكان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه ، فكان يكربهم و يفدحهم ، و كانوا يحتاجون في تجديده و الاستبدال به أكثر ممّا يحتاج إليه في تجديد القراطيس ، لأنّ مايلقى من الكلام أكثر ممّا يكتب ، فجعل الخلّاق الحكيم ــ جلّ قدسه ــ هذا الهواء قرطاساً خفيفاً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم [1] حاجتهم ، ثمّ يمحى فيعود جديداً نقيّاً و يحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع ، و حسبك بهذا النسيم المسمّى هواء عبرة ومافيه من المصالح ، فإنّه حياة هذه الأبدان و الممسك لها من داخل بما يستنشق منه ، ومن خارج بما تباشر من روحه ، و فيه تطّرد هذه الأصوات فيؤدّي بها من البعيد ، و هو الحامل لهذه الأراييح ينقلها من موضع إلى موضع . ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهبّ الريح ؟ فكذلك الصوت ، وهو القابل لهذا الحرّ و البرد اللّذين يعتقبان على العالم لصلاحه ، و منه هذه الريح الهابّة ، فالريح تروح عن الأجسام ، و تزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتّى يستكثف فيمطر و تفضّه حتّى يستخفّ فيتفشّى و تلقح الشجر ، و تسير السفن ، و ترخي الأطعمة ، و تبرّد الماء ، و تشب النار ، و تجفّف الأشياء النديّة ، و بالجملة إنّها تحيي كلّ ما في الأرض ، فلولا الريح لذوى النبات ، و مات الحيوان ، وحمت الأشياء و فسدت .

بيان : ركود الريح سكونها ، و التحريض إفساد البدن ، و نهكته الحمّى أي أضنته و هزلته ، و قوله « و الهواء يؤدّيه » يدلّ على ماهوالمذهب المنصور من تكيّف الهواء بكيفيّة الصوت كما فصّل في محلّه . و يقال : كربه الأمر أي شقّ عليه،وفدحه

---

(١) العام (خ) .

الدّين أي أثقله ، و ريثما فعل كذا أي، قدر مافعله . و « يبلغ » إمّا على بناء المجرّد فالعالم فاعله ، أو على التفعيل فالهواء فاعله ، والروح ـ بالفتح ـ الراحة ونسيم الريح . واطّرد الشيء : تبع بعضه بعضاً وجرى . والأراييح : جمع جمع للريح . وتزجي السحاب ـ على بناء الإفعال ـ أي تسوقه ، و تفضّه أي تفرّقه ، و التفشّي : الانتشار ، و ترخي الأطعمة ـ على [بناء] التفعيل أو الإفعال ـ أي تصيّرها رخوة لطيفة ، وتشب النار أي توقدها .

٧ ـ **العلل** : عن أبيه ، عن محمّد بن يحيى ، عن الحسين بن إسحق التاجر، عن عليّ بن مهزيار ، عن الحسن بن الحسين ، عن محمّد بن فضيل ، عن العرزميّ ، قال : كنت مع أبي عبدالله عليه السلام جالساً في الحجر تحت الميزاب ورجل يخاصم رجلاً وأحدهما يقول لصاحبه : والله ماتدري من أين تهبّ الريح ، فلمّا أكثر عليه فقال له أبوعبدالله عليه السلام : هل تدري أنت من أين تهبّ الريح[1] ؟ فقال : لا ، ولكنّي أسمع الناس يقولون ، فقلت أنا لأبي عبد الله عليه السلام : من أين تهبّ الريح[2] ؟ فقال : إنّ الريح مسجونة تحت الركن[3] الشاميّ ، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يرسل[4] منها شيئاً أخرجه إمّا جنوباً فجنوب ، و إمّا شمالاً فشمال ، و إمّا صباء فصباء ، و إمّا دبوراً فدبور، ثمّ قال : وآية ذلك أنّك ترى[5] هذا الركن متحرّكاً أبداً في الصيف والشتاء[6] و الليل و النهار[7] .

معاني الاخبار : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن

---

(١) في الكافي : هل تدرى انت فقال لا .
(٢) في معاني الاخبار : من اين تهب الريح جعلت فداك .
(٣) في الكافي و المعاني : تحت هذا الركن .
(٤) في الكافي : يخرج .
(٥) في المصادر : لاتزال ترى .
(٦) لفظه « الشتاء » في المصادر مقدمة على « الصيف » .
(٧) علل الشرائع : ج ٢ ، ص ١٣٣ .

العبّاس بن معروف ، عن عليّ بن مهزيار ، عن محمّد بن الحسين [١] عن محمّد بن الفضيل عن العرزميّ مثله [٢] .

الكافي : عن أبي عليّ الأشعريّ ، عن بعض أصحابه ، عن محمّد بن الفضيل مثله [٣] .

بيان : قوله « مسجونة » يحتمل أن يكون كناية عن قيام الملائكة الّذين بهم تهبّ تلك الرياح فوقه عند إرادة ذلك كما سيأتي ، ولعلّ المراد بحركة الركن حركة الثوب المعلّق عليه .

٨ ـ **العلل** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن النوفليّ عن السكونيّ ، عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتسبّوا الرياح فإنّها مأمورة ، ولا تسبّوا الجبال ولا الساعات ولا الأيّام ولا الليالي فتأثموا وترجع عليكم [٤] .

بيان : الغرض النهي عن سبّ الرياح و البقاع و الجبال و الأيّام و الساعات فإنّها مقهورة تحت قدرة الله سبحانه مسخّرة له تعالى لايملكون تأخّراً عمّا قدّمهم إليه ولا تقدّماً إلى ما أخّرهم عنه ، فسبّهم سبّ لمن [٥] لايستحقّه ، ولعن من لايستحقّ اللعن يوجب رجوع اللعنة على اللاعن ، بل هو مظنّة الكفر و الشرك لولا غفلتهم عمّا يؤول إليه ، كما ورد في الخبر : لاتسبّوا الدهر فإنّه هو الله ، أي فاعل الأفعال الّتي تنسبونها إلى الدهر و تسبّونه بسببها هو الله تعالى .

٩ ـ **تفسير علي بن ابراهيم** : « و في عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » الّتي لاتلقح الشجر ولا تنبت النبات ، و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً » والصرصر : الباردة ، « في أيّام نحسات » أيّام مياشيم [٦] .

---

(١) في المعاني : محمد بن الحصين .
(٢) معاني الاخبار : ٣٨٥ .
(٣) الكافي ، ج ٨ ، ص ٢٧١
(٤) علل الشرائع ، ج ٢ ، ٢٦٣ .
(٥) من (خ) .
(٦) تفسير القمي ، ٤٤٨ .

١٠ ــ **و منه :** « و أرسلنا الرياح لواقح » قال : الّتي تلقح الأشجار [١] .

١١ ــ **العلل :** عن أبيه ،عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد ، عن السيّاري رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : لم سمّيت ريح الشمال ؟ قال : لأنّها تأتي من شمال العرش [٢] .

بيان : كون ريح الشمال من شمال العرش لأنّها تهبّ من قبل الركن الشاميّ وهو في يسار الكعبة إذا فرضت رجلاً مواجهاً إلينا و الحجر الأسود عن يمين الكعبة وقد ورد في الخبر أنّ العرش محاذ للكعبة ، فيمينه يمينها و يساره يسارها ، و يوضح ذلك مارواه الصدوق أيضاً في العلل بإسناده عن بريد العجليّ ، قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : كيف صار الناس يستلمون الحجر والركن اليمانيّ ولا يستلمون الركنين الآخرين ؟ قال : إنّ الحجر الأسود و الركن اليمانيّ عن يمين العرش ، وإنّما أمرالله تبارك و تعالى أن يستلم ماعن يمين عرشه ، قلت : فكيف صار مقام إبراهيم عن يساره؟ قال : لأنّ لإبراهيم مقاماً في القيامة و لمحمّد صلّى الله عليه وآله مقاماً ، فمقام محمّد صلّى الله عليه وآله عن يمين عرش ربّنا عزّ وجلّ و مقام إبراهيم عليه السلام عن شمال عرشه ، فمقام إبراهيم في مقامه يوم القيامة و عرش ربّنا مقبل غير مدبر .

وحاصله أنّه ينبغي أن يتصوّر أنّ البيت بإزاء العرش و حذائه في الدّنيا و الآخرة ، و البيت بمنزلة رجل وجهه إلى الناس ، و وجهه الطرف الّذي فيه الباب فإذا توجّه إنسان إلى البيت من جهة الباب كان المقام و الركن الشاميّ عن يمينه والحجر [الأسود] والركن اليمانيّ عن يساره ، فإذافرض البيت إنساناً مواجهاً تنعكس النسبة ، فيمينه يحاذي يسارنا و بالعكس . « و عرش ربّنا مقبل » أي بمنزلة رجل مقبل ، و يمكن أن يكون تسمية الجانب الّذي يلي الشاميّ شمالاً في خبر السيّاري لأنّه أضعف جانبي الكعبة كما أنّ الشمال أضعف جانبي الإنسان ، لأنّ أشرف

---

(١) المصدر ، ٣٥٠ .

(٢) علل الشرائع : ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

أجزاء الكعبة وهي الحجر و الركن اليماني واقعة على الجانب المقابل ، فهو بمنزلة اليمين .

١٢ ــ **العلل** : بالإسناد إلى وهب ، قال : إنّ الريح العقيم تحت هذه الأرض الّتي نحن عليها قدزمّت بسبعين ألف زمام من حديد ، قد وكّل بكلّ زمام سبعون ألف ملك ، فلمّا سلّطهاالله عزّوجلّ على عاد استأذنت خزنة الريح ربّها عزّوجلّ أن تخرج منهافي مثل منخر الثور ، ولوأذن الله عزّوجلّ لهاماتركت شيئاً علىظهرالأرض إلّا أحرقته ، فأوحىالله عزّوجلّ إلى خزنة الريح أن أخرجوا منها في مثل ثقبالخاتم فاُهلكوا بها ، و بها ينسف الله عزّوجلّ الجبال نسفاً ، و التلال و الآكام و المدائن والقصور يوم القيامة ، و ذلك قوله عزّوجلّ « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفهاربّي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولا أمتا [1] » والقاع الّذي لانبات فيه ، و الصفصف الّذي لاعوج فيه ، و الأمت المرتفع . و إنّما سمّيت العقيم لأنّها تلقّحت بالعذاب و تعقّمت عن الرحمة كتعقّم الرجل[2] إذاكان عقيماً لايولد له ـ الخبر ـ[3].

بيان : قالالجوهريّ : نسفت البناءنسفاً : قلعته . وقال:القاعالمستوى منالأرض وكذا الصفصف . و قال : الأمت المكان المرتفع ، و قوله تعالى « لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً » أي لاانخفاض فيها ولا ارتفاع .

١٣ ــ **قصص الراوندي** : بإسناده إلى الصدوق ، عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن عيسى ،عنعليّ بن الحكم،عن زرعة ، عنسماعة ، عن أبيعبدالله عليه السلام قال : إذاهاجت الرياح فجاءت بالسافي الأبيض و الأسود و الأصفر فإنّه رميم قوم عاد .

بيان : في القاموس : سفت الريح التراب تسفيه : ذرته ، أو حملته ـ كأسفته ـ فهو ساف و سفي (انتهى) اقول : يمكن تخصيصه ببعض البلاد القريبة من بلادهم كمدينة ضاعف الله شرفها ـ ولابعد في التعميم أيضاً .

(١) طه : ١٠٥ ـ ١٠٧ .

(٢) الرحم (خ) .

(٣) علل الشرائع : ج ١ ص٣١ ، و الخبر موقوف لا اعتداد به .

١٤ ـ **العياشي** : عن ابن وكيع ، عن رجل ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتسبّوا الريح ، فإنّها بشر ، وإنّها نذر ، وإنّها لواقح ، فاسألوا الله من خيرها و تعوّذوا به من شرّها .

بيان : أي إنّها مأمورة مبعوثة بأمر الله إمّا للبشارة بالمطر و غيره ، أو للإنذار أو لإلقاح الأشجار ، أو لسوق السحاب إلى الأقطار كما مرّ ، فسبّها باطل لاينفعكم بل يضرّكم ، فاسألوا الله الّذي بعثها ليجعلها نافعة لكم ، و يصرف شرّها عنكم .

١٥ ـ **العياشي:** عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لله رياح رحمة لواقح ينشرها بين يدي رحمته .

١٦ ـ **الكافي :** عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن محمّد بن رئاب .[1] و هشام بن سالم ، عن أبي بصير ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرياح الأربع : الشمال ، و الجنوب ، والصبا ، و الدبور ، و قلت له: إنّ الناس يذكرون أنّ الشمال من الجنّة والجنوب من النار ، فقال : إنّ لله عزّ وجلّ جنوداً من رياح يعذّب بها من يشاء ممّن عصاه ، فلكلّ ريح منها ملك موكّل بها ، فإذا أراد الله عزّ ذكره أن يعذّب قوماً بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح الّتي يريد أن يعذّبهم بها ، قال : فيأمرها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب . و قال : ولكلّ ريح منهنّ اسم ، أما تسمع قوله عزّ وجلّ « كذّبت عاد فكيف كان عذابي و نذر إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمرّ »[2] و قال « الريح العقيم[3] » وقال « ريح فيها عذاب أليم[4] » وقال « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت[5] » و ماذكر من الرياح الّتي يعذّب الله بها من عصاه . و قال : ولله عزّ

---

(١) في المصدر «علي بن رئاب» و الظاهر أنه الصحيح لعدم ذكر من « محمد بن رئاب» في كتب الرجال .

(٢) القمر : ١٩ .

(٣) الذاريات : ٤١ .

(٤) الاحقاف : ٢٤ .

(٥) البقرة : ٢٦٦ .

ذكره رياح رحمة لواقح وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمته ، منها مايهيّج السحاب للمطر و منها رياح تحبس السحاب بين السماء و الأرض ، ورياح تعصر السحاب فتمطر بإذن الله ، ومنها رياح تفرّق السحاب ، ومنها رياح ممّا عدّد[١] الله في الكتاب ، فأمّا الرياح الأربع الشمال و الجنوب و الصبا و الدبور فإنّما هي أسماء الملائكة الموكّلين بها فإذا أراد الله أن يهبّ شمالاً أمر الملك الّذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشاميّ فضرب بجناحه [٢] ، فتفرّقت ريح الشمال حيث يريد الله من البرّ و البحر ،[٣] فإذا أراد الله أن يبعث جنوباً أمر الملك الّذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام ، فقام على الركن الشاميّ فضرب بجناحه [٤] ، فتفرّقت [٥] ريح الجنوب في البرّ و البحر حيث يريد الله ، و إذا أراد الله أن يبعث [٦] الصبا أمر الملك الّذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشاميّ فضرب بجناحه[٧] فتفرّقت ريح الصبا حيث يريد الله عزّ وجلّ في البرّ والبحر ، و إذا أراد الله أن يبعث دبوراً أمر الملك الّذي اسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشاميّ ، فضرب بجناحه [٨] فتفرّقت ريح الدبور حيث يريد الله من البرّ والبحر . ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام : أما تسمع لقوله : ريح الشمال ، وريح الصبا ، وريح الصبا ، وريح الدبور إنّما تضاف إلى الملائكة الموكّلين بها[٩] .

الخصال : عن محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن محمّد بن الحسن الصفّار ، عن العبّاس بن معروف ، عن ابن محبوب مثله ، إلى قوله « فكيف كان عذابي ونذر » وذكر رياحاً في العذاب ثمّ قال : فريح الشمال وريح الصبا و ريح الجنوب و ريح الدبور أيضاً

---

(١) عدالله (خ) .

(٢و٤و٧و٨) بجناحيه (خ) .

(٣) في المصدر ، و اذا ،

(٥) فتفرق (خ) .

(٦) في المصدر ، ريح الصبا .

(٩) الكافي ، ج ، ص ٩٢ .

تضاف إلى الملائكة الموكّلين بها [١] .

بيان : قال الفيروزابادي : الشمال بالفتح و يكسر : الريح الّتي تهبّ من قبل الحجر ، أو مااستقبلك عن يمينك و أنت مستقبل القبلة ، و الصحيح أنّه ما مهبّه بين مطلع الشمس و بنات النعش ، أو من مطلع النعش إلى مسقط النسر الطائر ، و يكون اسماً و صفة ، ولا تكاد تهبّ ليلاً . وقال : الجنوب ريح تخالف الشمال ، مهبّه[٢] من مطلع سهيل إلى مطلع الثريّا . وقال : الصبا ريح مهبّها من مطلع الثريّا إلى بنات نعش و قال : الدبور ريح تقابل الصبا . و قال الشهيد ـ قدّس سرّه ـ في الذكرى : الجنوب محلّها ما بين مطلع سهيل إلى مطلع الشمس في الاعتدالين ، والصبا محلّها ما بين الشمس إلى الجدي ، و الشمال محلّها من الجدي إلى مغرب الشمس في الاعتدال ، والدبور محلّها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل . قوله تعالى « ونذُر » أي إنذار لهم بالعذاب قبل نزولها ، أو لمن بعدهم في تعذيبهم . والريح العقيم قيل هي الدبور ، وقيل هي الجنوب و قيل : النكباء . وقال الجوهري : الإعصار ريح تثير الغبار إلى السماء كأنّه عمود و قيل هي ريح تثير سحاباً ذات رعد وبرق . قوله عليه السلام « فتفرّقت ريح الشمال » لا يتوهّم أنّه يلزم من ذلك أن يكون مهبّ جميع الرياح جهة القبلة ، و ذلك لأنّه لعظمة الملك و جناحه يمكن أن يتحرّك رأس جناحه بأيّ موضع أراد ، ويرسلها إلى أيّ جهة اُمر بالإرسال إليها ، و إنّما اُمر بالقيام على الكعبة لشرافتها و كونها في محلّ رحماته تعالى و مصدرها . وقيل : ضرب الجناح علامة أمر الملك الريح للهبوب . قوله عليه السلام « أما تسمع لقوله » أي لقول القائل ، وكأنّه عليه السلام استدلّ بهذه العبارات الشائعة على ماذكره من أنّها أسماء الملائكة ، إذ الظاهر من الإضافة كونها لاميّة و البيانيّة نادرة و إن كان القائلون لم يعرفوا هذا المعنى لأنّهم سمعوا ممّن تقدّمهم وهكذا إلى أن ينتهي إلى من أطلق ذلك على وجه المعرفة .

---

(١) الخصال ، ١٢٣ .

(٢) في القاموس ، مهبها .

١٧ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن أبي يحيى الواسطيّ ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ لله تبارك و تعالى ريحاً يقال لها « الأزيب » لو اُرسل منها مقدار منخر الثور لأثارت ما بين السماء والأرض وهي الجنوب [١] .

بيان : قوله « وهي الجنوب » من كلام بعض الرواة أو من كلامه عليه السلام ، و على التقديرين لعلّ المراد به أنّها نوع منها أوقريب منها . قال في القاموس : الأزيب كالأحمر الجنوب [٢] و النكباء تجري بينها و بين الصبا . وقال : النكباء ريح انحرفت و وقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال ، أو نكب الرياح الأربع ، الأزيب : نكباء الصبا و الجنوب ، و الصابية ـ و تسمّى النكيباء أيضاً ـ : نكباء الصبا و الشمال ، و الجربياء : نكباء الشمال و الدبور وهي نيّحة الأزيب ، و الهيف : نكباء الجنوب و الدبور و هي نيّحة النكيباء . و نحوه قال الجوهريّ . و قال : كلّ ريح استطالت أثرا فهبّت عليه ريحاً طولاً فهي نيّحة ، فإن اعترضته فهي نسيجته .

١٨ ـ **نوادر الراوندى** : بإسناده عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه عليهم السلام قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله : نصرت بالصبا ، واُهلكت عادبالدبور ، وماهاجت الجنوب إلّاسقى الله بها غيثاً و أسال بها واديا .

١٩ ـ **الاحتجاج** : قال الصادق عليه السلام للزنديق الّذي سأله مسائل : الريح لو حبست أيّاماً لفسدت الأشياء جميعاً و تغيّرت [٣] . و سأله عن جوهر الريح فقال : الريح هواء إذا تحرّك سمّي ريحاً ، فإذا سكن سمّي هواءً ، و به قوام الدنيا ، ولو كفّت [٤] الريح ثلاثة أيّام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض ونتن ، و ذلك أنّ الريح بمنزلة المروحة تذبّ و تدفع الفساد عن كلّ شيء وتطيّبه ، فهي بمنزله الروح إذا

---

(١) الكافي ، ج ٨ ، ص ٢١٧ .
(٢) في المصدر ، أو .
(٣) الاحتجاج ، ١٠٧ .
(٤) في المخطوطة : كشفت .

خرج عن البدن نتن البدن و تغيّر ، تبارك الله أحسن الخالقين [(١)].

٢٠ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ،عن ابن محبوب ، عن عبدالله ابن سنان ، عن معروف بن خرّبوذ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لله عزّ و جلّ رياح رحمته و رياح عذاب ، فإن شاء الله أن يجعل الرياح من [(٢)] العذاب رحمة فعل ، قال : ولن يجعل الله الرحمة من الريح عذاباً ، قال : و ذلك أنّه لم يرحم قوماً قطّ أطاعوه و كانت طاعتهم إيّاه وبالاً عليهم إلّا من بعد تحوّلهم عن طاعته . قال : وكذلك فعل بقوم يونس لمّا آمنوا رحمهم الله بعد ماكان قدّر عليهم العذاب وقضاه ، ثمّ تداركهم برحمته فجعل العذاب المقدّر عليهم رحمة ، فصرفه عنهم وقد أنزله عليهم و غشيهم،وذلك لمّا آمنوا به وتضرّعوا إليه . قال : و أمّا الريح العقيم فإنّها ريح عذاب لاتلقح شيئاً من الأرحام ولا شيئاً من النبات ، وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع ، وما خرجت منها ريح قطّ إلّا على قوم عاد حين غضب الله عليهم ، فأمر الخزّان أن يخرجوا منها على مقدار سعة الخاتم ، قال : فعتت على الخزّان فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد ، قال : فضجّ الخزّان إلى الله عزّ و جلّ من ذلك فقالوا : ربّنا إنّها قد عتت عن أمرنا ، إنّا نخاف أن تهلك من لم يعصك من خلقك و عمّار بلادك ! قال : فبعث الله إليها جبرئيل ، فاستقبلها بجناحه ، فردّها إلى موضعها وقال لها : اخرجي على ماأُمرت به ، قال:فخرجت على ماأُمرت به ، و أهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم [(٣)].

٢١ ـ **الشهاب** : عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : نصرت بالصبا واُهلكت عاد بالدبور.

الضوء : الصبا هي الريح الّتي تضرب قفا المصلّي ، و بإزائها الدبور ، و الشمال الّتي تضرب يمين المصلّي ، وبإزائها الجنوب ، و قالوا : مهبّ الصبا المستوي أن تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ، وزعموا أنّ الدبور تزعج السحاب وتشخصه في الهواء ثمّ تسوقه ، فإذا علا كشفت عنه واستقبلته الصبا فوضعته بعضه على بعض حتّى تصير

(١) الاحتجاج : ١٩٢ .
(٢) في المصدر : ان يجعل العذاب من الرياح .
(٣) الكافي : ج ٨ ، ص ٩٢ .

كسفاً واحداً ، والجنوب تلحق روادفه به وتمدّه من المدد ، و الشمال تمزّق السحاب . و النكباء هي الّتي بين الصبا و الشمال ، و الّذي في الحديث إشارة إلى نصرة الله تعالى رسوله بالصبا لمّا أرسلها على الأحزاب .

٢٢ ـ وعن ابن عمر : الرياح ثمانية : أربع منها رحمة و أربع عذاب ، فأمّا الرحمة فالناشرات ، و المبشّرات ، و المرسلات ، والذاريات ، و أمّا العذاب فالعقيم ، و الصرصر و هما في البرّ ، و العاصف و القاصف في البحر .

٢٣ ـ وروي أنّه فتح على عاد من الريح الّتي أهلكتهم مثل حلقة الخاتم .

٢٤ ـ وعن مجاهد : مابعث الله عزّوجلّ ريحاً إلّا بمكيال ، إلّا يوم عاد فإنّها عتت على الخزنة فلم يدروا مقدارها .

٢٥ ـ وفي الحديث : إنّ الله تعالى خلق في الجنّة ريحاً ، و إنّ من دونها باباً مغلقاً ، و لوفتح ذلك الباب لأذرت مابين السماء و الأرض و هي الأزيب ، و هي عندكم الجنوب .

٢٦ ـ وعن العوام بن حوشب أنّه قال : تخرج الجنوب من الجنّة فتمرّ على جهنّم فغمّها منه وبركتها من الجنّة ، وتخرج الشمال من جهنّم فتمرّ على الجنّة ، فروحها من الجنّة و شرّها من النار . قلت : و قد سمعت أنّ السموم لاتكون إلّا الشمال تهبّ على الرمال المضطرمة و الأرضين المتوجّهة فتكتسي للطافتها و رقّتها منها زيادة الحرارة ، فتهبّ ناراً ملتهبة فتقتل و تسوّد الجلود .

٢٧ ـ و قال كعب : لوحبس الله الريح من الأرض ثلاثة أيّام لأنتن مابين السماء و الأرض .

٢٨ ـ وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا رأى الريح قد هاجت يقول : اللّهمّ اجعلها رياحاً ولاتجعلها ريحا .

و أكثرما في القرآن من الرياح للخير والريح بالعكس من ذلك . وقيل : الريح الهواء المتحرّك . وفائدة الحديث الإنباء بأنّ الله تعالى خلق نصره في الأحزاب بريح الصبا ، تكبّهم على وجوههم ، وتثير السافياء في أعينهم ، فيعجزون عن مقاومة أصحاب

النبيّ ﷺ . وراوي الحديث سعيدبن جبير عن ابن عبّاس .

٢٩ ـ **الدر المنثور** : عن اُبيّ بن كعب ، قال : كلّ شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة ، و كلّ شيء في القرآن من الريح فهو عذاب [١] .

٣٠ ـ وعن ابن عبّاس ، قال : الماء والريح جندان من جنود الله ، والريح جند الله الأعظم [٢] .

٣١ ـ وعن ابن عبّاس ، و عن ابن عمر ، قالا: الريح ثمان ، أربع منها رحمة و أربع منها عذاب ، فأمّا الرحمة فالناشرات ، والمبشّرات ، والمرسلات ، والذاريات . وأمّا العذاب فالعقيم ، و الصرصر وهما في البرّ ، والعاصف ، والقاصف و هما في البحر . و في رواية ابن عبّاس مكان الذاريات « الرخاء » [٣] .

٣٢ ـ وفي رواية اُخرى : الرياح سبع : الصبا ، والدبور ، والجنوب ، والشمال و الحزوق ، والنكباء ، وريح القائم ، فأمّا الصبا فتجيء من المشرق ، وأمّا الدبور فتجيء من المغرب ، و أمّا الجنوب فتجيء عن يسار القبلة ، والشمال [٤] عن يمين القبلة ، وأمّا النكباء فبين الصبا والجنوب ، وأمّا الحزوق فبين الشمال والدبور ، و أمّا رياح القائم فأنفاس الخلق [٥] .

٣٣ ـ و عن الحسن ، قال : جعلت الرياح على الكعبة . فإذا أردت أن تعلم ذلك فأسند ظهرك إلى باب الكعبة ، فإنّ الشمال عن شمالك ، وهي ممّا يلي الحجر و الجنوب عن يمينك وهي ممّا يلي الحجر الأسود ، والصبا عن مقابلك وهي مستقبل باب الكعبة ، والدبور من دبر الكعبة [٦] .

٣٤ ـ و عن حسن [٧] بن عليّ الجعفيّ ، قال : سألت إسرائيل بن يونس ، على

(١و٢و٣) الدر المنثور : ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٤) في المصدر : فيجيء عن .

(٥) الدر المنثور : ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٦) الدرالمنثور ج ١ ص ١٦٤ .

(٧) في المصدر : حسين .

أيّ شيء سمّيت الريح ؟ قال : على القبلة ، شماله الشمال ، وجنوبه الجنوب ، و الصبا ماجاء من قبل وجهها ، والدبور ماجاء من خلفها (١) .

٣٥ ـ وعن ابن عبّاس ، قال : الشمال مابين الجديّ و مطلع الشمس،والجنوب مابين مطلع الشمس وسهيل ، و الصبا مابين مغرب الشمس إلى الجديّ ، والدبور مابين مغرب الشمس إلى سهيل .

٣٦ ـ و عن كعب : لواحتبست الريح عن الناس ثلاثة أيّام لأنتن مابين السماء و الأرض (٢) .

٣٧ ـ و عن صفوان بن سليم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتسبّوا الريح وعوذوا بالله من شرّها (٣) .

٣٨ ـ و عن ابن عبّاس أنّ رجلاً لعن الريح فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله : لاتلعن الريح فإنّها مأمورة ، فإنّه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه (٤) .

٣٩ ـ وعن ابن عبّاس ، قال : ماهبّت ريح قطّ إلّا جثا النبيّ صلى الله عليه وآله على ركبتيه وقال : اللّهمّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ، اللّهمّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً . قال ابن عبّاس : تفسير (٥) ذلك في كتاب الله : « أرسلنا ريحاً صرصراً » «فأرسلنا عليهم الريح العقيم » وقال: « وأرسلنا الرياح لواقح » «وأرسلنا عليهم الرياح مبشّرات(٦)» .

٤٠ ـ و عن مجاهد ، قال : هاجت ريح فسبّوها ، فقال ابن عبّاس : لاتسبّوها فإنّها تجيء بالرحمة و تجيء بالعذاب ، ولكن قولوا : اللّهمّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً (٧) .

٤١ ـ و عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتسبّوا الليل والنهار ، ولاالشمس ، ولا القمر ، ولا الريح ، فإنّهاتبعث عذاباً على قوم ورحمة على آخرين (٨) .

(١ـ٣) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ١٦٤ .
(٤) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ١٦٤ .
(٥) في المصدر : والله ان تفسير...
(٥ـ٨) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

٤٢ ـ وعن ابن عبّاس ، قال : الريح العقيم الشديدة الّتي لاتلقح الشجر ولا تثير السحاب ، ولا بركة فيها ولا منفعة ، ولا ينزل منها غيث ولا يلقح بها شجر[1] .

٤٣ ـ وعن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله الريح مسجنة في الأرض الثانية ، فلمّا أرادالله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عادا قال : أي‌رب ! اُرسل عليهم من الريح قدرمنخر الثور ؟ قال له الجبّار : لا ، إذاًتكفأ الأرض ومن عليها! ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم ، فهي الّتي قال‌الله « ماتذر من‌شيء أتت عليه إلاّ جعلته كالرميم[2] » .

٤٤ ـ وعن سعيد بن المسيّب ، قال ؛ هي الجنوب .

٤٥ ـ وعن عليّ عليه السلام قال : لم تنزل قطرة من ماء إلاّ بمكيال على يد[3] ملك إلاّ يوم الطوفان[4] فإنّه اُذن لها دون الخزّان فخرجت ، وذلك[5] قوله « إنّا لمّا طغى الماء » ولم ينزل شيء من الريح إلاّ بمكيال[6] على يد[7] ملك إلاّ يوم عاد فإنّه اُذن لها دون الخزّان فخرجت ، فذلك قوله « بريح صرصر عاتية » عتت على الخزّان[8] .

٤٦ ـ وعنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : نصرت بالصبا واُهلكت عاد بالدبور. وقال: ماأمر الخزّان أن‌يرسلوا على عاد إلاّ مثل موضع الخاتم من‌الريح ، فعتت على‌الخزّان فخرجت من نواحي الأبواب ، فذلك قول الله « بريح صرصر عاتية » قال : عتوّها عتت على الخزّان فبدأت بأهل البادية منهم ، فحملتهم بمواشيهم و بيوتهم فأقبلت بهم إلى

(١ و٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١١٥ . و الاولى منهما ثلاث روايات عن ابن عباس جمعها المؤلف ـ ره ـ في رواية واحدة .

(٣) في المصدر ، بدى ملك .

(٤) « « ، نوح .

(٥) « « : ... دون الخزان ، فطغاالماء على الخزان فخرج ، فذلك ..

(٦) « « ، الا بكيل .

(٧) في المصدر ، بدى ملك

(٨) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٥٩

الحاضرة ، فلمّا رأوها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فلمّا دنت الريح أظلّتهم استبقوا[١] الناس و المواشي فيها فألقت البادية على أهل الحاضرة فقصفتهم [٢] فهلكوا جميعا [٣] .

٤٧ ـ و عن قبيصة بن ذؤيب ، قال : مايخرج من الريح شيء إلاّ عليها خزّان يعلمون قدرها وعددها ووزنها وكيلها حتّى كانت الريح الّتي اُرسلت إلى عاد ، فاندفق منها شيء لايعلمون قدره ولاوزنه و لاكيله غضباً لله ، و لذلك سمّيت عاتية ، والماء كذلك حتّى [٤] كان أمر نوح عليه السلام و لذلك سمّي طاغية [٥] .

٤٨ ـ وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الرياح ثمان ، أربع منها عذاب ، و أربع منها رحمة ، فالعذاب منها : العاصف و الصرصر و العقيم و القاصف ، و الرحمة منها : الناشرات و المبشّرات و المرسلات و الذاريات . فيرسل الله المرسلات فتثير السحاب ، ثمّ يرسل المبشّرات فتلقح السحاب ، ثمّ يرسل الذاريات فتحمل السحاب فتدرّ كما تدرّ اللقحة ، ثمّ تمطر وهنّ اللواقح . ثمّ يرسل الناشرات فتنشر ماأراد [٦].

٤٩ ـ وعن خالد بن عرعرة ، قال: قام رجل إلى عليّ فقال : ما العاصفات عصفا؟ قال : الرياح [٧] .

بيان : في القاموس : الحزيق : الريح الباردة الشديدة الهبّابة كالحزوق واللّينة السهلة ضدّ و الراجعة المستمرّة السير أوالطويلة الهبوب ، واللّقحة ـ بالفتح والكسر ـ : الناقة الحلوب .

ذنابة

ذكر الفلاسفة في سبب حدوث الرياح على اُصولهم أنّ البخار إذا ثقل بواسطة

---

(١) في المصدر ، استبق .

(٢) في المصدر ، تقصفهم .

(٣) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٥٩ .

(٤) في المصدر : حين كان .

(٥) المصدر ، ج ٦ ، ص ٢٥٩ .

(٦و٧) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ .

البرودة المكتسبة من الطبقة الزمهريرية و اندفع إلى أسفل فصار لتسخنه بالحركة الموجبة لتلطيفه هواءً متحركاً و هو الريح ، وقد يكون الاندفاع يعرض بسبب تراكم السحب الموجبة لحركة مايليها من الهواء لامتناع الخلاء ، فيصير السحاب من جانب إلى جهة أخرى ، وقد يكون لانبساط الهواء بالتخلخل في جهة و اندفاعه من جهة أخرى ، وقد يكون بسبب برد الدخان المتصاعد بعد وصوله إلى الطبقة الزمهريرية و نزوله .

قالوا : ومن الرياح مايكون سموماًمحرقاً لاحتراقه في نفسه بالأشعة السماوية أولحدوثه من بقية مادة الشهب ، أولمروره بالأرض الحارة جداً لأجل غلبة نارية عليها . وقد يقع تقاوم في ما بين ريحين متقابلتين قويتين تلتقيان فتستديران ، أو في ما بين رياح مختلفة الجهة حادثة ، فتدافع تلك الرياح الأجزاء الأرضية المشتملة عليها فتضغط تلك الأجزاء بينها مرتفعة كأنها تلتوي على نفسها ، فيحصل الدوران المسمى بالزوبعة و الإعصار ، و ربما اشتملت الزوابع العظام على قطعة من السحاب بل على بخار مرتفع [1] فترى ناراً تدور ، و مهابّ الرياح اثنا عشر ، و هي حدود الأفق الحاصلة من تقاطعه مع كلّ من دائرة نصف النهار و الموازيتين لها المماستين للدائمة الظهور والخفاء ، و دائرة المشرق والمغرب الاعتداليين و الموازيتين لها المساويتين [2] برأس السرطان و الجدي ، ولكلّ ريح منها اسم ، والمشهورات عند العرب أربعة :ريح الشمال ، و ريح الجنوب و ريح الصبا و هي الشرقية ، ريح الدبور و هي الغربية و البواقي تسمى نكباء .

---

(١) مشتمل (خ) .

(٢) في المخطوطة ، المارتين .

٣٠

﴿باب﴾

﴿الماء وانواعه والبحاروغرائبها وما ينعقد فيها ، وعلة المد﴾
﴿و الجزر ، و الممدوح من الانهار و المذموم منها﴾

الآيات :

ابراهيم : وسخّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخّرلكم الأنهار(١) .

النحل : و هو الّذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طريّاً و تستخرجوا منه حلية تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم و أنهارا (٢) .

الفرقان: و هو الّذي مرج البحرين هذا عذب فرات و هذا ملح اُجاج و جعل بينهما برزخاً و حجراً محجورا (٣) .

النمل : و جعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا(٤) .

فاطر : و مايستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح اُجاج و من كلّ تأكلون لحماً طريّاً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون (٥) .

حمعسق: ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور أو يوبقهنّ بماكسبوا و يعف عن كثير

---

(١) ابراهيم ، ٣٢ .
(٢) النحل ، ١٣ ــ ١٥ .
(٣) الفرقان ، ٥٣ .
(٤) النمل ، ٦١ .
(٥) فاطر ، ١٢ .

و يعلم الّذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص [١] .

الجاثية : الله الّذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرن [٢] .

الطور : و البحر المسجور [٣] .

الرحمن: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام [٤] .

الملك : قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين [٥] .

المرسلات : و أسقيناكم ماء فراتا [٦] .

تفسير : « و سخّر لكم الفلك » إنّما نسب إليه سبحانه مع أنّه من أعمال العباد لأنّه لولا أنّه تعالى خلق الأشجار الصلبة الّتي منها يمكن تركيب السفن ، ولولا خلقة الحديد و سائر الآلات ، و لولا تعريفه العباد كيف يتّخذونها ، ولولا أنّه تعالى خلق الماء على صفة السلاسة الّتي باعتبارها يصحّ جري السفينة فيه ، ولولا خلقه تعالى الرياح وخلق الحركات القويّة فيها ، و لولا أنّه وسّع الأنهار وجعل لها من العمق مايجوز جري السفن فيها ؛ لما وقع الانتفاع بالسفن ، فصار لأجل أنّه تعالى هو الخالق لهذه الأحوال و هو المدبّر لهذه الأمور و المسخّر لها حسنت إضافته إليه ، وقيل : لمّا كان يجري على وجه الماء كما يشتهيه الملاّح صار كأنّه حيوان مسخّر له . « بأمره » أي بقدرته و إرادته .

---

(١) الشورى : ٢٢ ــ ٢٥ .

(٢) الجاثية : ١٢ .

(٣) الطور : ٦ .

(٤) الرحمن : ١٩ ــ ٢٤ .

(٥) الملك : ٣٠ .

(٦) المرسلات : ٢٧ .

« وسخّر لكم الأنهار » لمّا كان ماء البحر قلّما ينتفع به في الزراعات لاجرم ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار و العيون حتّى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزروع و النبات . و أيضاً ماء البحر لايصلح للشرب والصالح لهذا مياه الأنهار .

« و هو الّذي سخّر البحر » أي جعلها بحيث يتمكّنون من الانتفاع به بالركوب و الاصطياد و الغوص . «لتأكلوا منه لحماً طريّاً » هو السمك ، و وصفه بالطراوة لأنّه أرطب اللحوم فيسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله ولإظهار قدرته في خلقه عذباً طريّاً في ماء زعاق . «حلية تلبسونها » كاللؤلؤ والمرجان . « وترى الفلك » أي السفن«مواخر فيه » أي جواري فيه يشقه بخرومها من المخر و هو شقّ الماء ، و قيل : صوت جري الفلك . « و لتبتغوا من فضله » أي من سعة رزقه بركوبها للتجارة « ولعلّكم تشكرون» أي تعرفون نعم الله فتقومون بحقّها .

«و هوالّذي مرج البحرين» قالالبيضاويّ : خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لايتمازجان ، من مرج دابّته إذا خلاها . « هذا عذب فرات » قامع للعطش من فرط عذوبته « و هذا ملح اُجاج » بليغ الملاحة [1] « وجعل بينهما برزخا » حاجزاً من قدرته « وحجراً محجورا » و تنافراً بليغاً كأنّ كلاً منهمايقول للآخر ما يقولهالمتعوّذ عليه ، و قيل : حدّاً محدودا ، و ذلك كدجلة يدخل البحر فيشقّه فيجري في خلاله فراسخ لايتغيّر طعمهما [2] . و قيل : المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل ، و بالبحر الملح البحر الكبير ، وبالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض ، فتكون القدرة في الفصل و اختلاف الصفة ، مع أنّ مقتضى طبيعة أجزاءكلّ عنصر أن تضامّت وتلاصقت و تشابهت في الكيفيّة[3](انتهى) ويقال: إنّ نهرآمل تدخل بحرالخزرويبقى على عذوبته ولا يختلط بالمالح ، و يأخذون منه الماء العذب في وسط البحر ، فيمكن على تقدير صحّته أن يكون داخلاً تحت الآية أيضاً .

---

(١) في المصدر ، المملوحة .

(٢) طعمها (خ) .

(٣) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

« و مايستوي البحران » ضرب مثل للمؤمن و الكافر ، و الفرات : الّذي يكسر العطش ، و السائغ : الّذي يسهل انحداره ، والا جاج : الّذي يحرق بملوحته « و من كلّ تأكلون » استطراد في صفة البحرين و ما فيهما ، أو تمام التمثيل ، و المعنى : كما أنّهما و إن اشتركا في بعض الفوائد لايتساويان من حيث إنّهما لايتساويان في ما هو المقصود بالذات من الماء ، فإنّه خالط أحدهما ما أفسده وغيّره عن كمال فطرته لايساوي المؤمن والكافر و إن اتّفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة و السخاوة لاختلافهما في ما هو الخاصّية العظمى وبقاء أحدهما على الفطرة الأصليّة دون الآخر ، أوتفضيل للأجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع ، والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت .

« و من آياته الجوار في البحر » قرأ نافع وأبوعمرو « الجواري » بياء في الوصل والوقف ، والباقون بحذفها على التخفيف «كالأعلام » أي كالجبال ، فهذه السفن العظيمة الّتي تكون كأنّها الجبال تجري على وجه الماء عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه وعند سكونها تقف ، ففيه دلالة على وجود الصانع المسبّب لتلك الأسباب وقدرته الكاملة وحكمته التامّة ، لأنّه تعالى خصّ كلّ جانب من جوانب الأرض بنوع من الأمتعة و إذا نقل متاع هذا الجانب إلى ذلك الجانب في السفن و بالعكس حصلت المنافع العظيمة في التجارة . « فيظللن رواكد » أي فيبقين ثوابت « على ظهره » أي ظهر البحر. « لكلّ صبّار » أي لكلّ من و كل همّته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكّر في آلائه ، أولكلّ مؤمن كامل ، فإنّه روي أنّ الإيمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر . « أو يوبقهنّ » أي يهلكهنّ بإرسال الريح العاصفة المغرقة ، و المراد إهلاك أهلها لقوله « بما كسبوا » وأصله : أو يرسلها فيوبقهنّ لأنّه قسيم « يسكن الريح » فاقتصر فيه على المقصود ، كما في قوله « و يعف عن كثير » إذ المعنى : أو يرسلها عاصفة فيوبق ناساً بذنوبهم و ينجي ناساً على العفو منهم ، و قرىء « يعفو » على الاستئناف . « ويعلم الّذين يجادلون في آياتنا » عطف على علّة مقدّرة ، مثل : لينتقم منهم ويعلم... أوعلى الجزاء ونُصب نصبَ الواقع جواباً للأشياء الستّة لأنّه أيضاً غيرواجب ، وقرأ نافع و ابن عامر بالرفع على الاستئناف ، و قرىء بالجزم عطفاً على « يعف » فيكون

المعنى : أو يجمع بين إهلاك و إنجاء قوم و تحذير آخرين . « مالهم من محيص » من محيد من العذاب .

« الله الّذي سخّر لكم البحر » بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب ولا يمنع الغوص فيه « لتجري الفلك فيه بأمره » أي بتسخيره و أنتم راكبوها « و لتبتغوا من فضله » بالتجارة و الغوص و الصيد و غيرها « وأنتم تشكرون » هذه النعم .

« و البحر المسجور » أي المملوّ و هو المحيط ، أو الموقد من قوله « وإذاالبحار سجّرت » كما روي أنّ الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار ناراً يسجر بها جهنّم ، أو المختلط ، من السجير و هو الخليط ، و قيل : هو بحر معروف في السماء يسمّى بحر الحيوان .

« مرج البحرين » أي أرسلهما ، و المعنى : أرسل البحر الملح و البحر العذب « يلتقيان » أي يتجاوران و تتماسّ سطوحهما ، أو بحري فارس و الروم يلتقيان في المحيط لأنّهما خليجان يتشعّبان منه « بينهما برزخ » أي حاجز من قدرةالله تعالى أو من الأرض « لايبغيان » أي لايبغي أحدهما على الآخر بالممازجة و إبطال الخاصيّة أو لايتجاوزان حدّيهما ، أو بإغراق مابينهما . وقال الطبرسيّ - ره - : قيل : المراد بالبحرين بحر السماء و بحر الأرض ، فإنّ في السماء بحراً يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كلّ سنة ، و بينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول و بحر الأرض من الصعود ، عن ابن عبّاس و غيره ، و قيل : إنّهما بحر فارس و بحر الروم فإنّ آخر طرف هذا يتّصل بآخر طرف ذلك و البرزخ بينهما الجزائر ، وقيل: مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط بجملتهما «لايبغيان» أي لايطلبان أن يختلطا (١) .

« يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان» أي كبار الدرّ و صغاره ، وقيل:المرجان الخرز

(١) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٠١ .

الأحمر ، و إن صحّ أنّ الدرّ يخرج من المالح[١] فعلى الأوّل إنّما قال « منهما » لأنّه يخرج من مجتمع المالح [٢] والعذب ، أو لأنّهما لمّا اجتمعا صارا كالشيء الواحد وكان المخرج من أحدهما كالمخرج منها ، ذكره البيضاويّ[٣]. وقال الرازيّ : اللؤلؤ لا يخرج إلّا من المالح فكيف قال « منهما » ؟ نقول : الجواب عنه من وجوه [٤] : **الاول** ظاهر كلام الله أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس الّذي لا يوثق بقوله ، و من علم أنّ اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب ؟ غاية علمكم [٥] أنّ الغوّاصين ما أخرجوه إلّا من المالح ، و لكن لم قلتم [٦] إنّ الصدف لا يخرج اللؤلؤ بأمر الله من الماء العذب إلى الماء المالح ؟ وكيف يمكن الجزم به ، والاُمور الأرضيّة الظاهرة خفيت عن التجّار الّذين قطعوا المفاوز و داروا البلاد فكيف لا يخفى عليهم ما في قعور البحور ؟ **الثاني** أن نقول : إن صحّ قولهم أنّه لا يخرج إلّا من الماء المالح فنقول فيه وجوه : أحدها أنّ الصدف لا يتولّد فيه اللؤلؤ إلّا من ماء المطر وهو بحر السماء ، ثانيها أنّه يتولّد في ملتقاهما ثمّ يدخل الصدف في البحر المالح عند انعقاد الدرّ فيه لحال الملوحة ، كالمتوخّمة الّتي تشتهي في أوائل الحمل فتثقل هناك فلا يمكنه الدخول في العذب [٧] . ثمّ ذكر بعض الوجوه المتقدّمة .

وقال الطبرسيّ ـ ره ـ : قيل : يخرج منهما أي من ماء السماء وماء البحر ، فإنّ القطر إذا جاء من السماء تفتّحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ ، عن ابن عبّاس ولذلك حمل البحرين على بحر السماء و بحر الأرض ، و قيل : إنّ العذب و الملح يلتقيان ، فيكون العذب كاللقاح للملح ، ولا يخرج اللؤلؤ إلّا من الموضع الّذي يلتقي

(١و٢) في انوار التنزيل : الملح .
(٣) انوار التنزيل : ج ٢ ، ٤٨٥ .
(٤) في المصدر : من وجهين .
(٥) في المصدر : وهب ان ...
(٦) عبارة المصدر هكذا « لكن لا يلزم من هذا أن لا يوجد في الغير . سلمنا لم قلتم ان الصدف يخرج بامر الله من الماء العذب الى الماء المالح » وكأن فيه تصحيفا .
(٧) مفاتيح الغيب : ج ٢٩ ، ص ١٠١ .

فيه العذب و الملح ، وذلك معروف عند الملاّحين [١](انتهى) .

أقول : « وله الجوار » أي السفن جمع جارية « المنشآت » أي المرفوعات الشرّع أو المصنوعات . وقرأ حمزة وأبوبكر بكسر الشين أي الرافعات الشرّع ، أواللاتي ينشئن الأمواج أو السّير « كالأعلام » جمع علم و هو الجبل الطويل « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » من خلق موادّ السفن و الإرشاد إلى أخذها وكيفيّة تركيبها و إجرائها في البحر بأسباب لايقدر على خلقها و جمعها غيره تعالى .

« إن أصبح ماؤكم غوراً » أي غائراً في الأرض بحيث لاتناله الدلاء ، مصدروصف به « بماء معين » أي جارٍ ، أو ظاهر سهل المأخذ . « و أسقيناكم ماءً فراتاً » بخلق الأنهار و المنافع فيها .

١ ـ **العلل و العيون** : عن محمّد بن عمرو بن عليّ البصريّ ، عن محمّد بن عبدالله ابن أحمد الواعظ ، عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائيّ ، عن أبيه ، عن أبي الحسن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : سأل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن المدّ والجزر ماهما ؟ فقال : ملك [٢] موكّل بالبحار يقال له « رومان » فإذا وضع قدميه في البحر فاض ، و إذا أخرجهما غاض [٣] .

٢ ـ **العلل** : عن محمّد بن عليّ ماجيلويه ، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم ، عن أحمد ابن أبي عبدالله البرقيّ ، عن أبيه ، عن خلف بن حمّاد ، عن أبي الحسن العبديّ ، عن سليمان بن مهران ، عن عباية بن ربعيّ ، عن ابن عبّاس ، أنّه سئل عن المدّ والجزر فقال : إنّ الله عزّ وجلّ و كّل ملكاً بقاموس البحر ، فاذا وضع رجليه [٤] فيه فاض و إذا أخرجهما [٥] غاض [٦] .

---

(١) في المصدر « الغواصين » مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٠١ .

(٢) في العيون ، ملك من ملائكة الله عزوجل .

(٣) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ والعيون ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٤) في المصدر ، رجله .

(٥) في المصدر ، اخرجها .

(٦) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٤٠

بيان : قال الجزري: قاموس البحر وسطه و معظمه ، و منه حديث ابن عبّاس و سئل عن المدّ و الجزر ـ و ذكر الخبر ـ ثمّ قال : أي زاد و نقص و هو فاعول من القمس (انتهى) و أقول : اختلف الحكماء في سبب المدّ والجزرعلى أقوال شتّى،وليس شيء منها ممّا يسمن أو يغني من جوع أو يروّي من عطش . وما ذكر في الخبر أظهرها و أصحّها عقلاً أيضاً ، وقد سمعت من بعض الثقات أنّه قال : إنّي رأيت شيئاً عظيماً يمتدّ من الجوّ إلى البحرفيمتدّ ماؤه ثمّ إذا ذهب ذلك شرع في الجزر(١) . وأمّاماذكره الحكماء في ذلك ففي رسائل إخوان الصفا : أمّا علّة هيجان البحار و ارتفاع مياهها و مدودها على سواحلها و شدّة تلاطم أمواجها و هبوب الرياح في وقت هيجانها إلى الجهات في أوقات مختلفة من الشتاء و الصيف و الربيع و الخريف و أوائل الشهور و أواخرها و ساعات الليل والنهارفهي من أجل أنّ مياهها إذا حميت من قرارها وسكنت و لطفت و تخلخلت و طلبت مكاناً أوسع ممّا كان فيه ، فتدافعت بعض أجزائها بعضاً إلى الجهات الخمس فوقاً و شرقاً و غرباً و جنوباً وشمالاً للاتّساع فيكون في الوقت الواحد على سواحلها أمواج مختلفة في جهات مختلفة ، و أمّا علّة هيجانها في وقت دون وقت فهو بحسب تشكّل الفلك و الكواكب و مطارح شعاعاتها على سطوح تلك البحار في الآفاق و الأوتاد الأربعة و اتّصالات القمر بها عند حلوله في منازله الثمانية و العشرين كما هو المذكور في كتب أحكام النجوم ، و أمّا علّة مدود بعض البحار في وقت طلوعات القمر و مغيبه دون غيرها من البحار فهو من أجل أنّ تلك البحار

---

(١) لوكان مادعى رؤيته مما يرى بالحس لرآه كل من يسكن السواحل ولتواتر نقله فافهم ، و يمكن أنه كان قد رأى شيئاً من الابخرة المتصاعدة من بعيد مقارناً للمد فتوهم انه هو الذى يوجب المد والاسباب المادية لحصول الجزروالمد وسائر مايحدث فىالارض والبحار و الجو صارت اليوم ببركة العلوم التجربية من الواضحات بل تكاد تكون بديهية ولا ينافى ذلك ماذكر فى الروايات من استنادها إلى ارادة الله تعالى أو أعمال الملائكة ، فانها علل طولية تنتهى بالاخرة إلى من اليه المنتهى ، ولا يخفى ان كثيراً من الروايات الواردة فى امثال هذه المعانى لم تسلم عن الدس والوضع مضافاً الى المناقشة فى شمول ادلة حجية الخبر الواحد لغير مايتضمن بيان الاحكام الفرعية .

في قرارها صخور صلبة و أحجار صلدة ، فاذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح شعاعاته إلى تلك الصخور و الأحجار الّتي في قرارها ، ثمّ انعكست من هناك راجعة ، فسخنت تلك المياه و حمت و لطفت و طلبت مكاناً أوسع وارتفع إلى فوق و دفع بعضها بعضاً إلى فوق ، وتموّجت إلى سواحلها ، وفاضت على سطوحها ، ورجعت مياه تلك الأنهار الّتي كانت تنصبُّ إليها إلى خلف راجعة ، فلايزال ذلك دأبها مادام القمر مرتفعاً إلى وتد سمائه ، فاذا انتهى إلى هناك وأخذ ينحطّ سكن عند ذلك غليان تلك المياه و بردت وانضمّت تلك الأجزاء وغلظت فرجعت إلى قرارها وجرت الأنهار على عادتها ، فلا يزال ذلك دأبها إلى أن يبلغ القمر إلى الأُفق الغربيّ من تلك البحار ثمّ يبتدىء المدّ على عادته وهو في الأُفق الشرقيّ ، فلا يزال ذلك دأبه حتّى يبلغ القمر إلى وتد الأرض ، فينتهي المدّ من الرأس ، ثمّ إذا زال القمر من وتد الأرض أخذ المدّ راجعاً إلى أن يبلغ القمر إلى أُفقه الشرقيّ من الرأس . فإن قيل : لم لا يكون المدّ والجزر عند طلوعات الشمس و إشرافاتها على سطح هذه البحار ؟ فقد بيّنّا علل ذلك في رسالة العلل و المعلولات (انتهى) .

و قال المسعوديّ في مروج الذهب : المدّ هو مضيّ الماء بسجيّته و سنن جريه والجزر هورجوع الماء على ضدّ سنن مضيّه وانعكاس مايمضي عليه في نهجه وهما يكونان في البحر الحبشيّ (١) الّذي هو الصينيّ و الهنديّ و بحر البصرة وفارس ، و ذلك أنّ البحار على ثلاثة أصناف : منها مايأتي فيه الجزر و المدّ و يظهر ظهوراً بيّناً ، ومنها مالا يتبيّن فيه الجزر و المدّ و يكون خفيّاً مستتراً ، و منها مالا يجزر ولا يمدّ ، وقد تنازع الناس في علّتهما ، فمنهم من ذهب إلى أنّ علّة ذلك القمر ، لأنّه مجانس للماء وهو يسخّنه فيبسط ، وشبّهوا ذلك بالنار إذا سخّنت مافي القدر وأغلته، وأنّ الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين ، فاذا غلى الماء انبسط في القدر و ارتفع و تدافع حتّى يفور فتتضاعف كمّيته في الحسّ لأنّ من شرط الحرارة أن تبسط الأجسام ، ومن شرط

---

(١) في المصدر ، وانكشاف مامضى عليه في هيجه وذلك كبحر الحبش .

البرودة أن تضغطها[١] وذلك أن قعور البحار تحمى فتتولّد في أرضها [٢] عذوبة وتستحيل و تحمي كما يعرض ذلك في البلاليع و الآبار ، فإذا حمي ذلك الماء انبسط ، وإذا انبسط زاد ، و إذا زاد دفع [٣] كلّ جزء منه صاحبه فطفر عن سطحه [٤] وبان عن قعره واحتاج إلى أكثر من وهدته ، و أنّ القمر إذا امتلأ أحمى الجوّ حمياً شديداً فظهر زيادة الماء فسمّي ذلك المدّ الشهريّ . و قالت طائفة اُخرى : لو كان الجزر و المدّ بمنزلة النار إذا أسخنت الماء الّذي في القدر و بسطته فيطلب أوسع منه فيفيض حتى إذا خلا قعره من الماء طلب الماء بعد خروجه منه عمق الأرض بطبعه فيرجع اضطراراً بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء في المرجل و القمقم إذا فاض لكان بالشّمس أشدّ سخونة ، و لو كانت الشمس علّة مدّه لكان بدؤه مع بدء طلوع الشمس و الجزر عند غيبوبتها . وزعم هؤلاء أنّ علّة المدّ و الجزر الأبخرة الّتي تتولّد في بطن الأرض ، فإنّها لاتزال تتولّد و تكثف و تكثر فتدفع حينئذ ماء هذا البحر لكثافتها ، فلاتزال على ذلك حتى تنقص موادّها من أسفل ، فإذا انقطعت موادّها من أسفل تراجع الماء حينئذ إلى قعور البحر ، وكان الجزر من أجل ذلك و المدّ ليلاً و نهاراً و شتاءً وصيفاً و في غيبوبة القمر و طلوعه و في غيبوبة الشمس و طلوعها . قالوا : و هذا يدرك بحسّ البصر [٥] لأنّه ليس يستكمل الجزر آخره حتّى يبدو أوّل المدّ ، ولا يفنى [٦] آخر المدّ حتّى يبدو أوّل الجزر ، لأنّه لايفتر تولد تلك البخارات حتّى إذا خرجت تولد مكانها غيرها وذلك أنّ البحر إذا غارت مياهه ورجعت إلى قعره تولدت تلك الأبخرة لمكان مايتّصل منها من الأرض بمائه ، فكلّماعادتولدت و كلّما فاض تنفست [٧] .

(١) في المصدر تضمها .
(٢) الارض (خ) .
(٣) في المصدر : واذا زاد ارتفع فدفع .
(٤) في المصدر : فطفا على سطحه .
(٥) في المصدر : بالحس .
(٦) في المصدر : لاينقضى
(٧) تنقصت (خ)

وذهب آخرون من أهل الديانات : أنّ كلّ مالايعلم له في الطبيعة مجرى ولايوجد له فيهاقياس فلهفعلإلهيّ يدلّ على توحيد الله عزّوجلّ وحكمته وليس للمدّ والجزر علّة في الطبيعة البتّة ولا قياس . وقال آخرون : ماهيجان ماء البحر إلاّ كهيجان بعض الطبائع ، فإنّك ترى صاحب الصفراء و صاحب الدم وغيرهما تهتاج طبيعته وتسكن ولذلك موادّ تمدّها حالاً بعد حال ، فإذا قويت هاجت ثمّ تسكن قليلاً قليلاً حتّى تعود . و ذهب طائفة إلى إبطال سائر ما وصفنا من القول وزعموا أنّ الهواء المطلّ على البحر يستحيلدائماً ، فإذا استحال عظمماء البحروفار[١] عند ذلك ، فإذافارفاض وإذا فاضفهوالمدّ ، فعند ذلك يستحيلماؤه ويتفشّىواستحالهواءً فعاد[٢] إلىماكانعليه وهوالجزر وهو دائم لايفتر ، متّصل مترادف متعاقب ، لأنّ الماء يستحيلهواء والهواء يستحيلماءً ، وقديجوزأن يكونذلكعند امتلاء القمرأكثرلأنّالقمرإذا امتلأ استحال ماء أكثر ممّا كان يستحيل قبل ذلك وإنّما القمر علّة لكثرة المدّلاللمدّ نفسه ، لأنّه قديكون والقمر فيمحاقه والمدّ والجزر في بحر فارس يكون علىمطالع الفجر في أغلب الأوقات . وقد ذهب أكثر من أرباب السفن ممّن يقطعهذا البحر و يختلف إلىجزائره أنّ المدّ والجزر لايكون في معظم هذا البحر إلاّ مرّتين في السنة ، مرّةً يمدّ فيشهور الصيف شرقاً بالشمال ستّة أشهر ، فإذا كان ذلك طما الماء في مشارق البحر والصينوما والى ذلك الصقع ، و مرّة يمدّ في شهور الشتاء غرباً بالجنوب ستّة أشهر ، وإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر و الجزر بالصين ، و قد يتحرّك البحر بتحريك الرياح فإنّالشمس إذا كانت في الجهة الشمالية تحرّك الهواء إلى الجهة الجنوبيّة ، فلذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف لهبوب الشمال طامية عالية ، و تقلّ المياه في جهة البحور [٣] الشماليّة و كذلك إذا كانت الشمس في الجنوب و سار [٤] الهواء من الجنوبإلى جهة الشمالفسال[٥] معهماء البحرمن الجهة الجنوبيّة إلىالجهة الشماليّة

(١) في المصدر ، وفاض عند ذلك ، و إذا فاض البحر فهوالمد .

(٢) في المصدر : يتنفس فيستحيل هواء فيعود ...

(٣) في المصدر ، البحار .

(٤ و٥) في المصدر : سال .

قلّت المياه في الجهة الجنوبيّة ، وتنقّل[١] ماء البحرفي هذين الميلين أعني في جهة[٢] الشمال و الجنوب يسمّى جزراً ومدّاً[٣] ، و ذلك أنّ مدّ الجنوب جزر الشمال ومدّ الشمال جزر الجنوب ، فإن وافق القمر بعض الكواكب السيّارة في أحد الميلين تزايد الفعلان وقوي الحرّ واشتدّ لذلك[٤] انقلاب ماء البحر إلى الجهة المخالفة للجهةالّتي فيها الشمس ، و هذارأي الكنديّ وأحمدبن الخصيب السرخسيّ في ماحكي عنهما[٥] أنّ البحر يتحرّك بتحرّك الرياح[٦] (انتهى) .

و جملة القول فيه أنّ نهر البصرة والأنهار المقاربة له يمدّ في كلّ يوم وليلة مرّتين و يدور ذلك في اليوم والليلة ولا يخصّ وقتاً كطلوع الشمس و غروبها وارتفاعها و انخفاضها ، ويسمّى ذلك بالمدّ اليومي ، ويكون المدّ عند زيادة نور القمر أشدّ و يسمّى ذلك بالمدّ الشهري و هذا المدّ يمكن استناده إلى القمر لكونه تابعاً له في الغالب ، بمعنى أنّه يحصل في أيّام زيادة نور القمر ، لكن الظاهر أنّه لوكانت العلّة زيادة نوره لكان هذا المدّمقارناً لها أوبعدها بزمان يتمّ فيه فعل القمر و تأثيرهفيالبحر و الظاهر أنّه ليس تابعاً له بهذا المعنى ، وعلى تقدير صحّة استناده إليه فلا ريب في بطلان ماجعله القائل الأوّل مناطاً لهمن سخونة البحر بنور القمر لأنّه مجانس للماء و كذا سخونة الجوّ به ، بل ربما يدّعي أنّ نور القمر يبرّد الجوّ و الأجسام كما هو المجرّب ، نعم ربمايجوّزالعقلتأثيرالقمر فيالمدّلنوع من المناسبة و الارتباط بين نوره وبينالماء وإن لم نعلمها بخصوصها ، لكن يقدح فيه ماذكرناه منعدم انضباطالمقارنة[٧] والتأخّرعلىالوجه المذكور . وأمّاالمدّ اليوميّفبطلان استناده إلىالقمرواضح واستناده

(١) في المصدر : ينتقل .
(٢) « « : جهتي .
(٣) « « : ومداً شتويا .
(٤) « « : واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ...
(٥) في المصدر : في ماحكاه عنه .
(٦) مروج الذهب : ج ١ ، ص ٦٨ - ٧٠ .
(٧) أو (خ) .

إلى الكواكب على انفرادها أو بمشاركة القمر بعيد غاية البعد ، وكون الكواكب عللاً له من حيث الحرارة ظاهر الفساد . و ماذكره الطائفة الثانية من أنّه للأبخرة الحادثة في باطن الأرض فيرد عليه أنّ الأبخرة الكثيرة الكثيفة الّتي تفور البحر مع عظمته لخروجها لواجتمعت واحتبست في باطن الأرض ثمّ خرجت دفعةً كما هو الظاهر من كلامه لزم انشقاق الأرض منها انشقاقاً فاحشاً ثمّ التئامها في كلّ يوم وليلة ، لعلّه ممّا لايرتاب أحد في أنّه خلاف الواقع ولا يظهر للعقل سبب لالتئام الأرض بعد الانشقاق ، وكون كلّ التئام مستنداً إلى انشقاق حادث في موضع آخر من الأرض قريب من موضع الأوّل في غاية البعد ، ولو خرجت تدريجاً لاستلزمت غلياناً وفوراناً في البحر دائماً لاهذا النوع من الحركة و الامتلاء و هو واضح . وما ذكره الطائفة الثالثة من أنّه كهيجان الطبائع فيرد عليه أنّه لو كان المراد أنّه والطبائع تهيج بلاسبب فباطل ، ولو قيل بأنّ ذلك مقتضى الطبيعة فذلك ممّا لم يقل به أحد ، ولو اُريد أنّه بسبب ولو لم يكن معلوماً لنا ، فذلك ممّا لاثمرة له إذ الكلام في خصوص السبب و ماذكره الطائفة الرابعة من أنّه للانقلاب فلايظهر له وجه ولا ينطبق على تلك الخصوصيّات . فالأوجه أن يقال : إنّها بقدرة الله و تدبيره و حكمته إمّا بتوسّط الملك إن صحّ الخبر ، أو بمارأى المصلحة فيه من العلل و الأسباب ، فإنّه تعالى المسبّب لها و المقدّر لأوقاتها ، ولم نكلّف بالخوض في عللها و إن أمكنت مدخليّة بعض تلك الوجوه الّتي تقدّم ذكرها ، و العالم بها هو المدبّر لها ، و يكفينا ماظهر لنا من منافعها و فوائدها .

١ ـ **الخصال** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن هلال[١] ، عن عيسى بن عبدالله الهاشميّ ، عن أبيه عن آبائه[٢] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربعة أنهار من الجنّة : الفرات و النيل و سيحان و جيحان ، فالفرات الماء في الدنيا و الآخرة

(١) احمد بن هلال ابو جعفر العبرتائى ضعيف جداً ، قال الشيخ فى التهذيب : ان احمد بن هلال مشهور باللعنة و الغلو و روى الكشى عن ابى الحسن العسكرى عليه السلام رواية تشتمل على لعنه والتبرى منه كقوله عليه السلام « ونحن نبرأ الى الله من ابن هلال لارحمه الله ومن لايبرأ منه » .

(٢) في الخصال ، عن على عليه السلام .

والنيل العسل ، وسيحان الخمر ، وجيحان اللبن [١] .

بيان : الفرات أفضل الأنهار بحسب الأخبار ، وقد أوردتها في كتاب المزار و النيل بمصر معروف ، وسيحان و جيحان قال في النهاية : هما نهران بالعواصم عند المصيصة و الطرسوس . وفي القاموس : سيحان نهر بالشام و آخر بالبصرة ، وسيحون نهر بماوراء النهر و نهر بالهند ، و قال : جيحون نهر خوارزم وجيحان نهر بالشام والروم معرّب « جهان » (انتهى) . و ذكر المولى عبدالعليّ البرجنديّ في بعض رسائله : إنّ نهر الفرات يخرج من جبال « أرزن الروم » [٢] ثمّ يسيل نحو المشرق إلى « ملطية» ثمّ إلى « سميساط » حتّى ينتهي إلى الكوفة ثمّ تمرّ حتّى ينصبّ في البطائح . وقال: النيل أفضل الأنهار لبعد منبعه و مروره على الأحجار و الحصيات، وليس فيه وحل ولا يخضرّ الحجر فيه كغيره ، ويمرّ من الجنوب إلى الشمال و هو سريع الجري ، وزيادته في أيّام نقص سائر المياه ، و منبعه مواضع غير معمورة في جنوب خطّ الاستواء ، ولذالم يعلم منبعه على التحقيق . و نقل عن بعض حكماء اليونان : أنّ ماءه يجتمع من عشرة أنهار ، بين كلّ نهرين منها اثنان و عشرون فرسخاً ، فتنصبّ تلك الأنهار في بحيرة ثمّ منها يخرج نهر مصر متوجّهاً إلى الشمال حتّى ينتهي إلى مصر ، فإذا جازها وبلغ « شنطوف » انقسم قسمين ينصبّان في البحر . و قال : سيحان منبعه من موضع طوله ثمان و خمسون درجة وعرضه أربع و أربعون درجة ، و يمرّ في بلاد الروم من الشمال إلى الجنوب إلى بلاد أرمن ، ثمّ إلى قرب «مصيصة » ثمّ يجتمع مع جيحان وينصبّان في بحر الروم فيما بين أياس و طرسوس ، و نهر جيحان منبعه من موضع طوله ثمان و خمسون درجه ، و عرضه ستّ و أربعون درجة و هو قريب من نهر الفرات في العظمة و يمرّ من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود الروم إلى أن يمرّ إلى شمال مصيصة و ينصبّ في البحر (انتهى) .

ثمّ اعلم أنّ هذه الرواية مرويّة في طرق المخالفين أيضاً ، إلاّ أنّه ليس فيها

---

(١) الخصال ، ١١٧ .

(٢) أرزن روم (خ) .

« فالفرات » إلى آخر الخبر ، واختلفوا في تأويله : قال الطيبيّ في شرح المشكاة في شرح هذا الخبر : سيحان و جيحان غير سيحون و جيحون ، وهما نهران عظيمان جدّاً و خصّ الأربعة لعذوبة مائها و كثرة منافعها كأنّها من أنهار الجنّة ، أو يراد أنّها أربعة أنهار هي اُصول أنهار الجنّة سمّاها بأسامي الأنهار العظام من أعذب أنهار الدنيا و أفيدها على التشبيه ، فإنّ ما في الدنيا من المنافع فنموذجات لما في الآخرة ، وكذا مضارّها . وقال القاضي : معنى كونها من أنهار الجنّة : أنّ الإيمان يعمّ بلادها وأنّ شاربيها صائرة إليها ، والأصحّ أنّه على ظاهرها و أنّ لها مادة من الجنّة . و في معالم التنزيل : أنزلها الله تعالى من الجنّة و استودعها الجبال لقوله تعالى « فأسكنّاه » . أقول : المشبّه في الوجه الأوّل أنهار الدنيا ، و وجه الشبه العذوبة والهضم و البركة . و في الثاني : أنهار الجنّة ، ووجهه الشهرة والفائدة والعذوبة . وفي الثالث وجهه المجاورة و الانتفاع (انتهى) .

وأقول : ظاهر الخبر مع التتمّة الّتي في الخصال اشتراك الاسم ، و إنّما سمّيت بأسماء أنهار الجنّة لفضلها و بركتها و كثرة الانتفاع بها ، و يحتمل أن يكون المعنى أنّ أصل هذه الأنهار و مادّتها من الجنّة ، فلمّا صارت في الدنيا انقلبت ماء ، ولا ينافي ذلك معلوميّة منابعها إذ يمكن أن يكون أوّل حدوثها بسبب ماء الجنّة ، أو يصبّ فيها بحيث لا نعلم ، أو يكون المراد بالجنّة جنّة الدنيا كما مرّ في كتاب المعاد وتجري من تحت الأرض إلى تلك المنابع ثمّ يظهر منها . ويؤيّد تلك الوجوه في الجملة مارواه الكلينيّ بسند كالموثّق عن أبي عبدالله عليه السلام قال : يدفق في الفرات في كلّ يوم دفقات من الجنّة [1] ، و بسند آخر رفعه إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : نهركم هذا ـ يعني ماء الفرات ـ يصبّ فيه ميزابان من ميازيب الجنّة [2] . وعن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال : إنّ ملكاً يهبط من السماء في كلّ ليلة معه ثلاثة مثاقيل مسك [3] من مسك الجنّة فيطرحها في الفرات ، و مامن نهر في شرق الأرض ولا غربها أعظم بركة

(١و٢) الكافى ، ج ٦ ، ص ٣٨٨ .

(٣) في المصدر ، مسكا .

منه [١] . و أمّا التأويل بكون أهلها و شاربيها صائرين إلى الجنة فهو في خصوص الفرات ظاهر ، إذ أكثر القرى و البلاد الواقعة عليه و بقربه من الإماميّة و المحبّين لأهل البيت عليهم السلام كما تشهد به التجربة ، و قد روى الكليني بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما إخال أحداً يحنّك بماء الفرات إلّا أحبّنا أهل البيت . و قال عليه السلام : ماسقي أهل الكوفة ماء الفرات إلّا لأمرمّا ، و قال: يصبّ فيه ميزابان من الجنّة [٢] أقول : قوله عليه السلام «لأمرما» أي لرسوخ ولاية أهل البيت عليهم السلام في قلوب أهلها . وعن أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ قال : أما إنّ أهل الكوفة لوحنكوا أولادهم بماء الفرات لكانوا لنا شيعة [٣] . وأمّا الأنهار الثلاثة الاُخرى فلم أرلها في غير هذا الخبر فضلاً ، بل روى الكليني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : ماء نيل مصر يميت القلب [٤] .

٢ ـ **الدر المنثور** : عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال : أنزل الله من الجنّة إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون و هو نهر الهند ، و جيحون و هو نهر بلخ ، ودجلة و الفرات و هما نهرا العراق ، والنيل و هو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنّة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبرائيل فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض و جعلها منافع للناس في أصناف معائشهم ، فذلك قوله : «وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنّاه في الأرض» [٥] . فإذا كان عند خروج يأجوج و مأجوج أرسل الله جبرئيل فرفع من الأرض القرآن و العلم كلّه و الحجر من ركن البيت و مقام إبراهيم و تابوت موسى بمافيه و هذه الأنهار الخمسة فيرفع كلّ ذلك إلى السماء ، فذلك قوله تعالى : «و إنّا على ذهاب به لقادرون» فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والآخرة [٦] .

---

(١) الكافى ، ج ٦ ، ص ٣٨٩ .
(٢) الكافى ، ج ٦ ، ص ٣٨٨ .
(٣) « « ص ٣٨٩ .
(٤) الكافى ، ج ٦ ، ص ٣٩١ .
(٥) المؤمنون : ١٩ ،
(٦) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٨ .

٣ ـ **شرح النهج** لابن ميثم : قال لمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من حرب الجمل خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله و استغفر للمؤمنين والمؤمنات و المسلمين و المسلمات ، ثمّ قال : يا أهل البصرة ! يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة ! ـ وساق الخطبة كمامرّ في كتاب الفتن وسيأتي إلى قوله عليه السلام ـ سخّر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحاً لمعاشكم والبحر سبباً لكثرة أموالكم .

بيان : قوله عليه السلام : « الماء يغدو عليكم و يروح » إشارة إلى المدّ والجزر . و قوله « صلاحاً لمعاشكم » إلى فائدتهما ، إذ لو كان الماء دائماً على حدّ النقصان ولم يصل إلى حدّ المدّ لما سقي زروعهم و نخيلهم ، ولو كان دائماً على حدّ الزيادة لغرقت أراضيهم بأنهارهم ، وفي نقص الأنهار بعد زيادتها فائدة اُخرى ، هي غسل الأقذار وإزالة الخبائث عن شطوطها ، وربما كان فيهما فوائد اُخرى كتأثيرهما في حركة السفن و نحو ذلك .

٤ ـ **اعلام الورى** : بإسناده عن الكلينيّ ، عن عدّة من أصحابه ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن عبدالله ابن القاسم . عن حيّان السراج ، عن داود بن سليمان الكسائيّ ، [١] عن أبي الطفيل قال : سأل في أوّل خلافة عمر يهوديٌّ من أولاد هارون أمير المؤمنين عليه السلام عن أوّل قطرة قطرت على وجه الأرض [٢] ، وأوّل عين فاضت على وجه الأرض ، [٣] و أوّل شجر اهتزّ على وجه الأرض . [٤] فقال عليه السلام يا هارونيّ أمّا أنتم فتقولون : أوّل قطرة قطرت على وجه الأرض حيث قتل أحد ابني آدم صاحبه و ليس كذلك و لكنّه حيث طمثت حوّاء و ذلك قبل أن تلد ابنيها ، وأمّا أنتم فتقولون أوّل عين فاضت على وجه الأرض العين الّتي ببيت المقدس ، وليس هو كذلك ولكنّها

---

(١) في المصدر : الكناني .
(٢) « « : أي قطرة هي ؟
(٣) « « : أي عين هي ؟
(٤) « « . اى شجرة هي ؟

عين الحياة الّتي وقف عليها موسى وفتاه و معهما النون المالح فسقط فيها فحيي ، وهذا الماء لا يصيب ميّتاً إلّا حيي . وأمّا أنتم فتقولون : أوّل شجر اهتزّ على وجه الأرض الشجرة الّتي كانت منها سفينة نوح ، و ليس كذلك ولكنّها النخلة الّتي هبطت[1] من الجنّة و هي العجوة ، ومنها تفرّع كلّ ماترى من أنواع النخل ، فقال : صدقت و الله الّذي لا إله إلّا هو ، إنّي لأجد هذا في كتب أبي هارون عليه السلام كتابة[2] يده و أملاء عمّي موسى عليه السلام[3].

٥ ــ **اكمال الدين** : عن أبيه و محمّد بن الحسن ، عن سعد بن عبدالله ، ومحمّد بن يحيى العطّار و أحمد بن إدريس جميعاً عن أحمد بن أبي عبدالله البرقيّ و يعقوب بن يزيد و إبراهيم بن هاشم جميعاً عن الحسن بن عليّ بن فضّال ، عن أيمن ابن محرز ، عن محمّد بن سماعة ، عن إبراهيم بن أبي يحيى المدني ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله ، إلّا أنّه قال: قال اليهوديّ : أخبرني عن أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض ، وعن أوّل عين نبعت على وجه الأرض وعن أوّل حجر وضع على وجه الأرض ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أمّا أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها الزيتونة و كذبوا ، و إنّما هي النخلة من العجوة هبط بها آدم عليه السلام معه من الجنّة فغرسها وأصل النخلة كلّه منها . وأمّا أوّل عين نبعت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها العين الّتي ببيت المقدس و تحت الحجر و كذبوا ، هي عين الحياة الّتي ما انتهى إليها أحد إلّا حيي ، و كان الخضر على مقدّمة ذي القرنين فطلب عين الحياة فوجدها الخضر عليه السلام و شرب منها ولم يجدها ذوالقرنين . و أمّا أوّل حجر وضع على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّه الحجر الّذي ببيت المقدس و كذبوا ، إنّما هو الحجر الأسود هبط به آدم عليه السلام معه من الجنّة فوضعه في الركن ، و الناس يستلمونه وكان أشدّ بياضاً من الثلج فاسودّ من خطايا بني آدم .

---

(١) في المصدر : اهبطت .

(٢) كتابته بيده (خ)

(٣) اعلام الورى : ٣٦٨ .

اقول : الخبران طويلان أوردتهما بأسانيدهما في باب نصّ أميرالمؤمنين عليه السلام على الاثني عشر عليهم السلام في المجلّد التاسع .

كتاب الاقاليم و البلدان والانهار : للفرات فضائل كثيرة :

٦ - روي أنّ أربعة من أنهار الجنّة : سيحون وجيحون و النيل والفرات .

٧ - و عن عليّ عليه السلام قال : يا أهل الكوفة نهركم هذا ينصبّ إليه ميزابان من الجنّة .

٨ - وروي عن جعفر الصادق عليه السلام أنّه شرب من ماء الفرات ثمّ استزاد وحمدالله تعالى ، قال : ما أعظم بركته لوعلم الناس مافيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ماانغمس فيه ذوعاهة إلّا برىء .

و عن السدّي أنّ الفرات مدّ في زمن عمرفألقى رمّانة عظيمة منهاكرمّانالحبّ فأمر المسلمين أن يقسموها بينهم ، فكانوا يزعمون أنّها من الجنّة .

٩ - و قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : النيل يخرج من الجنّة و لوالتمستم فيهحين يخرج لوجدتم من ورقها .

و قال في وصف بعض البحار نقلاً عن صاحب كتاب عجائب الأخبار : هذاالبحر فيه طائر مكرم لأبويه ، فإنّهما إذا كبرا و عجزا عن القيام بأمر أنفسهما ، يجتمع عليهما فرخان من فراخهما فيحملانهما على ظهورهما إلى مكان حصين ، و يبنيان لهما عشّاً و يتعاهدانهما الزاد و الماء إلى أن يموتا ، فإن مات الفرخان قبلهما يأتيإليهما فرخان آخران من فراخهما ويفعلان بهما كما فعل الفرخان الأوّلان ، و هلمّ جرّاً و هذا دأبهما .

١٠ - **قرب الاسناد :** عن السندي بن محمّد ، عن أبي البختري ، عن جعفر ، عن أبيه [1] عليهما السلام قال : « يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان » قال : من ماء السماء و من ماء البحر ، فإذا اُمطرت فتحت [2] الأصداف أفواهها في البحر ، فيقع فيها من ماء المطر

---

(١) في المصدر ، عن علي عليه السلام .

(٢) في المصدر : فتحت .

فتخلق اللؤلوءة الصغيرة من القطرة الصغيرة ، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة [١] .

١١ ــ **كامل الزيارة :** عن أبيه ، عن الحسن بن متيّل [٢] ، عن عمران بن موسى عن الجاموراني ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : نهران مؤمنان ، و نهران كافران ، نهران كافران نهر بلخ و دجلة ، و المؤمنان نيل مصر و الفرات ، فحنّكوا أولادكم بماء الفرات .

بيان : قال الجزريّ في النهاية : فيه « نهران مؤمنان و نهران كافران ، أمّا المؤمنان فالنيل والفرات ، و أمّا الكافران فدجلة و نهر بلخ » جعلهما مؤمنين على التشبيه لأنّهما يفيضان على الأرض فيسقيان الحرث بلامؤونة ، وجعل الآخرين كافرين لأنّهما لايسقيان ولا ينتفع بهما إلّا بمؤونة و كلفة ، فهذان في الخير و النفع كالمؤمنين ، وهذان في قلّة النفع كالكافرين (انتهى) . و أقول : ربما يومىء التفريع بقوله « فحنّكوا » إلى أنّ المراد أنّ للأوّلين مدخلا في الإيمان وللآخرين [٣] في الكفر و هو في الفرات ظاهر كما عرفت ، و أمّا في النيل فلعلّ شقاوة أهله لسوء تربة مصر كما ورد في الأخبار فلوجرى في غيره لم يكن كذلك ، ونهر بلخ هو نهر جيحون . و قال البرجندي : ويخرج عموده من حدود « بدخشان » من موضع طوله أربع وتسعون درجة و عرضه سبع وثلاثون درجة ثمّ يجتمع معه أنهار كثيرة و يذهب إلى جهة المغرب و الشمال إلى حدود بلخ ثمّ يجاوزه إلى « ترمد » ثمّ يذهب إلى المغرب و الجنوب إلى ولاية « زمّ » [٤] وطوله تسع و ثمانون درجة و عرضه سبع و ثلاثون ، ثمّ يمرّ إلى المغرب و الشمال إلى موضع

---

(١) قرب الاسناد : ٨٥ .

(٢) بفتح الميم و تشديد التاء المثناة من فوق وسكون الياء المثناة من تحت على ماضبطه العلامة في الخلاصة والايضاح ، وحكى عن ابن داود ضم الميم وفتح التاء المشددة . قال النجاشي الحسن بن متيل وجه من وجوه أصحابنا كثير الحديث ، وصحح العلامة حديثه ، وتصحيح حديثه لايقصر عن توثيقه .

(٣) الاخيرين (خ) .

(٤) بفتح الزاى و تشديد الميم ، بليدة على طريق جيحون بين ترمذ وآمل (مراصد الاطلاع) .

طوله ثمان وثمانون درجة و عرضه تسع وثلاثون ، ثم يمرّ إلى أن ينصبّ [١] في بحيرة خوارزم . ونهر دجلة مشهور ويخرج من بلاد الروم من شمال « ميّارقين»[٢] من تحت حصارذي القرنين ، و يذهب من جهة الشمال و المغرب إلى جهة الجنوب و المشرق و يمرّ بمدينة « آمد » و الموصل و سرّ من رأى و بغداد ثمّ إلى « واسط » ثمّ ينصبّ في بحر فارس .

١٢ ـ **العياشي** : عن إبراهيم بن أبي العلا ، عن غيرواحد ، عن أحدهما عليهما السلام قال : لمّا قال الله « يا أرض ابلعي ماءك و ياسماء أقلعي » قال الأرض : إنّما اُمرت أن أبلع مائي أنا فقط ، ولم اُومر أن أبلع ماء السماء ، قال : فبلعت الأرض ماءها وبقي ماء السماء فصير بحراً حول الدنيا .

١٣ ـ **الكافي** : عن محمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان و عليّ بن إبراهيم عن أبيه ، جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن حفص بن البختري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ جبرئيل عليه السلام كرى برجله خمسة أنهار ولسان الماء يتبعه : الفرات و دجلة ونيل مصرو مهران و نهر بلخ ، فما سقت أوسقي منها فللإمام . و البحر المطيف بالدنيا [٣].

بيان : قال البرجنديّ : نهر مهران هو نهر السنديمرّ أوّلاً في ناحية «مُلتان» ثمّ يميل إلى الجنوب و يمرّ بالمنصورة ثمّ يمرّ حتّى ينصبّ في بحر «دَيبُل» من جانب المشرق ، و هو نهر عظيم و ماؤه في غاية العذوبة و شبيه بنيل مصر و يكون فيه التمساح كالنيل ، وقيل : إذا وصل إلى موضع طوله مأة و سبع درجات وعرضه ثلاث وعشرون درجة ينقسم إلى شعبتين ، ينصبّ إحداهما في بحر الهند و الاُخرى تمرّ و تنصبّ فيه بعد مسافة أيضاً . « فما سقت » أي بأنفسها « أوسقي منها » أي سقى الناس منها . وهذا الخبر رواه في الفقيه بسند صحيح عن أبي البختريّ [٤] و زاد في آخره

(١) في اكثر النسخ ، يصب .
(٢) كذا ، و الظاهر أنه مصحف « ميافارقين » اسم مدينة ببلاد الروم .
(٣) الكافي ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .
(٤) الفقيه ، ١٥٩ .

« وهو أفسبكون » ولعلّه من الصدوق فصار سبباً للإشكال ، لأنّ « أفسبكون » معرّب «آبسكون» وهو بحر الخزر، ويقال له : بحر جرجان و بحر طبرستان وبحرمازندران، و طوله ثمانمأة ميل وعرضه ستّمائة ميل ، وينصبّ فيه أنهار كثيرة منها نهر آتل[1] وهذا البحر غير محيط بالدنيا بل محاط بالأرض من جميع الجوانب ولا يتّصل بالمحيط ، و لعلّه إنّما تكلّف ذلك لأنّه لايحصل من المحيط شيء وهوغير مسلّم. وقرأ بعض الأفاضل المطيف ـ بضمّ الميم و سكون الطاء و فتح الياء ـ اسم مفعول أو اسم مكان من الطواف ولا يخفى ضعفه فإنّ اسم المفعول منه مطاف بالضمّ أو مطوف ، واسم المكان كالأوّل أو مطاف بالفتح ، و ربما يقرأ « مطيّف » بتشديد الياء المفتوحة ، وهو أيضاً غير مستقيم لأنّه بالمعنى المشهور واوي فالمفعول من باب التفعيل مطوّف ، و أيضاً كان ينبغي أن يقال : المطيف به الدنيا ، نعم قال في القاموس : طيّف تطييفاً وطوّف : أكثر الطواف (انتهى) لكن حمله على هذا أيضاً يحتاج إلى تكلّف شديد ، وما في الكافي أظهروأصوب والمعنى : أنّ البحر المحيط بالدنيا أيضاً للإمام عليه السلام .

۱۴ ـ **نوادر الراوندي** : بإسناده عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : شرّ اليهود يهود بيسان ، و شرّ النصارى نصارى نجران ، وخير ماء نبع على وجه الأرض ماء زمزم ، و شرّ ماء نبع على وجه الأرض ماء برهوت ، وادٍ بحضرموت يرد عليه هام الكفّار وصداهم .

بيان : في القاموس : بيسان قرية بالشام، وقرية بمرو،وموضع باليمامة . ولعلّ الأوّل هنا أظهر ، و نجران موضع باليمن . و في النهاية : فيه « لاعدوى ولا هامة » الهامة الرأس ، واسم طائر، وهو المراد في الحديث وذلك أنّهم كانوا يتشأّمون بها وهي من طير الليل ، و قيل : هي البومة ، و قيل : إنّ العرب كانت تزعم أنّ روح القتيل الّذي لايدرك بثأره تصير هامةً فتقول : اسقوني ! اسقوني ! فإذا أدرك بثأره طارت . و قيل : كانوا يزعمون أنّ عظام الميّت و قيل روحه تصيرهامة فتطير ويسمّونه « الصدى» فنفاه الإسلام و نهاهم عنه . و في القاموس : الصدى الجسد من الآدميّ بعد موته ، و

(۱) آمل (خ) .

طائر يخرج من رأس المقتول إذا بلي بزعم الجاهليّة .

١٥ ـ **كتاب الغارات** لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ : رفعه عن الأصبغ بن نباته قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أوّل شيء ضجّ على الأرض ، قال : وادٍ باليمن هو أوّل وادٍ فار منه الماء .

١٦ ـ **كتاب النوادر** لعليّ بن أسباط : عن عيسى بن عبدالله ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قال عليه السلام : لوعدل في الفرات لسقي [١] ماعلى الأرض كلّه .

بيان : يحتمل أن يكون المراد بها الأراضي الّتي على شطّه و بالقرب منه .

١٧ ـ **الدر المنثور** : عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:ماء زمزم لما شرب له ، من شربه لمرض شفاه الله ، أولجوع أشبعه الله ، أو لحاجة قضاهاالله .

قال الحكيم الترمذيّ : وحدّثني أبيقال : دخلت الطواف فيليلة ظلماءفأخذني من البول ماشغلني ، فجعلت أعتصر حتّىآذاني وخفت إن خرجت من المسجد أن أطأ بعض تلك الأقذار و ذلك أيّام الحاجّ ، فذكرت هذا الحديث ، فدخلت زمزم فتبلّعت منه فذهب عنّي إلى الصباح [٢] .

١٨ ـ **ومنه** : عن ابن عبّاس « مرج البحرين » قال : أرسل البحرين « بينهما برزخ » قال : حاجز « لايبغيان » قال : لايختلطان ، وروي أيضاً عنه قال : بحرالسماء و بحر الأرض يلتقيان كلّ عام . « يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان » قال : إذا مطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهها فما وقع فيها من قطر السماء فهو اللؤلؤ [٣] .

١٩ ـ وعن ابن جبير قال : إذا نزل القطرمن السماء تفتّحت له الأصداف فكان لؤلؤا [٤] .

٢٠ ـ وعن عليّ بن أبي طالب قال : المرجان عظام اللؤلؤ . و عن ابن عبّاس مثله [٥] .

---

(١) لاسقى (خ) .

(٢) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

(٣ـ٥) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .

٢١ ــ و في رواية اُخرى عنه : المرجان اللؤلؤ الصغار [١] .

٢٢ ــ وعن ابن مسعود : المرجان الخزر الأحمر [٢] .

٢٣ ــ وعن عمير بن سعد قال : كنّا مع عليّ على شطّ الفرات فمرّت سفينة فقرأ هذه الآية : « وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام [٣] » .

٢٤ــ **مجمع البيان** : روى مقاتل عن عكرمة وعن ابن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : إنّ الله تعالى أنزل من الجنّة خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، و جيحون وهو نهر بلخ ، و دجلة والفرات ، وهما نهرا العراق ، و النيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة و أجراها في الأرض و جعل فيها منافع للناس في أصناف معائشهم و ذلك قوله « و أنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنّاه في الأرض و إنّا على ذهاب به لقادرون [٤] » .

٢٥ ــ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن أحمد ، عن محمّد بن عبدالله بن أحمد عن عليّ بن النعمان ، عن صالح بن حمزة ، عن أبان بن مصعب ، عن يونس بن ظبيان أو المعلّى بن خنيس قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : مالكم من هذه الأنهار [٥] ؟ فتبسّم وقال : إنّ الله تعالى بعث جبرئيل و أمره أن يخرق بإبهامه ثمانية أنهار في الأرض منها : سيحان ، و جيحان وهو نهر بلخ ، والخشوع وهو نهر الشاش ، ومهران وهو نهر الهند ، ونيل مصر ، و دجلة ، و الفرات ، فما سقت أو استقت فهو لنا ، وماكان لنا فهو لشيعتنا و ليس لعدوّنا منه شيء إلّا ماغصب عليه ، و إنّ وليّنا لفي أوسع ممّا بين ذه إلى ذه ــ يعني بين السماء و الأرض ــ ثمّ تلا هذه الآية « قل هي للّذين آمنوا في الحياة الدنيا » المغصوبين عليها « خالصة » لهم « يوم القيامة » بلا غصب .

توضيح : لعلّ التبسّم لأجل « من » التبعيضيّة « يخرق » كينصر و يضرب أي

(١و٢) الدر المنثور ، ج ٦ ص ١٤٢ .

(٣) الدر المنثور ج ٦ ، ص ١٤٣ .

(٤) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ١٠٢ .

(٥) في المصدر : الارض .

يشقّ و يحفر ، و منهم من حمل الكلام على الاستعارة التمثيليّة لبيان أنّ حدوث الأنهار و نحوها مستندة إلى قدرة الله تعالى ردّاً على الفلاسفة الّذين يسندونها إلى الطبائع ، وفي أكثر النسخ هنا « جيحان » بالألف وفي بعضها بالواو ، وهو أصوب لما عرفت أنّ نهر بلخ بالواو ، وعلى الأوّل إن كان التفسير من بعض الرواة فيمكن أن يكون اشتباهاً منه، و لو كان من الإمام عليه السلام وصحّ الضبط كان الاشتباه من اللغويّين . و « الشاش » بلد بما وراء النهر كما في القاموس ونهره على ماذكره البرجنديّ بقدر ثلثي الجيحون ، ومنبعه من بلاد الترك من موضع عرضه اثنتان و أربعون درجة و طوله إحدى وسبعون درجة و يمرّ إلى المغرب مائلاً إلى الجنوب إلى خجند ثمّ إلى فاراب ثمّ ينصبّ في بحيرة خوارزم ، و تسميته بالخشوع غير مذكور فيما رأينا من كتب اللغة وغيرها « فما سقت» أي سقته من الأشجار و الأراضي والزروع « أو استقت » أي منه ، أي أخذت الأنهار منه وهو بحر المطيف بالدنيا أو بحر السماء ، فالمقصود أنّ أصلها وفرعها لنا ، أوضمير « استقت » راجع إلى « ما » باعتبار تأنيث معناه ، و التقدير : استقت منها ، و ضمير « منها » المقدّر للأنهار ، فالمراد بما سقت ماجرت عليها من غير عمل ، و بما استقت ما شرب منها بعمل كالدولاب وشبهه ، و نسبة الاستسقاء [1] إليها على المجاز ، كذا خطر بالبال وهو أظهر . و قيل : ضمير « استقت » راجع إلى الأنهار على الإسناد المجازيّ لأنّ الاستقاء فعل لمن يخرج الماء منها بالحفر و الدولاب . يقال : استقيت من البئر أي أخرجت الماء منها . و بالجملة يعتبر في الاستقاء مالا يعتبر في السقي من الكسب والمبالغة في الاعتمال « إلّا ماغصب عليه » على بناء المعلوم والضمير للعدوّ أي غصبناعليه أو على بناء المجهول أي إلّا شيء صار مغصوباً عليه ، يقال غصبه على الشيء أي قهره ، و الاستثناء منقطع إن كان اللام للاستحقاق ، و إن كان للانتفاع فالاستثناء متّصل و « ذه» إشارة إلى المؤنّث أصلها ذي قلبت الياء هاء « المغصوبين عليها » الحاصل أنّ «خالصة » حال مقدّرة من قبيل قولهم : جاءني زيد صائداً صقره غدا . قال في مجمع البيان : قال ابن عبّاس يعني أنّ المؤمنين يشاركون المشركين في الطيّبات في الدنيا ثمّ يخلص الله

---

(١) الاستقاء (ظ) .

الطيّبات في الآخرة للّذين آمنوا ، وليس للمشركين فيها شيء [١] (انتهى) .

ثمّ اعلم أنّه عليه‌السلام ذكر في الأوّل ثمانية و إنّما ذكر في التفصيل سبعة ، فيحتمل أن يكون ترك واحداً منها لأنّه لم يكن في مقام تفصيل الجميع بل قال : منها سيحان ـ الخبر ـ وقيل : لمّا كان سيحان اسماً لنهرين : نهر بالشام ، ونهر بالبصرة ، أراد هنا كليهما ، من قبيل استعمال المشترك في معنييه ، و هو بعيد ، ولعلّه سقط واحد منها من الرواة ، و كأنّه كان « جيحان وجيحون » فظنّ بعض النسّاخ والرواة زيادة أحدهما فأسقطه وحينئذ يستقيم التفسير أيضاً .

فائدة : قال : النيسابوريّ في تفسير قوله تعالى « والفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع الناس »: قدسلف أنّ الماء المحيط [٢] بأكثر جوانب القدر المعمور من الأرض فذلك هو البحر المحيط ، و قد دخل في ذلك الماء من جانب الجنوب متّصلاً بالمحيط الشرقيّ ومنقطعاً عن الغربيّ إلى وسط العمارة أربعة خليجات : الأوّل إذا ابتدأ من المغرب الخليج البربريّ لكونه في حدود بربر من أرض الحبشة ، طوله من الجنوب إلى الشمال مأة و ستّون فرسخاً و عرضه خمسة و ثلاثون فرسخاً ، و على ضلعه الغربي بلاد كفّار الحبشة وبعض الزنج ، و على الشرقي بلاد مسلمي الحبشة . و الثاني الخليج الأحمر ، طوله من الجنوب إلى الشمال أربعمائة و ستّون فرسخاً وعرضه بقرب منتهاه ستّون فرسخاً ، و بين طرفه وفسطاط مصر الّذي على شرق النيل مسيرة ثلاثة أيّام على البرّ ، و على ضلعه الغربيّ بعض بلاد البربر و بعض بلاد الحبشة ، و على ضلعه الشرقيّ سواحل عليها فرضة مدينة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله لقوافل مصر و الحبشة إلى الحجاز ثمّ سواحل اليمن ثمّ عدن على الذوابة الشرقيّة منه . الثالث : خليج فارس ، طوله من الجنوب إلى الشمال أربعمائة و ستّون فرسخاً ، وعرضه قريب من مائة و ثمانين فرسخاً ، وعلى سواحل ضلعه الغربيّ بلاد عمّان ، ولهذا ينسب البحر هناك إليها ، و بجملة ولاية العرب و أحيائهم من الحجاز و اليمن و الطائف و غيرها و بواديهم بين الضلع الغربيّ من هذا

(١) مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ٤١٣ .
(٢) محيط (ظ) .

البحر والشرقيّ من الخليج الأحمر ، فلهذا سميّت العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب و فيها مكّة ـ زادها الله شرفاً ـ و على سواحل ضلعه الشرقيّ بلاد فارس ، ثمّ هرموز ثمّ مكران ، ثمّ سواحل السند . الرابع الخليج الأخضر مثلّث الشكل آخذ من الجنوب إلى الشمال ، ضلعه الشرقيّ بلاد فارس ، ثمّ هرموز ، ثمّ مكران متّصل بالمحيط الشرقيّ و ضلعه الغربيّ خمسمائة فرسخ تقريباً و على سواحل هذا الضلع ولايات الصين ، ولهذا يسمّى بحر الصين ، و من زاويته الغربيّة إلي زاوية من بحر فارس يسمّى بحر الهند لكون بعض ولايتهم على سواحله . و أيضاً فقد دخل إلى العمارة من جانب الغرب خليج عظيم يمرّ من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب و يحاذي أرض السودان و ينتهي إلى بلاد مصر والشام ، ومن جانب الشمال على بلاد الروس والجلالقة والصقالبة إلى بلاد الروم [و الشام] ، و يتشعّب منه شعبة من شمال أرض الصقالبة إلى أرض مسلمي « بلغار » يسمّى بحر « ورنك » طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلاث وثلاثون و إذا جاوز تلك النواحي امتدّ نحو المشرق عمّا وراء جبال غير مسلوكة و أرض غير مسكونة ، و تتشعّب [1] منه أيضاً شعبة يسمّى بحر طرابزون . فهذه هي البحار المتصلة بالمحيط ، و أمّا غير المتّصلة فأعظمها بحر طبرستان و جيلان و باب الأبواب و الخزر و أبسيكون [2] ، لكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل آخذ من المشرق إلى المغرب بأكثر من مأتين و خمسين فرسخاً ، و من الجنوب إلى الشمال بقرب من مأتين . و من عجائب البحار الحيوانات المختلفة الأعظام والأنواع و الأصناف ، ومنها الجزائر الواقعة فيها ، فقد يقال في بحر الهند من الجزائر العامرة ألف وثلاثمأة وسبعون منها جزيرة عظيمة في أقصى البحر مقابل أرض الهند في ناحية المشرق ، و عند بلاد الصين تسمّى جزيرة سرانديب [3] دورها ثلاثة آلاف ميل فيها جبال عظيمة و أنهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الأحمر ، وحول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة فيها مدائن

---

(١) تنشعب (خ) ،

(٢) آبسكون (خ) .

(٣) سرنديب (خ) .

و قرى كثيرة ، و من جزائر هذا البحر جزيرة «كله» الّتي يجلب منها الرصاص القلعي و جزيرة « سريرة » الّتي يجلب منها الكافور ، وغرائب البحر كثيرة ولهذا قيل :حدّث عن البحر ولاحرج. وسئل بعض العقلاء : مارأيت من عجائب البحر ؟ قال: سلامتي منه.

تتمة : قالت الحكماء في سبب انفجار العيون من الأرض : إنّ البخار إذا احتبس في داخل من الأرض لما فيها من ثقب وفرج يميل إلى جهة فيبرد بها فينقلب مياهاً مختلطة بأجزاء بخاريّة ، فإذا كثر لوصول مدد متدافع إليه بحيث لاتسعه الأرض أوجب انشقاق الأرض و انفجرت منها العيون ، أمّا الجارية على الولاء فهي إمّا لدفع تاليها سابقها ، أو لانجذابه إليه لضرورة عدم الخلاء بأن يكون البخار الّذي انقلب ماءً وفاض إلى وجه الأرض ينجذب إلى مكانه مايقوم مقامه لئلاّ يكون خلاء فينقلب هو أيضاً ماءً و يفيض وهكذا استتبع كلّ جزء منه جزءً آخر . وأمّا العيون الراكدة فهي حادثة من أبخرة لم تبلغ من كثرة موادّها و قوّتها أن يحصل منها معاونة شديدة ، أو يدفع اللاحق السابق . و أمّا مياه القنى [١] و الآبار فهي متولّدة من أبخرة ناقصة القوّة عن أن يشقّ الأرض ، فإذا اُزيل ثقل الأرض عن وجهها صادفت منفذاً تندفع إليه بأدنى حركة، فإن لم يجعل هناك مسيل فهو البئر ، و إن جعل فهو القناة ، ونسبة القنى إلى الآبار كنسبة العيون السيّالة إلى الراكدة ، و يمكن أن تكون هذه المياه متولّدة ـ كما قاله أبو-البركات البغداديّ ـ من أجزاء مائيّة متولّدة من أجزاء متفرّقة في ثقب أعماق الأرض و منافذها إذا اجتمعت ، بل هذا أولى لكون مياه العيون و الآبار و القنوات تزيد بزيادة الثلوج والأمطار . قال الشيخ في النجاة : وهذه الأبخرة إذا انبعثت عيوناً أمدّت البحار بصبّ الأنهار إليها ، ثمّ ارتفع من البحار و البطائح و الأنهار وبطون الجبال خاصّة أبخرة اُخرى ثمّ قطرت ثانياً إليها فقامت بدل مايتحلّل منها على الدور دائماً .

---

(١) القنى و القناء ـ بكسر القاف فيهما ـ ، جمع القناة ، و هى ما يحفر من الارض ليجرى فيها الماء .

٣١

﴿باب﴾

✿ (الارض و كيفيتها وما أعد الله للناس فيها و جوامع أحوال) ✿
✿ (العناصر وما تحت الارضين) ✿

الآيات :

البقرة : ياأيّها الناس اعبدوا ربّكم الّذي خلقكم و الّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون الّذي جعل لكم الأرض فراشاً و السماء بناءً و أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً و أنتم تعلمون [1] .

الرعد : وهو الّذي مدّ الأرض و جعل فيها رواسي و أنهارا ومن كلّ الثمرات جعل فيهازوجين اثنين يغشي الليل النهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون وفي الأرض قطع متجاورات و جنّات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون .

ابراهيم : الله الّذي خلق السماوات و الأرض و أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم و سخّر الفلك لتجري في البحر بأمره و سخّر لكم الأنهار وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهاروآتيكم من كلّ ماسألتموه و إن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها إنّ الانسان لظلوم كفّار [3] .

الحجر : و الأرض مددناها و ألقينافيها رواسي وأنبتنافيها من كلّ شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين [4] .

النحل : هو الّذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب و منه شجرفيه تسيمون

---

(١) البقرة ، ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) الرعد ، ٣ ـ ٤ .

(٣) ابراهيم ، ٣٢ ـ ٣٤ .

(٤) الحجر ، ١٩ ـ ٢٠ .

ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الأعناب و من كلّ الثمرات إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون و سخّر لكم اللّيل والنهار و الشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إنّ في ذلك لآية لقوم يذّكّرون وهو الّذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طريّاً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم و أنهاراً و سبلاً لعلّكم تهتدون و علامات وبالنجم هم يهتدون ـ إلى قوله تعالى ـ و إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إنّ الله لغفور رحيم (١) .

الكهف : إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً (٢)

طه : له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى (٣) . وقال تعالى : الّذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً و أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى كلوا وارعوا أنعامكم إنّ في ذلك لآيات لاُولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اُخرى (٤) .

الانبياء : وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم و جعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلّهم يهتدون (٥)

الشعراء : أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم إنّ في ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين (٦) .

و قال تعالى . أتتركون فيما ههنا آمنين في جنّات و عيون و زروع ونخل طلعها هضيم و تنحتون من الجبال بيوتاً فارهين (٧) .

---

(١) النحل : ١٠ ـ ١٨ .
(٢) الكهف : ٧ .
(٣) طه : ٦ .
(٤) طه : ٥٣ ـ ٥٥ .
(٥) الانبياء : ٣١ .
(٦) الشعراء : ٧ ـ ٨ .
(٧) الشعراء : ١٤٤ - ١٤٩ .

النمل : أم من خلق السموات و الأرض و أنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرض قراراً و جعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً ءإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (١) .

لقمان : خلق السموات بغير عمد ترونها و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبثّ فيها من كلّ دابّة و أنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كلّ زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الّذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين (٢) .

فاطر: ألم ترأنّ الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرابيب سود ومن الناس و الدوابّ والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلماء إنّ الله عزيز غفور (٣)

يس : و آية لهم الأرض الميتة أحييناها و أخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنّات من نخيل و أعناب و فجّرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض و من أنفسهم و ممّا لا يعلمون (٤) .

المؤمن : الله الّذي جعل لكم الأرض قراراً و السماء بناءً (٥) .

السجدة : و من آياته أنّك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت و ربت إنّ الّذي أحياها لمحيي الموتى إنّه على كلّ شيء قدير (٦) .

حمعسق : و من آياته خلق السموات و الأرض وما بثّ فيهما من دابّة وهو على

---

(١) النمل : ٦٠ـ٦١ .
(٢) لقمان : ١٠ - ١١ .
(٣) فاطر : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٤) يس : ٣٣ ـ ٣٦ .
(٥) المؤمن : ٦٤ .
(٦) فصلت : ٣٩ .

جمعهم إذا يشاء قدير [١] .

الزخرف : الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون [٢] .

الجاثية : و سخّر لكم ما في السموات و ما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون [٣] .

ق : و الأرض مددناها و ألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كلّ زوج بهيج تبصرة و ذكرى لكلّ عبد منيب [٤] .

الذاريات : والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون [٥] .

الرحمن : و الأرض وضعها للأنام فيها فاكهة و النخل ذات الأكمام والحبّ ذوالعصف و الريحان فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان [٦] .

الحديد : اعلموا أنّ الله يحيي الأرض بعد موتها قد بيّنّا لكم الآيات لعلّكم تعقلون [٧] .

الطلاق : الله الّذي خلق سبع سموات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير و أنّ الله قدأحاط بكلّ شيء علما [٨] .

الملك : هو الّذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه و إليه النشور [٩] .

---

(١) الشورى : ٢٩ .
(٢) الزخرف : ١٠ .
(٣) الجاثية : ١٣ .
(٤) ق : ٧-٨ .
(٥) الذاريات : ٤٨ - ٤٩ .
(٦) الرحمن : ١٠ - ١٣ .
(٧) الحديد : ١٧ .
(٨) الطلاق : ١٢ .
(٩) الملك : ١٥ .

نوح : والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجا [١] .

المرسلات : ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً وجعلنا فيها رواسي شامخات و أسقينا كم ماءً فراتاً ويل يومئذ للمكذبين [٢] ،

النبأ : ألم نجعل الأرض مهاداً و الجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً و بنينا فوقكم سبعاً شداداً و جعلنا سراجاً وهّاجاً وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجاً لنخرج بهحبّاً ونباتاً وجنّات الفافا [٣] .

الطارق : والأرض ذات الصدع [٤] .

الغاشية :أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت و إلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت و إلى الأرض كيف سطحت [٥] .

الشمس : والأرض وما طحيها [٦].

تفسير : « الّذي خلقكم » قيل : إنّه تعالى عدّد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل اثنين من الأنفس ، و هما خلقهم و خلق اُصولهم ، وثلاثة من الآفاق : بجعل الأرض فراشاً ، و السماء بناءً ، و الاُمور الحاصلة من مجموعهما ، وهي إنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات بسببه . وسبب هذا الترتيب ظاهر ، لأنّ أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه ، ثمّ مأمنه و منشأه وأصله ، ثمّ الأرض الّتي هي مكانه و مستقرّه يقعدون عليها و ينامون و يتقلّبون كما يتقلّب أحدهم على فراشه ، ثمّ السماء الّتي كالقبّة المضروبة و الخيمة المبنيّة على هذا القرار ، ثمّ مايحصل من شبه الازدواج بين المقلّة و المظلّة من إنزال الماء عليها و الإخراج به من بطنها أشباه النسل من الحيوان ألوان الغذاء

---

(١) نوح : ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) المرسلات : ٢٥ ـ ٢٨ .

(٣) النبأ : ٦ ـ ١٦ .

(٤) الطارق : ١٢ .

(٥) الغاشية : ١٧ ـ ٢٠ .

(٦) الشمس : ٦ .

و أنواع الثمار رزقاً لبني آدم . و أيضاً خلق المكلّفين أحياءً قادرين أصل لجميع النعم و أمّا خلق الأرض و السماء فذاك إنّما ينتفع به بشرط حصول الخلق و الحياة و القدرة و الشهوة ، وذكر الأصول مقدّم على ذكر الفروع . وأيضاً كلّ ماكان في السماء والأرض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الإنسان بزيادة الحياة و القدرة والشهوة و العقل ، ولمّا كانت وجوه الدلالة فيه أتمّ كان تقديمه في الذكر أهمّ .

و الفراش : اسم لما يفرش كالبساط لما يبسط ، و ليس من ضرورات الافتراش أن يكون سطحاً مستوياً كالفراش على ماظنّ ، فسواء كانت كذلك وعلى شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها و تباعد أطرافها ، ولكنّه لايتمّ الافتراش عليها مالم تكن ساكنة في حيّزها الطبيعيّ و هو وسط الأفلاك ، لأنّ الأثقال بالطبع تميل إلى تحت كما أنّ الخفاف بالطبع تميل إلى فوق ، و الفوق من جميع الجوانب مايلي السماء ، والتحت مايلي المركز ، فكما أنّه يستبعد حركة الأرض في مايلينا إلى جهة السماء فكذلك يستبعد هبوطها في مقابلة ذلك ، لأنّ ذلك الهبوط صعود أيضاً إلى السماء فإذن لاحاجة في سكون الأرض وقرارها في حيّزها إلى علاقة من فوقها ولا إلى دعامة من تحتها ، بل يكفي في ذلك ما أعطاها خالقها ، و ركز فيها من الميل الطبيعيّ إلى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره «إنّ الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » .

و ممّا منّ الله على عباده في خلق الأرض أن لم تجعل في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين و الانغمار كالماء ، ليسهل النوم و المشي عليها ، و أمكنت الزراعة و اتّخاذ الأبنية منها ، ويتأتّى حفر الآبار و إجراء الأنهار . و منها أن لم تخلق في نهاية اللطافة و الشفيف لتستقرّ الأنوار عليها و تتسخّن منها فيمكن جوازها [1] . و منها أن جعلت بارزة بعضها من الماء مع أنّ طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيّش الحيوانات البرّيّة عليها ، وسبب انكشاف ما برز منها ــ وهو قريب من ربعها ــ أن لم تخلق صحيحة الاستدارة ، بل خلقت هي والماء بمنزلة كرة واحدة ، يدلّ على ذلك في ما بين الخافقين

(١) جوارها (خ)

تقدّم طلوع الكواكب و غروبها للمشرقيّين على طلوعها و غروبها للمغربيّين ، و في مابين الشمال و الجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر و انحطاط الخفيّ للواغلين في الشمال ، و بالعكس للواغلين في الجنوب ، و تركّب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين ، إلى غير ذلك من الأعراض الخاصّة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البرّ و راكب البحر ، و هذه الجبال وإن شمخت لاتخرجها عن أصل الاستدارة ، لأنّها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لافي استدارتها .

و منها الأشياء المتولّدة فيها من المعادن و النبات و الحيوان و الآثار العلويّة والسفليّة ، ولا يعلم تفاصيلها إلّا موجدها ، و منها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الحاجات والأغراض « وفي الأرض قطع متجاورات » ومنها اختلاف ألوانها « و من الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » . و منها انصداعها بالنبات « والأرض ذات الصدع » . ومنها جذبها للماء المنزل من السماء « وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنّاه في الأرض » . ومنها العيون والأنهار العظام الّتي فيها « والأرض مددناها » و منها أنّ لها طبع الكرم و السماحة ، تأخذ واحدة وتردّ سبعمائة « كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة » ومنها حياتها وموتها « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها » و منها الدوابّ المختلفة « وبثّ فيها من كلّ دابّة » و منها النباتات المتنوّعة « و أنبتنا فيها من كلّ زوج بهيج » فاختلاف ألوانها دلالة ، واختلاف طعومها دلالة ، و اختلاف روائحها دلالة ، فمنها قوت البشر و منها قوت البهائم « كلوا وارعوا أنعامكم » ومنها الطعام ، ومنها الإدام ، ومنها الدواء ومنها الفواكه ، ومنها كسوة البشر نباتيّة كالقطن و الكتان ، وحيوانيّة كالشعر والصوف و الابريسم و الجلود ، ومنها الأحجار المختلفة بعضها للزينة و بعضها للأبنيه . فانظر إلى الحجر الّذي تستخرج منه النار مع كثرته ، وانظر إلى الياقوت الأحمر مع عزّته وانظر إلى كثرة النفع بذلك الحقير ، وقلّة النفع بهذا الخطير ، و منها ماأودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب و الفضّة .

ثمّ تأمّل أنّ البشر استنبطوا الحرف الدقيقة ، والصنائع الجليلة ، واستخرجوا

السمك من قعر البحر ، واستنزلوا الطير من أوج الهواء ، وعجزوا عن اتّخاذ الذهب والفضّة ، و السبب فيه أنّ معظم فائدتهما ترجع إلى الثمنيّة ، وهذه الفائدة لا تحصل إلّا عند العزّة ، و القدرة على اتّخاذهما تبطل هذه الحكمة ، فلذلك ضرب الله دونهما باباً مسدوداً ، ومن ههنا اشتهر في الألسنة : من طلب المال بالكيمياء أفلس .

و منها مايوجد على الجبال و الأراضي من الأشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب ، وما اشتدّ إليه الحاجة في الخبز و الطبخ ، ولعلّ ماتركناه من الفوائد أكثر ممّا عددناه ، فإذا تأمّل العاقل في هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدبّر حكيم ومقدّر عليم إن كان ممّن يسمع و يبصر و يعتبر .

واما منافع السماء : فانّ الله تعالى زيّنها بمصابيح « ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح » و بالقمر « وجعل القمر فيهنّ نوراً » وبالشمس « و جعل الشمس سراجاً » و بالعرش « ربّ العرش العظيم » و بالكرسيّ « وسع كرسيّه السماوات و الأرض » وباللوح « في لوح محفوظ » وبالقلم « ن و القلم وما يسطرون » . وسمّاها سقفاً محفوظاً وسبعاً طباقاً ، وسبعاً شداداً ، و ذكر أنّ خلقها مشتمل على حكم بليغة ، وغايات صحيحة « ربّنا ماخلقت هذا باطلا » « وما خلقنا السماء و الأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا » وجعلها مصعد الأعمال و مهبط الأنوار ، وقبلة الدعاء ، ومحلّ الضياء و الصفاء ، وجعل لونها أنفع الألوان وهو المستنير ،وشكلها أفضل الأشكال وهو المستدير ونجومها رجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر ، وقيّض للشمس طلوعاً وسهّل معه التقلّب لقضاء الأوطار في الأطراف ،وغروباً يصلح معه الهدء و القرار في الأكناف ، لتحصيل الراحة وانبعاث القوّة الهاضمة و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء . و أيضاً لولا الطلوع لا تجمدت المياه ، وغلبت البرودة والكثافة ، وأفضت إلى جمود الحرارة الغريزيّة وانكسار سورتها ، ولولا الغروب لحميت الأرض حتّى يحترق كلّ من عليها من حيوان و نبات ، فهي بمنزلة السراج يوضع لأهل بيت بمقدار حاجتهم ، ثمّ يرفع عنهم ليستقرّوا و يستريحوا ، فصار النور و الظلمة مع تضادّهما متظاهرين على مافيه صلاح قطّان الأرض .

وأمّا ارتفاع الشمس و انحطاطها فقد جعله‌الله تعالى‌سبباً لإقامة الفصول الأربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر و النبات فيتولّد منه موادّ الثمار ، و يستكثف الهواء فيكثر السحاب و المطر . و تقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزيّة في البواطن ، و في الربيع تتحرّك الطبائع ، و تظهر الموادّ المتولّدة في الشتاء و ينوّر الشجر ، و يهيج الحيوان للسفاد . و في الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار ، و تتحلّل فضول الأبدان ، ويجفّ وجه الأرض ويتهيّأ للعمارة والزراعة . و في الخريف يظهر البرد واليبس فتدرك الثمار ، وتستعدّ الأبدان قليلاً قليلاً للشتاء .

و أمّا القمر فهو تلو الشمس وخليفتها ، وبه يعلم عدد السنين والحساب ، وتضبط المواقيت الشرعيّة ، ومنه يحصل النماء و الرواء ، وقد جعل الله في طلوعه مصلحة و في غيبته مصلحة . يحكى أنّ أعرابيّاً نام عن جمله ليلاً ففقده ، فلمّا طلع القمر وجده فنظر إلى القمر و قال : إنّ الله صوّرك و نوّرك ،وعلى البروج دوّرك ، فإذا شاء نوّرك و إذا شاء كوّرك ، فلا أعلم مزيداً أسأله لك ، فإن أهديت إليّ سروراً فقد أهدى الله إليك نوراً . ثمّ أنشأ في ذلك أبياتاً .

و قال الجاحظ : إذا تأمّلت في هذا العالم وجدته كالبيت المعدّ فيه كلّ مايحتاج إليه ، فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم منضودة كالمصابيح والإنسان كمالك البيت المتصرّف فيه، وضروب النبات مهيّأة لمنافعه، وصنوف الحيوان متصرّفة في مصالحه ، فهذه جملة واضحة دالّة على أنّ العالم مخلوق بتدبير كامل، وتقدير شامل ، وحكمة بالغة ، وقدرة غير متناهية .

ثم إنّهم اختلفوا في أنّ السماء أفضل أم الأرض ، قال بعضهم : السماء أفضل لأنّها معبد الملائكة ، وما فيها بقعة عصي الله فيها ، و لمّا أتى آدم بالمعصية اُهبط من الجنّة و قال الله : لايسكن في جواري من عصاني ! وقال تعالى « و جعلنا السماء سقفاً محفوظاً » و قال « تبارك الّذي جعل في السماء بروجا » و ورد في الأكثر ذكر السماء مقدّماً على ذكر الأرض . و السماوات مؤثّرة و الأرضيّات متأثّرة ، و المؤثّر أشرف من المتأثّر .

وقال آخرون : بل الأرض أفضل ، لأنّه تعالى وصف بقاعاً من الأرض بالبركة « إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذي ببكّة مباركاً » « في البقعه المباركة » « إلى المسجد الأقصى الّذي باركنا حوله » « مشارق الأرض ومغاربها الّتي باركنا حولها » يعني أرض الشام ، و وصف جملة الأرض بالبركة « وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام » .

فإن قيل : أيّ بركه في المفاوز المهلكة ؟ قلت : إنّها مساكن الوحوش ومراعيها و مساكن الناس إذا احتاجوا إليها ، و مساكن خلق لايعلمهم إلّا الله تعالى . فلهذه البركات قال « و في الأرض آيات للموقنين » تشريفاً لهم ، لأنّهم هم المنتفعون بها كما قال « هدى للمتّقين » وخلق الأنبياء منها «منها خلقناكم » و أودعهم فيها « وفيها نعيدكم» وأكرم نبيّه المصطفى فجعل الأرض كلّها له مسجداً وطهوراً .

و معنى إخراج الثمرات بالماء ــ و إنّما خرجت بقدرته و مشيّته ــ أنّه جعل الماء سبباً في خروجها و مادّة لها كالنطفة في خلق الولد ، وهو قادر على إنشاء الأشياء بلا أسباب ومواد ، كما أنشأ نفوس الأسباب والموادّ ، ولكنّ له في هذا التدريج والتسبيب حكماً يتبصّر بها من يستبصر ، و يتفطّن لها من يعتبر .

و « من » في « من الثمرات » للتبعيض ، كما أنّه قصد بتنكير « ماء » و « رزقا» معنى البعضيّة ، فكأنّه قيل : و أنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم . و يجوز أن يكون للبيان ، كقولك : أنفقت من الدراهم ألفاً والندّ : المثل المناوي. « وأنتم تعلمون » حال من ضمير « فلاتجعلوا » ومفعول «تعلمون» مطروح ، أي حالكم أنّكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأي ، فلو تأمّلتم أدنى تأمّل اضطرّ عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات ، منفرد بوجود الذات ، متعالٍ عن مشابهة المخلوقات . أومنويّ ، وهو : أنّها لاتماثله ولاتقدر على مثل مايفعله .

« وهو الّذي مدّ الأرض » قال الرازيّ : أي جعل الأرض [1] بذلك المقدار المعيّن الحاصل لاأزيد ولا أنقص ، والدليل عليه هو أنّ كون الأرض أزيد مقداراً ممّا هو الان أو أنقص منه أمر جائز ، فاختصاصه بذلك المقدار المعيّن لابدّ و أن يكون

(١) في المصدر : مختصة بذلك ...

بتخصيص مخصّص ، و بتقدير مقدّر . وقال أبوبكر الأصم : المدّ البسط إلى مايدرك منتهاه ، أي جعل حجمها عظيماً و إلاّ لما كمل الانتفاع بها . و قال قوم : كانت الأرض مدوّرة فمدّها ودحاها من مكّة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا . وهذا إنّما يتمّ إذا كانت الأرض مسطّحة لاكرة ، وهو خلاف ماثبت بالدليل . ومدّ الأرض لاينافي كونها كرة ،ولأنّ الكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كلّ قطعة منها تشاهد كالسطح [١].

« وجعل فيها رواسي » أي جبالاً ثابتة باقية في أحيازها غير منتقلة عن أمكنتها. و الاستدلال بها على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه : **الاول** أنّ طبيعة الأرض طبيعة واحدة ، فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لابدّ و أن يكون بتخليق القادر الحكيم . قال [٢] الفلاسفة : هذه الجبال إنّما تولّدت لأنّ البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكان يتولّد من البحر طين لزج . ثمّ يقوى تأثير الشمس فيهافينقلب حجراً كما نشاهد في كوز الفقاع .ثم إنّ الماء كان يغور و يقلّ فيتحجّر البقيّة ،فلهذا السبب تولّدت هذه الجبال . قالوا : و إنّما كانت البحار حاصلة في هذا الجانب من العالم لأنّ أوج الشمس و حضيضها متحرّكان ، ففي الدهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال ، و الشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض فكان التسخين أقوى ، وشدّة السخونة توجب انجذاب الرطوبات ، فحين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال ، و الآن لمّا انتقل الأوج إلى جانب الشمال والحضيض إلى جانب الجنوب انتقلت البحار إلى جانب الجنوب ، فبقيت هذه الجبال في الشمال هذا حاصل كلام القوم في هذا الباب وهوضعيف من وجوه :

الاول : أنّ حصول الطين في البحر أمر عامّ ، فلم حصل الجبل في بعض الجوانب دون بعض [٣] ؟ .

الثاني : هو أنّا نشاهد في بعض الجبال كأنّ تلك الأحجار موضوعة سافاً [٤]

---

(١) مفاتيح الغيب ، ج ١٩ ، ص ٢ (ملخصاً) .

(٢) في المصدر ، قالت .

(٣) في المصدر ، البعض .

(٤) الساف والسافة ـ بالفاء ، الصف من الطين واللبن .

فساقاً ، كأنّ البنّاء بناه من لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض ، و يبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الّذي ذكروه .

الثالث : أنّ أوج الشمس الآن قريب من أوّل السرطان ، فعلى هذا من الوقت الّذي انتقل أوج الشمس إلى الجانب الشماليّ مضى قريبا من تسعة آلاف سنة ، و بهذا التقدير إنّ الجبال كانت في هذه المدّة الطويلة في التفتّت ، فوجب أن لا يبقى من الأحجار شيء ، لكن ليس الأمر كذلك ، فعلمنا أنّ السبب الّذي ذكروه ضعيف

والوجه الثاني من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع ذي الجلال مايحصل فيها من معادن الفلزّات السبعة ، ومواضع الجواهر النفيسة ، وقد يحصل منها معادن الزاجات والأملاح ، وقد تحصل معادن النفط و القير والكبريت ، فكون الأرض واحدة في الطبيعة وكون الجبل واحداً في الطبيعة [١] وكون تأثير الشمس واحداً في الكلّ يدلّ دلالة ظاهرة على أنّ الكلّ بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات و المحدثات .

والوجه الثالث أنّ بسببها تتولّد الأنهار على وجه الأرض ، وذلك لأنّ الحجر جسم صلب ، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض و وصلت إلى الجبل احتبست هناك ولايزال يتكامل الأمر [٢] فيحصل تحت الجبال مياه كثيرة ، ثمّ إنّها لكثرتها وقوّتها تنقب [٣] و تخرج و تسيل على وجه الأرض ، فمنفعة الجبال في تولّد الأنهار هو من هذا الوجه ، ولهذا السبب في أكثر الأمر أينما ذكر الله تعالى الجبال قرن بها ذكر الأنهار مثل هذه الآية و مثل قوله « و جعلنا فيها رواسي شامخات و أسقيناكم ماءً فراتا » .

ثمّ استدلّ سبحانه بعجائب خلقة النبات بقوله « ومن كلّ الثمرات ـ الخ ـ فإنّ الحبّة إذا وقعت [٤] في الأرض و أثّرت فيها نداوة الأرض ربت و كبرت ، وبسبب

---

(١) في المصدر : الطبع .

(٢) في المصدر : فلا تزال تتكامل فيحصل...

(٣) فيه : تثقب .

(٤) فيه : وضعت .

ذلك ينشقّ أعلاها وأسفلها ، فيخرج من الشقّ الأعلى الشجرة الصاعدة ، ومن الشقّ الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض . وهذا من العجائب[1] انّ طبيعة تلك الحبّة واحدة و تأثير الطبائع والأفلاك و الكواكب فيها واحد ، ثمّ إنّه خرج من الجانب الأعلى من تلك الحبّة جرم صاعد إلى الهواء ، و من الجانب الأسفل منه جرم غائص في الأرض ، و من المحال أن يتولّد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادّتان ، فعلمنا أنّ ذلك كان بسبب تدبير المدبّر الحكيم و المقدّر القديم لا بسبب الطبع و الخاصيّة .

ثمّ إنّ الشجرة النابتة في تلك الحبّة بعضها يكون خشبة ، و بعضها نوراً ، و بعضها ثمرة . ثمّ إنّ تلك الثمرة أيضاً تحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع ، فالجوز له أربعة أنواع من القشور : القشر الأعلى ، وتحته القشرة الخشبيّة ، و تحته القشرة المحيطة باللبّ ، وتحت تلك القشرة قشرة اُخرى في غاية الرقّة تمتاز عمّا فوقها حال كون الجوز و اللوز رطباً . و أيضاً فقد تحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة ، فالاُترج قشره حارّ يابس ، ولحمه حارّ رطب ، وحماضه بارد يابس ، و بذره حارّ يابس ، وكذلك العنب قشره و عجمه باردان يابسان ، ولحمه وماؤه حارّ رطب[2] ، فتولّد هذه الطبائع المختلفة من الحبّة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع و تأثيرات الأنجم و الأفلاك لابدّ و أن يكون لأجل الحكيم القديم[3] .

و المراد بزوجين اثنين صنفين اثنين ، و الاختلاف إمّا من حيث الطعم كالحلو و الحامض ، أو الطبيعة كالحارّ و البارد ، أو اللون كالأبيض و الأسود . وفائدة قوله « اثنين » بيان أنّ كلّ نوع حصل من فردين كالإنسان من آدم و حوّاء ، وهكذا .

« إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون » إنّما قال ذلك لأنّ الفلاسفة يسندون الحوادث إلى اختلافات الأشكال الكوكبيّة ، فما لم تقم الدلالة على دفع هذا السؤال لايتمّ المقصود ، و دفعه بوجهين : الأوّل أنّه إن سلّمنا جواز ذلك فلابدّ من استناد

---

(١) فيه : لان .

(٢) في المصدر : حاران رطبان .

(٣) فيه : لاجل تدبير الحكيم القادر القديم .

الأفلاك وأوضاعها إلى واجب الوجود بالذات القادر الحكيم ، والثاني مايذكر في الآيات الآتية حيث قال « وفي الأرض قطع متجاورات ـ الآية ـ » و تقريره من وجهين : الأوّل أنّه حصل في الأرض قطع مختلفة بالطبيعة و هي مع ذلك متجاورة ، فبعضها تكون سبخة و بعضها حرّة ، و بعضها صلبة وبعضها حجريّة أو رمليّة وبعضها طيناً لزجاً ثمّ إنّها متجاورة و تأثير الشمس و سائر الكواكب في تلك القطع على السويّة ، ودلّ هذا على اختلافها في صفاتها بتقدير المقدّر العليم .

و الثاني أنّ القطعة الواحدة من الأرض تسقى بماء واحد يكون تأثير الشمس فيها متشابهاً[1] ، ثمّ إنّ تلك الثمار تجيىء مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصيّة حتّى أنّك قد تأخذ عنقوداً من العنب و تكون جميع حبّاته حلوة نضيجة إلّا الحبّة الواحدة فإنّها بقيت حامضة يابسة ، و نحن نعلم بالضرورة أنّ نسبة الطبائع والأفلاك إلى الكلّ على السويّة بل نقول ههنا ما يعدُّ أعجب منه ، وهو أنّه يوجد في بعض أنواع الورد ما يكون أحد وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثاني في غاية السواد ، مع أنّ ذلك الورد في غاية الرقّة و النعومة ، فيستحيل أن يقال: وصل تأثير الشمس إلى أحد طرفيه دون الثاني ، وهذا يدلّ دلالة قطعيّة على أنّ الكلّ بتقدير الفاعل المختار ، لا بسبب الاتّصالات الفلكيّة ، و هو المراد من قوله تعالى « يسقى بماء واحد و نفضّل بعضها على بعض في الأكل » فبهذا تمّت الحجّة ، فإنّ هذه الحوادث السفليّة لابدّ لها من مؤثّر و بيّنّا أنّ ذلك المؤثّر ليس هو الكواكب و الأفلاك و الطبائع ، فعند هذا يجب القطع بأنّه لابدّ من فاعل مختار آخر سوى هذه الأشياء ، فعند هذا يتمُّ الدليل ولا يبقى بعده للتفكّر مقام ، فلهذا قال ههنا « إنّ في ذلك لقوم يعقلون » لأنّه لادافع لهذه الحجّة إلّا أن يقال إنّها حدثت لا لمؤثّر ولا يقوله عاقل . والجنّة : البستان الّذي يحصل فيه النخل و الكرم والزرع ، و الصنوان : جمع صنو ، مثل قنوان وقنو ، والصنو أن يكون الأصل واحداً و تنبت منه النخلتان والثلاثة وأكثر ، فكلُّ واحد صنو ، وعن ابن الأعرابيّ : الصنو : المثل، أي متشابهة وغير متشابهة . وعن الزجّاج: الأُكل : الثمر الّذي

(١) في المصدر : متساوياً .

يؤكل ، وعن غيره : الأكل : المهيّأ للأكل (١) .

و « الله الّذي خلق السماوات و الأرض » مبتدا و خبر . « و سخّر لكم الفلك » امتنّ على عباده بتسخير الفلك ، لأنّ انتفاع العباد يتوقّف (٢) عليها ، لأنّه تعالى خصّ كلّ طرف من أطراف الأرض بنوع آخر من النعمة ، حتّى أنّ نعمة هذا الطرف إذا نقلت إلى الجانب الآخر من الأرض أو بالعكس كثر الربح في التجارات ، ولا يمكن هذا إلّا بسفن البرّ وهي الجمال ، أو بسفن البحر و هي الفلك . و نسبة التسخير إلى نفسه لأنّه سبحانه خلق الأشجار الصلبة الّتي منها يمكن تركيب السفن ، ولولا خلقه الحديد و سائر الآلات ، و لولا تعريفه العباد كيف يتّخذونه ، و لولا أنّه تعالى خلق الماء على صفة السلاسة (٣) الّتي باعتبارها يصحّ جري السفينة ، ولولا خلقه تعالى الرياح وخلق الحركات القويّة فيها ، ولولا أنّه وسّع الأنهار وجعل لها من العمق ما يجوز جري السفن فيها لما وقع الانتفاع بالسفن ، فصار لأجل أنّه تعالى هو الخالق لهذه الأحوال و هو المدبّر لهذه الاُمور و المسخّر لها حسنت إضافته إليه . و أضاف التسخير إلى أمره لأنّ الملك العظيم قلّ ما يوصف أنّه فعل ، وإنّما يقال فيه : إنّه أمر بكذا ، تعظيماً لشأنه .

« و سخّر لكم الأنهار » لمّا كان ماء البحر قلّ ما ينتفع في الزراعات لعمقه و ملوحته ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار و العيون ، حتّى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزروع والنباتات ، و أيضاً ماء البحر لا يصلح للشرب . « وآتيكم من كلّ ما سألتموه » قيل : أي بلسان حالكم بحسب استعداداتكم و قابليّاتكم « و إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها » قال الرازيّ : اعلم أنّ الإنسان إذا أراد أن يعرف أنّ الوقوف على أقسام نعم الله ممتنع فعليه أن يتأمّل في شيء واحد ليعرف عجز نفسه . و نحن نذكر منه مثالين :

المثال الاول : أنّ الأطبّاء ذكروا أنّ الأعصاب قسمان : منها دماغيّة ، ومنها

---

(١) مفاتيح الغيب ، ج ١٩ ، ص ٣ - ٨ (ملخصاً ونقلا بالمعنى) .

(٢) في المصدر : انما يكمل بوجود الفلك ...

(٣) في المصدر السيلان .

نخاعيّة ، أمّا الدماغيّة فإنّها سبعة ، ثمّ أتعبوا أنفسهم في معرفة الحكم الناشئة من كلّ واحد من تلك الأرواح السبعة ، ثمّ ممّا لا شكّ فيه أنّ كلّ واحد من تلك الأرواح السبعة تنقسم إلى شعب كثيرة ، و كلّ واحد من تلك الشعب أيضاً إلى شعب دقيقة أدقّ من الشعر ، ولكلّ واحد منها ممرّ إلى الأعضاء ، ولو أنّ شعبة واحدة اختلّت إمّا بسبب الكميّة و الكيفيّة أو بسبب الوضع لاختلّت مصالح البنية . ثمّ إنّ تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جدّاً ، و لكلّ واحد منها حكمة مخصوصة ، فإذا نظر الإنسان في هذا المعنى عرف أنّ لله بحسب كلّ شظيّة من تلك الشظايا العصبيّة على العبد نعمة عظيمة لوفاتت لعظم الضرر عليه ، و عرف قطعاً أنّه لا سبيل له إلى الوقوف عليها و الاطّلاع على أحوالها ، و عند هذا يقطع بصحّة قوله تعالى « و إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها » و كما اعتبرت هذا في الشظايا العصبيّة فاعتبر مثله في الشرايين و الأوردة في كلّ واحد من الأعضاء البسيطة و المركّبة بحسب الكميّة و الكيفيّة و الوضع والفعل و الانفعال ، و أقسام هذا الباب بحر لا يساحل . و إذا اعتبرت هذا في بدن الإنسان الواحد فاعرف أقسام نعم الله تعالى في نفسه و في روحه ، فإنّ عجائب عالم الأرواح أكثر من عجائب عالم الأجساد . ثمّ لمّا اعتبرت حال الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر أحوال عالم الأفلاك و الكواكب و طبقات العناصر و عجائب البرّ و البحر و النبات والحيوان و عند هذا تعرف أنّ عقول جميع الخلائق لو ركّبت و جعلت عقلاً واحداً ، ثمّ بذلك العقل يتأمّل الإنسان في عجائب حكمة الله تعالى في أقلّ الأشياء لما أدرك منها إلّا القليل! فسبحانه وتقدّس عن أوهام المتوهمّين .

المثال الثاني : أنّه إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر إلى ماقبلها و ما بعدها ، أمّا الأمور الّتي قبلها أنّ [1] تلك اللقمة من الخبز لا تتمّ ولا تكمل إلّا إذاكان هذا العالم بكلّيته قائماً على الوجه الأصوب ، لأنّ الحنطة لا بدّ منها ، وإنّها لا تنبت إلّا بمعونة الفصول الأربعة وتركيب الطبائع و ظهور الأرياح و الأمطار ، ولا يحصل شيء منها إلّا بعد دوران الأفلاك واتّصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة

(١) في المصدر ، فاعرف أن ...

في الحركات ، و في كيفيّتها في الجهة ، و في السرعة و البطء ، ثمّ بعد تكوّن الحنطة لابدّ من آلات الطحن والخبز ، وهي لا تحصل إلاّ عند تولّد الحديد في أرحام الجبال . ثمّ إنّ الآلات الحديديّة لا يمكن إصلاحها إلاّ بآلات اُخرى حديديّة سابقة عليها ولابدّ من انتهائها إلى آلة حديديّة هي أوّل هذه الآلات ، فتأمّل أنّها كيف تكوّنت على الأشكال المخصوصة ، ثمّ إذا حصلت تلك الآلات فانظر أنّه لابدّ من اجتماع العناصر الأربعة ـ وهي الأرض والماء و الهواء والنار ـ حتّى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق. فهذا هو النظر في ما تقدّم على هذه اللقمة !

أمّا النظر في ما بعد حدوثها فتأمل في تركيب بدن الحيوان ، وهو أنّه تعالى كيف خلق هذه الأبدان حتّى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة ، و أنّه كيف يتضرّر الحيوان في الأكل [1] ، و في أيّ الأعضاء تحدث تلك المضارّ ، ولا يمكنك أن تعرف القليل من هذه الأشياء إلاّ بمعرفة علم التشريح وعلم الطبّ بالكلّيّة . فظهر بما ذكرنا أنّ الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته إلاّ بمعرفة جملة هذه الاُمور ، و العقول قاصرة عن إدراك ذرّة من هذه المباحث ، فظهر بالبراهين [2] الباهرة صحّة قوله تعالى « و إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها » [3] (انتهى كلامه) .

و أقول : يمكن سلوك طريق آخر في ذلك أدقّ و أوسع ممّا ذكره ، بأن يقال : بعد أن عرفت النعم الّتي على إنسان واحد كزيد مثلاً من السماوات و الكواكب و العرش والكرسيّ و جميع الأرضيّات فإنّ لها جميعاً مدخلاً في وجوده و بقائه و نموّه فنقول : جميع هذه النعم متعلّقة بعمرو أيضاً لمدخليّتها في وجوده و بقائه أيضاً ، و كلّ هذه أيضاً نعمة لزيد لتوقّف وجود زيد و بقائه على وجود عمرو لكون الإنسان مدنيّاً بالنوع ، وكذا بالنسبة إلى بكر و خالد ، و كذا كلّ نعمة لله على كلّ حيوان من الحيوانات الّتي لها مدخل في نظام أحوال الإنسان فهي نعمة على زيد مرّة

(١) فيه ، بالاكل .
(٢) في المصدر ، بهذا البرهان القاهر .
(٣) مفاتيح الغيب ، ج ١٩ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

بذاته ، ومرّة باعتباركونها نعمة على كلّ واحد واحد من أفراد البشر ، لمدخليّة وجودهم في وجوده و نظام أحواله ، فيضرب عدد تلك النعم في عدد الأشخاص والحيوانات مرّات لا تتناهى .

ثمّ لمّا كان وجود زيد موقوفاً على وجود أبويه فكلّ نعمة على كلّ من أبويه وعلى كلّ من كان في عصر أبويه نعمة عليه ، وكذا كلّ نعمة على والدي بكر وخالد نعمة عليه لتوقّف وجوده و بقائه و نظام أحواله على وجود بكر ، ووجوده متوقّف على وجود والديه و وجودهما و بقاؤهما و سائر اُمورهما متوقّفة على جميع النعم على أهل عصرهما ، فمن هذه الجهة أيضاً جميعها نعمة عليه ، فيضرب جميع هذه الأعداد الغير المتناهية في جميع تلك الأعداد الغير المتناهية مرّات غير متناهية ! ثمّ ننقل الكلام في كلّ عصر من الأعصار و آباء كلّ منهم إلى أن ينتهي إلى آدم و حوّاء عليهما السلام ويضرب كلّ من تلك المراتب في ما حصل من المراتب السابقة ، و هذا حساب لا يحيط به علم البشر ، و لو اجتمع جميع المحاسبين من الثقلين و أرادوا استيفاء حساب مرتبة من هذه المراتب لا يقدرون عليه ، مع أنّ كلّ قطرة من قطرات البحار و كلّ ذرّة من ذرّات الجوّ و الأرض نعمة على كلّ شخص من الأشخاص . فسبحان من لا يقدر على إحصاء شعبة واحدة من شعب نعمه الغير المتناهية إلّا هو ! و له الحمد بعدد كلّ نعمة له علينا و على كلّ خلق من مخلوقاته .

« إنّ الإنسان لظلوم » يظلم النعمة بإغفال شكرها ، أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان « كفّار » شديد الكفران ، و قيل : ظلوم في الشدّة يشكو و يجزع ، كفّار في النعمة يجمع و يمنع .

« من كلّ شيء موزون » قيل : أي بميزان الحكمة ، و مقدّر بقدر الحاجة و ذلك أنّ الوزن سبب معرفة المقدار فاُطلق اسم السبب على المسبّب . و قيل : أي له وزن و قدر في أبواب النعمة و المنفعة ، و قيل : أراد أنّ مقاديرها من العناصر معلومة وكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها . وقيل : أي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة ، يقال كلام موزون أي متناسب ، و فلان موزون الحركات . و قيل : أراد ما يوزن من نحو الذهب و الفضّة و النحاس و غيرها من الموزونات كأكثر الفواكه و النبات .

«وجعلنالكم فيها» أي في الأرض ، أو في الجبال ، أوفي تلك الموزونات«معايش» ما يتوصّل به إلى المعيشة « و من لستم له برازقين « عطف على محلّ « لكم » أو على « معايش » أي و جعلنا لكم من لستم له برازقين ، و أرادبهم العيال و المماليك والخدم الّذين رازقهم في الحقيقة هو الله وحده لا الآباء و السادات و المخاديم ، و يدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الأنعام والدوابّ والوحوش و الطير ، كقوله « و ما من دابّة إلّا على الله رزقها » .

« ينبت لكم به الزرع » الّذي هو الغذاء الأصليّ « و الزيتون » الّذي هوفاكهة من وجه و غذاء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن « و النخيل و الأعناب » اللّتين هما أشرف الفواكه ، ثمّ أشارإلى سائرالثمرات بقوله « ومن كلّ الثمرات » قال الزمخشريّ : إنّما لم يقل : وكلّ الثمرات ، لأنّ كلّها لاتكون إلّا في الجنّة . و قيل : قدّم الغذاء الحيوانيّ في قوله سبحانه « و الأنعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تأكلون » على الغذاء النباتيّ لأنّ النعمة فيه أعظم لأنّه أسرع تشبّهاً ببدن الإنسان ، و في ذكر الغذاء النباتيّ قدّم غذاء الحيوان ـ و هو الشجر ـ على غذاء الإنسان ـ و هو الزرع و غيره ـ بناء على مكارم الأخلاق ، و هو أن يكون اهتمام الإنسان بحال من تحت يده أكمل من اهتمامه بحال نفسه .

« وما ذرأ لكم في الأرض » أي خلق فيها من حيوان و شجر و ثمر و غير ذلك « مختلفاً ألوانه » فإنّ ذرء هذه الأشياء على حالة اختلاف الألوان و الأشكال مع تساوي الكلّ في الطبيعة الجسميّة و في تأثيرالفلكيّات فيها آية على وجود الصانع تعالى شأنه .

« رواسي » أي جبالاً ثوابت « أن تميد بكم » أي كراهة أن تميد بكم وتضطرب « و أنهاراً » أي وجعل فيها أنهاراً ، لأنّ « ألقى » فيه معناه « وسبلاً لعلّكم تهتدون » لمقاصدكم أو إلى معرفة الله « و علامات » أي معالم تستدلّ بها السابلة من جبل ومنهل و ريح ونحو ذلك « و بالنجم هم يهتدون » بالليل في البراري و البحار « إنّ الله لغفور» حيث يتجاوزعن تقصيركم في أداء شكرها « رحيم » لايقطعها لتفريطكم فيه ولايعاجلكم

بالعقوبة على كفرانها .

« إنّا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها » قيل : ماعلى الأرض ، المواليد الثلاثة : المعادن و النباتات والحيوانات ، وأشرفها الإنسان ، وقيل: لايدخل المكلّف فيه،لأنّ ماعلى الأرض ليس زينة لها على الحقيقة ، و إنّما هو لأهلها لغرض الابتلاء ، فالّذي له الزينة يكون خارجاً عن الزينة « لنبلوهم أيّهم أحسن عملا » في تعاطيه ، و هو من زهد فيه ولم يغترّ به وقنع منه بالكفاف .

« له ما في السماوات » قال الرازيّ :مالك لمافي السماوات من ملك ونجم وغيرهما ومالك لما في الأرض من المعادن و الفلزّات ، و مالك لما بينهما من الهواء ، ومالك لما تحت الثرى . فإن قيل : الثرى هو السطح الأخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون الله تعالى مالكاً له ؟ قلنا : الثرى في اللغة هو التراب النديّ ، فيحتمل أن تكون تحته شيء ، فهوإمّاالثور أو الحوت أو الصخرة أوالبحر أوالهواء علىاختلاف الروايات [١] (انتهى) .

وقال الطبرسيّ ـ ره ـ : الثرى التراب النديّ ، يعني : وما وارى الثرى من كلّ شيء ، وقيل : يعني مافي ضمن الأرض من الكنوز والأموات [٢] .

« الّذي جعل لكم الأرض مهدا » أي كالمهد تتمهّدونها « وسلك لكم فيهاسبلا » أي وحصّل لكم فيها سبلاً بين الجبال و الأودية و البراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها . « و أنزل من السماء ماءً » أي مطراً « فأخرجنا به » قيل : عدل من لفظ الغيبة إلى التكلّم على الحكاية لكلام الله تعالى ، تنبيهاً على ظهور مافيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة ، وإيذاناً بأنّه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة بمشيّته. « أزواجاً » أي أصنافاً « من نبات » بيان وصفة لـ«أزواجاً » وكذلك « شتّى » و يحتمل أن يكون صفة للنبات ، فإنّه من حيث إنّه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع « شتيت » كمريض و مرضى ، أي متفرّقات في الصور و الأعراض و المنافع

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٢٢ ، ص ٨ .
(٢) مجمع البيان ج ٧ ، ص ٢ .

يصلح بعضها للناس و بعضها للبهائم ، فلذلك قال « كلوا وارعوا أنعامكم » وهو حال من ضمير « فأخرجنا » على إرادة القول ، أي أخرجنا أصناف النبات قائلين : كلوا وارعوا [أنعامكم] و المعنى : معدّيها لانتفاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه « لأُولي النهى » أي لذوي العقول الناهية عن اتّباع الباطل وارتكاب القبائح . جمع نهية . وعن الصادق عليه السلام : نحن أُولوا النهى . وعن الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خياركم أُولوا النهى ، قيل : يارسول الله ! ومن أُولوا النهى ؟ قال: هم أُولوا الأخلاق الحسنة و الأحلام الرزينة ، وصلة الأرحام ، والبررة بالاُمّهات والآباء ، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى ، و يطعمون الطعام ، و يفشون السلام في العالم ، و يصلّون و الناس نيام غافلون .

« منها خلقناكم » فإنّ التراب أصل خلقة أوّل آبائكم ، و أوّل موادّ أبدانكم و سيأتي وجه آخر في الخبر إن شاءالله . « و فيها نعيدكم » بالموت و تفكيك الأجزاء « ومنها نخرجكم تارة اُخرى» بتأليف أجزائكم المتفتّتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة وردّ الأرواح فيها .

« وجعلنا فيها » أي في الأرض ، أو في الرواسي « فجاجاً سبلاً » مسالك واسعة ،و إنّما قدّم «فجاجاً» وهو وصف له ليصير حالاً يدلّ على أنّه حين خلقها كذلك ، أو ليبدل منها « سبلاً » فيدلّ ضمناً على أنّه خلقها و وسّعها للسابلة ، مع مايكون فيه من التأكيد « لعلّهم يهتدون » إلى مصالحهم .

« أولم يروا إلى الأرض » أي أولم ينظروا في عجائبها ؟ « من كلّ زوج كريم » أي محمود كثير المنفعة ، و هو صفة لكلّ مايحمد و يرضى . قيل : وههنا يحتمل أن تكون مقيّدة لما يتضمّن الدلالة على القدرة ، وأن تكون مبيّنة منبّهة على أنّه مامن نبت إلاّ وله فائدة إمّا وحده أومع غيره . و«كلّ» لإحاطة الأزواج ، و «كم» لكثرتها. « إنّ في ذلك » أي في إثبات [1] تلك الأصناف ، أو في كلّ واحد « لآية » على أنّ منبتها تامّ القدرة و الحكمة ، سابغ النعمة و الرحمة .

---
(١) انبات (ظ) .

« أتتركون » إنكار لأن يتركوا كذلك ، أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إيّاهم و أسباب تنعّمهم آمنين ، ثم فسّر بقوله « في جنّات وعيون وزروع و نخل طلعها هضيم » أي لطيف ليّن ، للطف التمر ، أولأنّ النخل اُنثى و طلع إناث النخل ألطف وهو يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو ، أومتدلّ منكسر من كثرة الحمل «فارهين» أي حاذقين ، أو بطرين . « حدائق ذات بهجة » أي ذات منظر حسن يبتهج به من رآه ولم يقل : ذوات بهجة ، لأنّه أراد تأنيث الجماعة ، ولو أراد تأنيث الأعيان لقال : ذوات... « قوم يعدلون » أي يشركون بالله غيره « قراراً » أي مستقرّاً لاتميل ولا تميد بأهلها « وجعل خلالها » أي في وسط الأرض وفي مسالكها و نواحيها «أنهارا» جارية ينبت بها الزرع و يحيى به الخلق « وجعل لها رواسي » أي ثوابت اُثبتت بها الأرض «وجعل بين البحرين حاجزاً » أي مانعاً من قدرته بين العذب والمالح ، فلايختلط أحدهما بالآخر « مختلفة ألوانها » قيل : أي أجناسها ، أوأوصافها على أنّ كلاّ منها لها أصناف مختلفة أو هيآتها من الصفرة و الخضرة و نحوهما . « و من الجبال جدد » أي ذو جدد وخطوط وطرائق ، يقال : جدّة الحمار ، للخطّة السوداء على ظهره « مختلف ألوانها » بالشدّة و الضعف « وغرابيب سود » عطف على « بيض » أوعلى « جدد » كأنّه قيل: ومن الجبال ذوجدد مختلف اللون ، ومنها غرابيب متّحدة اللون ، وهو تأكيد مضمر يفسّره ، فإنّ الغربيب تأكيد للأسود وحق التأكيد أن يتبع المؤكّد . « مختلف ألوانه كذلك » أي كاختلاف الثمار والجبال . « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » إذ شرط الخشية معرفة المخشيّ و العلم بصفاته و أفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه « إنّ الله عزيز غفور » تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنّه معاقب للمصرّ على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه .

« و أخرجنا منها حبّاً » المراد جنس الحبّ « فمنه يأكلون » قيل : قدّم الصلة للدلالة على أنّ الحبّ معظم مايؤكل و يعاش به « من نخيل و أعناب » أي من أنواع النخل و العنب « من العيون » أي شيئاً من العيون ، و « من » مزيدة عند الأخفش «من ثمره » أي من ثمر ماذكر و هو الجنّات ، وقيل : الضمير لله على طريقة الالتفات ، و

الإضافة إليه لأنّ الثمر مخلوقه « وما عملته أيديهم » عطف على الثمر ، و المراد ما يتّخذ منه العصير والدبس و نحوهما ، وقيل : « ما » نافية ، و المراد أنّ الثمر بخلق الله لا بفعلهم « أفلا يشكرون » أمر بالشكر من حيث إنّه إنكار لتركه . « خلق الأزواج كلّها » أي الأنواع و الأصناف « ممّا تنبت الأرض » من النبات و الشجر « ومن أنفسهم » الذكر و الأنثى « و ممّا لا يعلمون » أي وأزواجاً ممّا لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته .

« ترى الأرض خاشعة » أي يابسة متطأمنة ، مستعار من الخشوع بمعنى التذلّل « اهتزّت » أي تحرّكت بالنبات « وربت » أي انتفخت وارتفعت قبل أن تنبت، و قيل اهتزّت بالنبات و ربت بكثرة ريعها . « وما بثّ » عطف على السماوات أو الخلق « من دابّة » قيل : أي من حيّ على إطلاق اسم السبب على المسبّب ، أوممّا يدبّ على الأرض وما يكون في أحد الشيئين يصدق أنّه فيهما في الجملة « إذا يشاء » أي في أيّ وقت يشاء « قدير » متمكّن منه .

« و سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً » بأن خلقها نافعة لكم «منه» حال من « ما » أي سخّر هذه الأشياء كائنة منه ، أوخبر لمحذوف أي هي جميعاً منه، أو لما في السماوات و « سخّر لكم » تكرير للتأكيد ، أولما في الأرض . « من كلّ زوج بهيج » أي من كلّ صنف حسن « لكلّ عبد منيب » أي راجع إلى ربّه متفكّر في بدائع صنعه .

« و الأرض فرشناها » أي مهّدناها ليستقرّوا عليها « فنعم الماهدون » أي نحن « و من كلّ خلقنا زوجين » أي نوعين « لعلّكم تذكّرون » فتعلموا أنّ التعدّد من خواصّ الممكنات و أنّ الواجب بالذات لا يقبل الانقسام والتعدّد . و روي عن الرضا عليه السلام في خطبة طويلة قد تقدّم في كتاب التوحيد مشروحاً : وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له ، و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ، ضادّ النور بالظلمة و اليبس بالبلل ، والخشن باللين ، والصرد بالحرور ، مؤلّفاً بين متعادياتها ، مفرّقاً بين متدانياتها ، دالّة بتفريقها على مفرّقها ، و بتأليفها على مؤلّفها ، و ذلك قوله « ومن كلّ

شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون » .

« و الأرض وضعها » أي حفظها مدحوّة « للأنام » للخلق ، وقيل : الأنام كلّ ذي روح « فيها فاكهة » أي ضروب ممّا يتفكّه به « و النخل ذات الأكمام » هي أوعية التمر جمع « كمّ » أوكلّ مايكمّ أي يغطّى من ليف وسعف وكفرّى[1] فإنّه ينتفع به كالمكموم وكالجذع . « والحبّ » كالحنطة والشعير وسائر مايتغذّى به « ذوالعصف » هو ورق النبات اليابس كالتين « و الريحان » يعني المشموم ، أو الرزق من قولهم : خرجت أطلب ريحان الله وعن الرضا عليه السلام « والأرض وضعها للأنام » قال : للناس «فيها فاكهة و النخل ذات الأكمام » قال : يكبر ثمر النخل في القمع ثمّ يطلع منه . قوله «والحبّ ذوالعصف و الريحان » قال : الحبّ الحنطة و الشعير و الحبوب ، و العصف التين ، و الريحان مايؤكل منه . « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » المخاطبة للثقلين ، وفي الحديث أنّه في الباطن مخاطبة للأوّلين ، والمعنى : فبأيّ النعمتين تكفران بمحمّد أم بعليّ ؟ و في خبرآخر : بالنبيّ أم بالوصيّ ؟ .

« ومن الأرض مثلهنّ » قال الطبرسيّ ـ ره ـ : و في[2] الأرض خلق مثلهنّ في العدد لا في الكيفيّة ،لأنّ كيفيّة السماء مخالفة لكيفيّة الأرض ، وليس في القرآن آية تدلّ علىأنّ الأرضين سبع مثل السماوات إلاّ هذه الآية ، ولا خلاف في السماوات أنّها سماء فوق سماء ، و أمّا الأرضون فقال قوم : إنّها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات ، لأنّها لوكانت مصمتة لكانت أرضاًواحدة ، و في كلّ أرض خلق خلقهم الله تعالى كيف شاء ، و روى أبو صالح عن ابن عبّاس أنّها سبع أرضين ليس بعضهافوق بعض ، تفرّق بينهنّ البحار ، وتظلّ جميعهنّ السماء والله سبحانه أعلم بصحّة مااستأثر بعلمه و اشتبه على خلقه . وقد روى العيّاشيّ بإسناده عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : بسط كفيّه ثمّ وضع اليمنى عليها فقال: هذه الأرض الدنيا والسماء

---

(١) كفرى ـ بضم الاولين و فتحهما و كسرهما و تشديد الراء المفتوحة ـ ، وعاء طلع النخل .

(٢) كذا فى نسخ الكتاب ، و في المجمع ، و خلق من الارض مثلهن ...

الدنيا عليها قبّة ، و الأرض الثانية فوق سماء[1] الدنيا و السماء الثانية فوقها قبّة ، و الأرض الثالثة فوق السماء الثانية و السماء الثالثة فوقها قبّة ، حتّى ذكر الرابعة و الخامسة و السادسة فقال : و الأرض السابعة فوق السماء السادسة و السماء السابعة فوقها قبّة ، و عرش الرحمن فوق السماء السابعة ، وهوقوله « سبع سماوات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ » وإنّماصاحب الأمر النبيّ ﷺ وهوعلى وجه الأرض و إنّما ينزل[2] الأمر من فوق من بين السماوات و الأرضين ، فعلى هذا يكون المعنى: تتنزّل الملائكة بأوامره إلى الأنبياء ، و قيل : معناه ينزل [3] الأمر بين السماوات و الأرضين من الله سبحانه بحيوة بعض و موت بعض ، و سلامة حيّ و هلاك آخر، وغنى إنسان و فقر آخر ، و تصريف الأمور على الحكمة [4] (انتهى) .

و قال الرازيّ : قال الكلبيّ : خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض مثل القبّة « و من الأرض مثلهنّ » في كونها طبقات[5] متلاصقة كما هو المشهور أنّ الأرض ثلاث طبقات : طبقة أرضيّة محضة ، و طبقة طينيّة وهي غير محضة ، و طبقة منكشفة بعضها في البرّ و بعضها في البحر و هي المعمورة . ولا يبعد من قوله « و من الأرض مثلهنّ » كونها سبعة أقاليم على[6] سبع سماوات و سبعة كواكب فيها وهي السيّارة ، فإنّ لكلّ واحد من هذه الكواكب خواصّ تظهر آثار تلك الخواصّ في كلّ أقاليم الأرض، فتصير سبعة بهذا الاعتبار، فهذه هي الوجوه الّتي لا يأباها العقل ، و ماعداها من الوجوه المنقولة من أهل التفسير فممّا يأباه العقل مثل ما يقال : السماوات السبع أوّلها موج مكفوف و ثانيها صخر ، و ثالثها حديد ، ورابعها نحاس ، و خامسها فضّة ، و سادسها ذهب ، و سابعها ياقوت ، و قول من قال : بين كلّ واحدة منها و بين الأخرى مائة[7] عام وغلظ

(١) في بعض النسخ وفي المصدر : السماء .

(٢و٣) في المصدر : يتنزل .

(٤) مجمع البيان : ج ١٠ ، ص ٣١٠

(٥) في المصدر : طباقاً .

(٦) فيه : على حسب ...

(٧) فيه : خمسمائة سنة .

كلّ واحد منها كذلك ، فذلك غير معتبر عند أهل التحقيق و يمكن أن يكون أكثر من ذلك ، والله أعلم بأنّه ما هو و كيف هو [١] (انتهى) .

و أقول : وقد مرّ بعض الوجوه في الأرضين السبع في باب الهواء .

« لتعلموا » علّة الخلق ، أو يتنزّل [٢] أو يعمّها ، فإنّ كلّاً منهما يدلّ على كمال قدرته و علمه .

« ذلولاً » قيل : أي ليّنة فسهّل [٣] لكم السلوك فيها « فامشوا في مناكبها » أي في جوانبها و جبالها ، و هو مثل لفرط التذليل ، فإنّ منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلّل له ، فإذا جعل الأرض في الذلّ بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلّل . « وكلوا من رزقه » أي و التمسوا من نعم الله « و إليه النشور » أي المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم . « بساطاً » أي مبسوطة ليمكنكم المشي عليها والاستقرار فيها . «سبلاً فجاجا » أي طرقاً واسعة ، وقيل : طرقاً مختلفة ، عن ابن عبّاس . وقيل : سبلاً في الصحاري ، و فجاجاً في الجبال .

« كفاتاً » قال الطبرسيّ ـ ره ـ : كفت الشيء يكفته كفتاً و كفاتاً إذا ضمّه ، و منه الحديث « اكفتوا صبيانكم » أي ضمّوهم إلى أنفسكم ، و يقال للوعاء كفت و كفيت قال أبوعبيد : كفاتاً أي أوعية . والمعنى : جعلنا الأرض كفاتاً للعباد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم و منازلهم ، و تكفتهم أمواتاً في بطنها أي تحوزهم و تضمّهم . و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه نظر إلى الجبّانة [٤] فقال : هذه كفات الأموات ، ثمّ نظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الأحياء . و قوله « أحياءً و أمواتاً » أي منها ما ينبت و منها مالا ينبت ، فعلى هذا يكون أحياء و أمواتا نصبا على الحال ، و على القول الأوّل على المفعول به . «رواسي شامخات » أي جبالاً ثابتة عالية « و أسقيناكم ماءً فراتا » أي

---

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٣٠ ، ص ٤٠

(٢) التنزل (ظ) .

(٣) كذا ، والاظهر « يسهل » .

(٤) الجبانة ـ بتشديد الباء الموحدة من تحت ـ : المقبرة .

و جعلنا لكم سقياً من الماء العذب ، عن ابن عبّاس . « ويل يومئذ للمكذّبين » بهذه النعم و أنّها من جهة الله [١] .

« مهادا » أي وطاءً و قراراً و مهيّأً للتصرّف فيه من غير أذيّة ، والمصدر بمعنى المفعول ، أوالحمل على المبالغة ، أوالمعنى ذات مهاد . « وخلقناكم أزواجاً » أي أشكالاً كلّ واحد شكل للآخر ، أو ذكراناً و إناثاً حتّى يصحّ منكم التناسل ويتمتّع بعضكم ببعض ، أو أصنافاً أبيض و أسود ، و صغيراً و كبيراً ، إلى غير ذلك . « و جعلنا نومكم سباتا » أي راحة و دعة لأجسادكم ، أوقطعاً لأعمالكم و تصرّفكم أي سباتاً ليس بموت على الحقيقة ولا مخرج عن الحياة و الإدراك « و جعلنا الليل لباسا » أي غطاءً و سترة يستر كلّ شيء بظلمته و سواده . « و جعلنا النهار معاشا » أي مطلب معاش ، أو وقت معاشكم . « و بنينا فوقكم سبعاً شداداً » أي سبع سماوات محكمة أحكمنا صنعها و أوثقنا بناءها . « وجعلنا سراجاً وهّاجا » يعني الشمس جعلها سبحانه سراجاً للعالم وقّاداً متلألئاً بالنور يستضيئون بها . و قيل : الوهج مجمع [٢] النور والحرّ . « و أنزلنا من المعصرات » أي من الرياح ذات الأعاصير ، وذلك أنّ الريح يستدرّ المطر . وقيل : المعصرات السحائب إذا اُعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ، كقولهم أحصد الزرع ، أي حان له أن يحصد « ماءً ثجّاجاً » أي منصبّاً بكثرة « لنخرج به حبّاً و نباتا » فالحبّ كلّ ماتضمّنه كمام الزرع الّذي يحصد ، والنبات الكلأ من الحشيش والزروع ونحوها ، قيل : حبّاً يأكله النّاس ، و نباتاً تنبته الأرض ممّا تأكله الأنعام « وجنّات ألفافا » أي بساتين ملتفّة بالشجر ، أو بعضها ببعض ، و إنّما سمّيت جنّة لأنّ الشجر تجنّها أي تسترها .

« ذات الصدع » أي مايتصدّع عنه الأرض من النبات ، أو الشقّ بالنبات و العيون .

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » خلقاً دالّاً على كمال قدرته و حسن

---

(١) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٤١٧ (ملخصاً) .
(٢) يجمع (خ) .

تدبيره ، حيث خلقها لجرّ الثقال إلى البلاد النائية ، فجعلها عظيمة ، باركة للحمل ناهضة به ، منقادة لمن اقتادها ، طوال الأعنان لتنوء بالأوقار ، ترعى كلّ نابت، وتحمل العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتّى لها قطع البراري و المفاوز مع مالها من منافع اُخر فلذا خصّت بالذكر ، و لأنّها أعجب ماعند العرب من هذا النوع . وقيل : المراد بها السحاب على الاستعارة . « و إلى السماء كيف رفعت » بلاعمد « وإلى الجبال كيف نصبت» فهي راسخة لاتميل « و إلى الأرض كيف سطحت » أي بسطت حتّى صارت مهادا . « وما طحيها » أي ومن طحيها ، أو مصدريّة ، وطحوها تسطيحها و بسطها .

١ ـ **الاحتجاج** : عن هشام بن الحكم، قال: سأل الزنديق في ماسأل أبا عبدالله عليه السلام : فقال النهار قبل الليل ؟ فقال : نعم ، خلق النهار قبل الليل ، و الشمس قبل القمر ، و الأرض قبل السماء ، ووضع الأرض على الحوت ، والحوت في الماء والماء في صخرة مجوّفة . والصخرة على عاتق ملك ، والملك على الثرى ، والثرى على الريح[1] و الريح على الهواء ، و الهواء تمسكه القدرة ، و ليس تحت الريح العقيم إلاّ الهواء و الظلمات ، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ولا شيء يتوهّم ، ثمّ خلق الكرسيّ فحشاه السماوات و الأرض ، والكرسيّ أكبر من كلّ شيء خلق[2] ، ثمّ خلق العرش فجعله أكبر من الكرسيّ[3] .

٢ ـ **تفسير علي بن ابراهيم** : عن أبيه ، عن عليّ بن مهزيار، عن علا المكفوف عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئل عن الأرض على أيّ شيء هي ؟ قال الحوت ، فقيل له : فالحوت على أيّ شيء هو ؟ قال : على الماء ، فقيل له : فالماء على أيّ شيء هو ؟ قال : على الثرى ، قيل له : فالثرى على أيّ شيء هو ؟ قال : عند ذلك انقضى علم العلماء[4] .

---

(١) في المصدر : الريح العقيم .
(٢) في المصدر ، خلقه الله .
(٣) الاحتجاج ، ١٩٣ .
(٤) تفسير القمي ، ٤١٨ .

٣ ـ **ومنه** : عن محمّد بن أبي عبدالله ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن أبان بن تغلب ، قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن الأرض على أيّ شيء هي ؟ قال : على الحوت ، قلت : فالحوت على أيّ شيء هو ؟ قال : على الماء، قلت: فالماء على أيّ شيء هو ؟ قال : على الصخرة ، قلت : فالصخرة على أيّ شيء هي ؟ قال: على قرن ثور أملس ، قلت : فعلى أيّ شيء الثور ؟ قال : على الثرى ، قلت : فعلى أيّ شيء الثرى ؟ فقال : هيهات ! عند ذلك ضلّ علم العلماء [1] .

الكافي : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب مثله [2] .

بيان : الأملس : الصحيح الظهر ، ولعلّ المراد هنا أنّه لم يلحقه من هذا الحمل دبر وجراحة في ظهره . و في القاموس : الثرى : الندى ، و التراب النديّ أوالّذي إذا بلّ لم يصر طيناً ، والخير (انتهى) . « ضلّ علم العلماء » أي غير المعصومين أو المراد بالعلماءهم ، والمعنى أنّهم اُمروا بكتمانه عن سائر الخلق فكأنّه ضلّ علمهم عن الخلق وقديقال : المراد بالثرى هنا الخير الكامل يعني القدرة ، فإنّ استقرار جميع الأشياء على قدرةالله تعالى ، وقيل : المراد بالثرى هنا ماهو منتهى الموجودات ، ولمّا كان تعقّل النفي الصرف صعباً على الأفهام قال : عند ذلك ضلّ علم العلماء ، لإلف الناس بالأبعاد القارّة و جسم خلف جسم ، و لذا ذهب بعض المتكلّمين إلى أبعاد موهومة غير متناهية و قالوا بالخلا .

٤ ـ **التفسير** : عن أبيه ، عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : أخبرني عن قول الله « والسماء ذات الحبك » فقال : هي محبوكة إلى الأرض ـ وشبّك بين أصابعه ـ فقلت : كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول « رفع السماوات بغير عمد ترونها » ؟ فقال : سبحان الله ! أليس يقول « بغير عمد ترونها » ؟ قلت : بلى فقال : فثمّ عمد و لكن لا ترونها . قلت : كيف ذلك جعلني الله فداك ؟ قال : فبسط

---

(١) تفسير القمي ، ٤١٨ .
(٢) الكافي ، ج ٨ ، ص ٨٩ .

كفّه اليسرى ثمّ وضع اليمنى عليها ، فقال : هذه أرض الدنيا ، و السماء الدنيا عليها[1] فوقها قبّة ؛ و الأرض الثانية فوق السماء الدنيا ، والسماء الثانية فوقها قبّة ؛ والأرض الثالثة فوق السماء الثانية ، و السماء الثالثة فوقها قبّة ، و الأرض الرابعة فوق السماء الثالثة ، و السماء الرابعة فوقها قبّة ؛ والأرض الخامسة فوق السماء الرابعة ، والسماء الخامسة فوقها قبّة ؛ و الأرض السادسة فوق السماء الخامسة ، و السماء السادسة فوقها قبّة ؛ و الأرض السابعة فوق السماء السادسة ، و السماء السابعة فوقها قبّة ؛ و عرش الرحمان تبارك و تعالى فوق السماء السابعة و هو قول الله « الّذي خلق سبع سماوات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ » فأمّا صاحب الأمر[2] فهو رسول الله صلى الله عليه وآله و الوصيّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قائم هو على وجه الأرض ، فإنّما ينزل الأمر إليه من فوق السماء من بين السماوات و الأرضين ، قلت : فما تحتنا إلّا أرض واحدة ؟ فقال : ما تحتنا إلّا أرض واحدة ، و إنّ الستّ لهنّ[3] فوقنا[4] .

العياشي : عن الحسين بن خالد مثله .

بيان : قال الفيروز آباديّ : « الحبك » الشدّ و الإحكام و تحسين أثر الصنعة في الثوب ، يحبكه و يحبكه فهو حبيك و محبوك ، و الحبك من السماء طرائق النجوم والتحبيك التوثيق و التخطيط (انتهى) . فالمراد بكونها محبوكة : أنّها متّصلة بالأرض معتمدة عليها ، و أنّ كلّ سماء على كلّ أرض كالقبّة الموضوعة عليها ، و لمّا كان هذا ظاهراً مخالفاً للحسّ والعيان ، فيمكن تأويله بوجهين : أوّلهما ـ وهو أقربهما وأوفقهما للشواهد العقليّة ـ أن يكون المراد بالأرض ماسوى السماء من العناصر، ويكون المراد نفي توهّم أنّ بين السماء و الأرض خلاً ، بل هو مملوّ من سائر العناصر ، والمراد بالأرضين السبع هذه الأرض و ستّة من السماوات الّتي فوقنا ، فإنّ الأرض ما يستقرّ عليه

(١) كذا .
(٢) الارض (خ) .
(٣) فى المصدر : لهى .
(٤) تفسير القمى : ٦٤٦ .

الحيوانات و سائر الأشياء ، و السماء ما يظلّهم و يكون فوقهم ، فسطح هذه الأرض أرض لنا والسماء الأولى سماء لنا تظلّنا ، والسطح المحدّب للسماء الأولى أرض للملائكة المستقرّين عليها ، والسماء الثانية سماء لهم ، و هكذا محدّب كلّ سماء أرض لمافوقها و مقعّر السماء الّذي فوقها سماء بالنسبة إليها إلى السماء السابعة ، فإنّها سماء وليست بأرض ، و الأرض الّتي نحن عليها أرض وليست بسماء ، والسماوات الستّة الباقية كلّ منها سماء من جهة و أرض من جهة . و ثانيهما : أن يكون المعنى أنّ السماوات سبع كرات في جوف كلّ سماء أرض وليست السماوات بعضها في جوف بعض كما هو المشهور بل بعضها فوق بعض معتمداً بعضها على بعض ، فالمراد بقوله « إلى الأرض » أي مع الأرض ، أوإلى أن ينتهي إلى هذه الأرض الّتي نحن عليها . قوله عليه السلام « فأمّا صاحب الأمر » أي الّذي ينزل هذا الأمر إليه .

٥ ــ **العيون و العلل** : في خبر الشامي أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الأرض ممّ خلق ؟ قال : من زبد الماء [(١)] .

٦ ــ **العياشي** : عن الخطّاب الأعور ، رفعه إلى أهل العلم و الفقه من آل محمّد عليهم السلام قال : « و في الأرض قطع متجاورات » يعني هذه الأرض الطيّبة يجاورها هذه المالحة و ليست منها كما يجاور القوم القوم و ليسوا منهم .

٧ ــ **الاختصاص** : عن ابن عبّاس . سأل ابن سلام النبيّ صلّى الله عليه وآله ما الستّون ؟ قال : الأرض لها ستّون عرقاً و الناس خلقوا على ستّين لوناً [(٢)] .

٨ ــ **معاني الاخبار** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن القاسم بن محمّد الإصبهانيّ عن سليمان بن داوود المنقريّ ، عن حمّاد بن عيسى ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه نظر إلى المقابر فقال : ياحمّاد هذه كفات الأموات ، ونظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الأحياء ثمّ تلا « ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياءً و أمواتاً [(٣)] » . وروي أنّه دفن الشعر والظفر [(٤)] .

(١) العيون : ج ١ ، ص ٢٤١ ، علل الشرائع : ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
(٢) الاختصاص : ٤٠ . (٣) المرسلات . ٢٥ ــ ٢٦ .
(٤) معاني الاخبار : ٣٤٢ .

بيان : لعلّ المعنى أنّ دفن الشعر و الظفر في الأرض لمّا كان مستحبّاً فهذا أيضاً داخل في كفات الأحياء ، أو في كفات الأموات لعدم حلول الحياة فيهما ، و الأوّل أظهر .

٩ ـ **العيون** : عن المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد العسكريّ عن آبائه عن عليّ بن الحسين عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : « الّذي جعل لكم الأرض فراشاً و السماء بناءً » قال: جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم ، ولم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم ، ولا شديدة طيب الريح فتصدّع هاماتكم ، ولا شديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم[٢] و أبنيتكم وقبور[٣] موتاكم ولكنّه عزّ وجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به [و تتماسكون] وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم ، وجعل فيها[٤] ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم فذلك «جعل الأرض فراشاً » ثمّ قال: « والسماء بناءً » سقفاً[٥] محفوظاً من فوقكم يدير فيها شمسها و قمرها و نجومها لمنافعكم . ثمّ قال عزّ وجلّ : « و أنزل من السماء ماءً » يعني المطر ينزله من علي[٦] ليبلغ قلل جبالكم و تلالكم و هضابكم وأوهادكم ثمّ فرّقه رذاذاً و وابلاً و هطلاً وطلاً لتنشفه أرضوكم ، و لم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعةً واحدة فيفسد أرضيكم و أشجاركم و زروعكم و ثماركم ، ثمّ قال عزّ وجلّ « فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم » يعني ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم « فلا تجعلوا لله أنداداً » أي أشباهاً و أمثالاً من الأصنام الّتي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء « و أنتم تعلمون » أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم تبارك و تعالى[٧] .

الاحتجاج : بالإسناد إلى أبي محمّد عليه السلام مثله[٨] .

---

(١) البقرة : ٢٢ .
(٢) في الاحتجاج : حرثكم .
(٣) فيه : دفن موتاكم .
(٤) فيه : من اللين ما تنقاد به لحرثكم .
(٥) فيه : يعني سقفاً ...
(٦) فيه : علو .
(٧) العيون : ج ١ ، ص ١٣٧ .
(٨) الاحتجاج : ٢٥٣ .

تفسير الامام : عليه السلام مثله .

بيان : « فتصدّع » على بناء التفعيل من الصداع . و أعطبه : أهلكه ، والرذاذ ـ كسحاب ـ : المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار ، و الوابل : المطر الشديد الضخم ، و الهطل ، المطر الضعيف الدائم ، و الطلّ : المطر الضعيف أوأخفّ المطر و أضعفه و الندى أوفوقه و دون المطر ، كلّ ذلك ذكره الفيروزآباديّ .

١٠ ـ **التوحيد** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن هاشم و غيره عن خلف بن حمّاد ، عن الحسن بن زيد الهاشميّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاءت زينب العطّارة الحولاء إلى نساء رسول الله صلى الله عليه وآله و بناته و كانت تبيع منهنّ العطر فدخل [1] رسول الله صلى الله عليه وآله وهي عندهنّ فقال : إذا أتيتنا طابت بيوتنا ، فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله ، فقال : إذا بعت فاحسني [2] ولا تغشّي ، فإنّه أتقى وأبقى للمال ، فقالت : ماجئت [3] لشيء من بيعي و إنّما جئتك أسألك عن عظمة الله ، قال: جلّ جلاله ، ساُحدّثك عن بعض ذلك ، ثمّ قال : إنّ هذه الأرض بمن فيها [4] ومن عليها عند الّتي تحتها كحلقة ملقاة [5] في فلاة قيّ ، و هاتان و من فيهما و من عليهما عند الّتي تحتهما كحلقة [6] في فلاة قيّ ، و الثالثة حتّى انتهى إلى السابعة ثمّ تلا هذه الآية : « خلق سبع سماوات و من الأرض مثلهنّ » و السبع [7] و من فيهنّ ومن عليهنّ على ظهر الديك كحلقة [8] في فلاة قيّ ، و الديك له جناح بالمشرق و جناح بالمغرب و رجلاه في التخوم ، و السبع والديك بمن فيه و من عليه على الصخرة كحلقة [9] في فلاة قيّ ، والسبع والديك و الصخرة بمن فيها و من عليها على ظهر الحوت كحلقة [10] في فلاة قيّ ، و السبع والديك والصخرة و الحوت عند البحر المظلم كحلقة [11] في فلاة

---

(١) في الكافي : فجاء (٢) في التوحيد و الكافي : فأحسني .

(٣) في الكافي : فقالت : يا رسول الله ما أتيت بشيء من بيعي و إنما أتيت . .

(٤) فيه : بمن عليها . (٥) في التوحيد : كحلقة في فلاة ...

(٦) في الكافي : كحلقة ملقاة ... (٧) في الكافي : و السبع الارضين بمن ...

(٨ـ١١) فيه : كحلقة ملقاة .

قيّ ، و السبع والديك و الصخرة و الحوت والبحر المظلم عند الهواء كحلقة [١] في فلاة قيّ ، و السبع والديك و الصخرة و الحوت و البحر المظلم و الهواء عند الثرى كحلقة [٢] في فلاة قيّ ثمّ تلا هذه الآية : « له ما في السموات و ما في الأرض و ما بينهما وما تحت الثرى [٣] » ثمّ انقطع الخبر [٤] و السبع والديك و الصخرة و الحوت والبحر المظلم و الهواء و الثرى بمن فيه و من عليه عند السماء الأولى كحلقة في فلاة قيّ ، و هذا و السماء [٥] الدنيا و من فيها و من عليها عند الّتي فوقها كحلقة في فلاة قيّ ، و هذا و هاتان السماوان عند الثالثة كحلقة في فلاة قيّ ، و هذا و هذه الثلاث عند الرابعة بمن فيهنّ و من عليهنّ كحلقة في فلاة قيّ حتّى انتهى إلى السابعة ، و هذه السبع [٦] و من فيهنّ و من عليهنّ عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قيّ ، و السبع و البحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قيّ ، ثمّ تلا هذه الآية : « و ينزّل من السماء من جبال فيها من برد [٧] » و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد [٨] عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ ، و هو سبعون ألف حجاب يذهب نورها بالأبصار ، و هذا و السبع والبحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و الحجب عند الهواء الّذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ ، و السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء [٩] و الحجب في الكرسيّ كحلقة في فلاة قيّ ، ثمّ تلا هذه الآية : « وسع كرسيّه السماوات و الأرض ولا يؤده حفظهما و هو العليّ العظيم [١٠] » وهذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و الحجب و الكرسيّ عند العرش كحلقة في فلاة قيّ

(١و٢) وفيه : كحلقة ملقاة

(٣) طه : ٦

(٤) في الكافي : عند الثرى .

(٥) في التوحيد و الكافي : سماء

(٦) في الكافي : و هن . .

(٧) النور : ٤٣ .

(٨) في الكافي : و جبال البرد عند الهواء .

(٩) في الكافي : . . و الهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قي ، و هذه السبع والبحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و حجب النور عند الكرسي .

(١٠) البقرة : ٢٥٥ .

ثمّ تلا هذه الآية : « الرحمان على العرش استوى [١] » ما تحمله الأملاك إلّا بقول لا إله إلّا الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله [العليّ العظيم [٢]] .

الكافي : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن عبد الرحمان بن أبي نجران عن صفوان ، عن خلف بن حمّاد مثله .

بيان : « فإنّه أتقى » أي أقرب إلى التقوى و أنسب بها ، أو أحفظ لصاحبه عن مفاسد الدنيا والآخرة . وقال الجوهريّ : الفلاة المفازة . وقال : القيّ بالكسر والتشديد « فعل » من القواء وهي الأرض القفر الخالية . وقال : التخم منتهى كلّ قرية أو أرض يقال : فلان على تخم من الأرض ، والجمع تخوم . قوله عليه السلام « ثمّ انقطع الخبر » وفي الكافي « عند الثرى » والمعنى أنّا لم نخبر به أو لم نؤمر بالإخبار به . قوله « المكفوف عن أهل الأرض » أي ممنوع عنهم لا ينزل منه ماء إليهم ، و في الكافي بعد قوله : « من جبال فيها من برد » هكذا : و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد عند الهواء الّذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ ، وهذه السبع و البحر المكفوف وجبال البرد و الهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ ، و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ ، و هذه السبع و البحر المكفوف وجبال البرد و الهواء و حجب النور عند الكرسيّ - إلى قوله - : وتلا هذه الآية : « الرحمان على العرش استوى » ثمّ قال : و في رواية الحسن : الحجب قبل الهواء الّذي تحار فيه القلوب ، أي كانت الرواية في كتاب الحسن بن محبوب هكذا موافقاً لما نقله الصدوق .

ثمّ اعلم أنّ الخبر يدلّ على أنّ الأرضين طبقات بعضها فوق بعض، وقد يستشكل فيما اشتمل عليه هذا الخبر من أنّ الأرضين السبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم و الهواء و الثرى عند السماء الأولى كحلقة في فلاة قيّ ، فيدلّ على أنّ جميع ذلك ليس لها قدر محسوس عند فلك القمر ، مع أنّ الأرض وحدها لها قدر محسوس

---

(١) الكافي ، ج ٨ ، ص ١٥٣ ، و الاية فى سورة طه ؛ ٥ .

(٢) التوحيد ؛ ١٩٩ .

عنده بدلالة الخسوف و اختلاف المنظر و غير ذلك ممّا علم في الأبعاد و الأجرام . وقد يجاب عن ذلك بأنّه لمّا لم يمكن أن تحمل النسب الّتي ذكرت بين هذه الموجودات في هذا الحديث على النسب المقداريّة الّتي اعتبر مثلها بين الحلقة و الفلاة اللتين هما المشبّه بهما في جميع المراتب فإنّه خلاف ما دلّ عليه العقول الصحيحة السليمة بعد التأمّل في البراهين الهندسيّة و الحسابيّة الّتي لايحوم حولها الشكّ أصلاً ولا تعتريها الشبهة قطعاً ، فيمكن أن يأوّل و يحمل على أنّ المعنى أنّ نسبة الحكم و المصالح المرعيّة في خلق كلّ من تلك المراتب إلى ماروعي فيما ذكر بعده كنسبة مقدار الحلقة إلى الفلاة ليدلّ على أنّ مايمكننا أن نشاهد أو ندرك من آثار صنعه وعجائب حكمته في الشواهد ليس له نسبة محسوسة إلى أدنى ماهو محجوب عنّا فكيف إلى مافوقه . وأجاب آخرون: بأنّ المعنى ارتفاع ثقل كلّ من تلك الموجودات عمّا اتّصل به ، فالطبقة الاُولى من الأرض رفع الله ثقلها عن الطبقة الثانية فليس ثقلها عليها إلّا كثقل حلقة على فلاة سواء كانت أكبر منها حجماً أو أصغر . و أقول : على مااحتملنا سابقاً من كون جميع الأفلاك أجزاء من السماء الدنيا داخلة فيها كما هو ظاهر الآية الكريمة يمكن حمل هذا التشبيه على ظاهره من غير تأويل ، والله يعلم حقائق الموجودات .

١١ ـ **توحيد المفضل** : قال : قال الصادق عليه السلام : فكّر يامفضّل فيما خلق الله عزّوجلّ عليه هذه الجواهر الأربعة ليتّسع مايحتاج إليه منها فمن ذلك سعة هذه الأرض و امتدادها ، فلولا ذلك كيف كانت تتّسع لمساكن الناس و مزارعهم و مراعيهم و منابت أخشابهم و أحطابهم و العقاقير العظيمة و المعادن الجسيمة غناؤها ، ولعلّ من ينكر هذه الفلوات الخالية [1] و القفار الموحشة يقول : ما المنفعة فيها ؟ فهي مأوى هذه الوحوش و محالها و مرعاها ، ثمّ فيها بعد متنفّس و مضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم ، وكم بيداء وكم فدفد حالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها ، ولولا سعة الأرض و فسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيّق لايجد

---

(١) في بعض النسخ « الخاوية » و الظاهر من بيان المؤلف انه كان كذلك في نسخته

مندوحة عن وطنه إذا أحزنه [١] أمر يضطرّه إلى الانتقال عنه . ثمّ فكّر في خلق هذه الأرض على ماهي عليه حين خلقت راتبة راكنة ،فيكون موطناً مستقرّاً للأشياء فيتمكّن الناس من السعي عليها في مآربهم ، والجلوس عليها لراحتهم ، والنوم لهدوئهم، والإتقان لأعمالهم ، فإنّها لوكانت رجراجة متكفّئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء و التجارة و الصناعة وما أشبه ذلك ، بل كانوا لايتهنّؤن بالعيش و الأرض ترتجّ من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلّة مكثها حتّى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها . فإن قال قائل : فلم صارت هذه الأرض تزلزل؟ قيل له : إنّ الزلزلة وما أشبهها موعظة و ترهيب يرهّب بها الناس ليرعوا عن المعاصي ، و كذلك ماينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجري في التدبير على مافيه صلاحهم واستقامتهم و يدّخر لهم إن صلحوا من الثواب و العوض في الآخرة ما لايعدله شيء من اُمور الدنيا ، و ربما عجّل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للعامّة و الخاصّة .

ثمّ إنّ الأرض في طباعها الّذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة ، و إنّما الفرق بينها و بين الحجارة فضل يبس في الحجارة ، أفرأيت لو أنّ اليبس أفرط على الأرض قليلاً حتّى تكون حجراً صلداً أكانت تنبت هذا النبات الّذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث أو بناء ؟ أفلا ترى كيف نقصت عن[٢] يبس الحجارة وجعلت على ماهي عليه من اللين و الرخاوة و ليتهيّأ للاعتماد ، و من تدبير الحكيم - جلّ وعلا - في خلقة الأرض أنّ مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب ، فلم يجعل الله عزّ وجلّ كذلك إلّا لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها و ترويها ثمّ يفيض آخر ذلك إلى البحر ، فكما يرفع أحد جانبي السطح و يخفض[٣] الآخر لينحدر الماء عنه ولا تقوم عليه كذلك جعل مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب لهذه العلّة بعينها ، ولولا ذلك لبقي الماء متحيّراً على وجه الأرض فكان يمنع الناس من أعمالها ويقطع الطرق و المسالك. ثمّ الماء لولا كثرته و تدفّقه في العيون و الأودية و الأنهار لضاق عمّا يحتاج الناس

(١) في بعض النسخ « حزبه » والظاهر من بيان المؤلف انه موافق لنسخته .
(٢) من (خ) . (٣) ينخفض (خ) .

إليه لشربهم و شرب أنعامهم و مواشيهم و سقي زروعهم و أشجارهم وأصناف غلاّتهم ، و شرب مايرده من الوحوش و الطير و السباع و تتقلّب فيه الحيتان ودوابّ الماء ، و فيه منافع اُخر أنت بها عارف ، وعن عظم موقعها غافل ،فإنّه سوى الأمر الجليل المعروف من غنائه في إحياء جميع ماعلى الأرض من الحيوان و النبات يمزج بالأشربة فتلين و تطيب لشاربها ، و به تنظف الأبدان و الأمتعة من الدرن الّذي يغشاها ، و به يبلّ التراب فيصلح للاعتمال ، و به نكفّ عادية النار إذا اضطرمت و أشرف الناس على المكروه.وبه يستحمّ المتعب الكالّ فيجد الراحة من أوصابه ، إلى أشباه هذا من المآرب الّتي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها . فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت : ماالإرب فيه ؟ فاعلم أنّه مكتنف و مضطرب مالا يحصى من أصناف السمك و دوابّ البحر ومعدن اللؤلؤ و الياقوت والعنبر وأصناف شتّى تستخرج من البحر و في سواحله منابت العود اليلنجوج و ضروب من الطيب والعقاقير ، ثمّ هو بعد مركب الناس ومحمل لهذه التجارات الّتي تجلب من البلدان البعيدة ،كمثل مايجلب من الصين إلى العراق ، ومن العراق إلى العراق ، فإنّ هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلّا على الظهر لبارت [1] و بقيت في بلدانها و أيدي أهلها ، لأنّ أجر حملها كان يجاوز أثمانها فلايتعرّض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران : أحدهمافقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها ، و الآخر : انقطاع معاش من يحملها و يتعيّش بفضلها . و هكذا الهواء لولاكثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان و البخار الّتي يتحيّر فيه و يعجز عمّا يحول إلى السحاب والضباب أوّلاً أوّلاً ، وقد تقدّم من صفته مافيه كفاية .

و النار أيضاً كذلك ، فإنّها لوكانت مبثوثةً كالنسيم و الماء كانت تحرق العالم وما فيه ولم يكن بدّ من ظهورها في الأحايين لغنائها في كثير من المصالح ، فجعلت كالمخزونة في الأخشاب تلتمس عندالحاجة إليها وتمسك بالمادّة والحطب مااحتيج إلى بقائها لئلّا تخبوا ، فلاهي تمسك بالمادّة و الحطب فتعظم المؤونة في ذلك ، ولاهي تظهر مبثوثة فتحرق كلّما هي فيه ، بل هى على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها

(١) بار السوق أوالسلعة : كسدت .

و السلامة من ضررها . ثمّ فيها خلّة اُخرى وهي أنّهامـمّا خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان لماله فيها من المصلحة ، فإنّه لوفقد النار لعظم مايدخل عليه من الضرر في معاشه ، فأمّا البهائم فلاتستعمل النار ولا تستمتع بها، ولمّا قدرالله عزّوجلّ أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفّاً و أصابع مهيّأة لقدح النار واستعمالها ، ولم يعط البهائم مثل ذلك ، لكنّها اُغنيت بالصبر على الجفاء و الخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ماينال الإنسان . واُنبّئك من منافع النار على خلّة صغيرة عظيم موقعها ، و هي هذا المصباح الّذي يتّخذه الناس فيقضون به حوائجهم ماشاؤوا من ليلهم ، ولولا هذه الخلّة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور ، فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة الليل ؟ وكيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج إلى أن يعالج ضماداً أو سفوفاً أو شيئاً يستشفى به ؟ فأمّا منافعها في نضج الأطعمة ودفأ الابدان و تجفيف أشياء وتحليل أشياء و أشباه ذلك فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى .

تبيان [١] : العقاقير اُصول الأدوية ، والغناء ـ بالفتح ـ : المنفعة ، والخاوية: الخالية ، والفدفد : الفلاة و المكان الصلب الغليظ و المرتفع والأرض المستوية،والفسحة ـ بالضمّ ـ : السعة ، ويقال : لي عن هذا الأمر مندوحة و منتدح أي سعة ، و حزبه أمر أي أصابه ، والراتبة :الثابتة ، والراكنة : الساكنة ، وهدأ هدءاً وهدوءاً : سكن ، و قوله عليه‌السلام : رجراجة :أي متزلزلة متحرّكة،والتكفّي :الانقلاب والتمايل والتحريك والارتجاج : الاضطراب ، و الارعواء : الرجوع عن الجهل و الكفّ عن القبيح ، و الصلد ـ و يكسر ـ : الصلب الأملس . قوله عليه‌السلام « إنّ مهبّ الشمال أرفع » أي بعد ماخرجت الأرض من الكرويّة الحقيقيّة صار مايلي الشمال منها في أكثرالمعمورة أرفع ممّا يلي الجنوب ، ولذا ترى أكثر الأنهار ـ كدجلة و الفرات و غيرهما ـ تجري من الشمال إلى الجنوب ، ولمّا كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعاً للأرض في ارتفاعه وانخفاضه فلذا صارت العيون المنفجرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتّى

---

(١) تبيين (خ) .

تجري على وجه الأرض ، ولذا حكموا بفوقيّة الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البئر والبالوعة و إذا تأمّلت فيماذكرنا يظهر لك مابيّنه عليه السلام من الحكم في ذلك وأنّه لاينافي كرويّةالأرض . و التدفّق : التصبّب . قوله عليه السلام « فإنّه سوى الأمرالجليل» الضمير راجع إلى الماء و هو اسم « إنّ » و « يمزج » خبره ، أي للماء سوى النفع الجليل المعروف ــ وهو كونه سبباً لحياة كلّ شيء ــ منافع اُخرى : منها أنّه يمزج مع الأشربة . وقال الجوهري : الحميم : الماء الحارّ ، وقداستحممت : إذااغتسلت به ثمّ صار كلّ اغتسال استحماماً بأيّ ماء كان (انتهى) . والوصب ــ محرّكةً ــ :المرض و المكتنف ــ بفتح النون من الكنف بمعنى الحفظ و الإحاطة ، واكتنفه أي أحاط به ويظهر منه أنّ نوعاً من الياقوت يتكوّن فيالبحر ، وقيل : اُطلق على المرجان مجازاً و يحتمل أن يكون المرادما يستخرج منه بالغوص و إن لم يتكوّن فيه . و اليلنجوج: عود البخور ، و « من العراق » أي البصرة « إلى العراق » أي الكوفة ، أو بالعكس . قوله عليه السلام « و يعجز » أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواء عمّا يستحيل الهواء إليه من السحاب و الضباب الّتي تتكوّن من الهواء « أوّلاً أوّلاً » أي تدريجاً ، أيكانالهواء لا يفي بذلك أو لا يتّسع لذلك ، و الضباب ــ بالفتح ــ ندى كالغيم ، أو سحاب رقيق كالدخان . و الأحايين جمع أحيان و هو جمع حين بمعنى الدهر و الزمان . قوله عليه السلام « فلا هي تمسك بالمادّة و الحطب » أي دائماً بحيث إذا انطفت لم يمكن إعادتها ، و المادّة : الزيادة المتّصلة و المراد هنا الدهر و مثله . و دفاء الأبدان [1] ــ بالكسر ــ دفع البرد عنها .

١٢ ــ **الدر المنثور** : سئل عن ابن عبّاس : هل تحت الأرض خلق ؟ قال : نعم ألا ترى إلى قوله تعالى « خلق سبع سماوات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ [2] » .

---

(١) الدفاء ــ بالكسر ــ ، مايستدفأ به (لاالاستدفاء دفعالبرد) ولم نجد فيكتب اللغة شاهداً على ماذكره ، والظاهر أنه هنا « الدفأ » كالظمأ بمعنى التسخن .

(٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٣٨

١٣ ـ و عن قتادة في قوله « سبع سماوات و من الأرض مثلهنّ » قال : في كلّ سماء و كلّ أرض خلق من خلقه و أمر من أمره و قضاء من قضائه [١] .

١٤ ـ و عن مجاهد في قوله : « يتنزّل الأمر بينهنّ » قال : من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ملفوفة [٢] .

١٥ ـ و عن الحسن في الآية قال : بين كلّ سماء و أرض خلق و أمر [٣] .

١٦ ـ و عن ابن جريح قال : بلغني أنّ عرض كلّ سماء [٤] مسيرة خمسمائة سنة ، و أنّ بين كلّ أرضين مسيرة خمسمأة سنة؟ واُخبرت أنّ الريح بين الأرض الثانية والثالثة ؛ والأرض السابعة فوق الثرى واسمها تخوم ؛ و أنّ أرواح الكفّار فيها ، فإذا كان يوم القيامة ألقتهم إلى برهوت ، و الثرى فوق الصخرة الّتي قال الله : « في صخرة » و الصخرة على الثور له قرنان و له ثلاث قوائم يبتلع ماء الأرض كلّها يوم القيامة ، و الثور على الحوت وذنب الحوت عند رأسه مستدير تحت الأرض السفلى و طرفاه منعقدان تحت العرش ، و يقال ، الأرض السفلى عمد [٥] بين قرني الثور ، و يقال : بل على ظهره و اسمها يهموت [٦] ، و اُخبرت أنّ عبدالله بن سلام سأل النبيّ صلّى الله عليه وآله : على ما الحوت ؟ قال : على ماء أسود ، و ما أخذ منه الحوت إلّا كما أخذ حوت من حيتانكم من بحر من هذه البحار ، و حدّثت أنّ إبليس يغلغل إلى الحوت فيعظم [٧] له نفسه و قال : ليس خلق بأعظم منك عزّاً [٨] ولا أقوى منك ، فوجد الحوت في نفسه فتحرّك

(١و٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ ، وليس في الثاني لفظة « ملفوفة » .

(٣) كذا في المصدر و اكثر نسخ الكتاب ، و في طبعة امين الضرب صحح الرواية على مثل رواية قتادة ، والظاهر أنه سهو من المصحح .

(٤) في المصدر ، أرض

(٥) في المصدر ، على عمد من قرني الثور

(٦) « « و بعض نسخ الكتاب : يهموت .

(٧) كذا في جميع نسخ الكتاب ، وفي المصدر « تغلغل الى الحوت فعظم له نفسه » وهو الصواب

(٨) في المصدر ، غنى .

فمنه تكون الزلزلة إذا تحرّك ، فبعث الله حوتاً صغيراً فأسكنه في اُذنه فإذا ذهب يتحرّك تحرّك الّذي في اُذنه فيسكن (١) .

١٧ ـ و عن ابن عبّاس في قوله « و من الأرض مثلهنّ » قال : سبع أرضين في كلّ أرض نبيّ كنبيّكم ، و آدم كآدم ، و نوح كنوح ، و إبراهيم كإبراهيم ، و عيسى كعيسى (٢) .

١٨ ـ و عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ الأرضين بين كلّ أرض و الّتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، و العليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء و الحوت على صخرة والصخرة بيد ملك ، و الثانية مسجن الريح فلمّا أراد الله أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً يهلك عاداً ، فقال : يا ربّ اُرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور ؟ فقال له الجبّار : إذن تكفأ الأرض و من عليها ، و لكن أرسل عليهم بقدر خاتم ، فهي الّتي قال الله في كتابه « ما تذر من شيء أتت عليه إلّا جعلته كالرميم » و الثالثة فيها حجارة جهنّم . والرابعة فيها كبريت جهنّم ، فقالوا : يارسول الله أللنار كبريت ؟ قال : نعم والّذي نفسي بيده إنّ فيها لأودية من كبريت لو اُرسل فيها الجبال الرواسي لماعت . و الخامسة فيها حيّات جهنّم ، إنّ أفواهها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم . و السادسة فيها عقارب جهنّم ، إنّ أدنى عقربة منها كالبغال المؤكفة تضرب الكافر ضربة ينسيه ضربها حرّ جهنّم . والسابعة فيها سقر و فيها إبليس مصفّد بالحديد يد أمامه و يد خلفه ، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه (٣) .

١٩ ـ وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : كنف الأرض مسيرة خمسمائة عام ، و الثانية مثل ذلك ، و ما بين كلّ أرض أرضين مثل ذلك (٤) .

٢٠ ـ و عن ابن عبّاس قال : سيّد السماوات السماء الّتي فيها العرش ، و سيّد

(١ و ٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ .

(٤) « « ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ .

الأرضين الأرض الّتي نحن فيها [١] .

٢١ ـ و عن كعب قال : الأرضون السبع على صخرة ، و الصخرة في كفّ ملك و الملك على جناح الحوت ، و الحوت في الماء [٢] على الريح ، و الريح على الهواء ريح عقيم لا تلقح ، و إنّ قرونها معلّقة بالعرش [٣]

٢٢ ـ و عن أبي مالك قال : الصخرة الّتي تحت الأرض منتهى الخلق ، على أرجائها أربعة أملاك رؤوسهم تحت العرش [٤] .

٢٣ ـ وعنه قال: الصخرة تحت الأرضين على حوت ، والسلسلة في اُذن الحوت [٥] .

٢٤ ـ وعن ابن عبّاس قال : إنّ أوّل شيء خلقه الله القلم فقال له : اكتب ، قال : يا ربّ و ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر يجري [٦] من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثمّ طوى الكتاب و رفع القلم و كان عرشه على الماء ، فارتفع بخار الماء ففتقت منه السماوات ، ثمّ خلق النون فبسطت عليه الأرض ، والأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فاُثبتت بالجبال ، فإنّ الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة ، ثمّ قرأ ابن عبّاس « ن و القلم و ما يسطرون » .

٢٥ ـ و عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ أوّل ما خلق الله القلم و الحوت ، و قال ما أكتب ؟ قال : كلّ شيء كائن إلى يوم القيامة ، ثمّ قرأ « ن والقلم » فالنون الحوت .

٢٦ ـ وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : النون السمكة الّتي عليها قرار الأرضين والقلم الّذي خطّ به ربّنا عزّ وجلّ القدر خيره و شرّه و نفعه و ضرره « وما يسطرون » قال : الكرام الكاتبون [٧] .

بيان : في القاموس : ماع الشيء يميع : جرى على وجه الأرض منبسطاً في هينة

---

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٨ .
(٢) في المصدر : و الماء على الريح .
(٣ ـ ٥) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ .
(٦) في المصدر : فجرى من ذلك اليوم ما ....
(٧) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٥٠ .

و السمن : ذاب . و قال : الوضم ـ محرّكة ـ : ماوقيت به اللحم عن الأرض من خشب و حصير . وقال : إكاف الحمار ككتاب و غراب ووكافه : برذعته ، وآكف الحمار إيكافاً و أكّفه تأكيفاً : شدّه عليه .

٢٧ ـ **نوادر الراوندي** : بإسناده عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه عليهم السلام قال: أقبل رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أحدهما لصاحبه : اجلس على اسم الله تعالى والبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اجلس على استك فأقبل يضرب الأرض بعصاً ، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله : لا تضربها فإنّها اُمّكم وهي بكم برّة .

٢٨ ـ و بهذا الإسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تمسحوا بالأرض فإنّها اُمّكم وهي بكم برّة .

بيان : قال في النهاية : في الحديث «تمسحوا بالأرض فإنّها بكم برّة » أي مشفقة عليكم كالوالدة البرّة بأولادها ، يعني أنّ منها خلقكم وفيها معاشكم و إليها بعد الموت معادكم ، و التمسّح أراد به التيمّم ، و قيل : أراد مباشرة ترابها بالجباه في السجود من غير حائل (انتهى) .

و أقول : يحتمل أن يراد به ما يشمل الجلوس على الأرض بغير حائل ، والأكل على الأرض من غير مائدة بقرينة الخبر الأوّل .

٢٩ ـ **العلل** : لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم قال : العلّة في أنّ الأرض لا تقبل الدّم أنّه لما قتل قابيل أخاه هابيل غضب آدم على الأرض فلا تقبل الدم لهذه العلّة .

٣٠ ـ **العلل** : عن عليّ بن أحمد الدقّاق ، عن الكلينيّ ، عن علّان بإسناده رفعه قال : أتى عليّ بن أبي طالب يهوديّ فسأله عن مسائل فكان فيما سأله : أخبرني عن قرار هذه الأرض على ما هو ؟ فقال عليه السلام : قرار هذه الأرض لا يكون إلّا على عاتق ملك وقدما ذلك الملك على صخرة ، و الصخرة على قرن ثور ، و الثور قوائمه على ظهر الحوت في اليمّ الأسفل ، واليمّ على الظلمة ، والظلمة على العقيم ، و العقيم على الثرى و ما يعلم تحت الثرى إلّا الله عزّ وجلّ (الخبر) [1] .

---

(١) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ١ـ٢ (مع تقطيع) .

٣١ - **النهج** : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة التوحيد : لا يجري عليه السكون و الحركة ، و كيف يجري عليه ما هو أجراه و يعود فيه ما هو أبداه ، و يحدث فيه ما هو أحدثه ؟ إذاً لتفاوتت ذاته ، و لتجزّأ كنهه ، ولامتنع من الأزل معناه ، و لكان له وراء إذ وجدله أمام ، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان [1] .

بيان : قال بعض شرّاح النهج في قوله عليه السلام « و لتجزّأ كنهه » إشارة إلى نفي الجوهر الفرد ؛ و قال : قوله عليه السلام « ولكان له وراء إذ كان له أمام » يؤكّد ذلك لأنّ من أثبته يقول يصحّ أن تحلّه الحركة ولا يكون أحد وجهيه غير الآخر .

فائدة

اعلم أنّ الطبيعيّين و الرياضيّين اتّفقوا على أنّ الأرض كرويّة بحسب الحسّ و كذا الماء المحيط بها ، و صارا بمنزلة كرة واحدة ، فالماء ليس بتامّ الاستدارة بل هو على هيئة كرة مجوّفة قطع بعض منها و ملئت الأرض على وجه صارت الأرض مع الماء بمنزلة كرة واحدة ، و مع ذلك ليس شيء من سطحيه صحيح الاستدارة ، أمّا المحدّب فلما فيه من الأمواج ، و أمّا المقعّر فللتضاريس فيه من الأرض . وقد أخرج الله تعالى قريباً من الربع من الأرض من الماء بمحض عنايته الكاملة ، أو لبعض الأسباب المتقدّمة لتكون مسكناً للحيوانات المتنفّسة وغيرها من المركّبات المحوجة إلى غلبة العنصر اليابس الصلب لحفظ الصور و الأشكال و ربط الأعضاء و الأوصال . و ممّا يدلّ على كرويّة الأرض ما أومأنا إليه سابقاً من طلوع الكواكب وغروبها في البقاع الشرقيّة قبل طلوعها و غروبها في الغربيّة بقدر ما تقتضيه أبعاد تلك البقاع في الجهتين على ما علم من ارصاد كسوفات بعينها لا سيّما القمريّة في بقاع مختلفة ، فإنّ ذلك ليس في ساعات متساوية البعد من نصف النهار على الوجه المذكور ، وكون الاختلاف متقدّراً بقدر الأبعاد دليل على الاستدارة المتشابهة السائرة بحدبتها المواضع الّتي يتلو بعضها بعضاً على قياس واحد بين الخافقين ، وازدياد ارتفاع القطب والكواكب الشماليّة وانحطاط الجنوبيّة للسائرين

---

(١) نهج البلاغة ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .

إلى الشمال و بالعكس للسائرين إلى الجنوب بحسب سيرهما دليل على استدارتها بين الجنوب و الشمال ، وتركّب الاختلافين يعطي الاستداره في جميع الامتدادات . ويؤيّده مشاهدة استدارة أطراف المنكسف من القمر الدالّةعلى أنّ الفصل المشترك بين المستضيء من الأرض و ما ينبعث منه الظلّ دائرة ، و كذلك اختلاف ساعات النّهر [١] الطوال و القصار في مساكن متّفقة الطول إلى غير ذلك . و لو كانت اُسطوانيّة قاعدتاها نحو القطبين لم يكن لساكني الاستدارةكوكب أبديّ الظهور ، بل إمّا الجميع طالعةغاربة أو كانت كواكب يكون من كلّ واحد من القطبين على بعدتستره القاعدتان أبديّةالخفاء و الباقية طالعة غاربة و ليس كذلك ، و أيضاً فالسائر إلى الشمال قد يغيب عنه دائماً كواكب كانت تظهر له ، و تظهر له كواكب كانت تغيب عنه بقدر إمعانه في السير ، وذلك يدلّ على استدارتها في هاتين الجهتين أيضاً . و ممّا يدلّ على استدارة سطح الماء الواقف طلوع رؤوس الجبال الشامخة على السائرين في البحر أوّلاً ثمّ مايلي رؤوسها شيئاً بعد شيء في جميع الجهات . و قالوا : التضاريس الّتي على وجه الأرض من جهة الجبال و الاغوار لا تقدح في كرويّتها الحسيّة ، إذ ارتفاع أعظم الجبال و أرفعها على ما وجدوه فرسخان و ثلث فرسخ ، و نسبتها إلى جرم الأرض كنسبة جرم سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع بل أقلّ من ذلك . و يظهر من كلام أكثر المتأخّرين : أنّ عدم قدح تلك الاُمور في كرويّتها الحسيّة معناه أنّها لا تخلّ بشكل جملتها كالبيضة اُلزقت بها حبّات شعير لم يقدح ذلك في شكل جملتها ، و اعترض عليه : بأنّ كون الأرض أو البيضة حينئذ على الشكل الكروي أو البيضي عند الحسّ ممنوع ، وكيف يمكن دعوى ذلك مع ما يرى على كلّ منهما ما يخرج به الشكل ممّا اعتبروا فيه و عرّفوه به ؟ و ربما يوجّه بوجه آخر وهو أنّ الجبال والوهاد الواقعة على سطح الأرض غير محسوسة عادة عند الإحساس بجملة كرة الأرض على ما هي عليه في الواقع . بيانه : أنّ رؤية الأشياء تختلف بالقرب و البعد ، فيرى القريب أعظم ممّا هو الواقع و البعيد أصغر منه و هو ظاهر ، وقد أطبق القائلون بالانطباع و بخروج الشعاع كلّهم على أنّ هذا الاختلاف

(١) النهر ـ بضمتين ـ : جمع النهار .

في رؤية المرئي بسبب القرب و البعد إنّما هو تابع لاختلاف الزاوية الحاصلة عند مركز الجليديّة في رأس المخروط الشعاعي بحسب التوهّم أو بحسب الواقع عند انطباق قاعدته على سطح المرئي ، فكلّما قرب المرئي عظمت تلك الزاوية ، و كلّما بعد صغرت . وقد تقرّر أيضاً بين محقّقيهم أنّ رؤية الشيء على ما هو عليه إنّما هو [1] في حالة يكون البعد بين الرائي و المرئي على قدر يقتضي أن تكون الزاوية المذكورة قائمة . فبناء على ذلك إذا فرضت الزاوية المذكورة بالنسبة إلى مرئي قائمة يجب أن يكون البعد بين رأس المخروط و قاعدته المحيطة بالمرئي بقدر نصف قطر قاعدته على ما تقرّر في الأصول . فلمّا كان قطر الأرض أزيد من ألفي فرسخ بلا شبهة لا تكون مرئيّة على ماهي عليه من دون ألف فرسخ ، و معلوم أنّ الجبال و الوهاد المذكورة غير محسوسة عادة عند هذا البعد من المسافة فلايكون لها قدر محسوس عند الأرض بالمعنى الّذي مهّدنا .

ثمّ إنّهم استعلموا بزعمهم مساحة الأرض و أجزاءها و دوائرها في زمان المأمون و قبله فوجدوا مقدار محيط الدائرة العظمى من الأرض ثمانية آلاف فرسخ ، و قصرها ألفين و خمسمائة و خمسة و أربعين فرسخاً و نصف فرسخ تقريباً ، و مضروب القطر في المحيط مساحة سطح الأرض و هي عشرون ألف ألف و ثلاثمائة و ستّون ألف فرسخ و ربع ذلك مساحة الربع المسكون من الأرض . و أمّا القدر المعمور من الربع المسكون و هو ما بين خطّ الاستواء و الموضع الّذي عرضه بقدر تمام الميل الكلّي فمساحته ثلاثة آلاف ألف و سبعمائة و خمسة و ستّين ألفاً و أربعمائة و عشرين فرسخاً و هو قريب من سدس سطح جميع الا رض و سدس عشره . و الفرسخ ثلاثة أميال بالاتّفاق ، و كلّ ميل أربعة آلاف ذراع عند المحدّثين ، و ثلاثة آلاف عند القدماء ، و كلّ ذراع أربع و عشرون إصبعاً عند المحدّثين ، و اثنان و ثلاثون عند القدماء . و كلّ إصبع بالاتّفاق مقدار ستّ شعيرات مضمومة بطون بعضها إلى ظهور بعض من الشعيرات المعتدلة .

و ذكروا أنّ للأرض ثلاث طبقات : الأولى : الأرض الصرفة المحيطة بالمركز

---

(١) هي (خ) .

الثانية : الطبقة الطينيّة وهي المجاورة للماء ؛ الثالثة . الطبقة المنكشفة من الماء وهي الّتي تحتبس فيها الأبخرة و الأدخنة و تتولّد منها المعادن و النباتات و الحيوانات . و زعموا أنّ البسائط كلّها شفّافة لا تحجب عن إبصار ماورائها ماعدا الكواكب ، وأنّ الأرض الصرفة المتجاورة [١] للمركز أيضاً شفّافة ، و الطبقتان الاُخريان ليستا بسيطتين فهما كثيفتان . فالأرض جعل الله الطبقة الظاهرة منها ملوّنة كثيفة غبراء لتقبل الضياء و خلق ما فوقها من العناصر مشفّة لطيفة بالطباع لينفذ فيها و يصل إلى غيرها ساطع الشعاع ، فإنّ الكواكب و سيّما الشمس و القمر أكثر تأثيراتها في العوالم السفلى بوسيلة أشعّتها المستقيمة و المنعطفة و المنعكسة بإذن الله تعالى . و قالوا : الأرض في وسط السماء كالمركز في الكرة فينطبق مركز حجمها على مركز العالم ، و ذلك لتساوي ارتفاع الكواكب و انحطاطها مدّة ظهورها و ظهور النصف من الفلك دائماً و تطابق أظلال الشمس في وقتي طلوعها و غروبها عند كونها على المدار الّذي يتساوى فيه زمان ظهورها و خفائها على خطّ مستقيم ، أو عند كونها في جزئين متقابلين من الدائرة الّتي يقطعها بسيرها الخاصّ بها ، وانخساف القمر في مقاطراته [٢] الحقيقيّة للشمس، فإنّ الأوّل يمنع ميلها إلى أحد الخافقين ، و الثاني إلى أحد السمتين : الرأس والقدم ، و الثالث إلى أحد القطبين ، والرابع إلى شيء منها أو من غيرها من الجهات كما لا يخفى. و كما أنّ مركز حجمها منطبق على مركز العالم فكذا مركز ثقلها ، و ذلك لأنّ الثقال تميل بطبعها إلى الوسط كما دلّت عليه التجربة ، فهي إذن لا تتحرّك عن الوسط ، بل هي ساكنة فيه متدافعة بأجزائها من جميع الجوانب إلى المركز تدافعا متساوياً ، فلا محالة ينطبق مركز ثقلها الحقيقيّ المتّحد بمركز حجمها التقريبيّ على مركز العالم و مستقرّها عند وسط العالم لتكافؤ القوى بلا تزلزل واضطراب يحدث فيها لثباتها بالسبب المذكور ، و لكون الأثقال المنتقلة من جانب منها إلى الآخر في غاية الصغر بالقياس إليها لا يوجب انتقال مركز ثقلها من نقطة إلى اُخرى بحركة شيء منها ، وكذا الأجزاء

(١) المجاورة (خ) .

(٢) المقاطرة : مقابلة القطرين .

المباثنة لها تهوي إليها وهي تقبلها من جميع نواحيها من دون اضطراب . هذا ما ذكروه في هذا المقام ، ولا نعرف من ذلك إلّا كون الجميع بقدرة القادر العليم و إرادة المدبّر الحكيم كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى .

و قال الشيخ المفيد ـ قدّس سرّه ـ في كتاب المقالات : أقول : إنّ العالم هو السماء و الأرض و ما بينهما و فيهما من الجواهر و الأعراض ، و لست أعرف بين أهل التوحيد خلافاً في ذلك . أقول : لعلّ مراده ـ قدّس سرّه ـ بالسماوات ما يشمل العرش و الكرسيّ و الحجب ، و غرضه نفي الجواهر المجرّدة الّتي تقول بها الحكماء . ثمّ قال ـ رحمه الله ـ و أقول : إنّ الفلك هو المحيط بالأرض الدائر عليها و فيه الشمس و القمر وسائر النجوم ، والأرض في وسطه بمنزلة النقطة في وسط الدائرة ، وهذا مذهب أبي القاسم البلخيّ و جماعة كثيرة من أهل التوحيد ، و مذهب أكثر القدماء والمنجّمين وقد خالف فيه جماعة من بصريّة المعتزلة وغيرهم من أهل النحل . و أقول : إنّ المتحرّك من الفلك إنّما يتحرّك حركةً دوريّةً كما يتحرّك الدائر على الكرة ، و إلى هذا ذهب البلخيّ وجماعة من أهل التوحيد ، و الأرض على هيئة الكرة في وسط الفلك وهي ساكنة لا تتحرّك ، وعلّة سكونها أنّها في المركز ، و هو مذهب أبي القاسم وأكثر القدماء و المنجّمين ، وقد خالف فيه الجبائيّ و ابنه و جماعة غيرهما من أهل الآراء والمذاهب من المقلّدة و المتكلّمين . ـ ثمّ قال ـ : و أقول : إنّ العالم مملوءة من الجواهر و إنّه لا خلأ فيه ، ولو كان فيه خلأ لما صحّ فرق بين المجتمع والمتفرّق من الجواهر والأجسام و هو مذهب أبي القاسم خاصّة من البغداديّين ، و مذهب أكثر القدماء من المتكلّمين و خالف فيه الجبائيّ و ابنه و جماعة متكلّمي أهل الحشو و الجبر و التشبيه . ـ ثمّ قال ـ : و أقول : إنّ المكان هو ما أحاط بالشيء من جميع جهاته ، ولا يصحّ تحرّك الجواهر إلّا في الأماكن ؛ والوقت هو ما جعله الموقّت وقتاً للشيء وليس بحادث مخصوص و الزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفعل محتاجاً في وجوده إلى وقت ولا زمان ، وعلى هذا القول سائر الموحّدين .

و سئل السيّد المرتضى ـ رحمه الله ـ : الفراغ له نهاية ؟ و القديم تعالى يعلم

منتهى نهايته؟ وهذا الفراغ أيّ شيء هو ؟ وكذلك الطبقة الثامنة من الأرض والثامنة من السماء نقطع أنّ هناك فراغاً أم لا ؟ فإن قلت : لا ، طالبتك بما وراء الملأ ، القديم تعالى يعلم أنّ هناك نهاية ، فإن قلت : نعم ، طالبتك أيّ شيء وراء النهاية ؟

فأجاب ـ رحمه الله ـ : إنّ الفراغ لا يوصف بأنّه منته ، ولا أنّه غير منته على وجه الحقيقة ، و إنّما يوصف بذلك مجازاً و اتّساعاً ، و أمّا قوله : و هذا الفراغ أيّ شيء هو ؟ فقد علمنا [١] أنّه لا جوهر ولا عرض ولا قديم ولا محدث ولا هو ذات ولا هو معلوم كالمعلومات . و أمّا الطبقة الثامنة من الأرض فما نعرفها ، و الّذي نطق به القرآن : « سبع سموات طباقاً و من الأرض مثلهنّ » فأمّا غير ذلك فلا سبيل للقطع به من عقل ولا شرع (انتهى) .

و أقول : بسط الكلام في هذه الأمور خروج عن مقصود الكتاب ، و محلّه علم الكلام .

٣٢
« باب آخر »

(في قسمة الارض الى الاقاليم و ذكر جبل قاف و سائر الجبال)
(و كيفية خلقها و سبب الزلزلة و علتها)

الآيات :

النحل : و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم [٢] .

الكهف : حتّى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً ـ إلى قوله ـ وكان وعد ربّي حقّاً [٣] .

الانبياء : و جعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم و جعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلّهم

---

(١) قلنا (خ) . (٢) النحل ، ١٥ .
(٣) الكهف : ٩٣ ـ ٩٨ .

يهتدون [١] . و قال تعالى : حتّى إذا فتحت يأجوج و مأجوج و هم من كلّ حدب ينسلون [٢] .

لقمان : و ألقى في الأرض رواسي أن تميدبكم [٣] .

فاطر : و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرابيب سود [٤] .

ص : إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ و الإشراق [٥] .

ق : و ألقينا فيها رواسي [٦] .

الطور : و الطور [٧] ـ و قال تعالى ـ و تسير الجبال سيراً [٨] .

المرسلات : و جعلنا فيها رواسي شامخات [٩] .

النبأ : ألم نجعل الأرض مهاداً و الجبال أوتاداً [١٠] .

الغاشية : و إلى الجبال كيف نصبت [١١] .

التين : والتين و الزيتون و طور سينين [١٢] .

تفسير : « أن تميدبكم » قال المبرّد : أي منع الأرض أن تميد ، و قيل : لئلّا تميد ، وقيل : أي كراهة أن تميد ، وقال بعضالمفسّرين : الميد الاضطراب في الجهات الثلاث ، و قيل : إنّ الأرض كانت تميد و ترجف رجوف السقف بالوطء فثقّلها الله بالجبال الرواسي ليمنع منرجوفها ، ورووا عن ابنعبّاس أنّه قال : إنّ الأرض بسطت على الماء فكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة فأرساها الله تعالى بالجبال . ثمّ إنّهم

---

(١) الانبياء : ٣١ .
(٢) الانبياء : ٩٥ .
(٣) لقمان : ١٠ .
(٤) فاطر : ٢٧ .
(٥) ص : ١٨ .
(٦) ق : ٧ .
(٧) الطور : ١ .
(٨) الطور : ١٠ .
(٩) المرسلات : ٢٧ .
(١٠) النبأ : ٦ .
(١١) الغاشية : ١٩ .
(١٢) التين : ١ ـ ٢ .

اختلفوا في أنّه لما صارت الجبال سبباً لسكون الأرض على أقوال ، و ذكروا لذلك وجوهاً و لنذكر بعضها :

الاول : ما ذكره الفخر الرازيّ في تفسيره : أنّ السفينة إذا اُلقيت على وجه الماء فإنّها تميل [١] من جانب إلى جانب و تضطرب فإذا وقعت الأجرام الثقيلة فيها استقرّت على وجه الماء ، فكذلك لمّا خلق الله تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت و مادت ، فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال ووتّدها بها فاستقرّت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال . ثمّ قال : لقائل أن يقول : هذا يشكل من وجوه :

الأوّل أنّ هذا المعلّل إمّاأن يقول بأنّ حركات الأجسام بطباعها أويقول ليست بطباعها بل هي واقعة بإيجاد الفاعل المختار إيّاها ، فعلى التقدير الأوّل نقول : لاشكّ أنّ الأرض أثقل من الماء ، و الأثقل يغوص في الماء ولا يبقى طافياً عليه فامتنع أن يقال : إنّها كانت تميد وتضطرب بخلاف السفينة فإنّها متّخذة من الخشب و في داخل الخشب تجويفات غير مملوءة [٢] فلذلك تميد و تضطرب على وجه الماء ، فإذا اُرسيت بالأجسام الثقيلة استقرّت و سكنت فظهر الفرق . و أمّا على التقدير الثاني و هو أن يقال ليس للأرض و الماء طبائع توجب الثقل و الرسوب ، و الأرض إنّما تنزل لأنّ الله تعالى أجرى عادته بجعلها كذلك ، و إنّما صار الماء محيطاً بالأرض لمجرّد إجراء العادة ليس ههنا طبيعة للأرض ولا للماء توجب حالة مخصوصة ، فنقول : على هذا التقدير علّة سكون الأرض هي أنّ الله تعالى يخلق فيها السكون و علّة كونها مائدة مضطربة هو أنّ الله تعالى يخلق فيها الحركة ، فيفسد القول بأنّ الله تعالى خلق الجبال لتبقى الأرض ساكنة ، فثبت أنّ التعليل مشكل على كلا التقديرين .

الإشكال الثاني : أنّ إرساء الأرض بالجبال إنّما يعقل لأجل أن تبقى الأرض على وجه الماء من غير أن تميد و تميل من جانب إلى جانب ، وهذا إنّما يعقل إذا كان الّذي استقرّت الأرض على وجهه واقفاً . فنقول : فما المقتضي لسكونه في ذلك الحيّز

---

(١) في المصدر : تميد .

(٢) في المصدر : مملوة من الهواء .

المخصوص ؟ فإن قلت : إنّ طبيعته توجب وقوفه في ذلك الحيّز المعيّن فحينئذ يفسد القول بأنّ الأرض إنّما وقفت بسبب أنّ الله تعالى أرساها بالجبال . و إن قلت : إنّ المقتضي لسكون الماء في حيّزه المعيّن هو أنّ الله تعالى أسكن الماء بقدرته في ذلك الحيّز المخصوص ، فنقول : فلم لاتقول مثله في سكون الأرض ؟ و حينئذ يفسد هذا التعليل أيضاً .

الإشكال الثالث : أنّ مجموع الأرض جسم واحد فبتقدير أن يميل بكلّيته و يضطرب على وجه البحر المحيط لم تظهر تلك الحالة للناس . فإن قيل : أليس أنّ الأرض تحرّكها البخارات المحتقنة في داخلها عند الزلازل وتظهر تلك الحركات للناس؟ قلنا البخارات احتقنت في داخل قطعة صغيرة من الأرض ، فلمّا حصلت الحركة في تلك القطعة ظهرت تلك الحركة ، فإنّ ظهور الحركة في تلك القطعة المعيّنة يجري مجرى اختلاج عضو من بدن الإنسان ، أمّا لو تحرّكت كلّية الأرض لم تظهر ، ألا ترى أنّ الساكن في سفينة لايحسّ بحركة كلّية السفينة و إن كانت على أسرع الوجوه وأقواها[1] (انتهى كلامه) .

و يمكن أن يجاب عنها : أمّا عن الإشكال الأوّل فبأن يختار أنّها طالبة بطبعها للمركز ، لكن إذا كانت خفيفةً كان الماء يحرّكها بأمواجه حركةً قسريّة و يزيلها عن مكانها الطبيعيّ بسهولة ، فكانت تميد و تضطرب بأهلها وتغوص قطعة منها و تخرج قطعة منها ، ولمّا أرساها الله تعالى بالجبال وأثقلها قاومت الماء وأمواجه بثقلها فكانت كالأوتاد مثبتةً لها . ومنه يظهر الجواب عن الإشكال الثاني ، على أنّ توقّف إرساء الأرض بالجبال على سكون الماء في حيّز معيّن ممنوع . وأمّا عن الإشكال الثالث فبأن يقال : ليس الامتنان بمجرّد عدم ظهور حركة الأرض حتّى يقال : إنّه على تقدير حركتها بكلّيتها لايظهر للناس بل بخروج البقاع من الماء و عدم غرقها بحركة الأرض وميدانها بأهلها ، على أنّ الظاهر أنّ الحركة الّتي لاتحسّ إنّما هي إذا كانت في جهة مخصوصة وعلى وضع واحد كحركة وضعيّة مستمرّة أو حركة أينيّة على جهة

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٢٠ ، ص ٨ .

واحدة كحركة السفينة إذا كانت سائرة من غير اضطراب ، و أمّا إذا تحرّكت في جهات مختلفة واضطربت فيحسّ بها كحركة السفينة عند تلاطم البحر و اضطرابه ، وهذا هو الفرق بين حالة الزلزلة و بين حركة الأرض في الظهور وعدمه ، فإنّا لوفرضنا قطعةً منها سائرة غير مضطربة في سيرها لما أُحسّ بها كما لايحسّ بحركة كلّها بل باضطراب الحركة وكونها في جهات مختلفة تحسّ الحركة ، سواء كان محلّها كلّ الأرض أو بعضها .

الوجه الثاني : ما ذكره الفاضل المقدّم ذكره أيضاً في تفسيره واختاره حيث قال : و الّذي عندي في هذا الموضع المشكل أن يقال : إنّه ثبت بالدلائل اليقينيّة أنّ الأرض كرة و أنّ هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى خشونات وتضريسات تحصل على وجه هذه الكرة . إذا ثبت هذا فنقول : إذا فرضنا أنّ هذه الخشونات ماكانت حاصلة بل كانت الأرض كرة حقيقيّةً خاليةً عن هذه الخشونات و التضريسات لصارت بحيث تتحرّك بالاستدارة بأدنى سبب ، لأنّ الجرم البسيط المستدير و إن لم يجب كونه متحرّكاً بالاستدارة عقلاً ، إلّا أنّه بأدنى سبب تتحرّك على هذا الوجه ، أمّا إذا حصل على سطح كرة الأرض هذه الجبال و كانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة ، فكلّ واحد من هذه الجبال إنّما يتوجّه بطبعه إلى مركز العالم ، و توجّه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم و قوّته الشديدة يكون جارياً مجرى الوتد الّذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة ، فكان تخليق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها عن الحركة المستديرة ، وكانت مانعةً للأرض عن الميد و الميل والاضطراب بمعنى أنّها منعت الأرض عن الحركة المستديرة ، فهذا ماوصل إليه خاطري [1] في هذا الباب والله أعلم [2] (انتهى) .

واعترض عليه بأنّ كلامه لايخلو عن تشويش و اضطراب ، و الّذي يظهر من أوائل كلامه هو أنّه جعل المناط في استقرار الأرض الخشونات و التضريسات من حيث إنّها خشونات و تضريسات ، وذلك إمّا لممانعة الأجزاء المائيّة الملاصقة لتلك التضريسات

---

(١) في المصدر : بحثي .

(٢) مفاتيح الغيب ، ج ٢٠ ، ص ٩ .

لاستلزام حركة الأرض زوالها عن مواضعها ، و حينئذ يكون علّة السكون هي الجبال الموجودة في الماء لاماخلقت في الربع المكشوف من الأرض ، ولعلّه خلاف الظاهر في معرض الامتنان بخلق الجبال وهو خلاف الظاهر من قوله تعالى « وجعل فيها رواسي من فوقها » و القول بأنّ ما في الماء أيضاً فوقهافلعلّ المراد تلك الجبال لايخلوا عن بعد مع أنّها ربما كانت معاونة لحركة الأرض ، كما إذاتحرّكت كرة الماء بتموّجها بأجمعها أو تموّج أبعاضها المقاربة لتلك الخشونات ، و إنّما يمانعها عن الحركة أحياناً عند حركة أبعاضها ، وإمّا لممانعةالأجزاءالهوائيّة المقارنة للجبالالكائنة علىالربع الظاهر فكانتالأوتاد مثبتةً لها فيالهواء مانعةعن تحريك الماء بتموّجه إيّاهاكما يمانع الجبال المخلوقة في الماء عن تحريك الرياح إيّاها ، وحينئذ يكون وجود الجبال في كلّ منهما معاوناً لحركة الأرض في بعض الصور معاوقاً عنها في بعضها ، ولامدخل حينئذلثقلالجبال وتركّبها في سكون الأرض و استقرارها ، والّذي يظهر من قوله « لأنّ الجرم البسيط ـ الخ ـ » أنّ البساطة توجب حركة الأرض ، إمّا بانفرادها أوبمشاركة عدم الخشونة ولعلّه استند في ذلك إلى أنّ البسيط تتساوى نسبة أجزائه إلى أجزاء المكان و إنّما الطبيعة تقتضيانطباق مركزالثقل منالأرض علىمركز العالم على أيّ وضعكان ، والماء لايقوى على إخراج الكرة عن مكانها نعميحرّكها بالحركة المستديرة ، بخلافالمركّب فإنّه ربما كان بعض أجزائه مقتضياً لوضع خاصّ كمحاذاة أحد القطبين مثلاً حتّى تكون الفائدة تحصل بتركّب بعض أجزاء الأرض وإن لم يكن هناك جبل وارتفاع،فلا يكون الامتنان بخلق الجبل من حيث أنّه جبل ، بل من حيث أنّه مركّب ، إلّا على تقديركون المراد أنّ المقتضي للسكون هو الحالة المركّبة من التركّب و التضريس ، و الظاهر من وصف الجبال بالشامخات في الآية مدخليّة ارتفاعها في هذا المعنى ، إلّا أن يكون الوصف لترتّب فوائد اُخر عليها ، و حينئذ لامدخل لثقل الجبال في سكون الأرض كما يظهر من قوله أخيراً ،فكلّ واحد من هذه الجبال إنّما يتوجّه بطبعهإلى مركز العالم ، وتوجّه ذلك الجبل نحو مركز العالمبثقله العظيم وقوّته الشديدةيكون جارياً مجرى الوتد الّذي يمنعكرة الأرض من الاستدارة ، و مع ذلك لاينفع في نفي

الحركة المشرقيّة و المغربيّة بل يؤيّدها ، و يمكن أن يكون مراده أنّ العلّة هي المجموع من الاُمور الثلاثة ، ولعلّه جعل الطبيعيّة الأرضيّة كافيةً في استقرارها في مكانها ، و إنّما احتاج إلى المانع عن حركتها بالاستدارة حركة وضعيّة ، ولذا قال أخيراً : وكانت مانعةً للأرض عن الميد و الإضطراب ، بمعنى أنّها منعت الأرض عن الحركة المستديرة .

الوجه الثالث : مايخطر بالبال و هو أن يكون مدخليّة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب أشتباكها واتّصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتّت أجزائها و تفرّقها ، فهي بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سبباً لالتصاق بعضها ببعض وعدم تفرّقها ، وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الآبار في الأرض فإنّها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة ، و أنت ترى أكثر قطع الأرض واقعةً بين جبال محيطة بها ، فكأنّها مع مايتّصل بها من القطعة الحجريّة المتّصلة بها من تحت تلك القطعات كالظرف لها تمنعها عن التفتّت والتفرّق و الاضطراب عند عروض الأسباب الداعية إلى ذلك .

الوجه الرابع : ما ذكره بعض المتعسّفين من أنّه لمّا كانت فائدة الوتد أن يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة و الاضطراب حتّى يكون قارّاً ساكناً ، وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الأشياء صحّة الاستقرار على ذلك والتصرّف عليه ، وكان من فائدة وجود الجبال و التضريسات الموجودة في وجه الأرض أن لاتكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار و التصرّف عليها ، لاجرم كان بين الأوتاد والجبال الخارجة من الماء في الأرض اشتراك في كونهما مستلزمين لصحّة استقراره مانعين من عدمه، لاجرم حسنت نسبة الإيتاد إلى الصخور و الجبال . و أمّا إشعاره بالميدان فلأنّ الحيوان كما يكون صادقاً عليه أنّه غير مستقرّ على الأرض بسبب انغمارها في الماء لولم يوجد الجبال كذلك يصدق على الأرض أنّها غير مستقرّة تحته و مضطربة بالنسبة إليه ، فثبت حينئذ أنّه لولا وجود الجبال في سطح الأرض لكانت مضطربة ومائدة بالنسبة إلى الحيوان، لعدم تمكّنه من الاستقرار عليها .

الوجه الخامس : أن يكون المراد بالجبال الرواسي الأنبياء و الأولياء و العلماء ، و بالأرض الدنيا . أمّا وجه التجوّز بالجبال عن الأنبياء و العلماء فلأنّ الجبال لمّا كانت على غاية من الثبات و الاستقرار مانعة لما يكون تحتها من الحركة و الاضطراب عاصمة لما يلتجيء إليها من الحيوان عمّا يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقلته أشبهت الأوتاد من بعض هذه الجهات . ثمّ لمّا كانت الأنبياء والعلماء هم السبب في انتظام اُمور الدنيا وعدم اضطراب أحوال أهلها كانوا كالأوتاد للأرض ، فلا جرم صحّت استعارة لفظ الجبال لهم ، و لذلك صحّ في العرف أن يقال : فلان جبل منيع يأوي إليه كلّ ملهوف إذا كان يرجع إليه في المهمّات و الحوائج ، و العلماء أوتاد الله في الأرض .

الوجه السادس : أن يكون المقصود من جعل الجبال كالأوتاد في الأرض أن يهتدى بها إلى طرقها و المقاصد فيها ، فلا تميد جهاتها المشتبهة بأهلها ولا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم و مقاصدهم . وهذه الوجوه الثلاثة ذكرها بعض المتعسّفين ، و هذا دأبه في أكثر الآيات و الأخبار حيث يؤوّلها بلاضرورة داعية و علّة مانعة عن القول بظاهرها ، و هل هذا إلّا اجتراء على مالك يوم الدين ، وافتراء على حجج ربّ العالمين ؟! .

الوجه السابع : أن يقال :المراد بالأرض قطعاتها وبقاعها لامجموع كرة الأرض و يكون الجبال أوتاداً لها أنّها حافظة لها عن الميدان و الاضطراب بالزلزلة و نحوها إمّا لحركة البخارات المحتقنة في داخلها بإذن الله تعالى ، أو لغير ذلك من الأسباب الّتي يعلمها مبدعها و منشئها . و هذا وجه قريب و يؤيّده ماسيأتي في باب الزلزلة من حديث ذي القرنين .

أقول : و أمّا حديث ذي القرنين و السدّ و غيره من أحواله فقد مضى في المجلّد الخامس في باب أحواله ، ولنذكر هنا بعض ما مضى برواية اُخرى :

قال الثعلبيّ في العرائس : روى وهب بن منبّه و غيره من أهل الكتب قالوا :

كان ذوالقرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره و كان اسمه « اسكندروس » و يقال : كان اسمه « عيّاش » وكان عبداً صالحاً ، فلمّا استحكم ملكه واستجمع أمره أوحى الله إليه : ياذاالقرنين ! إنّي بعثتك إلى جميع الخلق ما بين الخافقين و جعلتك حجّتي عليهم ، و هذا تأويل رؤياك و إنّي باعثك إلى اُمم الأرض كلّهم وهم سبع اُمم مختلفةألسنتهم ، منهم اُمّتان بينهما عرض الأرض ، و اُمّتان بينهماطول الأرض ، و ثلاث اُمم في وسط الأرض ، وهم الجنّ و الإنس و يأجوج و مأجوج . فأمّاالاُمّتان اللّتان بينهما طول الأرض فاُمّة عندالمغرب يقال لها « ناسك» واُمّةاُخرى بحيالها عند مطلع الشمس يقال لها « منسك » و أمّا اللّتان بينهما عرض الأرض فاُمّة في قطر الأرض الأيمن يقال لها « هاويل » و اُمّة في قطر الأرض الأيسر يقال لها « قاويل » فلمّا قال الله سبحانه ذلك قال ذوالقرنين : إلهي إنّك قدندبتني إلى أمرعظيم لا يقدر قدره إلاّ أنت فأخبرني عن الاُمم الّتي بعثتني إليها بأيّ قوّة اُكاثرهم ؟ أوبأيّ جمع و حيلة اُكابرهم ؟ و بأيّ صبر اُقاسيهم ؟ و بأيّ لسان اُناطقهم ؟ وكيف لي بأن أفهم لغاتهم ؟ و بأيّ سمع أسمع أقوالهم ؟ و بأيّ بصر اُنفذهم ؟ و بأيّ حجّة اُخاصمهم ؟ و بأيّ عقل أعقل عنهم ؟ وبأيّ قلب وحكمة اُدبّر اُمورهم ؟ و بأيّ قسط أعدل بينهم؟ و بأيّ حلم اُصابرهم ؟ و بأيّ معرفة أفصل بينهم ؟ وبأيّ علم اُتقن اُمورهم ؟ و بأيّ يد أستطيل عليهم ؟ و بأيّ رجل أطأهم ؟ وبأيّ طاقة اُحصيهم ؟ و بأيّ جند اُقاتلهم؟ و بأيّ رفق أتألّفهم ؟ و ليس عندي يا إلهي شيء ممّا ذكرت يقوم لهم و يقوى عليهم و أنت الرؤف الرحيم الّذي لا تكلّف نفساً إلاّوسعها ولا تكلّفها إلاّطاقتها . فقال الله عزّ وجلّ : إنّي ساُطوّقك ما حمّلتك : أشرح لك سمعك فتسمع كلّ شيء وتعي كلّ شيء و أشرح لك فهمك فتفقه كلّ شيء ، و أبسط لك لسانك فتنطق بكلّ شيء ، و أفتح لك بصرك فتنفذ كلّ شيء ، واُحصي لك فلايفوتك شيء ، وأشدّ لك عضدك فلا يهولك شيء و أشدّ لك ركنك فلا يغلبك شيء ، و أشدّ لك قلبك فلا يفزعك شيء ، و أشدّ لك يدك فتسطو فوق كلّ شيء وأشدّ لك وطأتك فتهدّ على كلّ شيء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، واُسخّر الظلمة من ورائك . فلمّا قيل له ذلك حدّث نفسه بالمسير وألحّ

عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال: لابدّ من طاعة الله تعالى .

ثمّ أمرهم أن يبنوا له مسجداً و أن يجعلوا طول المسجد أربعمأة ذراع ، وأمرهم أن لا ينصبوا فيه السواري . قالوا كيف نصنع ؟ قال : إذا فرغتم من بنيان الحائط فاكبسوها بالتراب حتّى يستوي الكبس مع حيطان المسجد ، فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره و على المقتر قدره ، ثمّ قطعتموه مثل قلامة الظفر ، ثمّ خلطتموه بذلك الكبس و جعلتم خشباً من نحاس ، و وتداً من نحاس ، و صفائح من نحاس تذيبون ذلك و أنتم تمكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية . و جعلتم طول كلّ خشبة مأتي ذراع و أربعة و عشرين ذراعاً : مأتا ذراع فيما بين الحائطين لكلّ حائط اثنا عشر ذراعاً ثمّ تدعون المساكين لنقل التراب فيتسارعون إليه لأجل ما فيه من الذهب و الفضّة فمن حمل شيئاً فهو له . ففعلوا ذلك ، فأخرج المساكين التراب و استقرّ السقف بما عليه و استغنى المساكين ، فجنّدهم أربعين ألفاً ، و جعلهم أربعة أجناد في كلّ جند عشرة آلاف ثمّ عرضهم فوجدهم في ما قيل ألف ألف و أربعمأة ألف رجل منهم من جنده ثمانمأة ألف و من جند دارا [1] ستّمأة ألف و من المساكين أربعين ألفا . ثمّ انطلق يؤمّ الاُمّة الّتي عند مغرب الشمس ، فذلك قوله تعالى « حتّى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة » أي ذات حمأة . ومن قرأ « حامية » بالألف من غير همز فمعناها : حارّة. فلمّا بلغ مغرب الشمس وجد جمعاً وعدداً لا يحصيهم إلّا الله تعالى و قوّة وبأساً لا يطيقه إلّا الله عزّ وجلّ ، و رأى ألسنة مختلفة و أهواء متشتّة و ذلك قول الله تعالى « ووجد عندها قوماً » يعني ناساً كثيرة يقال لها « ناسك » فلمّا رأى ذلك كاثرهم بالظلمة ، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاط بهم من كلّ مكان حتّى جمعهم في مكان واحد ، ثمّ أخذ عليهم بالنور فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ و عبادته « فمنهم من آمن به و منهم من صدّ عنه فعمد إلى الّذين تولّوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم و اُنوفهم وآذانهم وأحداقهم وأجوافهم ، و دخلت في بيوتهم و دورهم ، و غشيهم من فوقهم و من كلّ جانب منهم ، فهاجوا فيه و تحيّروا ، فلمّا أشفقوا أن يهلكوا فيها عجّوا إليه بصوت واحد

(١) كذا في جميع النسخ .

فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته . فجنّد من أهل المغرب اُمماً عظيمة فجعلهم جنداً واحداً ، ثمّ انطلق بهم يقودهم و الظلمة تسوقهم من خلفهم و تحرسهم من خلفهم و النور أمامهم يقوده و يدلّه و هو يسير في ناحية الأرض اليمنى ، و هو يريد الاُمّة الّتي في قطر الأرض الأيمن الّتي يقال لها « هاويل » و سخّر الله له قلبه و يده ورأيه و عقله و نظره ، فلا يخطىء إذا عمل عملاً ، فانطلق يقود تلك الاُمم و هي تتبعه ، فإذا هي أتت إلى بحر أو مخاضة بنى سفناً من ألواح صغار ، أمثال البغال ، فنظمها في ساعة ثمّ حمل فيها جميع من معه من تلك الاُمم وتلك الجنود فإذا هي قطع الأنهار والبحار فتقها . ثمّ دفع إلى كلّ رجل منهم لوحاً فلم يكرثه حمله فلم يزل ذلك دأبه حتّى انتهى إلى « هاويل » فعمل فيها كفعله في « ناسك » فلمّا فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتّى انتهى إلى « منسك » عند مطلع الشمس فعمل فيها و جنّد جنوداً كفعله في الاُمّتين قبلهما ، ثمّ كرّ مقبلاً حتّى أخذ ناحية [الأرض] اليسرى و هو يريد « قاويل » وهي الاُمّة الّتي بحيال « هاويل » و هما متقابلتان بينهما عرض الأرض كلّه ، فلمّا بلغها عمل فيها و جنّد فيها كفعله في ماقبلها ، فذلك قوله تعالى «حتّى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً» يعني: مسكنا .

قال قتادة : لم يكن بينهم و بين الشمس ستر ، وذلك أنّهم كانوا في مكان لا يستقرّ عليه بناء ، وكانوا يكونون في أسراب لهم ، حتّى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم . وقال الحسن : كانت أرضهم أرضاً لا تحتمل البناء فكانوا إذا طلعت عليهم الشمس هووا في الماء ، فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعوا كما تتراعى البهائم . و قال ابن جريح : وجاءهم جيش مرّة و قال لهم أهلها لا يطلع عليكم الشمس وأنتم بها ! فقالوا : ما نبرح حتّى تطلع الشمس فنراها ، فماتوا . و قيل : فذهبوا بها هاربين في الأرض . وقال الكلبيّ : هم اُمّة يقال لها منسك حفاة عماة عن الحقّ . قال : وحدّثنا عمرو بن مالك بن اُميّة قال : وجدت رجلاً بسمرقند يحدّث الناس و هم يجتمعون حوله ، فسألت بعض من سمع فأخبرني أنّه حدّثهم عن القوم الّذين تطلع عليهم الشمس.

قال : قال : خرجت حتّى إذا جاوزت الصين ، ثمّ سألت عنهم ،فقيل : إنّ بينك وبينهم مسيرة يوم وليله ، فاستأجرت رجلاً فسرت بقيّة عشيّتي وليلتي حتّى صبّحتهم ، فإذا أحدهم يفرش اُذنه ويلبس الاُخرى وكان صاحبي يُحسن لسانهم فسألهم ، وقال : جئنا ننظر كيف تطلع الشمس ، فبينا نحن كذلك إذسمعنا كهيئة الصلصلة فغشي عليّ فأفقت وهم يمسحونني بالدهن ، فلمّا طلعت الشمس على الماء فإذا هو يغلي كهيئة الزيت ، و إذا طرف السماء كهيئة الفسطاط . فلمّا ارتفعت أدخلوني في سرب لهم أنا و صاحبي . فلمّا ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه بالشمس فينضج.

ثمّ قال الثعلبيّ : قالت العلماء بأخبار القدماء :لمّا فرغ ذوالقرنين من أمر الاُمم الّذين هم بأطراف الأرض وطاف الشرق و الغرب عطف فيها إلى الاُمم الّتي في وسط الأرض من الجنّ و الإنس و يأجوج و مأجوج . فلمّا كان في بعض الطريق ممّا يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له اُمّة صالحة من الإنس : ياذاالقرنين إنّ بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله تعالى ليس فيهم مشابه الإنس و هم مشابه البهائم ، يأكلون العشب و يفترسون الدوابّ و الوحش كما تفترسها السباع ، و يأكلون حشرات الأرض كلّها من الحيّات و العقارب وكلّ ذي روح ممّا خلق الله تعالى في الأرض ، وليست(١) لله تعالى خلق ينمو نماءهم ولا يزداد كزيادتهم ! فإن أتت مدّة على مايرى من نمائهم و زيادتهم فلا شكّ أنّهم سيملؤون الأرض ويجلون أهلها منها و يظهرون عليها ويفسدون فيها ، وليست تمرّ بنا سنة مذ جاوزناهم إلّا و نحن نتوقّعهم أن يطلع علينا أوّلهم من بين هذين الجبلين « فهل نجعل لك خرجاً » أي جعلاً و أجراً « على أن تجعل بيننا و بينهم سدّا » حاجزاً فلا يصلون إلينا ؟ فقال لهم ذوالقرنين « مامكّنّي فيه ربّي خير» أي ماقوّاني عليه خير من خرجكم « ولكن أعينوني بقوّة أجعل بينكم وبينهم ردما» أي حاجزاً كالحائط . قالوا : وماتلك القوّة ؟ قال: فعلة وصنّاع يحسنون البناء والعمل و آلة (٢) . قالوا : و ما تلك الآلة ؟ « قال آتوني زبر الحديد » يعني قطعاً ــ واحدتها

(١) ليس (ظ) .
(٢) الاله (خ) .

زبرة ـ و آتوني بالنحاس . فقالوا : ومن أين لنا الحديد و النحاس مايسع هذا العمل؟ قال : سأُريكم على [١] معادن الحديد و النحاس ، فضرب لهم في جبلين حتّى فلقهما ثمّ استخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس . قالوا : بأيّ قوّة نقطع الحديد والنحاس؟ فاستخرج لهم معدناً آخر من تحت الأرض يقال له « السامور » و هو أشدّ ما خلق الله تعالى بياضاً ، و هو الّذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس و صخوره و جواهره، ثمّ قاس ما بين الجبلين ثمّ أوقد على جمع [٢] من الحديد و النحاس النار ، فصنع منه زبراً أمثال الصخور العظام ، ثمّ أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور من الحديد ثمّ بنى . وكيفيّة بنائه على ماذكر أهل السير هو أنّه لمّا قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ ، فلمّا أنشأ في عمله حفر له الأساس حتّى بلغ الماء ، ثمّ جعل عرضه خمسين فرسخاً ، ثمّ وضع الحطب بين الجبلين ثمّ نسج عليه الحديد ثمّ نسج الحطب على الحديد ، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب و الحطب على الحديد « حتّى ساوى بين الصدفين » و هما الجبلان ، ثمّ أمر بالنار فأُرسلت فيه ثمّ « قال انفخوا حتّى جعله ناراً » ثمّ جعل يفرغ القطر عليه و هو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب فيصير النحاس مكان الحطب حتّى لزم الحديد النحاس ، فصار كأنّه برد حبرة من صفرة النحاس و حمرته و سواد الحديد و غبرته ، فصار سدّاً طويلاً عظيماً حصيناً كما قال تعالى « فما اسطاعوا أن يظهروه و ما استطاعوا له نقبا » . و قال قتادة : ذكر لنا أنّ رجلاً قال : يا نبيّ الله قد رأيت سدّ يأجوج و مأجوج قال : انعته لي . قال كالبرد الحبر طريقة سوداء و طريقة حمراء . قال : قد رأيته . و يقال : إنّ موضع السدّ وراء « ملا ذجرد » بقرب مشرق الصيف [٣] بينه و بين الخزرة مسيرة اثنين و سبعين يوما .

و روي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق و المغرب و كان له خليل من الملائكة اسمه « رفائيل » يأتيه و يزوره ، فبينما هما ذات يوم يتحدّثان إذ قال ذو القرنين : يا رفائيل ! حدّثني عن عبادتكم في السماء

(١) لفظة « على » زائدة ظاهراً . (٢) ما جمع (ظ) .
(٣) كذا .

فبكى و قال : يا ذاالقرنين ! و ما عبادتكم عند عبادتنا ؟ ! إنّ في السماء من الملائكة من هو قائم أبداً لا يجلس ، و منهم الساجدلا يرفع رأسه أبداً ، و منهم الراكع لا يستوي قائماً أبداً ، يقول : سبحان الملك القدّوس ربّ الملائكة و الروح ، ربّنا ما عبدناك حقّ عبادتك . فبكى ذوالقرنين بكاءً شديداً ثمّ قال : إنّي لاُحبّ أن أعيش فأبلغ من عبادة ربّي حقّ طاعته ! فقال رفائيل : أو تحبّ ذلك يا ذاالقرنين ؟ قال : نعم ، فقال رفائيل : فإنّ لله تعالى عيناً في الأرض تسمّى « عين الحياة » فيها من الله عزّ وجلّ عزيمة أنّه من شرب منها لم يمت أبداً حتّى يكون هو الّذي يسأل ربّه الموت ! فقال ذوالقرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين ؟ فقال : لا ، غير أنّا نتحدّث في السماء أنّ لله تعالى في الأرض ظلمة لا يطأها إنس ولا جانّ ، فنحن نظنّ أنّ تلك العين في تلك الظلمة . فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض و أهل دراسة الكتب و آثار النبوّة فقال لهم : أخبروني هل وجدتم في ما قرأتم من كتب الله تعالى و ما جاءكم من أحاديث الأنبياء و من كان قبلكم من العلماء أنّ الله تعالى وضع في الأرض عيناً سمّاها « عين الحياة » ؟ فقالت العلماء : لا ، فقال عالم من العلماء ـ و اسمه « فتحيز [1] » ـ إنّي قرأت وصيّة آدم فوجدت فيها أنّ الله خلق في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جانّ و وضع فيها عين الخلد . فقال ذوالقرنين : صدقت . ثمّ حشد إليه الفقهاء و الأشراف و الملوك و سار يطلب مطلع الشمس ، فسار اثني عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة ، فإذا ظلمة تفور مثل الدخان ليست بظلمة ليل ، فعسكر هناك ثمّ جمع علماء عسكره فقال : إنّي اُريد أن أسلك هذه الظلمة ! فقال العلماء : أيّها الملك إنّه من كان قبلك من الأنبياء والملوك لم يطلبوا هذه الظلمة فلا تطلبها ، فإنّا نخاف أن ينفتق عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد أهل الأرض . فقال : لابدّ من أن أسلكها . فقالوا : أيّها الملك كفّ عن هذه الظلمة ولا تطلبها ، فإنّا لو نعلم أنّك إن طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لاتّبعناك ، و لكنّا نخاف العنت من الله تعالى و فساداً في الأرض و من عليها . فقال

(١) خضر (ظ) .

ذوالقرنين : لابدّ من أن أسلكها . فقالت العلماء : شانك بها . فقال ذوالقرنين : أيّ الدوابّ أبصر ؟ قالوا : الخيل . قال : فأيّ الخيل أبصر ؟ قالوا : الإناث . قال : فأيّ الإناث أبصر ؟ قالوا : البكارة . فأرسل ذوالقرنين فجمع له ستّة آلاف فرس اُنثى بكارة ثمّ انتخب من عسكره أهل الجلد و العقل ستّة آلاف رجل ، فدفع إليهم كلّ رجل فرساً ، و عقد للخضر على مقدّمته على ألفين و بقي ذو القرنين في أربعة آلاف . و قال ذوالقرنين للناس: لاتبرحوامن معسكركم هذا اثني عشرة سنة ، فإن نحن رجعنا إليكم و إلّا فارجعوا إلى[1] بلادكم . فقال الخضر : أيّها الملك ، إنّا نسلك ظلمة [هو] لا ندري كم السير[2] فيها ولا يبصر بعضنا بعضاً، فكيف نصنع بالضلال إذا أصابنا ؟ فدفع ذوالقرنين إلى الخضر خرزة حمراء فقال : حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فإذا صاحت فليرجع أهل الضلال إليها أين صاحت . فصار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر و ينزل ذوالقرنين ، فبينما الخضر يسير إذ عرض له واد فظنّ أنّ العين في الوادي واُلقي في قلبه ذلك ، فقام على شفير الوادي وقال لأصحابه : قفوا ولايبرحنّ رجل من موقفه ! فرمى بالخرزة فمكث طويلاً ثمّ أجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى إليها ، فإذا هي على جانب العين ، فنزع الخضر ثيابه ثمّ دخل العين فإذا ماء أشدّ بياضاً من اللبن و أحلى من الشهد فشرب و اغتسل و توضّأ و لبس ثيابه ، ثمّ رمى بالخرزة نحو أصحابه فوقفت الخرزة فصاحت ، فرجع الخضر إلى صوتها و إلى أصحابه ، فركب و قال لأصحابه : سيروا باسم الله .

ومرّ ذوالقرنين فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوماً وليلة ، ثمّ خرجوا إلى ضوء ليس بضوء شمس ولاقمر ولأرض حمراء ورملة خشخاشة -أي مصوّتة- فإذا هو بقصر مبنيّ في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب ،فنزل ذوالقرنين بعسكره ثمّ خرج وحده حتّى دخل القصر ،فإذا حديدة قدوضعت طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا و إذا بطائر[3] أسود شبيه بالخطاف مزموم بأنفه إلى الحديدة معلّق بين السماء والأرض

---

(١) في اكثر النسخ ، على . (٢) نسير (خ) .
(٣) طائر (خ) :

فلمّا سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال: من هذا ؟ قال : أنا ذوالقرنين . فقال الطائر: ياذاالقرنين أماكفاك ماوراك حتّى وصلت إليّ ؟! ثمّ قال الطائر : ياذاالقرنين حدّثني فقال ذوالقرنين : سل ، فقال : هل كثر بناء الآجر و الجصّ في الأرض ؟ قال : نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثمّ انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ، ثمّ قال : ياذاالقرنين هل كثرت المعازف ؟ قال : نعم ، فانتفض الطير وامتلأ حتّى ملأ من الحديدة ثلثيها ، ثمّ قال : هل كثرت شهادات الزور في الأرض ؟ قال : نعم ، فانتفض الطائر انتفاضة فملأ الحديدة وسدّ ما بين جداري القصر ، فخشي[1] وخاف ذوالقرنين و فرق فرقاً شديداً ، فقال الطائر: ياذا القرنين لاتخف ! حدّثني . قال : سل ، قال هل يترك[2] الناس شهادة أن لاإله إلّاالله قال : لا ، قال : فانضمّ الطائر ثلثاً ، ثمّ قال : ياذا القرنين هل ترك الناس الصلاة المفروضة [بعد] ؟ قال : لا ، قال : فانضمّ الطائر ثلثاً ، ثمّ قال : ياذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد ؟ قال : لا ، قال فصار الطائر كما كان . ثمّ قال : اسلك يا ذاالقرنين هذه الدرجة درجة إلى أعلى القصر ، فسلكها ذوالقرنين و هو خائف وجل لايدري على مَ يهجم ، حتّى استوى على صدر الدرج ، فإذا سطح ممدود عليه صورة رجل شابّ قائم عليه ثياب بيض ، رافعاً وجهه إلى السماء واضعاً يديه على فيه ، فلمّا سمع خشخشة ذي القرنين قال : ماهذا ؟ قال : أنا ذوالقرنين . قال : ياذا القرنين إنّ الساعة قداقتربت ، و أنا أنتظر أمر ربّي يأمرني أن أنفخ فأنفخ . ثمّ أخذ صاحب الصور شيئاً من بين يديه كأنّه حجر فقال : خذها ياذا القرنين ! فإن شبع هذا شبعت و إن جاع هذا جعت . فأخذ ذوالقرنين الحجر و نزل إلى أصحابه ، فحدّثهم بأمر الطائر وما قال له وما ردّ عليه وما قال صاحب الصور . ثمّ جمع علماء عسكره فقال : أخبروني عن هذا الحجر ما أمره ؟ فقالوا : أيّها الملك أخبرنا بما قال لك فيه صاحب الصور . فقال ذوالقرنين : إنّه قال لي : إن شبع هذا شبعت و إن جاع جعت . فوضعت العلماء ذلك الحجر في إحدى كفّتي الميزان و أخذوا حجراً مثله فوضعوه في الكفّة الأخرى ثمّ

(١) فجثى (خ) .

(٢) ترك (ط) .

رفعوا الميزان فإذا الّذي جاء به ذوالقرنين يميل ، فوضعوا معه آخر و رفعوا الميزان فإذا هو يميل بهنّ فلم يزالوا يضعون حتّى وضعوا ألف حجر فرفعوا الميزان فمال بالألف جميعاً ! فقالت العلماء : انقطع علمنا دون هذا لاندري أسحر هذا أم علم مالا نعلمه! فقال الخضر وكان قد وافاه : نعم ، أنا أعلمه . فأخذ الخضر الميزان بيده ، ثمّ أخذ الحجر الّذي جاء به ذوالقرنين فوضعه في إحدى الكفّتين فأخذ حجراً من تلك الحجارة فوضعه في الكفّة الاُخرى ثمّ أخذ كفّاً من تراب فوضعه على الحجر الّذي جاء به ذوالقرنين ، ثمّ رفع الميزان فاستوى ! فخرّت العلماء سجّداً لله تعالى وقالوا : سبحان الله ! هذا علم لا يبلغه علمنا ، والله لقد وضعنا ألفاً فمااستقلّ به . فقال الخضر : أيّها الملك ، إنّ سلطان الله عزّ وجلّ قاهر لخلقه ، و أمره نافذ فيهم ، و حكمه جارٍ عليهم ، فانّ الله تعالى ابتلى خلقه بعضهم ببعض : فابتلى العالم بالعالم ، والجاهل بالجاهل ، والعالم بالجاهل، والجاهل بالعالم ، و إنّه ابتلاك بي وابتلاني بك . فقال ذوالقرنين : صدقت ، فأخبرنا عن هذا المثل .فقال الخضر : هذا مثل ضربه لك صاحب الصور : إنّ الله عزّ وجلّ مكّن لك في البلاد و أعطاك منها مالم يعط أحداً و أوطأك منها مالم يوطىء أحداً فلم تشبع ، فأبت نفسك شرهاً حتّى بلغت من سلطان الله مالم يطأه إنس ولا جانّ ، فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور إنّ ابن آدم لا يشبع أبداً دون أن يحثى عليه التراب ، ولا ملأ جوفه إلّا التراب . فبكى ذو القرنين ، ثمّ قال : صدقت ياخضر في ضرب هذا المثل ، لاجرم لأطلب أثراً في البلاد بعد مسيري هذا حتّى أموت . ثمّ انصرف راجعاً حتّى إذاكان في وسط الظلمة وطأ الوادي الّذي فيه الزبرجد ، فقال من معه لمّا سمعوا خشخشة تحت أقدامهم وأقدام دوابّهم : ماهذا تحتنا ياأيّها الملك ؟ فقال ذوالقرنين : خذوا منه فإنّه من أخذ ندم ومن ترك ندم ، فمنهم من أخذ الشيء ومنهم من تركه ، فلمّا خرجوا من الظلمة إذاهوالزبرجد ، فندم الآخذ والتارك .

قال: وكان رسول الله ﷺ يقول: رحم الله أخي ذاالقرنين، لوظفر بوادي الزبرجد في مبتداه ماترك منها شيئاً حتّى يخرجه إلى الناس لأنّه كان راغباً في الدنيا و لكنّه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لاحاجة له فيها . ثمّ رجع إلى العراق وملك ملوك الطوائف

ومات في طريقه بشهر روز[١] . وقال عليّ بن أبي طالب ـ صلوات‌الله ـ : ثمّ إنّه رجع إلى « دومة الجندل » وكان منزله فأقام بها حتّى مات ـ انتهى ـ .

وقال الطبرسيّ ـ ره ـ في قوله‌تعالى «إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في‌الأرض» فسادهم أنّهم‌كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابّهم. وقيل : كانوا يخرجون أيّام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلاّ أكلوه ولا يابس إلاّ احتملوه،عن‌الكلبيّ ـ وقيل: أراد أنّهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم . و ورد في الخبر عن حذيفة:قال:سألت رسول‌الله ﷺ عن‌يأجوج ومأجوج،فقال : يأجوج‌اُمّة،ومأجوج اُمّة‌كلّ‌اُمّة أربعمأة اُمّة لا يموت الرجل منهم حتّى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلّ قد حمل السلاح قلت : يارسول الله صفهم لنا . قال : هم ثلاثة أصناف : صنف منهم أمثال الآرز . قلت : يارسول‌الله وما الآرز ؟ قال : شجر بالشام طويل ، ومنهم طوله وعرضه[٢] سواء،وهؤلاء الّذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد ، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى اُذنيه و يلتحف بالاُخرى ولا يمرّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلاّ أكلوه . من مات منهم أكلوه ، مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان ، يشربون أنهار المشرق و بحيرة « طبريّة » قال وهب و مقاتل : إنّهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك . و قال السدّي : الترك سريّة من يأجوج و مأجوج ، خرجت تُغير ، فجاء ذو القرنين فضرب السدّ فبقيت خارجته ، و قال قتادة : إنّ ذا القرنين بنى‌السدّ على إحدى و عشرين قبيلة ، و بقيت منهم قبيلة دون السدّ فهم الترك . وقال كعب : هم نادرة من ولد آدم وذلك أنّ آدم احتلم ذات‌يوم وامتزجت نطفته بالتراب‌فخلق‌الله من‌ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متّصلون بنا من جهة الأب دون الاُمّ . وهذا بعيد[٣] .

« وهم من كلّ حدب ينسلون » قال ـ ره ـ : أي من كلّ نشز من الأرض يسرعون ، يعني أنّهم متفرّقون في الأرض فلا ترى أكمة إلّا وقوم منهم يهبطون منها

---

(١) بشهر زور (خ) .

(٢) في المصدر : ... طول ، و صنف منهم طولهم و عرضهم سواء .

(٣) مجمع البيان : ج ٦ ، ص ٤٩٤ .

مسرعين [١] . و قال ـ رحمه الله ـ في « ق » قيل : هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمرّدة خضراء خضرة السماء منها ، عن الضحّاك وعكرمة [٢] . وقال ـ رحمه الله ـ : في « والطور » : أقسم سبحانه بالجبل الّذي كلّم عليه موسى بالأرض المقدّسة ، وقيل : هو الجبل أقسم به لمـّا أودع فيه من أنواع نعمه [٣] . و في قوله تعالى « و إلى الجبال كيف نصبت » : أي أفلا يتفكّرون في خلق الله سبحانه الجبال أوتاداً للأرض ومسكّنة لها ، و أنّه لولاها لمادت الأرض بأهلها [٤] .

١ ـ **الخصال** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبي يحيى الواسطيّ ، بإسناده رفعه إلى الصادق عليه السلام قال : الدنيا سبعة أقاليم ، يأجوج ومأجوج و الروم والصين و الزنج وقوم موسى وأقاليم بابل [٥] .

بيان : لعلّ المراد هنا بيان أقاليم الدنيا باعتبار أصناف الناس واختلاف صورهم و ألوانهم و طبائعهم ، والغرض إمّا حصرهم فيها فأقاليم بابل المراد بها مايشمل أشباههم من العرب و العجم ، و الصين يشمل جميع الترك ، والزنج يشمل الهنود ، أو بيان غرائب الأصناف من الخلق وهو أظهر . والمراد بقوم موسى أهل جابلقا وجابرسا كما مرّ .

٢ ـ **الخصال** : عن القاسم بن محمّد بن أحمد بن عبدويه السرّاج ، عن عليّ بن الحسن بن [٦] سعيد البزّاز ، عن حميد [٧] بن زنجويه ، عن عبد الله بن يوسف ، عن خالد بن يزيد بن صبيح ، عن طلحة بن عمرو الحضرميّ ، عن عطا ، عن ابن عباس ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : من الجبال الّتي تطايرت يوم موسى عليه السلام سبعة أجبل ، فلحقت بالحجاز و اليمن ، منها بالمدينة : أُحد ، و ورقان ؛ وبمكّة : ثور ، وثبير وحرى ؛ و

---

(١) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ٦٤ .
(٢) المصدر ، ج ٩ ، ص ١٤١ .
(٣) « ، ج ٩ ، ص ١٦٣ .
(٤) « ، ج ١٠ ، ص ٤٨٠ .
(٥) الخصال ، ج ٢ ص ١٠ (أبواب السبعة) .
(٦) في المصدر : أبوالحسن علي بن سعيد البزاز .
(٧) « و بعض نسخ الكتاب ، سعيد بن زنجويه .

باليمن : صبر ، وحضور [١] .

توضيح : قال الفيروزابادي : « ورقان » بكسر الراء جبل أسود بين العرج والرويثة بيمين المصعد من المدينة إلى مكّة ـ حرسهما الله تعالى ـ وقال : « ثور» جبل بمكّة . و قال : ثبير و الاثبرة و ثبير الخضراء و النصع و الزنج و الأعرج و الأحدب و غنياء جبال بظاهر مكّة . وقال : حراء ـ ككتاب وكعلى عن عياض يؤنّث ويمنع ـ: جبل بمكّة فيه غار تحنث فيه النبيّ ﷺ أي تعبّد واعتزل . وقال : الصبر ـ ككتف ولا يسكن إلاّ في ضرورة شعر ـ : جبل مطلّ على تعز . و قال : تعز ـ كتقل ـ قاعدة اليمن . وقال : حضور كصبور جبل وبلد باليمن .

٣ ـ **الخصال** : عن أبيه و محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن أحمد بن إدريس ومحمّد ابن يحيى العطّار معاً ، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ ، عن محمّد بن الحسين ، عن أحمد بن عليّ ، عن زيد بن مهران ، عن محمّد بن عبد الجبّار ، عن الحسين بن زيد ، قال: بلغني أنّ الله عزّ وجلّ خلق الجبل من أربعة أشياء : من البحر الأعظم المحدق بالدنيا ، و من النار ، و من دموع ملك يقال له إبراهيم ، و من بئر طيّبة [٢] . والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

بيان : « خلق الجبل » كذا في بعض النسخ بالجيم و الباء الموحّدة ، و في أكثر النسخ بالخاء المعجمة و الياء المثنّاة التحتانيّة . و على التقديرين لعلّ فيه تجوّزاً واستعارة ، مع أنّ الخبر موقوف لم يسند إلى إمام و كأنّ في « البئر » أيضاً تحريفاً .

٤ ـ **تفسير علي بن ابراهيم** : « ق و القرآن المجيد » قال : ق جبل محيط بالدنيا وراء يأجوج ومأجوج ، وهو قسم [٣] .

٥ ـ **ومنه** : عن أحمد بن عليّ وأحمد بن إدريس معاً ، عن محمّد بن أحمد العلويّ عن العمركيّ ، عن محمّد بن الجمهور ، عن سليمان بن سماعة ، عن عبد الله بن القاسم

---

(١) الخصال ، ج٢ ص٣ (أبواب السبعة) .

(٢) الخصال ، ١٢٣ .

(٣) تفسير القمي ، ٦٤٣ .

عن يحيى بن ميسرة الخثعمي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : « عسق » عداد سني القائم [١] و « ق » جبل محيط بالدنيا من زمرّد أخضر ، فخضرة السماء من ذلك الجبل وعلم عليّ كلّه في « عسق » [٢] .

٦ ــ **العيون و العلل** : في خبر الشامي : سأل أمير المؤمنين عليه السلام ممّا خلقت الجبال ؟ قال : من الأمواج [٣] .

٧ ــ **البصائر** : عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن عثمان بن عيسى عن سماعة بن مهران ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال : إنّ عليّاً عليه السلام ملك ما في الأرض و ما تحتها ، فعرضت له السحابان : الصعب ، و الذلول ، فاختار الصعب ، فكان في الصعب ملك ما تحت الأرض وفي الذلول ملك مافوق الأرض ، واختار الصعب على الذلول فدارت به سبع أرضين فوجد ثلاث خراب و أربع عوامر .

٨ ــ **و منه** : عن أحمد بن محمّد ، عن ابن سنان ، عن أبي خالد و أبي سلام ، عن سورة [٤] ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أما إنّ ذاالقرنين قد خيّر بين السحابين فاختار الذلول و ذخر لصاحبكم الصعب . قال : قلت : و ما الصعب ؟ قال : ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أوبرق فصاحبكم يركبه . أما إنّه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السموات السبع و الأرضين السبع : خمس عوامر ، و اثنتان خرابان .

بيان : لعلّ الخامسة عمارتها قليلة فعدّت في الخبر السابق من الخراب لذلك .

٩ ــ البصائر للصفّار و منتخب البصائر لسعد بن عبدالله ، عن سلمة ، عن أحمد بن عبدالرحمن ، عن محمّد بن سليمان ، عن يقطين الجواليقيّ ، عن قلقلة [٥] عن أبي جعفر

---

(١) القسم (خ) .

(٢) تفسير القمي : ٥٩٥ و فيه : و علم كل شيء في عسق .

(٣) العيون : ج ١ ، ص ٢٤١ ، العلل : ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٤) الظاهر أنه سورة بن كليب بن معاوية الاسدي لتصريحه في جامع الرواة برواية أبي سلام عنه ذكره العلامة في القسم الاول من الخلاصة ، و روى الكشي حديثاً يستشهد به لصحة عقيدته لكنه لايصير دليلا على قبول قوله . قال الشهيد الثاني في التعليقة « لايخفى ان الخبر لايدل على قبول روايته لوسلم سنده فكيف مع ضعفه » .

(٥) لم نجد له ذكراً في كتب الرجال .

عليه السلام قال : إنّ الله خلق جبلاً محيطاً بالدنيا من زبرجد أخضر ، و إنّما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل ، و خلق خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً ممّا افترض على خلقه من صلاة و زكاة ، و كلّهم يلعن رجلين من هذه الأمّة و سمّاهما .

١٠ ــ **جامع الاخبار** : سئل النبيّ ﷺ عن القاف و ما خلفه ، قال : خلفه سبعون أرضاً من ذهب ، وسبعون أرضاً من فضّة ، و سبعون أرضاً من مسك ، خلفه سبعون أرضاً سكّانها الملائكة لا يكون فيها حرّ ولا برد ، و طول كلّ أرض مسيرة عشرة ألف سنة . قيل : و ما خلف الملائكة ؟ قال : حجاب من ظلمة ، قيل : و ما خلفه ؟ قال : حجاب من ريح ، قيل : وماخلفه ؟ قال : حجاب من نار ، قيل : و ماخلفه ؟ قال: حيّة محيطة بالدنيا كلّها تسبّح الله إلى يوم القيامة و هي ملك الحيّات كلّها . قيل : و ما خلفه ؟ قال : حجاب من نور . قيل : و ما خلفه ؟ قال : علم الله و قضاؤه . وسئل ﷺ عن عرض قاف و طوله و استدارته ، فقال : عرضه مسيرة ألف سنة من ياقوت أحمر قضيبه من فضّة بيضاء و زجّه[1] من زمرّدة خضراء ، له ثلاث ذوائب من نور : ذؤابة بالمشرق و ذؤابة بالمغرب ، و الأخرى في وسط السماء عليها مكتوب ثلاثة أسطر : الأوّل بسم الله الرحمن الرحيم ؛ الثاني الحمد لله ربّ العالمين ؛ الثالث لا إله إلّا الله ؛ محمد رسول الله .

١١ ــ **الدر المنثور** : عن كعب ، في قوله « حتّى توارت بالحجاب » قال: حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق ، فمنه اخضرّت السماء الّتي يقال لها : السماء الخضراء و اخضرّ البحر من السماء فمن ثمّ يقال : البحر الأخضر [2] .

وعن ابن مسعود أيضاً مثله .

بيان : الأخبار المنقولة من الكتابين ضعيفة عاميّة وقد مرّ أشباهها وبعض القول فيها في باب العوالم .

---

(١) الزج ـ بضم الزاى وتشديد الجيم ـ ، الحديدة التى فى أسفل الرمح ويقابله السنان.

(٢) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٠٩ . وليس رواية ابن مسعود مثلها بل هى هكذا، قال، تورات بالحجاب من وراء قرية خضرة السماء منها .

١٢ - كتاب الأقاليم والبلدان : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قرأ « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - إلى - وكذلك تخرجون » كتب له من الحسنات بعدد كل ورقة ثلج[1] على جبل سيلان . قيل : وما السيلان يا رسول الله ؟ قال : جبل بأرمنية و آذربيجان عليه عين من عيون الجنة و فيه قبر من قبور الأنبياء .

قال أبو حامد الأندلسي : على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه، ماؤها أبرد من ماء الثلج كأنما يشبه بالعسل لشدة عذوبته ، و بجوف هذا الجبل ماء يخرج من عين يصلق البيض لحرارته يقصدها الناس لمصالحهم ، و بحضيض هذا الجبل شجر كثير ومراع و شيء من حشيش لا يتناوله إنسان ولا حيوان إلا مات لساعته .

قال القزويني : ولقد رأيت الخيل و الدواب ترعى في هذا الجبل فإذا قربت من ذلك الحشيش نفرت و ولت منهزمة كالمطرودة ، و قال : قال القزويني : في قرية من قرى قزوين جبل حدثني من صعده أن عليه صورة كل حيوان من الحيوان على اختلاف أجناسها و صور الآدميين على أنواع أشكالها عدد لا تحصى وقد مسخوا حجارة و فيه الراعي متكئاً على عصاه ، و الماشية حوله كلها حجارة ، و امرأة تحلب بقرة وقد تحجر ، والرجل يجامع امرأته وقد تحجر ، وامرأة ترضع ولدها وهلم جراً هكذا.

١٣- وقال : حكي أنه دخل على جعفر الصادق عليه السلام رجل من همدان ، فقال له جعفر الصادق عليه السلام : من أين أنت ؟ قال : من همدان ، فقال له : أتعرف جبلها «راوند» قال له الرجل : جعلت فداك ، إنه « أروند » قال: نعم ، إن فيه عيناً من عيون الجنة .

بيان : كان الجبل مسمى بكلا الاسمين ، و الصحيح من اسمه « راوند » وإنما صدقه لأنه هكذا أعرف عندهم .

و قال : جبل قاف محيط بالأرض كإحاطة بياض العين بسوادها ، و ماوراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا . و قال بعض المفسرين : إن لله سبحانه و تعالى من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس و بها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه من هيبة الله تعالى

(١).. ثلج تقع على... (خ) .

ولا يعرفون ما آدم و ما إبليس ، هكذا إلى يوم القيامة . وقيل : إنّ يوم القيامة تبدّل أرضنا هذه بتلك الأرض والله أعلم .

و قال : السرنديب هو جبل بأعلى الصين في بحر الهند و هو الجبل الّذي اُهبط عليه آدم عليه السلام و عليه أثر قدمه غائص في الصخرة طوله سبعون شبراً ، وعلى هذا الجبل ضوء كالبرق ولا يتمكّن أحد أن ينظر إليه ، ولابدّ لكلّ يوم فيه من المطر فيغسل قدم آدم عليه السلام . و حوله من أنواع اليواقيت والأحجار النفيسة و أصناف العطر والأدوية ما لا يوصف ، فإنّ آدم خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهو مسيرة يومين .

وقال : حكي عن عبادة بن الصامت قال : أرسلني أبوبكر إلى ملك الروم رسولاً لأدعوه إلى الإسلام ، فسرت حتّى دخلت بلاد الروم ، فلاح لنا جبل يعرف بأهل الكهف فوصلنا إلى دير فيه و سألنا أهل الدير عنهم ، فأوقفونا على سرب في الجبل فوهبنا لهم شيئاً و قلنا نريد أن ننظر إليهم ، فدخلوا و دخلنا معهم ، و كان عليهم باب من حديد ففتحوه لنا فانتهينا إلى بيت عظيم محفور في الجبل فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كأنّهم رقود و على كلّ واحد منهم جبّة غبراء و كساء أغبر قد غطّوا بها من رؤسهم إلى أقدامهم ، فلم ندر ما ثيابهم من صوف أو وبر إلّا أنّها كانت أصلب من الديباج فلمسناها فإذا هي تتقعقع من الصفاقة ، وعلى أرجلهم الخفاف إلى أنصاف سوقهم مستنعلين بنعال مخصوفة [1] و خفافهم و نعالهم في جودة الخزّ و لين لجلود مالم ير مثله . قال : فكشفنا عن وجوههم رجلاً رجلاً فإذا هم في وضاءة الوجوه و صفاء الألوان و حسن التخطيط ، وهم كالأحياء بعضهم في نضارة الشباب ، و بعضهم قد خطّه الشيب ، و بعضهم شعورهم مظفورة ، و بعضهم شعورهم مضمومة وعلى زيّ المسلمين ، فانتهينا إلى آخرهم فإذا فيهم مضروب على وجهه بسيف كأنّما ضرب في يومه ! فسألنا عن حالهم وما يعلمون من اُمورهم ، فذكروا أنّهم يدخلون عليهم في كلّ عام يوماً ، و يجتمع أهل تلك الناحية على الباب فيدخل عليهم من ينفض التراب عن وجوههم و أكسيتهم ، و يقلّم أظفارهم

(١) محفوفة (خ) .

و يقصّ شواربهم و يتركهم على هيئتهم هذه . قلنا لهم : هل تعرفون من هم و كم مدّة هم ههنا ؟ فذكروا أنّهم يجدون في كتبهم أنّهم كانوا أنبياء بعثوا إلى هذه البلاد في زمان واحد قبل المسيح بأربعمائة سنة . و عن ابن عبّاس أنّ أصحاب الكهف سبعة .

١٤ - نوادر عليّ بن أسباط : عن إبراهيم بن عليّ المحموديّ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن موسى ، عن أبيه ، عن جدّه جعفر بن محمّد ، عن محمّد بن عليّ عليهما السلام ، عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ونحن في مسجده فقال : من ههنا ؟ قلت : أنا يارسول الله و سلمان الفارسيّ . فقال : ياسلمان ادع لي مولاك عليّاً، فقد جاءتني فيه عزيمة من ربّ العالمين . قال جابر : فذهب سلمان فاستخرج عليّاً من منزله ، فلمّا دنا من رسول الله صلى الله عليه وآله خلا به فأطال مناجاته ، كلّ ذلك يسرّ إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سرّاً خفيّاً عنّا و وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يقطر عرقاً كنظم الدرّ يتهلّل حسناً ، ثمّ قال له لمّا انصرف من مناجاته : قد سمعت ووعيت فاحفظ ياعليّ . ثمّ قال : ياجابر ادع عمر وأبابكر . قال جابر : فذهبت إليهما فدعوتهما ، فلمّا حضراه قال : ياجابر ادع لي عبدالرحمن بن عوف . قال جابر: فدعوته ، فلمّا أتاه قال: ياسلمان اذهب إلى بيت امّ سلمة فأتني بالبساط الخيبريّ . قال جابر : فمالبثنا أن جاء ناسلمان بالبساط فأمره أن يبسط ، ثمّ أمر القوم فجلس كلّ واحد منهم على ركن من أركانه وكانوا ثلاثة ، ثمّ خلا رسول الله صلى الله عليه وآله فأطال مناجاته و أسرّ إليه سرّاً خفيّاً ثمّ أمره أن يجلس على الركن الرابع من البساط . ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : ياعليّ اجلس متوسّطاً وقل ماأمرتك به فإنّك لوقلته على الجبال لسارت ، أو قلته على الأرض لتقطّعت من ورائك ، ولطويت كلّ من بين يديك ، ولو كلّمت به الموتى لأجابوك بإذن الله . فقال له بعض القوم : يارسول الله هذا لعليّ خاصّة ؟ قال : نعم ، فاعرفوا ذلك له . قال جابر: فلمّا أخذ كلّ واحد مجلسه اختلج البساط فلم أره إلّا مابين السماء والأرض . فلمّا رجع سلمان خبّرني أنّهم ساروا مابين السماء و الأرض لايدرون أشرقاً أم غرباً حتّى انقضّ بهم البساط على كهف عظيم عليه باب من حجر واحد . قال سلمان : فقمت بالّذي أمرني به رسول الله صلى الله عليه وآله . قال جابر : فقلت لسلمان : ماأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال :

أمرني إذا استقرّ البساط مكانه من الأرض وصرنا عند الكهف أن آمر أبابكر بالسلام على أهل ذلك الكهف و على الجميع ، فأمرته ، فسلّم عليهم بأعلى صوته فلم يردّوا عليه شيئاً ، ثمّ سلّم اُخرى فلم يجب ، فشهدأصحابه على ذلك وشهدت عليه . ثمّ أمرت عمر فسلّم عليهم بأعلى صوته فلم يردّوا عليه شيئاً ، ثمّ سلّم اُخرى فلم يجب ، فشهد أصحابه على ذلك و شهدت عليه ، ثمّ أمرت عبد الرحمن بن عوف فسلّم عليهم فلم يجب فشهدوا أصحابه على ذلك وشهدت عليه . ثمّ قمت أنا فأسمعت الحجارة والأودية صوتي فلم اُجب ، فقلت لعليّ : فداك أبي و اُمّي ، أنت بمنزلة رسول الله ﷺ حتّى نرجع لك و لك السمع و الطاعة ، وقد أمرني أن آمرك بالسلام على أهل هذا الكهف آخر القوم ، و ذلك لما يريد الله لك و بك الشرف من شرف الدرجات . فقام عليّ فسلّم بصوت خفيّ فانفتح الباب فسمعناله صريراً شديداً ، ونظرنا إلى داخل الغار يتوقّد ناراً ، فملئنا رعباً و ولّى القوم فراراً ، فقلت لهم : مكانكم ! حتّى نسمع مايقال ، و إنّه لا بأس عليكم . فرجعوا ، فأعاد عليّ عليه السلام فقال : السلام عليكم أيّها الفتية الّذين آمنوا بربّهم. فقالوا : و عليك السلام يا عليّ و رحمة الله و بركاته وعلى من أرسلك ، بآبائنا واُمّهاتنا أنت يا وصيّ محمّد خاتم النبيّين و قائد المرسلين ونذير العالمين و بشير المؤمنين ، أقرئه منّا السلام و رحمة الله يا إمام المتّقين قد شهدنا لابن عمّك بالنبوّة و لك بالولاية و الإمامة و السلام على محمّد يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيّاً . قال : ثمّ أعاد عليّ عليه السلام فقال : السلام عليكم أيّها الفتية الّذين آمنوا بربّهم وزدناهم هدى . فقالوا: عليك السلام و رحمة الله وبركاته يامولانا و إمامنا . الحمدلله الّذي أرانا ولايتك وأخذ ميثاقنا بذلك و زادنا إيماناً وتثبيتاً على التقوى ، قد سمع من بحضرتك أنّ الولاية لك دونهم وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون . قال سلمان : فلمّا سمعوا ذلك أقبلوا على عليّ عليه السلام و قالوا : شهدنا و سمعنا فاشفع لنا إلى نبيّنا ليرضى عنّا برضاك . ثمّ تكلّم عليّ عليه السلام بما أمره رسول الله ﷺ مادرينا أشرقاً أم غرباً حتّى نزلنا كالطير الّذي يهوي من مكان بعيد و إذا نحن على باب المسجد ، فخرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : كيف رأيتم ؟ فقال القوم : نشهد كما شهد أهل الكهف و نؤمن كما آمنوا .فقال:

إن تفعلوا تهتدوا و ما على الرسول إلاّ البلاغ المبين ، فإن لم تفعلوا تختلفوا فمن وافى وافى الله [١] له ، و من نكص فعلى عقبيه ينقلب ، أفبعد المعرفة و الحجّة ؟ ! والّذي نفسي بيده لقد اُمرت أن آمركم ببيعته و طاعته ، فبايعوه و أطيعوه ، فقد نزل الوحي بذلك : « يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اُولي الأمر منكم [٢] » .
قال جابر : فبايعناه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن استقمتم على الطريقة لعليّ في ولايته اُسقيتم ماء غدقا ، وأكلتم من فوق رؤسكم و من تحت أرجلكم ، وإن لم تستقيموا اختلفت كلمتكم و شمت بكم عدوّكم ، و لتتبعنّ بني إسرائيل شيئاً شيئاً ، لو دخلوا جحر ضبّ لتبعتموهم فيه ! و طوبى لمن تمسّك بولاية عليّ من بعدي حتّى يموت و بلغني و أنا عنه راض ، قال جابر : و كان ذهابهم و مجيئهم من زوال الشمس إلى وقت العصر .

١٥ ــ **الدر المنثور** : عن ابن عباس قال : خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ، ثمّ خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له « ق » ، السماء الدنيا مترفرفة عليه ، ثمّ خلق من وراء ذلك الجبل أيضاً [٣] مثل تلك الأرض سبع مرّات ، ثمّ خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، ثمّ خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له « ق » السماء الثانية مترفرفة عليه . حتّى عدّ سبع أرضين و سبعة أبحر و سبعة أجبل [٤] قال : وذلك قوله « و البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر [٥] » .

١٦ ــ و عن عبدالله بن بريدة قال : «ق» جبل من زمرّد محيط بالدنيا عليه كنفا السماء [٦] .

١٧ ــ و عن مجاهد قال : «ق» جبل محيط بالأرض [٧] .

---

(١) فمن وفى وفى الله له (خ) .
(٢) النساء : ٥٨
(٣) في المصدر « أرضاً » وهو الصواب
(٤) في المصدر : وسبع سماوات .
(٥) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١٠١ ، والاية في سورة لقمان : ٢٧ .
(٦) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١٠١ .
(٧) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١٠٢ .

١٨ ـ و عن ابن عبّاس قال : خلق الله جبلاً يقال له «ق» محيط بالعالم وعروقه إلى الصخرة الّتي عليها الأرض فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فحرّك العرق الّذي يلي تلك القرية ، فيزلزلها و يحرّكها ، فمن ثمّ تحرّك القرية دون القرية [١] .

١٩ ـ **العلل و المجالس للصدوق** : عن محمّد بن عليّ ماجيلويه ، عن محمّد بن يحيى العطّار ، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ ، عن عيسى بن محمّد ، عن عليّ بن مهزيار عن عبدالله بن عمر ، عن عبدالله بن حمّاد ، عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال : إنّ ذاالقرنين لمّا انتهى إلى السدّ جاوزه فدخل في الظلمات ، فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع . فقال له الملك : يا ذاالقرنين ، أما كان خلفك مسلك؟ فقال له ذوالقرنين: من أنت ؟ قال: أنا ملك من ملائكة الرحمن موكّل بهذا الجبل، فليس من جبل خلقه الله عزّ وجلّ إلاّ و له عرق إلى هذا الجبل ، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها [٢] .

العياشي : عن جميل بن درّاج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن الزلزلة فقال : أخبرني أبي عن آبائه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ ذا القرنين لمّا انتهى إلى السدّ ــ إلى آخر الخبر ــ .

الفقيه : مرسلاً مثله [٣] .

بيان : « أما كان خلفك مسلك » أي لأيّ شيء جئت ههنا مع سعة الأرض خلفك ؟

٢٠ ـ **العلل** : عن أبيه ، عن محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ ، عن يعقوب بن يزيد ، عن بعض أصحابه ، عن محمّد بن سنان ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق الأرض فأمر الحوت فحملتها ، فقالت : حملتها بقوّتي، فبعث الله عزّ وجلّ حوتاً قدر شبر ، فدخلت في منخرها فاضطربت أربعين صباحاً ! فإذا أراد

---

(١) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٠٢ .

(٢) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٤١ مرسلا .

(٣) من لايحضره الفقيه ، ١٤٢ ، وفيه ، وقد تكون الزلزلة من غير ذلك .

الله عزّ وجلّ أن يزلزل أرضاً تراءت لهاتلك الحوتة الصغيرة فزلزلت الأرض فرقاً[١].

الفقيه : مرسلاً مثله . و فيه « قدر فتر » [٢] .

بيان : الفتر ـ بالكسر ـ : ما بين السبّابة والإبهام إذا فرقتهما. وتأنيث «فحملتها» و « قالت » بتأويل الحوتة أو السمكة . و « الفرق » بالتحريك : الخوف .

٢١ ـ **العلل** : عن محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن محمّد بن الحسن الصفّار، بإسناد له رفعه إلى أحدهم عليه السلام أنّ الله تبارك و تعالى أمر الحوت بحمل الأرض وكلّ بلدة من البلدان على فلس من فلوسه ، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يزلزل أرضاً أمر الحوت أن يحرّك ذلك الفلس فيحرّكه ، ولو رفع الفلس لانقلبت الأرض بإذن الله [٣] .

الفقيه : مرسلاً عن الصادق عليه السلام مثله [٤] .

بيان : قال الصدوق ـ قدّس سره ـ بعد إيراد تلك الأخبار الثلاثة في الفقيه : والزلزلة تكون من هذه الوجوه الثلاثة و ليست هذه الأخبار بمختلفة (انتهى) والظاهر أنّ مراده أنّ الزلزلة قد تكون بالعلّة الاُولى ، وقد تكون بالعلّة الثانية ، وقد تكون بالعلّة الثالثة ، و يحتمل اجتماع تلك العلل في كلّ زلزلة ، و يمكن أن تكون الثانية في الزلزلة العامّة لجميع الأرض كزلزلة القيامة ، والثالثة في ما إذا حصل بسببها خسف و انقلاب و تغيّر عظيم في الأرض و بالجملة الزلزلة العظيمة ، و الاُولى في الزلازل الجزئية اليسيرة . و يؤيّد الخبر الأوّل أنّ أكثر الزلازل تبتدىء من الجبال ، وكلّ أرض تكون أقرب من الجبل فهي فيها أشدّ .

٢٢ ـ **الكافي** : عن عليّ بن محمّد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن محمّد بن سنان عن ابن مسكان ، عن أبي بكر الحضرميّ ، عن تميم بن حاتم ، قال : كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام فاضطربت الأرض فوجأها[٥] ثمّ قال لها : اسكني ! مالك ؟ ثمّ التفت إلينا فقال : أما إنّها لو كانت الّتي قال الله لأجابتني و لكنّها [٦] ليست بتلك [٧] .

---

(١) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .
(٢) الفقيه : ١٤٢ .
(٣) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .
(٤) الفقيه ، ١٤١ .
(٥) في المصدر ، فوجاها .
(٦) في المصدر : ولكن .
(٧) روضة الكافي ، ٢٥٦ .

٢٣ ــ **العلل** : عن أحمد بن محمّد ، عن أبيه ، عن محمّد بن أحمد ، عن يحيى بن محمّد ابن أيّوب ، عن عليّ بن مهزيار ، عن ابن سنان ، عن يحيى الحلبيّ ، عن عمر بن أبان عن جابر ، قال : حدّثني تميم بن حذيم ، قال : كنّا مع عليّ عليه السلام حيث توجّهنا إلى البصرة . قال : فبينما نحن نزول إذا اضطربت الأرض فضربها عليّ عليه السلام بيده ثمّ قال لها : مالك ؟ ثمّ أقبل علينا بوجهه ثمّ قال لنا : أما إنّها لو كانت الزلزلة الّتي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه لأجابتني و لكنّها ليست بتلك (١) .

بيان : هذا إشارة إلى ماورد في الأخبار أنّ « الإنسان » في سورة الزلزال هو أمير المؤمنين عليه السلام يقول للأرض : مالك ؟ فتحدّثه الأرض أخبارها .كما روى في العلل عن فاطمة عليها السلام قالت : أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر ــ و ساقت الحديث إلى قولها ــ فقال لهم عليّ عليه السلام : كأنّكم قد هالكم ماترون ! قالوا : وكيف لايهولنا ولم نر مثلها قط ؟ قالت : فحرّك شفتيه ثمّ ضرب الأرض بيده ثمّ قال : مالك ؟ اسكني . فسكنت ، فقال : أنا الرجل الّذي قال الله «إذا زلزلت الأرض زلزالها و أخرجت الأرض أثقالها و قال الإنسان مالها » فأنا الإنسان الّذي يقول لها : مالك ؟ « يومئذ تحدّث أخبارها » إيّاي تحدّث . فهذا معنى قوله عليه السلام « إنّها لوكانت الزلزلة الّتي ذكرها الله في كتابه » أي في سورة الزلزال وهي زلزلة القيامة « لأجابتني » أي لحدّثت وتكلّمت معي « و لكنّها ليست بتلك » أي زلزلة القيامة (٢).

٢٤ ــ **العلل** : بالإسناد المتقدّم عن محمّد بن أحمد ، عن إبراهيم بن إسحق ، عن محمّد بن سليمان الديلميّ قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الزلزلة ماهي ؟ قال : آية . قلت : و ما سببها ؟ قال : إنّ الله تبارك و تعالى وكّل بعروق الأرض ملكاً فإذا أراد الله أن يزلزل أرضاً أوحى إلى ذلك الملك أن حرّك عروق كذا و كذا . قال : فيحرّك ذلك الملك عروق تلك الأرض الّتي أمره الله فتتحرّك بأهلها . قال : قلت : فإذا كان ذلك فماأصنع ؟ قال : صلّ صلاة الكسوف فإذا فرغت خررت ساجداً و تقول في سجودك

---

(١) العلل : ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٢) المصدر : ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

« يا من يمسك السموات و الأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً أمسك عنّا السوء إنّك على كلّ شيء قدير [١] » .

الفقيه : بإسناده عن سليمان الديلميّ مثله [٢] .

بيان : « آية » أي علامة من علامات غضبه أو قدرته . « أن تزولا » أي كراهة أن تزولا ، أو لتضمّن الإمساك معنى الحفظ أو المنع عدّي به « إن أمسكهما » أي ما أمسكهما . و في الفقيه بعد قوله « غفوراً » : يا من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه أمسك ...

٢٥ ـ **الكافي** : عن عليّ بن محمّد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن بعض أصحابه ، عن عبدالصمد بن بشير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الحوت الّذي يحمل الأرض أسرّ في نفسه أنّه إنّما يحمل الأرض بقوّته فأرسل الله عزّوجلّ إليه حوتاً أصغر من شبر و أكبر من فتر ، فدخل في خياشيمه فصعق ، فمكث بذلك أربعين يوماً . ثمّ إنّ الله عزّوجلّ رأف به و رحمه و خرج ، فإذا أراد الله عزّوجلّ بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلى ذلك الحوت فإذا رآه اضطرب فتزلزلت الأرض [٣] .

٢٦ ـ **العلل** : لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم : العلّة في زلزلة الأرض أنّ الحوت الّذي يحمل الأرض له فلوس ، فإذا أراد الله عزّوجلّ زلزلة أرض أو مكان رفع الحوت الفلس الّذي في ذلك الموضع و حرّكه فتزلزل الأرض .

٢٧ ـ **توحيد المفضل** : قال الصادق عليه السلام : فإن قال قائل : فلم صارت هذه الأرض تزلزل ؟ قيل له : إنّ الزلزلة و ما أشبهها موعظة و ترهيب يرهّب بها الناس ليرعوا و ينزعوا عن المعاصي .

فوائد

الاولى : قسمة المعمور من الأرض بالأقاليم السبعة . قالوا : الدائرة العظيمة

(١) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٢) من لايحضره الفقيه ، ١٤٢ .

(٣) روضة الكافي ، ٢٥٥ .

الّتي تحدث على سطح الأرض إذا فرض معدّل النهار قاطعاً للعالم الجسمانيّ تسمّى خطّ الاستواء ، و إذا فرضت عظيمة أخرى على وجه الأرض تمرّ بقطبيها انقسمت الأرض بهما أرباعاً ، أحد القسمين الشماليّين هو الربع المسكون ، و الباقية إمّا غامرة في البحار غير مسكونة و إمّا عامرة غير معلومة الأحوال ، و طول كلّ ربع بقدر نصف الدائرة العظيمة و عرضه بقدر ربعها . و هذا الربع المسكون أيضاً ليس كلّه معموراً إذ بعضه في جانب الشمال لفرط البرد لا يمكن لحيوان التعيّش فيه ، و هي المواضع الّتي يكون عرضها أزيد من تمام الميل الكلّيّ ، و في القدر المعمور أيضاً بحار كثيرة بعضها متّصل بالمحيط و بعضها غير متّصل كما عرفت ، وجبال و آكام وآجام وبطائح ومغايض و براري لا تقبل العمارة ، ووجدوا في جنوب خطّ الاستواء قليلاً من العمارة من الزنج و السودان لكن لقلّتها لم يعدّوها من المعمورة . ومبدأ العمارة عند المنجّمين من جانب الغرب و كانت هناك جزائر تسمّى « الجزائر الخالدات » و هي الآن مغمورة في الماء فجعلها بعضهم مبدأ الطول ، و آخرون جعلوا ساحل البحر الغربيّ مبدأ و بينهما عشر درجات ، و نهاية العمارة من الجانب الشرقيّ عندهم « كنك دز » و هو مستقرّ الشياطين بزعمهم ، و سمّوا ما بين النهايتين على خطّ الاستواء قبّة الأرض . ثمّ قسموا المعمور من هذا الربع في جانب العرض بسبعة أقاليم بدوائر موازية لخطّ الاستواء ، طول كلّ إقليم ما بين الخافقين ، و عرضه بقدر تفاضل نصف ساعة في النهار الأطول ، لأنّ أحوال كلّ إقليم متشابهة متناسبة بحسب الحرّ والبرد و المزاج و الألوان و الأخلاق . فمبدأ الإقليم الأوّل في العرض عند الأكثر مواضع يكون عرضها اثنتا[1] عشر درجة وثلثا درجة ونهارهم الأطول اثنتا عشر ساعة ونصف وربع ولم يعدّوا من خطّ الاستواء إلى هذه المواضع من المعمورة لقلّة العمارة فيها ، وبعضهم يجعل مبدأ الإقليم خطّ الاستواء ، لكن على التقديرين لا خلاف في أنّ مبدأ الإقليم الثاني حيث عرضه عشرون درجة و نصف و نهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة و ربع . و مساحة سطح الإقليم الأوّل على الأوّل كما ذكره البرجنديّ ستّمائة ألف و اثنان و ستّون ألف فرسخ و أربعة و أربعون فرسخاً و نصف

---

(١) كذا في جميع النسخ .

فرسخ . و البلاد المشهورة الواقعة فيه : نجران ، وجَند ، وصنعاء ، وصَعدة ، وصُحار و سِنداں ، وكولَم ، وعلاّقي . وقال بعضهم : وهذاالإقليم يبتدىء في الطول من المشرق و أراضي الصين و تمرّ هناك على أنهار عظيمة ثمّ تمرّ على سواحل البحر الجنوبيّ و بعض أرض الصين و بعض البلاد الجنوبيّة من الهند و السند ، ثمّ على جزيرة «كرك» الّتي والاها من قبل ملك اليمن ثمّ يمرّ على خليج فارس و جزيرة العرب و على أكثر بلاد اليمن كمعلى ، و حضرموت ، و صنعاء ، و زَبيد ، و عدن ، و شِهر ، و قلهات ، و ظَفار ، و سبا ، ومدينة الطيب ، و صُحار قصبة [١] عمان ، ثمّ على الخليج الأحمر ، و دار ملك الحبشة ، وبلاد النوبة ، وعلى غاية معدن الذهب من بلاد السودان [٢] المغرب ثمّ على بلاد بربر إلى المحيط المغربيّ . و عدد البلاد المشهورة الواقعة في هذا الإقليم خمسون ، وفيه من الجبال و الأنهار العظيمة عشرون جبلاً و ثلاثون نهراً ، ولون أكثر أهله السواد ، ويزعمون أنّ هذا الإقليم منسوب إلى زحل . ومساحة سطح مابين خطّ الاستواء و الإقليم الأوّل ألف ألف فرسخ و مائة و ستّة عشر ألف فرسخ و سبعمائة وخمسة وثلاثون فرسخاً و سدس فرسخ . والبلاد المشهورة الواقعة فيها : عدن ، و شِبام و حضرموت ، و مرباط ، و سقوطره ، و جزيرة سرنديب ، و جزيرة لامرى ، و جزيرة كله و غانه ، وكوكو ، و سقالة ، و بربرا ، و زغاوة من بلاد الزنج ، و هدية ، و زيلع كلاهما من بلاد الحبشة .

و مساحة الإقليم الثاني خمسمائة ألف فرسخ واثنان و سبعون ألف فرسخ وستّة و ستّون فرسخاً و ثلث فرسخ . والبلاد المشهورة فيه : مكّة ، و المدينة ــ ضاعف الله شرفهما ــ و تيماء من بلاد الشام ، و ينبع ، وجُدّة ، و خيبر ، وبطن مرّ ، و الطائف والفيد ، و الفرع ، و يمامة ، و الاحساء ، و قطيف ، و البحرين ، و القـفط ، و صعيد

---

(١) في مراصد الاطلاع : صحار بالضم وآخره راء ، هضبة عمان مما يلي الجبل ، وقوام قصبتها مما يلي الساحل مدينة طيبة كثيرة الخيرات مبنية بالاجر و الساج ـ انتهى ـ والهضبة ، الجبل المنبسط على وجه الارض .

(٢) سودان (خ) .

وأسيوط ، و اُسوان ، و إسنا ، و عَيذاب ، و ملطه من أقصى المغرب ، وسوس أقصى ، و سجلماسة ، وديبُل من بلاد السند ، ومكران ، وبيرون ، و المنصورة ، و صنم صومنات من بلاد الهند ، وكنبايت ، وماهوره ، و قنّوج . و قال بعضهم : هذا الإقليم يأخذ في الطول من بلاد الصين و يمرّ بمعظم بلاد الهند ، و منها « دهلي » ثمّ بشمال جبال معروفة في ديارهم ، و يمرّ بمعظم ديار السند منها « منصورة » و يصل إلى عمان،ويقطع جزيرة العرب من أرض نجد و تهامة ، و يمرّ بالطائف و مكّة ــ شرّفها الله تعالى ــ و مدينة الرسول ﷺ و يثرب ، و هجر ، و قطيف ، و البحرين ، و هرمز من كرمان و يقطع القلزم و يصل إلى صعيد مصر و يقطع النيل و يأخذ في أرض المغرب و يمرّ بأواسط بلاد إفريقيّة ثمّ ببلاد البربر و يصل إلى المحيط . و البلادالمشهورة الواقعة في هذاالإقليمأيضاً خمسون ، وفيه من الجبال عشرون ، ومنالأنهارمثلها . ولونعامّة أهله بين السواد و السمرة ، و يزعمون أنّه منسوب إلى الشمس .

و مبدأ الإقليم الثالث عرضه سبع و عشرون درجة و نصف ، ونهاية طول الأيّام ثلاث عشرةساعة وثلاث أرباع ساعة .ومساحة سطحه أربعمائة وستّون ألف فرسخ وأحد وتسعون فرسخاً و خُمسا فرسخ . والبلاد المشهورة فيه : الإسكندريّة ، ومَنفلوط من بلاد سعيد و أكثر بلادها الواقعة على النيل ، و رشيد ، و دمياط من بلاد مصر ، و قلزم على ساحل بحر اليمن ، و فسطاط من بلاد مصر ، و عين الشمس منها ، و أسفي [1] من أقصى المغرب ، وسلا ، وفاس ، و مرّاكش [2] ودرعة ، و ميلة ، و تاهرت . وقسطينة [3]

(١) بفتحتين وكسر الفاء : بلدة على شاطىء البحر المحيط بأقصى المغرب (مراصد الاطلاع) .

(٢) بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمة ، أعظم مدينة بالمغرب و أجلها و بها سرير ملوكه في وسط بلادالبربر وبينه و بين البحر عشرة أيام . ومعنى مراكش بالبربرية «أسرع المشي» لانها كانت موضع مخافة .

(٣) كذا في نسختين مخطوطتين ، وفي بعضها « قسطنطنية » و هي غلط لانها من بلاد الروم وهي التي تسمى اليوم « استانبول » منبلاد تركيا ، و الظاهران الصواب « قسطنطينية » بضم القاف و فتح السين وسكون النون الاولى و فتح الياء المخففة الثانية وهي في افريقية مما يلي المغرب كما في مراصد الاطلاع .

و سطيف كلّها من بلاد المغرب ، وتينزرت ، وتونس ، و قابس ، وقيروان ، و مهديّة،و صفاقس ، و اطرابلس ، و قصر أحمد كلّها من بلاد إفريقيّة ، و غزّة ، و عسقلان ، و قيساريّة ، و رملة ، و بيت المقدس كلّها من بلاد فلسطين ؛ و نابلس ، و عكّا ، و بيسان وصور ، وعمان ، وكرك ، و بيروت ، و صيدا وأذرعات ، وبُصرى ، و دمشق ، وصرخد كلّها من بلاد الشام ، وهيت ، و القادسيّة ، وحيرة ،والكوفة ، و الأنبار ، و بغداد ،و صرصر ، و المدائن ، و بابل ، و نعمانيّة ، و نهروان ، وقصر بن هبيرة ، و نهر الملك كلّها من بلاد العراق و نواحيها ؛ و بصرة ، واُبلّه ، و عبّادان ، و طيب ، و سوس ، و قرقوب ، و تُستر ، و حُبّي ، و عسكر مكرم ، و الأهواز ، و دورق ، و أرجان كلّها - ماعدا الثلاثة الاول - من بلاد خوزستان ؛ و سيف البحر ، و جور ، و أبرقوه ، و كازرون ، و نوبندجان ، و فيروزآباد ، و شيراز ، و البيضاء ، و إصطخر ، وبسا [1] ، و دارابجرد كلّها من بلاد فارس ونواحيها ؛ ويزد ، و بافد ، وبردسير ، وجيرفت،وسيرجان و زرند ، وبم ، وهرموز كلّها من بلادكرمان ؛ و زرنج [2] وشروان [3] وبست كلّها من بلاد سيستان ؛ وملتان من بلاد السند ؛ و تعبر من بلاد الهند ، و زيتون من بلاد الصين و إصبهان و أردستان ، و طبس ، و بيروزكوه ، و ميمند ، و غزنة وكابل . وقال بعضهم: هذا الإقليم يبتديء من شرقيّ أرض الصين و دار ملكهم ، وتمرّ بوسط مملكة الهند، و قندهار ، وكشمير ، و يمرّ بمولتان من أرض السند ، و بزابل ، و بست ، وسيستان ، و كيج ، و يزده سير مدينة كرمان ، وخبيص ؛ و يزد ؛ وفارس ؛ و إصفهان ؛ و الأهواز و عسكر ؛ و كوفة ؛ و بصرة و واسط ؛ وبغداد ؛ والمدائن و إذا جاوز هذه البلاد يمرّ بديار ربيعة و مضر ؛ و دمشق ؛ و حمص ؛ و بيت المقدس ؛ و الصوريّة ؛ و الطبريّة و القيساريّة ؛ و عسقلان ؛ و المدين ؛ و يأخذ طرفاً من أرض مصر فيه دمياط وفسطاط

---

(١) هي التي تسمى اليوم « فسا » .

(٢) في طبعة امين الضرب « زرنه » .

(٣) في بعض النسخ « سروان » وفي المراصد « شرواد » .

و الإسكندريّة ثمّ يمرّ ببلاد الإفريقيّة [١] وبلد قيروان ؛ و السوس ؛ و طرابلس المغرب ؛ ثمّ بقبائل السرير في أرض المغرب ؛ و بلاد طنجة ؛ و ينتهي إلي المحيط . و عدد البلاد المشهورة الواقعه فيه مائة و ثمانية و عشرون ؛ و فيه من الجبال ثلاثة وثلاثون ؛ و من الأنهار اثنان و عشرون . ولون أكثر أهله السمرة ؛ و يزعمون أنّه منسوب إلى عطارد .

و أمّا الإقليم الرابع فعرض أوّله ثلاث و ثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، وأطول نهاره أربع عشرة ساعة و ربع ، و مساحة سطحه ثلاثمأة ألف و ثمانية و سبعون ألفاً و ثمانية و ثلاثون فرسخاً و ربع ، و البلاد المشهورة فيه : قصر عبد الكريم ، و طنجة و سبسته [٢] و تلمسان ، و بجاية من بلاد المغرب ؛ وبونه ، وقصرأحمد ، من بلادإفريقيّة و إشبيله [٣] وقُرطبة ، ومالَقة ، وغَرناطة ، و بلنسية كلّها من بلاد الشام [٤] وتوابعها و جزيرة يابسة ، وجزيرة مايرقه [٥] فيها بحيرة محيطها تسعة أميال ، و جزيرة سردانية وجزيرة صِقليّة ، وجزيرة وسامس [٦] وجزيرة رودس ، وجزيرة قبرس كلّ هذه الجزائر في بحرالروم ؛ و طرسوس ، و أياس ، و أرطة [٧] ومصيصة ، و برس برت ، و تلّ حدون كلّها من بلاد أرمن ؛ و أطرابلس ، وبُلنباس ، وبعلبكّ ، وعرقة ، وجَبَلة من بلادالشام و سبس ، وصهيون ، وبغراس، وحارم ، و حصن الأكراد ، والحِمص ، وحَماة ، وشَيزر و مرعش ، و حصن منصور ، ومَنبِج ، ومعرّة [٨] ، و قنّسرين ، و سميساط بعضها من

---

(١) افريقية (خ) .

(٢) كذا ، وفي المراصد « سبتة » .

(٣) كذا ، وفي المراصد « اشبيلية » .

(٤) بل من بلاد الاندلس (اسبانيا) .

(٥) ميورقة جزيرة في شرقي الاندلس (مراصد الاطلاع) .

(٦) وساس (خ) .

(٧) في بعض النسخ « ارته » وفي بعضها « أرنه » .

(٨) في بعض النسخ « مفرة » وهي أيضاً موضع بالشام

أعمال حلب و بعضها من أعمال الشام وحلب، وحرّان؛ ورقّة كلاهما من ديار مضر ؛ وماردين من ديار ربيعة ؛ و ميّا فارقين من بلاد الجزيرة ؛ و قرقيسياء ، و جيران ، و نصيبين، و جزيرة ابن عمر ، و سنجار من ديار ربيعة ؛ و تلّ أعفر ، و موصل ، و الحديثة ، و دقوقاء ، و آمد ، و عانة ، و سعرت ، وتكريت ، وسامرّاء ، و دسكرة ، و جلولاء ، و خانقين ، و حلوان بعضها من العراق و بعضها من الجزائر ؛ و دلّي من بلاد الهند ؛ و انطاليا من بلاد الروم ؛ و أرزن ، و بدليس ، و أرجليس[1] كلّها من أرمنيّة ؛ وسلماس و خوى ، و مراغه ، و أوجان ، و أردبيل ، و ميانج ، و مرند ، و تبريز كلّها من بلاد آذربيجان ؛ و موقان [2] و إربل ، و شهر زور ، و قصر شيرين ، و صيمرة ، و دينور و سيروان ، وما سبذان ، وسُهرورد ، وزنجان ، و نهاوند ، و همدان ، و بروجرد ، و أبهر ، و ساوه ، و قزوين ، و آبه ، و جرباذقان ، و قم ، و طالقان ، و قاشان ، والريّ و كرج أكثرها من بلاد الجبل ؛ و لاهجان ، و روذبار ، و سالوس ، و ناتل ، وأرجان و آمل ، و سارية كلّها من بلاد طبرستان ؛ و سمنان ، و دامغان ، و بسطام ، وإستراباد و آبسكون ، و جرجان ، و دهستان ، و خسروجرد ، و قصبة سبزوار ، و إسفراين ، و نيسابور ، و نسا ، و طوس ، و نوقان ، و أبيورد ، و قوهستان ، و قاين ، و زوزن ، و جزجرد، وبوزجان ، وسرخس، وفوشنج ،وهراة ، وبادغيس ، ومالين ، وشيورغان[3] و أسفزار ، و مروروذ ، و مرو ، وشاه جهان ، وفارياب ، و شهرستان ، وسمنجان كلّها من خراسان و أعمالها ؛ و بدخشان ، و ترمد [4] وختلان ، و وخش ، وصغانيان ، و شومان ، و آثينية كلّها من بلاد المغرب و يقال إنّه بلد حكماء يونان .

وقال بعض الأفاضل: هذا الإقليم وسط الأقاليم، ووسط معظم عمارة العالم ، ويبتدىء من شمال بلاد الصين ويمرّ ببلاد التبّت الداخل ، و جرجير ، و خطا ، و ختن ، وبجبال

---

(٦) كذا في جميع النسخ ، وفي المراصد « ارجيش » بالشين المعجمة .

(٧) الظاهر انها هي التي تسمى اليوم « دشت مغان » .

(١) كذا ، والظاهر أنه « شبرقان » .

(٢) قال في المراصد : الناس يختلفون في هذا الاسم والمعروف انه بكسر التاء والميم و أهل تلك المدينة متداول على لسانهم بفتح التاء وكسر الميم ، و بعضهم يقول بضمها ـ الخ ـ .

كشمير، و بدخشان، وصغانيان، وكابل، و يمرّ بطخارستان، و غور، و بلخ، وترمد و هرات، و مرو، و شاهجهان، و مرو رود، و سرخس، و جوزجان، و فارياب؛ و غَرجستان[1]، و باورد[2] و نسا، و سبزوار، و طوس، و نيشابور، و إسفراين، و قهستان، و قومس، و جرجان، و طبرستان، و آمد[3] و قم، و آمل، و كاشان، و همدان، وأبهر، وقزوين، والديلم، وساوه، وألموت، وكرج، و كيلان، ومازندران و ساري، و سمنان، و دامغان، و استراباد، و بسطام، ونهاوند، و دينور، وحلوان و شهرزور، و زنجان، و سلطانيّة، و أردبيل، و الموصل، و سامره، و أرمنيّة[4] و مراغه، و تبريز، وسِنجار، و نصيبين، و سمياط، و ملطيّة، و أرزنجان، و رأس العين، و قاليقلا، وسُميساط، وحلب، و أنطاكية، و قنّسرين، وطرابلس الشام، و حمص، و طرسوس، و جزيرة قبرس، وردوس، و يمرّ بأرض المغرب على بلادإفرنجة و طنجة، و ينتهي إلى المحيط على الرقاق من الأندلس و بلاد المغرب . و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائتان و اثناعشر، وفيه من الجبال خمسة و عشرون، ومن الأنهار اثنان و عشرون . و لون عامّة أهله بين السمرة و البياض، و هو منسوب إلى المشتري على الأصحّ بزعمهم .

وأمّا الإقليم الخامس فمبدأه حيث عرضه تسع وثلاثون درجة، وغاية طول نهارهم أربع عشرة ساعة و ثلاثة أرباع ساعة . و مساحة سطحه مائتا ألف و تسع و تسعون ألف فرسخ و أربعمأة و ثلاثة وتسعون فرسخاً و ثلاثة أعشارفرسخ . ومن البلاد الواقعةفيها: اُشبونه، وشَنترين، وبطليوس، وماردة، و طُليطلة، و مرسية، و دانية، و مدينة

---

(١) في المراصد، غرشستان .

(٢) فيه، وهي أبيورد .

(٣) كذا، ولعله مصحف « آمو » فان « آمد » بلد قديم تحيط دجلة بأكثره، ومن البعيد ذكره بين طبرستان و قم مع ما يشاهد من رعاية الترتيب - إلى حد ما - في ذكر اسماء البلاد .

(٤) ارمية (ظ) .

سالم ، وسرقُسطة ، و طرطوشة ، ولاردة ، و هيكل الزهرة ، و اربونة ، و أنقورية[١] وعمّوريّة ، و آق شهر ، و قونية ، و قيسارية ، و أقسَرا [٢] و ملطية ، وسيواس ، و توقات ، و أرزن ، و أرزنجان ، و موش ، و ملازجرد ، و أخلاط [٣] ؛ و شروان ؛ و نشوى ؛ وبردعة ؛ وشمكور ؛ وتفليس ؛ وبيلقان ؛ وباب الأبواب ؛ وكنجة ؛ وسلطانيّة وفراوة ؛ و كركنج ؛ و كات ؛ و زمخشر ؛ وهزار أسب ؛ و درغان ؛ و طواويس؛وبيكند و كرمنيه [٤] ؛ و نخشب ؛ وكشّ ؛ و أربنجن ؛ و إشتيخن ؛ و سمرقند ؛ و كشانية ؛ و شاش ؛ و بنكث ؛ و إيلاقي[٥]و اُسروشه[٦]و ساباط ؛ و خجند ؛ وشاوكث ؛ و تنكت و إمسيكث ؛ و كاسان ؛ و فرغانة ؛ و قُبا ؛ و ختن ؛ و خيوه ؛ و روميّة الكبرى ، و ماقذونيّة من أعمال قسطنطنيّة .

و قال بعض الأفاضل : يبتدىء هذا الإقليم من أقصى بلاد الترك ؛ و يمرّ على مواضع الأتراك المشهورة إلى حدّ كاشغر ، و ختن ؛ و بيت المقدس ؛ و فرغانة ؛ و طراز و خجند ؛ و يمرّ بشروان ؛ و خوارزم ؛ و بخارا ؛ و شاش ؛ و نسَف ؛ و سمرقند ؛ و كشّ ؛ و ببحر خزر و ديار أرمنيّة و بعض بلاد الروم كعمّوريّة ؛ و قونية ؛ و أقسراي و قيصريّة ؛ و سيواس ؛ و أرزن الروم ؛ و يمرّ بساحل بحر الشام و بلاد اُندلس إلى أن ينتهي إلى المحيط . و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائتان ، و فيه من الجبال ثلاثون ، ومن الأنهار خمسة عشر . و لون عامّة أهله البياض ، و هو منسوب إلى الزهرة بزعمهم .

و أمّا الإقليم السادس فمبدأه حيث عرضه ثلاث وأربعون درجة و نصف ، و غاية طول نهاره خمسة عشر ساعة وربع . ومساحة سطحه مائتا ألف و خمسة و ثلاثون ألف

---

(١) الظاهر انه « آنقرة » التى هى عاصمة تركيا اليوم .
(٢) و يقال ، أقصرى ، وأقصراى
(٣) كذا والمضبوط « خلاط » .
(٤) فى المراصد ، كرمينية .
(٥) كذا و المضبوط « ايلاق » .
(٦) كذا والمضبوط « اسروشنه » بزيادة نون بعد الشين المعجمة .

فرسخ وأربعة و ثلاثون فرسخاً وثلثا فرسخ . وفيه من البلاد المشهورة : تطيلة ، و تبلوته وبردال ،ولمريا ، وجزيرة نقربيت ، وأماسية ،وقسطمونيه ، وسنوب ، وجند ، و فاراب وإسفيجاب ، وطراز،وشلج ،وخان بالق ،وكاشغر ؛ وسمّورة ،ولنبرديه ؛ وبيذه ؛ وبندقيه وبرشان ؛ وقسطنطنيّة ؛ و بلَنجر . و قال بعض المحقّقين : من بلاده معظم الروم ؛ و الخزر ؛ والتركستان ؛ فيبتدىء من المشرق و يمرّ بمساكن أتراك الشرق ، ويقطع وسط بحر طبرستان ، ويمرّ على خزر ؛ وموقان ؛ و سقسين[1] ؛ و على الصقالبة ؛ وبلاد آس وأرّان ، وباب الأبواب ؛ و الروس ؛ ثمّ بمعظم بلاد الروم مثل قسطنطنيّة و بشمال أندلس ، و ينتهي إلى المحيط . و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه تسعون ، و فيه من الجبال أحد عشر ، و من الأنهار أربعون . و لون غالب أهله الشقرة ، و هو عندهم منسوب إلى القمر .

وأمّا الإقليم السابع فمبدأه حيث العرض سبع و أربعون درجة و ربع ؛ و غاية طول نهاره خمس عشرة ساعة و ثلاثة أرباع ساعة . و مساحة سطحه مائة ألف و سبعة و ثمانون ألف فرسخ و سبعمائة و واحد و عشرون فرسخاً و ثلثا فرسخ . و في هذا الإقليم العمارة قليلة ؛ و البلاد المشهورة فيه :كُرش ؛ وازرق ؛ وصراى ــ وهو مستقرّ سلطان تتر[2] ــ وآكل ؛ ويُلار[3] ويقال له بلغار ــ وأفجاكرمان ؛ وصاري كرمان ؛ وقرقر؛ و صلغات ؛ وكفا[4] وصقجى[5] وشَنتياقُر[6] و هرقلة . وقال بعضهم : هذا الإقليم يأخذ في طوله من المشرق و يمرّ بنهايات الأتراك الشرقيّة ؛ وبشمال بلاد يأجوج ومأجوج ثمّ على غياض و جبال يأوي إليها أتراك كالوحوش ، ثمّ على بلغار الروس و الصقالبة و يقطع بحر الشام و ينتهي إلى المحيط . و عدد بلاد هذا الإقليم اثنان وعشرون ، وفيه من الجبال أحد عشر ، ومن الأنهار أربعون . ولون أهله بين الشقرة و البياض ، و هو

---

(١) سقسين (خ) . (٢) التتر (خ) .
(٣) بلار (خ) . (٤) كفى (خ) .
(٥) عبقجى (خ) . (٦) في المراصد : شنت ياقب .

منسوب عندهم إلى المرّيخ . و أهل بعض بلاده يسكنون مدّة ستة أشهر في الحمّامات لشدّة البرد . وآخر الأقاليم حيث عرضه خمسون درجة ونصف وغاية طول نهاره ستّ عشرة ساعة وربع ، ثمّ إلى عرض التسعين لايعدّونه من الأقاليم .

و اعلم أنّ خطّ الاستواء يبتدىء من شرقيّ أرض الصين و يمرّ على جزيرة «چمكوت» ثمّ ببلاد الصين ممّا يلي الجنوب ، وعلى «كنك ذر » الّذي من أراضي الصين ثمّ على جزائر « زأرة » الّتي تسمّى أرض الذهب ، و على جنوب جزيرة سرنديب بين جزيرتي كله وسريره وعلى وسط جزائر ديويره[1] ثمّ على شمال جزائر الزنج ومعظم بلادهم ثمّ على شمال جبال القُمر ، وجنوب سودان المغرب إلى المحيط . وأمّا طول النهار لسائر البقاع سوى الأقاليم السبعة فالنهار الأطول يبلغ سبع عشرة ساعة حيث العرض أربع وخمسون درجة و كسر ، و يبلغ ثماني عشرة ساعة حيث العرض ثمان و خمسون درجة ، ويبلغ تسع عشرة ساعة حيث العرض إحدى وستّون درجة ، و يبلغ عشرين ساعة حيث العرض ثلاث و ستّون . و هناك جزيرة تسمّى « تولي » يقال إنّ أهلها يسكنون الحمّامات مدّة كون الشمس بعيدة عن سمت رؤسهم . و المشهور أنّها منتهى العمارة في العرض ويبلغ إحدى وعشرين ساعة حيث العرض أربع وستّون درجة و نصف . قال بطلميوس: إنّ سكّان هذا الموضع قوم من الصقالبة لايعرفون . و على هذا يكون هو منتهى العمارة في العرض ، و يبلغ اثنتين و عشرين ساعة حيث العرض خمس و ستّون درجة و كسر و يبلغ ثلاثاً و عشرين ساعة حيث العرض ستّ و ستّون درجة ، و يبلغ أربعاً وعشرين ساعة حيث العرض مثل تمام الميل الكلّيّ . و يبلغ شهراً حيث العرض سبع و ستّون درجة و ربع ، وشهرين حيث العرض سبعون درجة إلّا ربعاً، و ثلاثة أشهر حيث العرض ثلاث وسبعون درجة ونصف وأربعة أشهر حيث العرض ثمان وسبعون درجة و نصف ، وخمسة أشهر حيث العرض أربع وثمانون درجة ، و نصف السنة تقريباً حيث العرض ربع الدور . و منهم من قسم ما سوى الأقاليم من الربع قسمين :قسماً لم يدخل في الأقاليم و يدخل في المعمورة ، وقسماً لم يدخل فيهما، فالأوّل مبدأه حيث عرضه خمسون درجة وثلث ، و غاية

(١) ديوه (خ).

طول نهاره ستّ عشرة ساعة وربع، ومساحة سطحه سبعمائة ألف وخمسون ألف فرسخ ومائة واثنان وثلاثون فرسخاً وربع فرسخ. وفيه جزيرة برطانيّة، وجزيرة صوداق، وجزيرة تولى ومدينة يأجوج و مأجوج. قالوا: عرض تلك المدينة ثلاث و ستّون درجة وطولها مائة و اثنان و سبعون درجة و نصف. و القسم الثاني مبدأه حيث عرضه ستّ و ستّون درجة ونصف، و غاية طول نهاره سبع و أربعون ساعة. ومساحة سطحه أربعمائة ألف و اثنان و عشرون ألف فرسخ و أربعمائة و سبعة فراسخ و خمس فرسخ. وقيل: في عرض خمس و سبعين درجة موضع أهله يسكنون في الشتاء في الحمّامات، ولا يفهم كلامهم.

الفائدة الثانية: في ذكر بعض خواصّ خطّ الاستواء والآفاق المائلة، فأمّا خطّ الاستواء فدوائر آفاق البقاع الّتي تكون عليه تنصّف جميع المدارات اليوميّة، فلذلك يكون النهار و الليل في جميع السنة متساويين، و أيضاً يكون زمان ظهور كلّ نقطة على الفلك مساوياً لزمان خفائه، فإن كان تفاوت كان بسبب اختلاف السير سرعة و بطءً بالحركة الغربيّة في النصفين، و ذلك لايكون محسوساً. و تمرّ الشمس في السنة الواحدة مرّتين بسمت رؤوسهم، و ذلك عندكونها في نقطتي الاعتدالين، ولاتبعد الشمس عن سمت رؤوسهم إلّا بقدر غاية ميل فلك البروج عن معدّل النهار، و تكون الشمس نصف السنة تقريباً في جهة من جهتي الشمال و الجنوب، و يكون ظلّ نصف النهار إلى خلاف تلك الجهة، ولكون مبدأ الصيف الوقت الّذي يكون فيه الشمس إلى سمت الرأس أقرب ومبدأ الشتاء الوقت الّذي يكون الشمس منه أبعد، يكون وقت كونها في نقطتي الاعتدال مبدأ صيفهم، و وقت كونها في نقطتي الانقلاب مبدأ شتائهم، و يكون مبادىء الفصلين الأخيرين أوساط الأرباع، و يلزم على ذلك أن يكون لهم في كلّ سنة ثمانية فصول، و يكون دور الفلك هناك دولابيّاً، لأنّ سطوح جميع المدارات يقطع سطح الاُفق على قوائم، و يسمّى لذلك آفاقها آفاق الفلك المستقيم. والشيخ ابن سينا حكم بأنّها أعدل البقاع، لأنّ الشمس لاتمكث على سمت الرأس كثيراً بل إنّما يمرّ به وقتي اجتيازها عن إحدى الجهتين إلى الاُخرى، ويكون هناك حركتها في الميل والبعد عن سمت رأسهم أسرع مايكون فلا تكون لذلك حرارة صيفهم شديدة. وأيضاً لتساوي

زماني نهارهم وليلهم دائماً تنكسر سورة كل واحدة من الكيفيّتين الحادثتين منهما بالاُخرى فيعتدل الزمان . وحكم أيضاً بأنّ أحرّ البقاع صيفاً الّتي تكون عروضها مساوية للميل الكلّي ، فانّ الشمس تسامتها وتلبث في قرب مسامتتها قريباً من شهرين ، ونهارها حينئذ يطول وليلها يقصر. وردّ الفخر الرازي عليه الحكم الأوّل بأن قال : لبث الشمس في خطّ الاستواء وإن كان قليلاً لكنّها لا تبعد كثيراً عن المسامتة ، فهي طول السنة في حكم المسامتة ، ونحن نرى بقاعاً أكثر ارتفاعات الشمس فيها لا يزيد على أقلّ ارتفاعاتها بخطّ الاستواء و حرارة صيفها في غاية الشدّة . فيعلم من ذلك أنّ حرارة شتاء خطّ الاستواء تكون أضعاف حرارة صيف تلك البقاع . وحكم بأنّ أعدل البقاع هو الإقليم الرابع .

و قال المحقّق الطوسي ـ ره ـ : الحقّ في ذلك أنّه إن عنى بالاعتدال تشابه الأحوال فلا شكّ أنّه في خطّ الاستواء أبلغ كما ذكره الشيخ ، و إن عنى به تكافؤ الكيفيّتين فلا شكّ أنّ خطّ الاستواء ليس كذلك ، يدلّ عليه شدّة سواد لون سكّانه من أهل الزنج و الحبشة وشدّة جعود شعورهم وغير ذلك ممّا تقتضيه حرارة الهواء، وأضداد ذلك في الإقليم الرابع تدلّ على كون هوائه أعدل . بل السبب الكلّي في توفّر العمارات وكثرة التوالد والتناسل في الأقاليم السبعة دون سائر المواضع المنكشفة من الأرض يدلّ على كونها أعدل من غيرها ، ومايقرب من وسطها لا محالة يكون أقرب إلى الاعتدال ممّا يكون على أطرافها . فإنّ الاحتراق والفجاجة اللازمين من الكيفيّتين ظاهران في الطرفين ـ انتهى ـ .

فعلى ماذكره ـ قدّس سرّه ـ سكّان الإقليم الرابع أعدل الناس خلقاً وخُلقاً، و أجودهم فطانة وذكاءً . ومن ثمّة كان معدن الحكماء والعلماء ، وبعدهم سكّان الاقليمين: الثالث ، و الخامس . وأمّا سائر الأقاليم فأكثرها ناقصون في الجبلّة عمّا هو أفضل، يدلّ عليه سماجة صورهم و سوء أخلاقهم و شدّة احتراقهم من الحرّ أو فجاجتهم من البرد كالحبشة و الزنج في الأوّل و الثاني ، وكيأجوج و مأجوج و بعض الصقالبة في السادس والسابع . و أمّا الآفاق الّتي لها عرض أقلّ من الربع فهي على خمسة أقسام : الأوّل أن يكون عرضه أقلّ من الميل الكلّي ،الثاني أن يكون عرضه مساوياً للميل الكلّي

الثالث (١) أن يكون عرضه مساوياً لتمام الميل الكلّي ، الرابع أن يكون عرضه أكثر من الميل و أقلّ من تمامه ، الخامس أن يكون عرضه أكثر من تمام الميل . ففي جميع تلك الآفاق يكون أحد قطبي المعدّل فوق الأرض مرتفعاً عن الأفق بقدر عرض البلد والآخر منحطّاً عن الأفق بهذا المقدار . و بجميع تلك الآفاق ينصّف معدّل النهارعلى زوايا [قوائم] فيكون دور الفلك هناك حمائليّاً ، وتقطع المدارات الّتي تقطعها بقطعتين مختلفتين . والقسيّ (٢) الظاهرة للمدارات الشماليّة أعظم من الّتي تحت الأرض ، و للجنوبيّة بالخلاف من ذلك ولا يستوي الليل و النهار فيها إلاّ عنه بلوغ الشمس نقطتي الاعتدال ، و ذلك في يوم النيروز و المهرجان و المساواة في بعض الأوقات تحقيقيّ و في بعضها تقريبيّ . و يكون النهار أطول من الليل عندكون الشمس في البروج الشماليّة وعندكونها في البروج الجنوبيّة الأمر بعكس ذلك . وكلّما كان عرض البلد أكثر كان مقدار التفاوت بين الليل و النهار أكثر ، و كلّ مدار بعده عن القطب الشماليّ مثل ارتفاع القطب عن الأفق فهو بجميع ما فيه و بجميع ما تحويه دائرته إلى القطب الشماليّ من الكواكب و المدارات أبديّ الظهور ، و نظيره من ناحية الجنوب بجميع مافيه وما تحويه دائرته إلى القطب الجنوبيّ أبديّ الخفاء . وهذه هي الأحوال المشتركة .

و أمّا ما يختصّ بالقسم الأوّل من الأقسام الخمسة المتقدّمة و هو ما يكون العرض أقلّ من الميل الكلّي فالمدار الّذي يكون بُعده عن المعدّل من جهة القطب الظاهر بقدر عرض البلد يقطع منطقة البروج على نقطتين متساويتي البعد من المنقلب فإذا وصلت الشمس إلى إحدى هاتين النقطتين لا يكون في نصف نهار هذا اليوم لشيء ظلّ ، و ما دامت الشمس في القوس الّذي بين تينك النقطتين في جهة القطب الظاهر يقع

---

(١) في أكثر النسخ هكذا : الثالث أن يكون عرضه أكثر من الميل و أقل من تمامه الرابع ان يكون عرضه مساوياً لتمام الميل الكلي .

(٢) جمع قوس ، و أصله قووس — على ما ذكره الصرفيون — فانقلب اللام مكان العين ثم قلبت الواوان يائين و ادغمت الاولى في الثانية و كسرت القاف والسين فصار « قسياً » .

الظلّ في أنصاف النهار إلى جهة القطب الخفيّ ، و مادامت الشمس في القوس الآخر يقع الظلّ في أنصاف النهار إلى جهة القطب الظاهر ، ولارتفاع الشمس في النقصان غايتان: إحداهما من جهة القطب الظاهر و هو أكثر ، و الاُخرى من جهة القطب الخفيّ وهو أقلّ ، ولا تكون فصول السنة في تلك الآفاق متساوية ، بل إذا كانت النقطتان المذكورتان متقاربتين كان صيفهم أطول من غيره ، لأنّ الشمس تسامت رؤسهم مرّتين و ليس بعدها على قدر يكون في وسطه فتور للسخونة ، و إن زادت على الأربعة كما إذا كانت النقطتان متباعدتين لم تكن متشابهة لاختلاف غايتي بعد الشمس عن سمت الرأس في الجهتين بخلاف خطّ الاستواء لتساويهما .

و أمّا القسم الثاني فمدار المنقلب الّذي في جهة القطب الظاهر يمرّ بسمت الرأس و مدار المنقلب الآخر بسمت الرجل ، ولا يكون لارتفاع الشمس إلّا غاية واحدة في جانب النقصان ، وفي جانب الزيادة يكون تسعين درجة ، ويكون الظلّ أبداً عند الزوال في جهة القطب الظاهر ، إلّا في يوم واحد حين كونها في المنقلب الظاهر ، فإنّه لا يكون في هذا اليوم عند الزوال لشيء ظلّ ، و يكون أحد قطبي فلك البروج أبديّ الظهور و الآخر أبديّ الخفاء . وارتفاعات الشمس تتزايد من أحد الانقلابين إلى الآخر ، ثمّ ترجع و تتناقص إلى أن تعود إليه و تصير فصول السنة أربعة لا غير و تكون متساوية المقادير .

و أمّا القسم الثالث فلا تنتهي الشمس إلى سمت الرأس ، و يكون لها ارتفاعان : أعلى ، و هو ما يكون بقدر مجموع الميل الكلّي و تمام عرض البلد . و أسفل ، وهو يكون بقدر فضل تمام عرض البلد على الميل الكلّي ، و سائر الأحوال كما مرّ .

وأمّا القسم الرابع فيصير مدار المنقلب الّذي في جهة القطب الظاهر أبديّ الظهور و مدار المنقلب الآخر أبديّ الخفاء . و يمرّ مدار قطب فلك البروج الظاهر بسمت الرأس ، و مدار القطب الآخر بمقابله ، و في كلّ دورة تنطبق منطقة البروج مرّة على الاُفق ، ثمّ يرتفع النصف الشرقيّ من المنطقة دفعة عن الاُفق و ينحطّ نصفها الآخر عنه كذلك ، ثمّ يطلع النصف الخفيّ جزءً بعد جزء في جميع أجزاء نصف الاُفق الشرقيّ

و يغيب النصف الظاهر جزءً بعد جزء كذلك في جميع نصف الأُفق الغربيّ في مدّة اليوم بليلته إلى أن يعود وضع الفلك إلى حاله الأُولى ، و يزيد النهار في تلك الآفاق إلى أن يصير مقدار يوم بليلته نهاراً كلّها ، و ذلك عند وصول الشمس إلى المنقلب الظاهر. و هذا إذا اعتبر ابتداء النهار من وصول مركز الشمس إلى الأُفق ، و إن اعتبر ابتداء النهار من ظهور الضوء و اختفاء الثوابت كان نهارهم عند الوصول المذكور شهراً ـ على ما بيّنه « ساو ذوسيوس » في الرسالة الّتي بيّن فيها حال المساكن ـ ثمّ يحدث ليل في غاية القصر بحيث يتداخل الشفق و الفجر، ويزيد شيئاً فشيئاً إلى أن يصير مقدار يوم بليلته ليلة كلّه ، و بعد ذلك يحدث نهار قصير ، و هكذا . و في هذا القسم نهاية العمارة في جانب الشمال ، ولا تمكن العمارة بعده لشدّة البرد .

و أمّا القسم الخامس فيكون فيه أعظم المدارات الأبديّة الظهور قاطعاً لمنطقة البروج على نقطتين يساوي ميلهما في جهة القطب الظاهر ، و أعظم المدارات الأبديّة الخفاء قاطعاً لها على نقطتين متقابلتين لهما ؛ فتنقسم منطقة البروج لا محالة إلى أربع قسيّ يتوسّطها الاعتدالان والانقلابان : إحديهما أبديّ الظهور و هي الّتي يتوسّطها المنقلب الّذي في جهة القطب الظاهر ، ومدّة كون الشمس فيها نهارهم الأطول . والثانية أبديّ الخفاء وهي الّتي يتوسّطها المنقلب الآخر ،ومدّة كون الشمس فيها ليلهم الأطول و أمّا القوسان الباقيتان فالّتي يتوسّطها أوّل الحمل تطلع معكوسة أي يطلع آخرها قبل أوّلها ، و تغرب مستوية أي يغرب أوّلها قبل آخرها إن كان القطب الظاهر شمالياً وتطلع مستوية وتغرب معكوسة إن كان القطب الظاهر جنوبيّاً ؛ و الّتي يتوسّطها أوّل الميزان يكون بالضدّ من ذلك . و مثّلوا لتصوير الطلوع و الغروب المعكوسين مثالاً لسهولة تصوّرهما تركناه مع سائر أحكام هذا القسم لقلّة الجدوى .

و أمّا الموضع الّذي عرضه ربع الدور و هو تسعون درجة فأوضاعه غريبة جدّاً و ذلك لا يكون على الأرض إلّا عند موضعين يكون أحد قطبي المعدّل على سمت الرأس و الآخر على سمت القدم ، فتصير لا محالة دائرة معدّل النهار منطبقة على الأُفق ، و يدور الفلك بالحركة الأُولى التابعة للفلك الأعظم رحويّة ولا يبقى في الأُفق مشرق

ولا مغرب باعتبار هذه الحركة أصلاً ولا باعتبار غيرها بحيث يتميّز أحدهما عن الآخر في الجهة ، ولا يتعيّن أيضاً نصف النهار ، بل في جميع الجهات يمكن أن تبلغ الشمس وسائر الكواكب غاية ارتفاعها ، كما يمكن أن تطلع و تغرب فيها ، فيكون النصف من الفلك الّذي يكون من معدّل النهار في جهة القطب الظاهر أبديّ الظهور ، و النصف الآخر أبديّ الخفاء . و الشمس مادامت في النصف الظاهر من فلك البروج يكون نهاراً ، وما دامت في النصف الخفيّ منه يكون ليلا ، فيكون سنة كلّها يوماً بليلة ، و يفضل أحدهما على الآخر من جهة بطء حركتها و سرعتها وهو تقريباً سبعة أيّام بلياليها من أيّامنا . ففي هذه الأزمنة يزيد نهاره عن ليله بمثل هذه المدّة . وهذا إذا اعتبر النهار من طلوع الشمس إلى غروبها ، و أمّا إذا كان النهار من ظهور ضوئها و اختفاء الثوابت إلى ضدّهما فيكون نهارهم أكثر من سبعة أشهر بسبعة أيّام ، وليلهم قريباً من خمسة أشهر ، إذمن ظهور ضوء الشمس إلى طلوعها خمسة عشر يوماً وكذا من غروبها إلى اختفاء الضوء ، على ماحقّقه « ساوذوسيوس » و أمّا إذا كان النهار من طلوع الصبح إلى غروب الشفق فكان نهارهم سبعة أشهروسبعة عشر يوماً من أيّامنا تقريباً .

و قال المحقّق الطوسيّ ـ قدّس سرّه ـ : و يكون مدّة غروب الشفق أوطلوع الصبح في خمسين يوماً من أيّامنا . و يكون غاية ارتفاع الشمس و غاية انحطاطه بقدر غاية الميل . و أظلال المقاييس تفعل دوائر متوازية بالتقريب على مركز أصل المقياس أصغرها إذا كانت الشمس في المنقلب الظاهر . و أعظمها إذا كانت عند الاُفق بقرب الاعتدالين ، ولا يكون لشيء من الكواكب طلوع ولاغروب بالحركة الاُولى، بل يكون طلوعها و غروبها بالحركة الثانية المختصّة بكلّ منها لافي موضع بعينه من الاُفق . و يكون للكواكب الّتي يكون عرضها من منطقة البروج ينقص من الميل الكلّيّ طلوع وغروب بالحركة الخاصّة ، و تختلف مدّة[1] الظهور و الخفاء بحسب بُعد مدارها عن منطقة البروج و قربها إليه ، فما كان مداره أبعد عنها في جهة القطب الظاهر كان زمان ظهوره أكثر من زمان ظهور مامداره أقرب منها في هذه الجهة ، و ينعكس الحكم في

(١) مدتا (خ)

الجهة الأُخرى . و الكواكب الّتي عرضها مساوٍ للميل كلّه تماسّ الأُفق في دور واحد من الحركة الثانية مرّة واحدة إمّا من فوق و إمّا من تحت ، ولا يكون لها ولا للّتي يزيد عرضها في أحد جانبي فلك البروج على الميل الكلّي طلوع ولاغروب ، بل تكون إمّا ظاهرة أبداً و إمّا خفيّة أبداً .

الفائدة الثالثة : قالوا : السبب الأكثري في تولّد الأحجار و الجبال عمل الحرارة في الطين اللزج بحيث يستحكم انعقاد رطبه بيابسه بإذن الله تعالى . وقد ينعقد الماء السيّال حجراً إمّا لقوّة معدنيّة محجّرة أو لأرضيّة غالبة على ذلك الماء . فإذا صادف الحرّ العظيم طيناً كثير الرخا إمّا دفعة و إمّا على مرور الأيّام تكوّن الحجر العظيم . فإذا ارتفع بأن يجعل الزلزلة العظيمة طائفة من الأرض تلاً من التلال ، أو يحصل من تراكم عمارات تخرّبت ثمّ تحجّرت ، أو يكون الطين المتحجّر مختلف الأجزاء في الصلابة والرخاوة فتنحفر أجزاؤه الرخوة بالمياه والرياح وتغور تلك الحفر بالتدريج غوراً شديداً و تبقى الصلبة مرتفعة أو بغير ذلك من الأسباب فهو الجبل . و قد يرى بعض الجبال منضودة ساقاً فساقاً كأنّها سافات الجدار ، فيشبه أن يكون حدوث مادّة الفوقاني بعد تحجّر التحتاني و قد سال على كلّ ساف من خلاف جوهره ماصار حائلاً بينه وبين الآخر . وقد يوجد في كثير من الأحجار عند كسرها أجزاء الحيوانات المائيّة فيشبه أن تكون هذه المعمورة قد كانت في سالف الدهر مغمورة في البحر فحصل الطين اللزج الكثير و تحجّر بعد الانكشاف ، و لذلك كثر الجبال ، و يكون انحفار ما بينها بأسباب تقتضيه كالسيول و الرياح ، كذا قيل ، وقد مرّ بعض الكلام فيه سابقاً . و الحقّ أنّ الله تعالى خلقها بفضله وقدرته إمّا بغير أسباب ظاهرة أو بأسباب لا نعلمها . وهذه الأسباب المذكورة ناقصة ، ولو كانت هذه أسبابها فلم لايحدث من الأزمنة الّتي أحصى الحكماء تلك الجبال إلى تلك الأزمان جبل آخر ، إلاّ أن يقال : لمّا كان في بدء خلق الأرض زلزلة و رجفة واضطراب عظيم في الأرض صارت أسباباً لحدوث تلك الجبال ، فلمّا حدثت استقرّت الأرض وسكنت ، فلهذا لا يحدث بعدها مثلها كما دلّت عليه الآيات و الأخبار .

ثمّ اعلم أنّ منافع الجبال كثيرة : منها كونها أوتاداً للأرض كما مرّ ؛ و منها أنّ انبعاث العيون والسحب المستلزمة للخيرات الكثيرة منها أكثر من غيرها، بل لا تنفجر العيون إلاّ من أرض صلبة أو من جوار أرض صلبة ، كما قال في الشفاء : إذا تتبّعت الأودية المعروفة في العالم وجدتها كلّها منبعثة من عيون جبليّة ومنها تكوّن الجواهر المعدنيّة منها و منها إنباتها النباتات الكثيرة و الأشجار العظيمة ، و منها المغارات الحادثة فيها فإنّها مأوى الحيوانات بل بعض الناس . ومنها كونها أسباباً لاهتداء الخلق في طرقهم وسبلهم ، و منها اتّخاذ الأحجار منها للأرحية والأبنيه وغيرها ، إلى غير ذلك من المنافع الكثيرة الّتي تصل عقول الخلق إلى بعضها و تعجز عن أكثرها . قال الصادق عليه السلام في خبر التوحيد الّذي رواه عنه المفضّل بن عمر : انظر يامفضّل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة الّتي يحسبها الغافلون فضلاً لاحاجة إليها، والمنافع فيها كثيرة : فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج ، فتبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ويذوب ماذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة الّتي تجتمع منها الأنهار العظام ، وتنبت فيها ضروب من النبات و العقاقير الّتي لاينبت منها في السهل ، وتكون فيها كهوف و مقائل للوحوش من السباع العادية ، و يتّخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرّز من الأعداء و ينحت منها الحجارة للبناء و الأرحاء ، و توجد فيها معادن لضروب من الجواهر ، و فيها خلال اُخرى لايعرفها إلاّ المقدّر لها في سابق علمه .

بيان : « المقائل »كأنّه من القيلولة ، و في بعض النسخ بالغين المعجمة من الغيل و هو الشجر الملتفّ ، و في بعضها « معاقل » جمع معقل و هو الشجر الملتفّ [١] .

الفائدة الرابعة : قالوا في علّة حدوث الزلزلة و الرجفة : إذا غلظ البخار و بعض الأدخنة و الرياح في الأرض بحيث لا ينفذ في مجاريها لشدّة استحصافها [٢] و تكاثفها اجتمع طالباً للخروج ولم يمكنه النفوذ فزلزلت الأرض ، و ربما اشتدّت الزلزلة

---

(١) كذا في جميع النسخ ، و الظاهر انه سهو القلم ، فان المعقل بمعنى الملجأ و مكان عقل الابل و الجبل المرتفع ، و المناسب للعبارة هو « معاقل » بمعنى الملاجيء .

(٢) اى استحكامها .

فخسفت الأرض فتخرج منه نار لشدّة الحركة الموجبة لاشتعال البخار و الدخان لاسيّما إذا امتزجا امتزاجاً مقرّباً إلى الدهنيّة ، وربما قويت المادّة على شقّ الأرض فتحدث أصوات هائلة ، وربماحدثت الزلزلة من تساقط عوالي وهدات في باطن الأرض فيتموّج بها الهواء المحتقن فيتزلزل بها الأرض ، و قليلاً ما تتزلزل بسقوط قلل الجبال عليها لبعض الأسباب . وقد يوجد في بعض نواحي الأرض قوّة كبريتيّة ينبعث منها دخان و في الهواء رطوبة بخاريّة فيحصل من اختلاط دخان الكبريت بالأجزاء الرطبة الهوائيّة مزاج دهنيّ ، و ربما اشتعل بأشعّة الكواكب و غيرها فيرى بالليل شعل مضيئة .

وقال شارح المقاصد : قد يعرض لجزء من الأرض حركة بسبب ما يتحرّك تحتها فيحرّك مافوقه و يسمّى الزلزلة ، و ذلك إذا تولّد تحت الأرض بخار أودخان أوريح أو ما يناسب ذلك و كان وجه الأرض متكاثفاً عديم المسامّ أو ضيّقها جدّاً و حاول ذلك الخروج و لم يتمكّن لكثافة الأرض تحرّك في ذاته و حرّك الأرض ، و ربما شقّتها لقوّته ، وقد ينفصل منه نار محرقة و أصوات هائلة لشدّة المحاكّة والمصاكّة ، وقد يسمع منها دويّ لشدّة الريح . ولا يوجد الزلزلة في الأراضي الرخوة لسهولة خروج الأبخرة و قلّما تكون في الصيف لقلّة تكاثف وجه الأرض . و البلاد الّتي تكثر فيها الزلزلة إذا حفرت فيها آبار كثيرة حتّى كثرت مخالص الأبخرة قلّت الزلزلة . وقد يصير الكسوف سبباً للزلزلة لفقد الحرارة الكائنة عن الشعاع دفعة ، و حصول البرد الحاقن للرياح في تجاويف الأرض بالتحصيف [1] بغتة ، ولا شكّ أنّ البرد الّذي يعرض بغتة يفعل مالا يفعل العارض بالتدريج . قال ذلك و أمثاله نقلاً عن الحكماء . ثمّ قال : و لعمري إنّ النصوص الواردة في استناد هذه الآثار إلى القادر المختار قاطعة ، وطرق الهدى إلى ذلك واضحة ، لكن من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور ـ انتهى ـ .

و قال بعض من يدّعي اقتفاء آثار الأئمّة الأبرار و عدم الخروج عن مدلول الآيات و الأخبار : و لمّا كانت الأبخرة والأدخنة المحتقنة في تجاويف الأرض بمنزلة عروقها و إنّما تتحرّك بقوى روحانيّة ورد في الحديث أنّ الله سبحانه إذا أراد أن

---

(١) بالتخسيف (خ) .

يزلزل الأرض أمر الملك أن يحرّك عروقها فيتحرّك بأهلها ، و ما أشبه ذلك من العبارات على اختلافها ، و العلم عندالله ـ انتهى ـ .

و أقول : قد عرفت مراراً أنّ تأويل النصوص و الآثار و الآيات و الأخبار بلا ضرورة عقليّة أو معارضات نقليّة جرأة على العزيز الجبّار ، ولا نقول في جميع ذلك إلّا ماورد عنهم صلوات الله عليهم ، ومالم تصل إليه عقولنا نردّ علم ذلك إليهم .

٣٣

﴿ باب ﴾

﴿ تحريم أكل الطين و ما يحل أكله منه ﴾

١ ـ **مجالس الصدوق** : عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ، عن أحمد ابن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن الحكم ، عن إسمعيل المنقريّ ، عن جدّه زياد بن أبي زياد ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال : من أكل الطين فإنّه تقع الحكّة في جسده ، و يورثه البواسير ، و يهيّج عليه داء السوء ، و يذهب بالقوّة من ساقيه و قدميه ، و ما نقص من عمله في ما بينه و بين صحّته قبل أن يأكله حوسب عليه و عذّب به .

مجالس الشيخ : عن أبيه ، عن الحسين بن عبيدالله الغضائريّ ، عن الصدوق إلى آخر السند مثله .

ثواب الاعمال : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى مثله [1] .

المحاسن : عن عليّ بن الحكم مثله [2] .

٢ ـ **الخصال** : بإسناده إلى أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام في وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله

(١) ثواب الاعمال : ٢٣٧ .

(٢) المحاسن : ٥٦٥ .

إلى عليّ عليه السلام : ياعليّ ثلاث[1] من الوسواس : أكل الطين ، وتقليم الأظفار بالأسنان و أكل اللحية [2] .

٣ ـ **و منه** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن محمد بن عيسى اليقطينيّ ، عن عبيدالله الدهقان ، عن درست ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي الحسن الأوّل عليه‌السلام قال: أربعة من الوسواس : أكل الطين ، وفتّ الطين ، وتقليم الأظفار بالأسنان و أكل اللحية [3] .

بيان : «من الوسواس» أي من وسوسة الشيطان ، أو من الشيطان المسمّى بالوسواس كما قال تعالى « الوسواس الخنّاس » قال الجوهريّ : الوسوسة حديث النفس ، يقال : وسوست إليه نفسه وسوسة و وسواساً بكسر الواو . و الوسواس ـ بالفتح ـ : الاسم ، و « الوسواس » اسم الشيطان ـ انتهى ـ . و الحاصل أنّها من الأعمال الشيطانيّة الّتي يولع بها الإنسان و يعسر عليه تركها .

٤ ـ **العيون** : عن أحمد بن زياد الهمدانيّ ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن ياسر قال : سأل بعض القوّاد أباالحسن الرضا عليه السلام عن أكل الطين ، وقال : إنّ بعض جواريه يأكلن الطين ، فغضب ثمّ قال : أكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير فانههنّ عن ذلك [4] .

٥ ـ **مجالس ابن الشيخ** : عن والده ، عن عليّ بن محمد بن حشيش عن محمد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن سعيد ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال ، عن جعفر بن إبراهيم بن ناجية ، عن سعد بن سعد الأشعريّ ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الطين الّذي [يؤكل] تأكله الناس ، فقال : كلّ طين حرام كالميتة والدم و ما اُهلّ لغير الله به ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام فإنّه شفاء من كلّ داء .

الخرائج : عن ذي الفقار بن معبد الحسنيّ عن الشيخ أبي جعفر الطوسيّ عن ابن حشيش مثله .

---

(١) في المصدر : ثلاثة .
(٢) الخصال : ٦٠ .
(٣) الخصال : ١٠٣ .
(٤) العيون : ج ٢ ، ص ١٥ .

٦ ـ **العلل** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمّد بن أبي عبدالله البرقيّ عن الحسن بن عليّ ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ و جلّ خلق آدم من طين فحرّم أكل الطين على ذرّيّته [١] .

المحاسن : عن الحسن بن عليّ مثله [٢] .

٧ ـ **العلل** : عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن أبي يحيى الواسطيّ ، عن رجل قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : الطين حرام أكله [٣] كلحم الخنزير ، و من أكله ثمّ مات فيه لم اُصلّ عليه ، إلّا طين القبر ، فمن أكله شهوة لم يكن فيه شفاء [٤] .

بيان : رواه الكلينيّ في الكافي عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد ؛ و ابن قولويه في كامل الزيارة عن الكلينيّ و جماعة من مشايخه بهذا الإسناد ، و فيهما « حرام كلّه ـ إلى قوله ـ إلّا طين القبر ، فإنّ فيه شفاءً من كلّ داء ، و من أكله بشهوة لم يكن له فيه شفاء [٥] » . و عدم صلاته عليه السلام عليه لا ينافي وجوب الصلاة عليه وأمره غيره بالصلاة عليه ، و هذا من التأديبات الشرعيّة لانزجار الناس عن مثلها ، فإنّ ذلك من أبلغ التعذيرات [٦] .

٨ ـ **العلل** : عن محمّد بن موسى بن المتوكّل ، عن عبدالله بن جعفر الحميريّ ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن إبراهيم بن مهزم ، عن طلحة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من انهمك في أكل الطين فقد شرك في دم نفسه [٧] .

المحاسن : عن ابن محبوب مثله [٨] .

بيان : قال الجوهريّ : انهمك الرجل في الأمر أي جدّ و لجّ .

---

(١) العلل ، ج ٢ ، ص ٢١٩ . (٢) المحاسن ، ٥٦٥ .
(٣) كله (خ) . (٤) العلل ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .
(٥) الكافي ، ج ٦ ، ص ٢٦٥ .
(٦) في بعض النسخ « التقديرات » و الظاهر « التحذيرات » .
(٧) العلل ، ج ٢ ، ص ٢١٩ . (٨) المحاسن ، ٥٦٥ .

٩ ـ **العلل** : عن محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن محمّد بن الحسن الصفّار ، عن عليّ بن حسان ، عن عبدالرحمان بن كثير ، عن يحيى بن عبدالله بن الحسن ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أكل طين الكوفة فقد أكل لحوم الناس ، لأنّ الكوفة كانت أجمة ثمّ كانت مقبرة ما حولها . وقد قال أبو عبدالله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أكل الطين فهو ملعون [١] .

بيان : يدلّ على عدم جواز أكل طين قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكأنّ هذا التعليل لشدّة حرمة خصوص طين الكوفة و حواليها ، و يدلّ على أنّ طين قبر الحسين عليه السلام أيضاً إذا كان من المواضع الّتي يظنّ خلط لحوم الناس و عظامهم به لا يجوز أكله ، و أكثر المواضع القريبة سوى ما اتّصل بالضريح المقدّس في تلك الأزمنة كذلك .

١٠ ـ **العلل** : عن محمّد بن موسى بن المتوكّل ، عن عليّ بن الحسين السعدآباديّ عن أحمد بن أبي عبدالله البرقيّ ، عن عليّ بن الحكم ، عن إسماعيل بن محمّد بن أبي زياد عن جدّه زياد ، عن أبي جعفر عليه السلام : إنّ من عمل الوسوسة و أكثر [٢] مصائد الشيطان أكل [٣] الطين . إنّ أكل الطين يورث السقم في الجسد ، و يهيّج الداء ، و من أكل الطين فضعفت قوّته الّتي كانت قبل أن يأكله وضعف عن عمله الّذي كان يعمله قبل أن يأكله حوسب على ما بين ضعفه و قوّته و عذّب عليه [٤] .

ثواب الاعمال : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليّ بن الحكم مثله [٥] .

المحاسن : عن عليّ بن الحكم مثله [٦] .

بيان : في الكافي و غيره : عن إسماعيل بن محمّد عن جدّه زياد بن أبي زياد . و في

---

(١) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ . (٢) في المحاسن : أكبر .

(٣) في ثواب الاعمال : ان عمل الوسوسة و اكثر مصائد الشيطان من أكل الطين .

(٤) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ . (٥) ثواب الاعمال ، ٢٣٧ .

(٦) المحاسن ، ٥٦٥ .

الكافي : أنّ التمنّي عمل الوسوسة و أكثر مكائد الشيطان [١] . وكانّ ما في سائر النسخ أظهر ، و في المحاسن « أكبر » بالباء الموحّدة .

١١ ـ **كامل الزيارة** : عن محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن محمّد بن الحسن الصفّار عن عباد بن سليمان ، عن سعد بن سعد ، قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن الطين . قال: فقال : أكل الطين حرام مثل الميتة والدم و لحم الخنزير ، إلاّ طين قبر الحسين عليه السلام فإنّ فيه شفاءً من كلّ داء و أمناً من كلّ خوف [٢] .

١٢ ـ **و منه** : عن محمّد بن أحمد بن يعقوب ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن أحدهما عليهما السلام قال : إنّ الله تبارك و تعالى خلق آدم من الطين فحرّم الطين على ولده . قال : فقلت : ما تقول في طين قبر الحسين عليه السلام ؟ فقال: يحرم على الناس أكل لحومهم و يحلّ لهم أكل لحومنا ؟ و لكن الشيء [٣] منه مثل الحمصة [٤] .

١٣ ـ **و منه** : روي عن سماعة بن مهران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كلّ طين محرّم على ابن آدم ما خلا طين قبر أبي عبدالله عليه السلام من أكله من وجع شفاه الله [٥] .

١٤ ـ **المحاسن** : عن عثمان بن عيسى ، عن طلحة بن يزيد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أكل الطين يورث النفاق [٦].

١٥ ـ **و منه** : عن النوفليّ ، عن السكونيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أكل الطين فمات فقد أعان على نفسه [٧].

١٦ ـ **و منه** : : عن ابن فضّال ، عن ابن القدّاح ، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السلام قال : قيل لعليّ عليه السلام في رجل يأكل الطين ، فنهاه و قال : لا تأكله ، فإنّك إن أكلته و متّ فقد أعنت على نفسك [٨] .

---

(١) الكافي : ج ٦ ، ص ٢٦٦ و فيه « مصائد الشيطان » .
(٢) كامل الزيارة : ٢٨٥ .　　(٣) في المصدر : الشيء اليسير منه .
(٤) كامل الزيارة : ٢٨٦ .　　(٥) كامل الزيارة : ٢٨٦ .
(٦ـ٨) المحاسن : ٥٦٥ .

١٧ ـ **و منه :** عن محمّد بن عليّ ، عن كلثم بنت مسلم ، قالت : ذكر الطين عند أبي الحسن عليه السلام فقال : أترين أنّه ليس من مصائد الشيطان ؟! إنّه من مصائده الكبار و أبوابه العظام [(١)].

١٨ـ **المكارم** : سئل أبوعبدالله عليه السلام عن طين الأرمني أيؤخذ للكسير والمبطون أيحلّ أخذه ؟ قال : لا بأس به ، أمّا إنّه من طين قبر ذي القرنين ، وطين قبر الحسين عليه السلام خير منه [(٢)] .

المتهجد : عن محمّد بن جمهور العمّي عن بعض أصحابه عنه عليه السلام مثله .

دعوات الراوندي : عنه عليه السلام مثله .

١٩ ـ وروى سدير عن الصادق عليه السلام أنه قال : من أكل طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنّما أكل من لحومنا .

٢٠ ـ **طب الائمة :** عن بشر بن عبد الحميد الأنصاريّ ، عن الحسن بن عليّ الوشّاء ، عن محمّد بن الفضيل ، عن أبي حمزة الثماليّ ، عن أبي جعفر عليه السلام انّ رجلاً شكى إليه الزحير ، فقال له : خذ من الطين الأرمنيّ و أقله بنار ليّنة و استسفّ [(٣)] منه فإنّه يسكن عنك .

٢١ ـ وعنه عليه السلام أنّه قال في الزحير : تأخذ جزءً من خربق أبيض ، وجزءً من بزر القطونا ، وجزءً من صمغ عربيّ ، وجزءً من الطين الأرمنيّ يقلى بنار ليّنة وتستسفّ [(٤)] منه .

٢٢ ـ **كامل الزيارة :** عن محمّد بن الحسن بن عليّ بن مهزيار ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن مهزيار ، عن الحسن بن سعيد ، عن عبدالله الأصم ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي حمزة الثماليّ : عن أبي عبدالله عليه السلام في حديثه أنّه سئل عن طين الحائر : هل فيه

---

(١) المحاسن ، ٥٦٥ .

(٢) مكارم الاخلاق ، ١٩٠ .

(٣) استفّ الدواء أخذه غير ملتوت ، و في بعض النسخ « و استشف منه » .

(٤) في بعض النسخ « تستشف منه » .

شيء من الشفاء ؟ فقال : يستشفى ما بينه و بين القبر على رأس أربعة أميال ، وكذلك قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك طين قبر الحسن و عليّ و محمّد ، فخذ منها فإنّها شفاء من كلّ داء وسقم ، وجنّة ممّا تخاف ، ولا يعدلها شيء من الأشياء الّذي يستشفى بها إلّا الدعاء . و إنّما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلّة اليقين لمن يعالج بها ـ و ذكر الحديث إلى أن قال : ـ ولقد بلغني أنّ بعض من يأخذ من التربة شيئاً يستخفّ بها حتّى أنّ بعضهم يضعها[1] في مخلاة البغل و الحمار وفي وعاء الطعام و الخرج ! فكيف يستشفي به من هذا حاله عنده[2] ؟ !

بيان : أقول : قال الشيخ البهائيّ ـ قدّس الله روحه ـ في الكشكول : ممّا نقله جدّي من خطّ السيّد الجليل الطاهر ذي المناقب و المفاخر السيّد رضيّ الدين عليّ بن طاوس ـ قدّس سرّه ـ من الجزء الثاني من كتاب الزيارات لمحمّد بن أحمد بن داود القمّي أنّ أبا حمزة الثماليّ قال للصادق عليه السلام : إني رأيت أصحابنا يأخذون من طين قبر الحسين عليه السلام يستشفون ؟ فهل في ذلك شيء ممّا يقولون من الشفاء ؟ فقال : يستشفى ما بينه و بين القبر على رأس أربعة أميال ، وكذلك قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك قبر الحسن و عليّ و محمّد . فخذ منها فإنّها شفاء من كلّ سقم ، وجنّة ممّا يخاف . ثمّ أمر بتعظيمها و أخذها باليقين بالبرء و تختمها إذا اُخذت ـ انتهى ـ .

و اقول : هذا الخبر بهذين السندين يدلّ على جواز الاستشفاء بطين قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة عليهم السلام ولم يقل به أحد من الأصحاب و مخالف لسائر الأخبار عموماً وخصوصاً ، و يمكن حمله على الاستشفاء بغير الأكل كحملها و التمسّح بها و أمثال ذلك . و المراد بعليّ إمّا أمير المؤمنين أو السجّاد و بمحمّد الباقر عليهم السلام ويحتمل الرسول صلى الله عليه وآله تأكيداً و إن كان بعيداً .

٢٣ ـ **المتهجد** : عن حنان بن سدير ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : من أكل طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنّما أكل من لحومنا ـ الحديث ـ .

---

(١) في المصدر ، ليطرحها .

(٢) كامل الزيارة : ٢٨٠ .

٢٤ ـ قال : وروي أنّ رجلاً سأل الصادق عليه السلام فقال : إنّي سمعتك تقول : إنّ تربة الحسين عليه السلام من الأدوية المفردة ، وإنّها لاتمرّ بداء إلّا هضمته . فقال : قدقلت ذلك ، فما بالك ؟ قلت : إنّي تناولتها فما انتفعت بها . قال : أما إنّ لهادعاءً فمن تناولها ولم يدع به و استعملها لم يكد ينتفع بها . قال : فقال له : مايقول إذا تناولها ؟ قال : تقبّلها قبل كلّ شيء وتضعها على عينيك ، ولا تناول أكثر من حمصة . فإنّ من تناول أكثر من ذلك فكأنّما أكل من لحومنا ودمائنا ، فإذاتناولت فقل ـ وذكر الدعاء ـ .

٢٥ ـ **العيون :** عن تميم بن عبدالله القرشيّ ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ الأنصاري ، عن سليمان بن جعفر البصريّ عن عمرو بن واقد ، عن المسيّب بن زهير ، عن موسى بن جعفر عليه السلام أنّه أخبره بموته و دفنه و قال : لا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرّجات ، ولاتأخذ وامن تربتي شيئاً لتبرّكوا به ، فإنّ كلّ تربة لنامحرّمة إلّا تربة جدّي الحسين بن عليّ عليه السلام فإنّ الله عزّ و جلّ جعلها شفاء لشيعتنا و أوليائنا ـ الخبر ـ [١] .

٢٦ ـ **كامل الزيارة :** عن محمّد بن عبدالله بن جعفر ، عن أبيه، عن عليّ بن محمّد بن سالم عن محمّد بن خالد ، عن عبدالله بن حمّاد ، عن الأصمّ ، عن مدلج ، عن محمّد بن مسلم في حديث أنّه كان مريضاً فبعث إليه أبو عبدالله عليه السلام بشراب فشربه ، فكأنّما نشطمن عقال ، فدخل عليه فقال : كيف وجدت الشراب ؟ فقال : لقدكنت آئساًمن نفسي فشربته فأقبلت إليك فكأنّما نشطت من عقال فقال : يا محمّد إنّ الشراب الّذي شربته كان فيه من طين قبور [٢] آبائي ، و هو أفضل ماتستشفي به ، فلاتعدل به ، فإنّا نسقيه صبياننا و نساءنا فنرى منه كلّ الخير [٣] .

بيان : يدلّ الخبر على جواز إدخال التربة في الأدوية الّتي يستشفى بها ، و

---

(١) العيون ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

(٢) في المصدر : قبر الحسين عليه السلام .

(٣) كامل الزيارة : ٢٧٦ .

الأحوط أن لا يكون الداخل فيما يشربه أكثر من الحمّصة . و إنّما قلنا الأحوط في ذلك لأنّ في دخول التراب و الطين في المأكولات مع استهلاكها فيها يشكل الحكم بالحرمة كما سنشير إليه .

٢٧ ــ **معاني الاخبار** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن أبي عبدالله البرقيّ ، عن المعاذيّ ، عن معمر ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له ما يروي الناس في الطين و كراهته ، قال : إنّما ذلك المبلول و ذلك المدر (١) .

٢٨ ــ وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن أكل المدر . حدّثني بذلك محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن محمّد بن الحسن الصفّار عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي (٢) .

بيان : ظاهر الخبر الأوّل أنّ حرمة الطين مخصوصة بالطين المبلول دون المدر اليابس كما فهمه الصدوق ظاهراً ، وهذا ممّا لم يقل به صريحاً أحد ، و يمكن أن يحمل على أنّ المعنى أنّ المحرّم إنّما هو المبلول و المدر لا غيرهما ممّا يستهلك في الدبس و يقع على الثمار وسائر المطعومات ، وعلى هذا فالحصر إمّا إضافيّ بالنسبة إلى ماذكرنا أو المراد بالمدر ما يشمل التراب أيضاً . و يحتمل أن يكون إلزاماً على المخالفين النافين للاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام بأنّ ما استدللتم من الأخبار على تحريم الطين ظاهرها المبلول و إطلاقه على غيره مجاز فلا يمكنكم الاستدلال بها على تحريم التراب والمدر و على التقادير الكراهة محمولة على الحرمة . و قال المحدّث الاستراباديّ : إنّما المكروه ذاك الطين المتعارف بين الناس مبلوله و يابسه لا طين الحسين عليه السلام ــ انتهى ــ .

وأقول : مع قطع النظر عن الشهرة بين الأصحاب بل إجماعهم على تعميم التحريم لم يبعد القول بتخصيصه بالمبلول ، إذ الظاهر أنّ الطين في اللغة حقيقة في المبلول ، و أكثر الأخبار إنّما ورد بلفظ الطين ، و هذا الخبر ظاهره الاختصاص . وقال الراغب في المفردات : الطين ؛ التراب و الماء المختلط به ، وقد يسمّى بذلك و إن زال عنه قوّة الماء ــ انتهى ــ . لكن استثناء طين الحسين عليه السلام منه ممّا يؤيّد التعميم ، فإنّه معلوم

(١ و ٢) معاني الاخبار : ٢٦٣ .

أنّه ليس الاستشفاء بخصوص المبلول ، بل الغالب عدمه . وعلى أيّ حال لامحيص عن العمل بما هو المشهور في ذلك .

قال المحقّق الأردبيليّ - قدّس سرّه - الظاهر أنّه لاخلاف في تحريم الطين،و ظاهر اللفظ عرفاً ولغةً أنّه تراب مخلوط بالماء . و يؤيّده صحيحة معمر بن خلّاد - و ذكر الخبر ثمّ قال - وهذه تدلّ على أنّه بعداليبوسة أيضاًحرام ولايشترط بقاءالرطوبة ولكن لابدّ أن يكون ممتزجاً فلا يحرم غيرذلك للأصل و العمومات وحصر المحرّمات و المشهور بين المتفقّهة أنّه يحرم التراب و الأرض كلّها حتّى الرمل والأحجار . قال في المسالك : المراد به مايشمل التراب و المدر لما فيه من الإضرار بالبدن . و الضرر مطلقاً غير واضح ، و لعلّ وجه المشهور أنّه إذا كان الطين حراماً وليس فيه إلّا الماء والتراب ومعلوم عدم تحريم الماء ولا معنى لتحريم شيء بسبب انضمام محلّل ، فلولم يكن التراب محرّماً لم يكن الطين كذلك ، وإنّما التراب جزء الأرض فيكون كلّها حراماً . و فيه تأمّل واضح فتأمّل ولا تترك الاحتياط - انتهى - .

و أقول : الوجه الّذي حمل الخبر عليه غير ماذكرنا ، ومع احتمال تلك الوجوه بل أظهريّة بعضها يشكل الاستدلال بهذا الوجه ، ثمّ الحكم بتحريم ماسوى الطين والتراب من أجزاء الأرض كالحجارة و الياقوت والزبرجد و أنواع المعادن ممّالاوجه له ، و الآيات و الأخبار دالّة على أنّ الأصل في الأشياء الحلّ ، ولم يرد خبر بتحريم هذه الأشياء ، و قياسها على التراب باطل . و أمّا المستثنى منه و هو حلّ طين قبر الحسين عليه السلام فالظاهر أنّه لاخلاف في حلّه في الجملة ، و إنّما الكلام في شرائطه وخصوصيّاته ولنشر إليها و إلى بعض الأحكام المستفادة من الأخبار :

الاول : المكان الّذي يؤخذ منه التربة . ففي بعض الأخبار « طين القبر » وهي تدلّ ظاهراً على أنّها التربة المأخوذة من المواضع القريبة ممّا جاور القبر ، وفي بعضها « طين حائر الحسين عليه السلام » فيدلّ على جوازأخذه من جميع الحائر وعدم دخول ماخرج منه . و في بعضها « عشرون ذراعاً مكسرة » و هو أضيق ، و في بعضها « خمسة وعشرون ذراعاً من كلّ جانب من جوانب القبر » و في بعضها « تؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من

عند القبر على سبعين ذراعاً » و في بعضها « فيه شفاء و إن اُخذ على رأس ميل » و في بعضها « البركة من قبره عليه السلام على عشرة أميال » وفي بعضها « حرم الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ من أربع جوانب القبر » و في بعضها « حرمه عليه السلام خمس فراسخ في [1] أربع جوانبه » . وجمع الشيخ ـ ره ـ ومن تأخّرعنه بينها بالحمل على اختلاف مراتب الفضل و تجويز الجميع ، و هو حسن ، و الأحوط في الأكل أن لايجاوز الميل بل السبعين، و كلّما كان أقرب كان أحوط و أفضل . قال المحقّق الأردبيليّ ـ طيّب الله تربته ـ وأمّا المستثنى فالمشهور أنّه تربة الحسين عليه السلام فكلّ ما يصدق عليه التربة يكون مباحاً و مستثنى ، و في بعض الروايات « طين قبر الحسين عليه السلام » فالظاهر أنّ الّذي يؤخذ من القبر الشريف حلال ، و لمّا كان الظاهر عدم إمكان ذلك دائماً فيمكن دخول ما قرب منه و حواليه فيه أيضاً . و يؤيّده ما ورد في بعض الأخبار « طين الحائر » و في بعض « على سبعين ذراعاً » و في بعض « على عشرة أميال » ـ انتهى ـ .

الثاني : شرائط الأخذ . فقد ورد في بعض الأخبار شرائط كثيرة من الغسل و الصلاة و الدعاء و الوزن المخصوص ، كما سيأتي في كتاب المزار إن شاء الله تعالى . و لمّا كان أكثر الأخبار الواردة في ذلك خالية عن ذكر هذه الشروط و الآداب فالظاهر أنّها من مكمّلات فضلها وتأثيرها ، ولايشترط الحلّ بها كما هوالمشهور بين الأصحاب . قال المحقّق الأردبيليّ ـ ره ـ : الأخبار في جواز أكلها للاستشفاء كثيرة ، والأصحاب مطبقون عليه ، وهل يشترط أخذه بالدعاء وقراءة « إنّا أنزلناه » ؟ ظاهر بعض الروايات في كتب المزار ذلك ، بل مع شرائط اُخرى حتّى ورد أنّه قال شخص : إنّي أكلت و ماشفيت ، فقال عليه السلام له : افعل كذا و كذا . و ورد أيضاً أنّ له غسلاً وصلاة خاصّة و الأخذ على وجه خاصّ و ربطه وختمه بخاتم يكون نقشه كذا ، ويكون أخذه مقداراً خاصّاً ، و يحتمل أن يكون ذلك لزيادة الشفاء و سرعته و تبقيته لا مطلقاً ، فيكون مطلقاً جائزاً كما هو المشهور ، و في كتب الفقه مسطور .

الثالث : ما يؤكل له ، ولا ريب في أنّه يجوز للاستشفاء من مرض حاصل و إن

---

(١) من (خ) .

ظنّ إمكان المعالجة بغيره من الأدوية . و الظاهر الأمراض الجسمانيّة أيّ مرض كان و ربما يوسّع بحيث يشمل الأمراض الروحانيّة ، و فيه إشكال . و أمّا الأكل بمحض التبرّك فالظاهر عدم الجواز للتصريح به في بعض الأخبار و عموم بعضها ، لكن ورد في بعض الأخبار جواز إفطار العيد به و إفطار يوم عاشورا أيضاً به ، و جوّزه فيهما بعض الأصحاب ولا يخلو من قوّة ، والاحتياط في الترك إلّا أن يكون له مرض يقصد الاستشفاء به أيضاً . قال المحقّق الأردبيليّ ـ ره ـ : ولا بدّ أن يكون بقصد الاستشفاء و إلّا فيحرم ولم يحصل له الشفاء كما في رواية أبي يحيى و يدلّ عليه غيرها أيضاً . وقد نقل أكله يوم عاشوراء بعد العصر و كذا الإفطار بها يوم العيد ولم تثبت صحّته فلا يؤكل إلّا للشفاء ـ انتهى ـ . وقال ابن فهد ـ قدّس سرّه ـ : ذهب ابن إدريس إلى تحريم التناول إلّا عند الحاجة ، وأجاز الشيخ في المصباح الإفطار عليه في عيد الفطر ، و جنح العلّامة إلى قول ابن إدريس لعموم النهي عن أكل الطين مطلقاً ، وكذا المحقّق في النافع ، ثمّ قال: يحرم التناول إلّا عند الحاجة عند ابن إدريس ويجوز على قصد الاستشفاء والتبرّك و إن لم يكن هناك ضرورة عند الشيخ .

الرابع : المقدار المجوّز للأكل . و الظاهر أنّه لا يجوز التجاوز في كلّ مرّة عن قدر الحمّصة و إن جاز التكرار إذا لم يحصل الشفاء بالأوّل ، وقد مرّ التصريح بهذا المقدار في الأخبار ، وكان الأحوط عدم التجاوز عن مقدار عدسة لما رواه الكلينيّ عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن عمّار قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ الناس يروون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : إنّ العدس بارك عليه سبعون نبيّاً . فقال : هو الّذي تسمّونه عندكم الحمّص و نحن نسمّيه العدس [1] . و في الصحيح عن رفاعة ، عنه عليه السلام قال : إنّ الله عزّ و جلّ لمّا عافى أيّوب عليه السلام نظر إلى بني إسرائيل قد ازدرعت ، فرفع طرفه إلى السماء فقال : إلهي و سيّدي ، عبدك أيّوب المبتلى عافيته ولم يزدرع شيئاً و هذا لبني إسرائيل زرع ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : يا أيّوب خذ من سبحتك كفّاً فابذره ، وكانت سبحته فيها ملح ، فأخذ أيّوب كفّاً

---

(١) الكافي ، ج ٦ ، ص ٣٤٣ .

منها فبذره فخرج هذا العدس وأنتم تسمّونه الحمّص و نحن نسمّيه العدس[1] لأنّهما يدلّان على أنّه يطلق الحمّص على العدس أيضاً فيمكن أن يكون المراد بالحمّصة في تلك الأخبار العدسة . لكنّ العدول عن الحقيقة لمحض إطلاقه في بعض الأخبار على غيره غير موجّه ، مع أنّ ظاهر الخبرين أنّهم عليهم السلام كانوا يسمّون الحمّصة عدسة لا العكس ، فتأمّل ، و كذا فهمهما الكلينيّ حيث أوردهما في باب الحمّص لا العدس .

الخامس : الطين الأرمنيّ هل يجوز الاستشفاء به واستعماله في الأدوية ؟ فقيل: نعم ، لأنّه ورد في الأخبار المؤيّدة بعمومات دلائل حلّ المحرّمات عند الاضطرار، و قيل : لا، لعدم صلاحية تلك الأخبار لتخصيص أخبار التحريم ، وقد ورد المنع عن التداوي بالحرام ، و الأكثر لم يعتنوا بهذه الأخبار ، وجعلوا الخلاف فيه فرعاً للخلاف في جواز التداوي بالحرام و عدمه ، و لذا ألحقوا به الطين المختوم و إن لم يرد فيه خبر . قال المحقّق ـ روّح الله روحه ـ في الشرائع : وفي الأرمنيّ : رواية بالجواز حسنة لما فيه من المنفعة المضطرّ إليها . و قال الشهيد الثاني ـ نوّر الله ضريحه ـ : موضع التحريم في تناول الطين ما إذا لم يدع إليه حاجة ، فإنّ في بعض الطين خواصّ ومنافع لا تحصل في غيره ، فإذا اضطرّ إليه لتلك المنفعة بإخبار طبيب عارف يحصل الظنّ بصدقه جاز تناول ما تدعو إليه الحاجة لعموم قوله تعالى « فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه» وقد وردت الرواية بجواز تناول الأرمنيّ و هو طين مخصوص يجلب من أرمنيّة تترتّب عليه منافع خصوصاً في زمن الوباء و للإسهال و غيره ممّا هو مذكور في كتب الطبّ و مثله الطين المختوم ، و ربما قيل بالمنع لعموم ما دلّ على تحريم الطين ، وقوله صلى الله عليه وآله « ما جعل شفاؤكم في ما حرّم عليكم » و قوله صلى الله عليه وآله « لا شفاء في محرّم » و جوابه أنّ الأمر عامّ مخصوص بما ذكر ، و قوله صلى الله عليه وآله « لا ضرر ولا إضرار » و الخبران نقول بموجبهما لأنّا نمنع من تحريمه حال الضرورة ، و المراد : مادام محرّماً ، و موضع الخلاف ما إذا لم يخف الهلاك و إلّا جاز بغير إشكال ـ انتهى ـ . وسيأتي تمام الكلام في التداوي بالحرام في بابه إن شاء الله تعالى . و قال ابن فهد ـ ره ـ : الطين الأرمنيّ

(١) الكافي ، ج ٦ ، ص ٣٤٣ .

إذا دعت الضرورة إليه عيناً جاز تناوله خاصّة دون غيره ، و قيل : إنّه من طين قبر إسكندر . و الفرق بينه وبين التربة من وجوه : الأوّل أنّ التربة يجوز تناولها لطلب الاستشفاء من الأمراض وإن لم يصفها الطبيب بل و إن حذّر منها ، والأرمنيّ لا يجوز تناوله إلّا أن يكون موصوفاً . الثاني أنّ التربة لا يتجاوز منها قدر الحمّصة ، و في الأرمنيّ يباح القدر الّذي تدعو إليه الحاجة و إن زاد عن ذلك . الثالث أنّ التربة محترمة لا يجوز تقريبها من النجاسة و ليس كذلك الأرمنيّ .

المتهجد : يستحبّ صوم هذا العشر ، فإذا كان يوم العاشر أمسك عن الطعام و الشراب إلى بعد العصر ، ثمّ يتناول شيئاً يسيراً من التربة .

٢٩ ـ **الاقبال** : روينا بإسنادنا إلى محمّد بن يعقوب الكلينيّ بإسناده إلى عليّ ابن محمّد بن سليمان النوفليّ ، قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : إنّي أفطرت يوم الفطر على طين و تمر ، قال لي : جمعت بركة و سنّة . قال السيّد ـ رضي الله عنه ـ : يعني بذلك التربة المقدّسة على صاحبها السلام [1] .

٣٠ ـ **دعائم الاسلام** : عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه نهى عن أكل الطين و قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم من طين فحرّم أكل الطين على ذرّيّته . ومن أكل الطين فقد أعان على نفسه ، ومن أكله فمات لم اُصلّ عليه .

٣١ ـ و قال جعفر بن محمّد عليهما السلام : أكل الطين يورث النفاق [2] .

(١) الاقبال ، ٢٨١ .

(٢) قدمر مرسلا عن المحاسن تحت الرقم (١٤) .

٣٤

﴿ باب المعادن ﴾

✿ (و أحوال الجمادات و الطبائع و تأثيراتها و انقلابات) ✿
✿ (الجواهر و بعض النوادر) ✿

الآيات :

الحجر : و أنبتنا فيها من كلّ شيء موزون (١) .

النحل : أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيّؤ ظلاله عن اليمين و الشمائل سجّداً لله وهم داخرون . ولله يسجد ما في السموات و ما في الأرض من دابّة والملائكة وهم لا يستكبرون (٢) .

أسرى : تسبّح له السموات السبع و الأرض و من فيهنّ و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم إنّه كان حليماً غفوراً (٣) .

الانبياء : قلنا يا ناركوني برداً و سلاماً على إبراهيم(٤). وقال تعالى : وسخّرنا مع داود الجبال يسبّحن و الطير و كنّا فاعلين . و علّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون . و لسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض الّتي باركنا فيها (٥) .

الحج : ألم تر أنّ الله يسجد له من في السموات و من في الأرض و الشمس و القمر والنجوم و الجبال والشجر والدوابّ وكثير من الناس وكثير حقّ عليه العذاب(٦).

سبأ : ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال أوّبي معه و الطير و ألنّا له الحديد ــ إلى قوله تعالى ــ و أسلنا له عين القطر (٧) .

---

(١) الحجر : ١٩ .
(٢) النحل : ٤٨ ـ ٤٩ .
(٣) الاسراء : ٤٤ .
(٤) الانبياء : ٦٩ .
(٥) الانبياء : ٧٩ ــ ٨١ .
(٦) الحج : ١٨ .
(٧) سبأ : ١٠ ـ ١٢ .

فاطر : إنّ الله يمسك السموات و الأرض أن تزولا و لئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفورا [١] .

ص : إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ و الإشراق [٢] . وقال سبحانه : فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب [٣] .

الحديد : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إنّ الله قويّ عزيز [٤] .

تفسير : « أولم يروا إلى ماخلق الله من شيء » قيل : استفهام إنكار ، أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع ، فما بالهم لم يتفكّروا ليظهر لهم كمال قدرته و قهره فيخافوا منه ؟! و « ما » موصولة مبهمة بيانها « يتفيّؤ ظلاله » أي أولم ينظروا إلى المخلوقات الّتي لها ظلال متفيّئة « عن اليمين و الشمائل » أي عن أيمانها و شمائلها ، أي جانبي كلّ واحد منها ، استعارة عن يمين الإنسان و شماله ، و لعلّ توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ و المعنى كتوحيد الضمير في « ظلاله » و جمعه في قوله « سجّداً لله وهم داخرون » وهما حالان عن الضمير في « ظلاله » و المراد من السجود ؛ الانقياد والاستسلام ، سواء كان بالطبع أوبالاختيار ، يقال : سجدت النخلة : إذامالت لكثرة الحمل ؛ وسجدالبعير إذا طأطأ رأسه ليركب . وقال الشاعر :

ترى الأكم فيها سجّداً للحوافر

و « سجّداً » حال من الظلال « وهم داخرون » من الضمير ، و المعنى : يرجع الظلال بارتفاع الشمس و انحدارها أو باختلاف مشارقها و مغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقادة لما قدّر لها من التفيّوء ، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها كهيئة الساجد، والأجرام في أنفسها أيضاً داخرة أي صاغرة منقادة لأفعال الله فيها . وجمع «داخرون» لأنّ من جملتها من يعقل ، أو لأنّ الدخور من أوصاف العقلاء . وقيل : المراد باليمين و الشمائل عن يمين الفلك و هو جانبه الشرقيّ ، لأنّ الكوكب يظهر منه أخذه في

---

(١) فاطر : ٤١ . (٢) ص : ١٨ .
(٣) ص : ٣٦ . (٤) الحديد : ٢٥ .

الارتفاع والسطوع ، و شماله هو الجانب الغربي ّ المقابل له ، فإن ّ الأظلال في أو ّل النهار تبتدىء من المشرق واقعة على الربع الغربي ّ من الأرض ، و عند الزوال يبتدىء من المغرب واقعة على الربع الشرقي ّ من الأرض كما ذكره البيضاوي ّ و غيره . و قال بعضهم : كان الحسن يقول : أمّا ظلّك فيسجد لربّك و أمّا أنت فلاتسجد لربّك ! بئس ماصنعت . وعن مجاهد : ظل ّ الكافر يصلّي وهو لايصلّي . وقيل : ظل ّ كل ّ شيءيسجدلله سواء كان ذلك ساجداً لله أم لا . وقال الطبرسي ّ ـ ره ـ و قيل : إن ّ المراد بالظل ّ هو الشخص بعينه ، قال الشاعر « كأن ّ في أظلالهن ّ الشمس » أي في أشخاصهن ّ ، فعلى هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الأجسام الّتي عنها الظلال « وهم داخرون » أي أذلّة صاغرون ، قدنبّه الله سبحانه بهذا على أن ّ جميع الأشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبّرها بمالولاه لبطلت ولم يكن لها قوام طرفة عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذلّه ـ انتهى ـ . و قال النيسابوري ّ في تأويلها بعد تفسيرها بما مر ّ : « إلى ماخلق الله من شيء » هو عالم الأجسام ، فإن ّ عالم الأرواح خلق من لاشيء « يتفيّؤ ظلاله » فإن ّ الأجسام ظلال الأرواح ، فتارة تميل بعمل أهل السعادة إلى أصحاب اليمين ، وأخرى تميل بعمل أهل الشقاء إلى أصحاب الشمال « سجّداً لله » منقادين لأمره مسخّرين لما خلقوا لأجله ، و إنّما وحّد اليمين وجمع الشمائل لكثرة أصحاب الشمال ، وسجودكل ّ موجود يناسب حاله كماأن ّ تسبيح كل ّ منهم يلائم لسانه ـ انتهى ـ .

وأقول : و يحتمل أن يكون المراد بظلاله مثاله على القول بعالم المثال كمامر ّ تحقيقه أو روحه كماعبّر في الأخبار الكثيرة عن عالم الأرواح بالظلال ، فالمراد بالتفيّؤ عن اليمين ميلهم إلى السعادة و التشبّه بأصحاب اليمين ، و بالشمائل خلافه . و هذا كلام على سبيل الاحتمال في مقابلة ماذكروه من ذلك ، والله يعلم تفسير كلامه و حججه الكرام عليهم السلام .

« و لله يسجد » قال الرازي ّ: قد ذكرنا أن ّ السجود على نوعين : سجود هوعبادة كسجود المسلمين لله تعالى ، وسجود هو عبارة عن الانقياد و الخضوع ، و يرجع حاصل

هذا السجود إلى أنّها في أنفسها ممكنة الوجود و العدم قابلة لهما ، لأنّه لا يرجح أحد الطرفين على الآخر إلاّ لمرجّح . إذا عرفت هذا فنقول : من الناس من قال : المراد بالسجود المذكور في هذه الآية السجود بالمعنى الثاني و هو التواضع و الانقياد و الدليل عليه أنّ اللائق بالدابّة ليس إلاّ هذا السجود ، ومنهم من قال : المراد بالسجودههناهو المعنى الأوّل ، لأنّ اللائق بالملائكة هو السجود بهذا المعنى ، لأنّ السجود بالمعنى الثاني حاصل في كلّ الحيوانات و النباتات و الجمادات . و منهم من قال : السجود لفظ مشترك بين المعنيين ، و حمل اللفظ المشترك لإفادة مجموع معنييه جائز ،فحمل لفظ السجود في هذه الآية على الأمرين معاً ، أمّا في حقّ الدابّة فبمعنى التواضع ، و أمّا في حقّ الملائكة فبمعنى سجودالمسلمين لله تعالى . وهذا القول ضعيف لأنّه ثبت أنّ استعمال اللفظ المشترك لإفادة جميع مفهوماته معاً غير جائز . قوله « من دابّة » قال الأخفش : يريد من الدوابّ ، وقال ابن عبّاس : يريد كلّ مادبّ على الأرض . فإن قيل : ماالوجه في تخصيص الدوابّ والملائكة بالذكر ؟ قلنا : فيه وجوه: **الاول :** أنّه تعالى بيّن في آية الظلال أنّ الجمادات بأسرها منقادة لله تعالى ، لأنّ أخسّها الدوابّ و أشرفها الملائكة ، فلمّا بيّن في أخسّها و أشرفها كونها منقادة لله تعالىوبيّن بهذه الآية أنّ الحيوانات بأسرها منقادة لله تعالى كان ذلك دليلاً على أنّها بأسرها منقادة خاضعة لله تعالى .

والوجه الثاني : قال حكماء الاسلام : الدابّة اشتقاقها من الدبيب ، والدبيب عبارة عن الحركة الجسمانيّة ، فالدابّة اسم لكلّ حيوان جسمانيّ يتحرّك و يدبّ فلمّا ميّز الله الملائكة من الدابّة علمنا أنّها ليست ممّا يدبّ بل هي أرواح محضة مجرّدة . و يمكن الجواب عنه بأنّ الطير بالجناح مغائر للدبيب[1] بدليل قوله تعالى « و ما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه[2] » ـ انتهى ـ[3] .

---

(١) في المصدر : بان الجناح للطيران مغائر للدبيب .

(٢) الانعام : ٣١ .

(٣) مفاتيح الغيب ، ج ٢٠ ، ص ٤٣ .

و أقول : التخصيص بعد التعميم أيضاً شائع كعطف جبرئيل على الملائكة كما ذكره البيضاوي ، وماذكره من عدم جواز استعمال المشترك في معنييه على تقدير تسليمه لاحاجة في التعميم على حمله على ذلك ، بل يمكن حمله على معنى الانقياد و التواضع ، و هو يشمل الانقياد لإرادته و تأثيره طبعاً ، و الانقياد لتكليفه و أمره طوعاً كما حمل عليه البيضاوي . وقال بعضهم : هذه الآية تدل على أن العالم كلّه في مقام الشهود و العبادة إلّا كل مخلوق له قوة التفكّر ، و ليس إلّا النفوس الناطقة الإنسانيّة و الحيوانيّة خاصّة من حيث أعيان أنفسهم لامن حيث هياكلهم ، فإن هياكلهم كسائر العالم في التسبيح له و السجود ، فأعضاء البدن كلّها مسبّحة ناطقة ، ألاتراها تشهد على النفوس المسخّرة لها يوم القيامة من الجلود و الأيدي و الأرجل و الألسنة و السمع و البصر و جميع القوى ، فالحكم لله العلي الكبير ــ انتهى ــ .

و أقول : و الأرواح و النفوس أيضاً لهاجهتان : فمن جهة مسخّرة منقادة لربّها في جميع ما أراد منها ، ومن جهة اُخرى عاصية مخالفة لربّها ، بل من هذه الجهة أيضاً مسخّرة ساجدة خاضعة لإرادة ربّها حيث أقدرها على ما أرادت ، و دالّة على وجود صانعها الّذي جعلها مختارة مريدة قادرة على الإتيان بما أرادت ، فهي من هذه الجهة أيضاً مسبّحة لربّها ذاكرة لها دالّة عليها منادية بلسان حالها من جهة إمكانها و حدوثها و افتقارها بأن لي ربّاً جعلني مريداً مختاراً لحكمته و كماله و عنايته الأزليّة كما قال بعض العارفين بالفارسيّة « عين إنكار منكر إقراراست » و الكلام في هذا المقام دقيق لا يمكن إجراء أكثر من ذلك منه على الأقلام ، و يصعب دركها على الأفهام ، وقد أومأت إلى شيء منه في شرح كتاب توحيد الكافي في توضيح أخبار إرادة الله تعالى وبيان معانيها .

قوله سبحانه « تسبّح له السموات » قال النيسابوري : قالت العقلاء : تسبيح الحي المكلّف يكون تارة باللسان بأن يقول « سبحان الله » و اُخرى بدلالة أحواله على وجود الصانع الحكيم ، و تسبيح غيره لا يكون إلّا من القبيل الثاني . وقد تقرّر في الاُصول أن اللفظ المشترك لايحمل على معنييه معاً في حالة واحدة ، فتعيّن التسبيح

ههنا على المعنى الثاني ليشمل الكلّ . هذا ما عليه المحقّقون ، و أُورد عليه : أنّه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل « و لكن لا تفقهون تسبيحهم » لأنّ التسبيح بهذا الوجه مفقوه معلوم . وأُجيب : بأنّ دلالة كلّ شيء على وجود الصانع معلومة على الإجمال دون التفصيل ، فإنّك إذا أخذت تفّاحة واحدة فلاشكّ أنّها مركّبة من أجزاء لا تتجزّأ و لكن عدد تلك الأجزاء وصفة كلّ منها من الطبع و الطعم و اللون و الحيّز والجهة و غيرها لا يعلمها إلّا الله . و أيضاً الخطاب للمشركين وأنّهم و إن كانوا مقرّين بالخالق إلّا أنّهم أثبتوا شريكاً و أنكروا قدرته على البعث و الإعادة ولم ينظروا في المعجزات الدالّة على نبوّة محمّد ﷺ فكأنّهم لم يفقهوا التسبيح ، إذ لم يتوسّلوا به إلى نتيجة النظر الصحيح ، و لهذا ختم الآية بقوله « إنّه كان حليماً غفورا » حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم . وزعم بعض الظاهريّين أنّ ما سوى الحيّ المكلّف يسبّح لله تعالى باللسان أيضاً ، كلّ بلغته و لسانه الّذي لا نعرف نحن ولا نفقه . و زعم أيضاً أنّ الحيوان إذا ذبح لا يسبّح ، و كذا غصن الشجرة إذا كسر . فأُورد عليه أنّ كونه جماداً لا يمنع من كونه مسبّحاً فكيف صار ذبح الحيوان مانعاً عن التسبيح وكذا كسر الغصن ؟ و يمكن أن يجاب بأنّ تسبيح كلّ شيء لعلّه يختصّ بتركيبه الّذي خلق عليه ، فإذا بطل ذلك التركيب و فكّك ذلك النظم لم يبق مسبّحاً مطلقا أولا على ذلك النحو .

و قال في تأويلها : لكلّ ذرّة من ذرّات الموجودات ملكوت ، لقوله « فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء[1] » و الملكوت باطن الكون ، و هو الآخرة ، و الآخرة حيوان لا جماد لقوله « وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان[2] » فلكلّ ذرّة لسان ملكوتيّ ناطق بالتسبيح و الحمد تنزيهاً لصاحبه و حمداً له على ما أولاه من نعمه ، و بهذا اللسان نطق الحصا في كفّ النبيّ ﷺ و به تنطق الأرض يوم القيامة . « يومئذ تحدّث أخبارها[3] » و به تنطق الجوارح « أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء »[4] و به نطقت

---

(١) يس : ٨٣ . (٢) العنكبوت : ٦٤ .
(٣) الزلزال : ٤ (٤) فصلت : ٢١ .

السموات و الأرض « قالتا أتينا طائعين » . « إنّه كان حليماً » في الأزل ، إذ أخرج من العدم من يكفر به و يجحده « غفوراً » لمن تاب عن كفره .

« قلنا يانار كوني برداً » قال الطبرسيّ . هذا مثل ، فإنّ النار جماد لايصحّ خطابه ، و المراد أنّا جعلنا النار برداً عليه و سلامة لايصيبه من أذيها شيء ، كما قال سبحانه «كونوا قردة خاسئين [١] » و المعنى أنّه صيّرهم كذلك لاأنّه خاطبهم و أمرهم بذلك . و قيل : يجوز أن يتكلّم الله سبحانه بذلك و يكون ذلك صلاحاً للملائكة ولطفاً لهم . و ذكر في كون النار برداً وسلاماً على إبراهيم وجوهاً : أحدها أنّ الله سبحانه أحدث فيها برداً بدلاً من شدّة الحرارة فيها فلم تؤذه . وثانيها أنّه سبحانه حال بينها و بين إبراهيم فلم تصل إليه . و ثالثها أنّ الإحراق يحصل بالاعتمادات الّتي في النار صعداً فيجوز أن يذهب سبحانه تلك الاعتمادات . وعلى الجملة فعلمنا أنّ الله سبحانه منع النار من إحراقه وهو أعلم بتفاصيله [٢] ــ انتهى ــ .

و قال البيضاويّ : انقلاب النار هواءً طيّبة ليس ببدع ، غير أنّه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذن من معجزاته . و قيل : كانت النار بحالها لكنّه تعالى دفع عنه أذاها كما في السمندر ، ويشعر به قوله « على إبراهيم » [٣] ــ انتهى ــ .

و أقول : على مذهب الأشاعرة لاإشكال في ذلك ، لأنّهم يقولون : لامؤثّر في الوجود إلّا الله ، و إنّما أجرى عادته بالإحراق عند قرب شيء من النار ، فاذا أراد غير ذلك لايخلق الاحراق . و أمّا عند غيرهم من القائلين بتأثير الطبائع ولزوم الصفات لها فيشكل ذلك عندهم ، و الأولى أن يقال : إحراق النار و تبريد الثلج وقتل السموم و غير ذلك من التأثيرات لمّا كانت مشروطة بشروط كقابليّة المادّة و غيرها فلم لا يجوز أن تكون مشروطة بعدم تعلّق إرادة القادر المختار بخلافه [٤] فإذا تعلّقت

---

(١) البقرة ، ٦٥ ، والاعراف ، ١٦٥ .
(٢) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ٥٤ .
(٣) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٨٦ .
(٤) هذا تنزيل لمقام إرادته القاهرة التى بها تسببت الاسباب وانسجم نظام الكون، و يستلزم جعلها فى عداد الشرائط المادية ، و يترتب عليه لوازم نغمض عن ذكرها . والحق أن ـــ

بذلك انتفى تأثيرها ، كما أنّ الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم لكن بشرط عدم تعلّق إرادته القاهرة بخلافه ، ولذا ورد في الأخبار أنّه لايحدث شيء في السماء و الأرض إلّا بإذنه سبحانه .

قوله تعالى « و سخّرنا مع داود الجبال يسبّحن والطير » قال الطبرسيّ ــ ره ــ: قيل : معناه سيّرنا الجبال مع داود حيث سار ، فعبّر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة الّتي تدعو إلى تسبيح الله و تعظيمه و تنزيهه عن كلّ مالايليق به ، و كذلك تسخير الطير له تسبيح يدلّ على أنّ مسخّرها قادر لايجوز عليه مايجوز على العباد . و قيل : إنّ الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبّح بالغداة والعشيّ معجزة له ــ انتهى [1] ــ .

و قال الرازيّ : قال أصحاب المعاني : يحتمل أن يكون تسبيح الجبال و الطير بمثابة قوله « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده » و تخصيص داود عليه السلام بذلك إنّما كان

← جميع الايات والمعجزات خرق للنظام المتعارف الذى تتعاهده معاشر الناس فى حياتنا ونعرف فيه أسباباً وشرائط وجودية وعدمية ومعدات لكن ليس خرقاً للنظام العلى والمعلولى رأساً، فجعل النار برداً مثلا ليس إبطالا للنظام السببى و المسببى الحاكم على العالم بحذافيره ، بل إعمال لاسباب وشرائط لانتعاهدها و يكفى له إيجاد مانع من تأثير النار فى جسمه عليه السلام أو حول بدنه أو تسخير النار لايجاد البرودة كما تسخر قوة الكهرباء اليوم له، كل ذلك لامن طريق متعارف عند الناس بل بسبب إلهى وطريق غيبى ومجرى نفسى غير مشهود للعامة ، والله على كل شيء قدير فان قيل : مرجع الاخير إلى أن الله تعالى أراد أن تتبرد النار فبردت ، و هذه إبطال لسببية النار للاحراق - لعدم امكان سببية شيء واحد لضدين و متقابلين ـ أو التزام بحصول معلول مادى من غير حصول علته المسانخة له قلنا : الاحتراق عبارة عن تبدل الصورة تبدلا خاصاً و النار معدة له لامفيضة للصورة الحادثة ، ولا يمتنع تأثيرها فى ضده كما يشاهد فى الكهرباء أضف الى ذلك حديث تعدد الجهات . و أما استناد الحوادث إلى إرادة الله تعالى من غير واسطة فمخالف للسنة الالهية التى لن تجد لها تبديلا وان تجد لها تحويلا ، ومستلزم للطفرة واختلال نظام العلل والمعاليل والحاصل أن إرادة الله تعالى فوق العلل المادية و فى طولها لافى رتبتها وهوالقاهر فوق عباده .

(١) مجمع البيان : ج ٧ ، ص ٥٨ .

بسبب أنّه كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقيناً وتعظيماً . وأمّا المعتزلة فقالوا : لوحصل الكلام في الجبل لحصل إمّا بفعله أو بفعل الله تعالى فيه ، و الأوّل محال لأنّ بنية الجبل لا تحتمل الحياة و العلم و القدرة ، و ما لا يكون حيّاً عالماً قادراً يستحيل منه الفعل ، والثاني أيضاً محال ، لأنّ المتكلّم عندهم من كان فاعلاً للكلام لامن كان محلاً له ، فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله تعالى لكان المتكلّم هو الله لا الجبل ، فجعلوا التسبيح من السباحة وبناء التفعيل التكثير مثل قوله « ياجبال أوّبي معه » و الحاصل : سيري معه .

واعلم أنّ مدار هذا القول على أنّ بنية الجبل لا تقبل الحياة ، وهذا ممنوع ، و على أنّ التكلّم من فعل الله و هو أيضاً ممنوع . و أمّا الطير فلا امتناع في أن يصدرعنها الكلام و لكن اجتمعت الأمّة على أنّ المكلّفين إمّا الجنّ [1] و الإنس أو الملائكة فيمتنع فيها أن تبلغ في العقل إلى درجة التكليف بل يكون حاله كحال الطفل في أن يؤمر و ينهى و إن لم يكن مكلّفا ، فصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة المراهق . و أيضاً دلالته على قدرة الله وعلى تنزيهه ممّا لايجوز فيكون القول فيه كالقول في الجبال - انتهى - [2] .

« و علّمناه صنعة لبوس لكم » أي علّمناه كيف يصنع الدروع . قال قتادة : أوّل من صنع الدروع داود و إنّما كانت صفائح ، جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين فهو أوّل من سردها و حلقها فجمعت الخفّة و التحصين . « و لسليمان » أي سخّرنا له « الريح عاصفة » أي شديدة الهبوب . « ألم تر أنّ الله يسجد له » لعلّ المراد بالسجود غاية الخضوع و الانقياد الممكن من الشيء ، ففي الجمادات و العجم من الحيوانات يحصل منهم غاية الانقياد الّذي يتأتّى منهم ، وكذا الملائكة و صالحوا المؤمنين . وأمّا الكفّار و الفجّار فلمّا لم يتأتّ منهم غاية الانقياد أخرجهم و قال « و كثير من الناس» لأنّهم و إن كانوا في الأوامر التكوينيّة منقادين فليسوا في الأوامر التكليفية كذلك

(١) فى المصدر : أو

(٢) مفاتيح الغيب ، ج ٢٢ ، ص ٢٠٠ .

فالسجود محمول على معنى واحد وليس من استعمال المشترك في معنييه كما عرفت سابقا.
و قال الرازيّ : الرؤية هنا بمعنى العلم ، و في السجود وجوه : **أحدها** قال الزجّاج: أجود الوجوه في سجود هذه الأُمور أنّها تسجد مطيعة لله تعالى و هو كقوله « فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أوكرها ــ الآية ــ » « أن نقول له كن فيكون » « و إنّ منها لما يهبط من خشية الله » « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده » « و سخّرنا مع داود الجبال» و المعنى أنّ هذه الأجسام لمّا كانت قابلة لجميع الأعراض الّتي يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتّة أشبهت الطاعة و الانقياد و هو السجود . و أمّا قوله « و كثير من الناس » ففيه وجوه : أحدها أنّ السجود بالمعنى الّذي ذكرناه وإن كان عامّاً في حقّ الكلّ إلّا أنّ بعضهم تمرّد و تكبّر و ترك السجود في الظاهر ، فهذا الشخص و إن كان ساجداً بذاته لكنّه متمرّد بظاهره ، أمّا المؤمن فإنّه ساجد بذاته و بظاهره ، فلأجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر . و ثانيها أن نقطع قوله « و كثير من الناس » عمّا قبله ، ثمّ فيه ثلاثة أوجه : الأوّل أن نقول : تقدير الآية : ولله يسجد من في السماوات و الأرض و يسجد له كثير من الناس . فيكون السجود الأوّل بمعنى الانقياد و الثاني بمعنى الطاعة و العبادة لئلّا يلزم استعمال المشترك في معنييه جميعاً . الثاني أن يكون قوله « وكثير من الناس » مبتدءاً خبره محذوف و هو ، مثاب ، لأنّ خبر مقابله يدلّ عليه وهو قوله «حقّ عليه العذاب » . و الثالث أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف « كثير » على « كثير» ثمّ يخبر عنهم بـ « حقّ عليهم العذاب » وثالثها من يجوّز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعاً يقول : إنّ المراد بالسجود في حقّ الأحياء العقلاء السجود ، وفي حقّ الجمادات الانقياد . فان قيل : قوله « من في السموات و الأرض » لفظ العموم فيدخل فيه الناس ، فلم قال مرّة اُخرى « و كثير من الناس » ؟ قلنا : لو اقتصر على ما تقدّم لأوهم أنّ كلّ الناس يسجدون ، فبيّن أنّ كثيراً منهم يسجدون طوعاً دون كثير منهم فإنّه يمتنع عن ذلك .

القول الثاني في تفسير السجود أنّ كلّ ماسوى الله تعالى فهو ممكن لذاته ، و الممكن لذاته لا يترجّح وجوده على عدمه إلّا عند الانتهاء إلى الواجب لذاته كما قال :

«وأنّ إلى ربّك المنتهى»[١] وكما أنّ الإمكان لازم للممكن حال حدوثه وبقائه فافتقاره إلى الواجب حاصل حال حدوثه وحال بقائه، و هذا الافتقار الذاتيّ اللازم للماهية أدلّ على الخضوع و التواضع من وضع الجبهة على الأرض، فإنّ ذلك علامة وضعيّة للافتقار، و قد يتطرّق إليه الصدق و الكذب، أمّا نفس الافتقار الذاتيّ فإنّه ممتنع التغيّر والتبدّل، فجميع الممكنات ساجدة بهذا المعنى لله أي خاضعة متذلّلة معترفة بالفاقة إليه و الحاجة إلى تخليقه و تكوينه، و على هذا تأوّلوا قوله « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده » و هذا قول القفّال. **القول الثالث** أنّ سجود هذه الأشياء سجود ظلّها كقوله تعالى « يتفيّؤ ظلاله ــ الآية ــ » وهذا قول مجاهد[٢] ــ انتهى ــ.

قوله تعالى « أوّبي معه » قال البيضاويّ : أي ارجعي معه التسبيح على الذنب أو النوحة، و ذلك إمّا بخلق صوت مثل صوته فيها، أو بحملها إيّاه على التسبيح إذا تأمّل [٣] فيها، أو : سيري معه حيث سار. و « الطير » عطف على محلّ « الجبال ». « و ألنّا له الحديد » جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء و طرق بآلاته أو بقوّة « عين القطر » أي النحاس المذاب أسال [٤] له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع و لذلك سمّاه عيناً، و [كان] ذلك باليمن [٥]. « إنّ الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا » أي كراهة أن تزولا، فإنّ الممكن حال بقائه لابدّ له من حافظ أو يمنعهما أن تزولا لأنّ الإمساك منع. « ولئن زالتا إن أمسكهما» أي ما أمسكهما « من أحد من بعده » أي من بعدالله أو من بعد الزوال، والجملة سادّة مسدّ الجوابين، و « من » الاُولى مزيدة، والثانية للابتداء « إنّه كان حليماً غفوراً » حيث أمسكهما وكانتا جديرتين أن تهدّا هدّاً، لأعمال العباد.

قوله تعالى « فيه بأس شديد » فإنّ آلات الحرب متّخذة عنه « ومنافع للناس» إذما من صنعة إلّا و الحديد آلتها « و ليعلم الله من ينصره و رسله » باستعمال الأسلحة

---

(١) النجم : ٤٢ .
(٢) مفاتيح الغيب : ج ٢٣ ، ٢٠ .
(٣) في المصدر : تأملها .
(٤) فيه : أساله .
(٥) انوار التنزيل : ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

ومجاهدة الكفّار ، و العطف على محذوف دلّ عليه ماقبله ، فإنّه حال يتضمّن تعليلاً أو اللاّم صلة لمحذوف ، أي أنزله ليعلم الله « بالغيب » حال من المستكنّ في « ينصره ». « إنّ الله قويّ » على إهلاك من أراد إهلاكه « عزيز » لايفتقر إلى نصرة ، و إنّما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به و يستوجبوا ثواب الامتثال فيه .

و قال الرازيّ : و أمّا الحديد ففيه البأس الشديد فإنّ آلات الحرب متّخذة منه ، وفيه أيضاً منافع كثيرة منها قوله تعالى « و علّمناه صنعة لبوس لكم » ومنها أنّ مصالح العالم إمّا اُصول و إمّا فروع ، أمّا الاُصول فأربعة : الزراعة ، والحياكة ، وبناء البيوت ، و السلطنة . و ذلك لأنّ الإنسان يضطرّ إلى طعام يأكله وثوب يلبسه و بناء يسكن فيه ، و الإنسان مدنيّ بالطبع فلا تتمّ مصلحته إلاّ عند اجتماع جمع من أبناء جنسه ليشتغل كلّ واحد منهم بمهمّ خاصّ فحينئذ ينتظم من الكلّ مصالح الكلّ و ذلك الانتظام لابدّ وأن يفضي إلى المزاحمة ولابدّ من شخص يدفع ضرر البعض عن البعض وذلك هو السلطان ، فثبت أنّه لاتنتظم مصلحة العالم إلاّ بهذه الاُصول الأربعة . أمّا الزراعة فمحتاجة إلى الحديد وذلك من كرب الأرض و حفرها ، ثمّ عند تكوّن هذه الحبوب وتولّدها لابدّ من جزّها و تنقيتها و ذلك لاتيمّ إلاّ بالحديد [1] . ثمّ لابدّ من خبزها ولا يتمّ إلاّ بالنار ولابدّ فيها من المقدحة الحديديّة . و أمّا الفواكه فلابدّ من تنظيفها من قشورها وقطعها على الوجوه الموافقة للأكل ولا يتمّ ذلك إلاّ بالحديد. ثمّ يحتاج في آلات الحياكة إلى الحديد ثمّ نفزع [2] في قطع الثياب و خياطتها إلى الحديد ، و الذهب لايقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح ، فلولم يوجد الذهب في الدنيا ماكان يختلّ شيء من مصالح الدنيا ، ولولم يوجد الحديد لاختلّ جميع مصالح الدنيا . ثمّ إنّ الحديد لمّا كانت الحاجة إليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود والذهب لمّا قلّت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود ، وعند هذا يظهر أثر جود الله و رحمته على عبيده ، فإنّ كلّ ماكانت حاجاتهم إليه أكثر جعل وجدانه أسهل . ولهذا قال بعض

(١) في المصدر ، ثم الحبوب لابد من طحنها وذلك لايتم الا بالحديد

(٢) في المصدر : يحتاج .

الحكماء : إنّ أعظم الاُمور حاجة إليه هو الهواء فإنّه لو انقطع وصوله إلى القلب لحظة مات الإنسان في الحال ، فلا جرم جعله الله أسهل الأشياء وجداناً ، وهيّأ أسباب التنفّس و آلاته ، حتّى أنّ الإنسان يتنفّس دائماً بمقتضى طبعه من غير حاجة فيه إلى تكلّف عمل . وبعد الهواء الماء ، إلّا أنّه لما كانت الحاجة إلى الماء أقلّ من الحاجة إلى الهواء جعل تحصيل الماء أشقّ قليلاً من تحصيل الهواء . وبعد الماء الطعام ، ولمّا كانت الحاجة إلى الطعام أقلّ من الحاجة إلى الماء جعل تحصيل الطعام أشقّ من تحصيل الماء . ثمّ تتفاوت الأطعمة في درجات الحاجة والعزّة ، فكلّ ما كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل ، وكلّ ما كان وجدانه أعسر كانت الحاجة إليه أقلّ ، و الجواهر لمّا كانت الحاجة إليها قليلة جدّاً لاجرم كانت عزيزة جدّاً . فعلمنا أنّ كلّ شيء كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل ولمّا كانت الحاجة إلى رحمة الله أشدّ من الحاجة إلى كلّ شيء فنرجو من رحمة الله أن يجعلها أسهل الأشياء وجداناً [١] .

١ ـ **العلل** : عن محمّد بن عليّ ماجيلويه ، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم ، عن أحمد ابن أبي عبدالله البرقيّ ، عن عليّ بن محمّد القاسانيّ ، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ ، عن عليّ بن المعلّى ، عن إبراهيم بن الخطّاب بن الفرّاء رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : شكت أسافل الحيطان إلى الله عزّوجلّ من ثقل أعاليها ، فأوحى الله عزّوجلّ إليها : يحمل بعضك بعضاً [٢] .

الكافي : عن العدّة ، عن البرقي ، عن إبراهيم الثقفي مثله [٣] .

المحاسن : عن القاسانيّ مثله ، إلّا أنّ فيه : يحمل بعضها بعضا [٤] .

بيان : لعلّ الشكاية بلسان الافتقار والاضطرار ، و الوحي بالخطاب التكوينيّ كما قيل : في قوله تعالى « وآتيكم من كلّ ماسألتموه » أي بلسان استعداداتكم وقابليّاتكم

---

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٢٩ ، ص ٢٤٢ .
(٢) العلل ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .
(٣) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٣٢ .
(٤) المحاسن ، ٦٢٣ .

أو يكون استعارة تمثيليّة لبيان أنّ الله تعالى خلق الأجزاء الأرضيّة والترابيّة بحيث يلتصق بعضها ببعض ، ولا يكون ثقل الجميع على الأسافل فتنهدم سريعا .

٢ ـ **المحاسن** : عن عليّ بن أسباط ، عن داود البرقيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قوله تعالى « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » قال : نقض الجدر تسبيحها [١] .

الكافي : عن العدّة ، عن سهل بن زياد ، عن ابن أسباط مثله ، إلّا أنّ فيه : تنقّض الجدر [٢] .

٣ ـ **المحاسن** : عن ابن أسباط ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، قال : سألت أباعبدالله عن قول الله عزّ وجلّ « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » قال : نقض الجدر تسبيحها ! قلت : نقض الجدر تسبيحها ؟! قال : نعم [٣] .

٤ ـ **العياشي** : عن أبي الصلاح ، قال : سألت أباعبد الله عليه السلام عن قول الله : « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده » قال : كلّ شيء يسبّح بحمده ، و إنّا لنرى أنّ تنقّض الجدار هو تسبيحها .

ومنه : في رواية الحسين بن سعيد عنه عليه السلام مثله .

٥ ـ **و منه** : عن زرارة قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده » قال : إنّا نرى أنّ تنقّض الحيطان تسبيحها .

٦ ـ **و منه** : عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهما السلام أنّه دخل عليه رجل فقال له : فداك أبي و أمّي ، إنّي أجد الله يقول في كتابه « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » فقال : هو كما قال ، فقال له : أتسبّح الشجرة اليابسة ؟ فقال : نعم ، أما سمعت خشب البيت تنقّض ؟ وذلك تسبيحه ، فسبحان الله على كلّ حال .

---

(١) المحاسن ، ٦٢٣ . (٢) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٣١ .
(٣) المحاسن ، ٦٢٣ .

٧ ـ **العلل** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم ، قال : بكاء السماء احمرارها منغيرغيم و بكاء الأرض زلازلها[١] و تسبيح الشجر حركتها من غير ريح ، وتسبيح البحارزيادتها و نقصانها ، و تسبيح الشجر نموّه و نشوؤه . و قال أيضاً : ظلّه يسبّح الله .

بيان : قد مضى من البيان في تفسير الآيات ما يمكن به فهم هذه الأخبار . و الحاصل أنّ تنقّض الجدار لدلالتها على حدوث التغيّر فيها و فنائها نداء منها بلسان حالها على افتقارها إلى من يوجدها ويبقيهامنزّهاً عن صفاتها المحوجة إلى ذلك . وأيضاً نقصانات الخلائق دلائل على كمالات الخالق ، و كثراتها و اختلافاتها و مضاداتها شواهد وحدانيّته وانتفاء الشريك عنه و الندّ و الضدّ له كما قال أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ « بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، و بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له [٢] و بمضادّته بين الأشياء[٣] عرف أن لا ضدّ له ، و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لاقرين له [٤] » و الحاصل أنّ جميع المصنوعات و الممكنات بصفاتها ولوازمها وآثارها دالّة على صانعها و بارئها ومصوّرها وعلمه وحكمته ، شاهدة بتنزّهه عن صفاتها المستلزمة للعجز و النقصان ، مطيعة لربّها في ماخلقها له وأمرها به من مصالح عالم الكون، موجّهة إلى ما خلقت له . فسكون الأرض خدمتها و تسبيحها ؛ و صرير الماء وجريه تسبيحه و طاعته ؛ وقيام الأشجار والنباتات ونموّها ، وجري الريح و أصواتها ، وهدّه الأبنية و سقوطها ، و تحريق النار و لهبها ، وأصوات الصواعق وإضاءة البروق وجلاجل الرعود و جري الطيور في الجوّ و نغماتها ، كلّها طاعة لخالقها و سجدة و تسبيح و تنزيه له سبحانه .

قال بعض العارفين: خلق الله الخلق ليوحّدوه فأنطقهم بالتسبيح والثناء عليه والسجود فقال « ألم تر أنّ الله يسبّح له من في السموات و الأرض و الطير صافّات كلّ قد علم صلاته و تسبيحه [٥] » و قال أيضاً « ألم تر أنّ الله يسجد له من في السموات و من في

---

(١) زلزالها (خ) .
(٢) ليس هذه الجملة فى النهج
(٣) فى النهج ، الامور .
(٤) النهج : ج ١ ، ص ٣٥٥ .
(٥) النور ، ٤١ .

الأرض و الشمس و القمر ـ الآية ـ [١] » و خاطب بهاتين الآيتين نبيّه الذي أشهده ذلك و رآه فقال « ألم تر » ولم يقل « ألم تروا » فإنّا ما رأيناه ، فهو لنا إيمان ، و لمحمّد صلى الله عليه وآله عيان ، فأشهده سجود كلّ شيء و تواضعه لله ، وكلّ من أشهده الله ذلك و رآه دخل تحت هذا الخطاب . و هذا تسبيح فطريّ و سجود ذاتيّ عن تجلّ تجلّى لهم فأحبّوه فانبعثوا إلى الثناء عليه من غير تكليف بل اقتضاء ذاتيّ ، و هذه هي العبادة الذاتيّة الّتي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الّذي يستحقّه .

وفي القاموس : تنقّض البيت : تشقّق فسمع له صوت . وقوله « بكاء السماء احمرارها » أي خارجاً عن العادة فإنّه من علامات غضبه تعالى ، فكأنّه يبكي على من استحقّ الغضب أو على من يستحقّ العباد له الغضب كما وقع بعد شهادة الحسين عليه السلام . وقوله « حركتها من غير ريح » أي عند الزلزلة ، أو بالنموّ فيكون ما بعده تأكيداً له .

٨ ـ تفسير عليّ بن إبراهيم : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « و أنبتنا فيها من كلّ شيء موزون » فإنّ الله تبارك و تعالى أنبت في الجبال الذهب و الفضّة و الجوهر و الصفر و النحاس والحديد و الرصاص و الكحل و الزرنيخ وأشباه هذه لا تباع إلّا وزناً [٢] .

بيان : لعلّ المراد بالجوهر الأحجار كالياقوت و العقيق و الفيروزج وأشباهها.

٩ ـ تفسير عليّ بن إبراهيم : « أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيّؤ ظلاله عن اليمين و الشمائل سجّداً لله وهم داخرون » قال : تحويل كلّ ظلّ خلقه الله هو سجوده لله لأنّه ليس شيء إلّا له ظلّ يتحرّك بتحريكه ، و تحويله سجوده [٣] .

١٠ ـ **و منه** : في قوله تعالى « وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده » فحركة كلّ شيء تسبيح لله عزّ و جلّ [٤] .

١١ ـ **و منه** : في قوله « و الشجر والدوابّ » لفظ الشجر واحد ومعناه جمع [٥].

---

(١) الحج : ١٨ .
(٢) تفسير القمي : ٣٥٠ .
(٣) التفسير : ٣٦١ .
(٤) تفسير القمي : ٣٨٢ .
(٥) التفسير : ٤٣٧ .

و في قوله تعالى « و أسلنا له عين القطر » قال : الصفر [١] .

١٢ ـ **المناقب** لابن شهراشوب : قال : قال ضبّاع بن نصر الهنديّ للرضا عليه السلام ما أصل الماء ؟ قال : أصل الماء خشية الله ، بعضه من السماء ويسلكه في الأرض ينابيع و بعضه ماء عليه الأرضون ، وأصله واحد عذب فرات . قال : فكيف منها عيون نفط و كبريت و قار [٢] و ملح و أشباه ذلك ؟ قال : غيّره الجوهر و انقلبت كانقلاب العصير خمراً ، وكما انقلبت الخمر فصارت خلاً ، و كما يخرج من بين فرث و دم لبناً خالصا. قال : فمن أين اُخرجت أنواع الجواهر ؟ قال : انقلبت منها كانقلاب النطفة علقة ثمّ مضغة ثمّ خلقة مجتمعة مبنيّة على المتضادّات الأربع . قال [٣]: إذا كانت الأرض خلقت من الماء والماء بارد رطب فكيف صارت الأرض باردة يابسة ؟ قال: سلبت النداوة فصارت يابسة . قال : الحرّ أنفع أم البرد ؟ قال : بل الحرّ أنفع من البرد ، لأنّ الحرّ من حرّ الحياة و البرد من برد [٤] الموت ، وكذلك السموم القاتلة الحارّة منها أسلم وأقلّ ضرراً من السموم الباردة [٥] .

توضيح : قوله « خشية الله » إشارة إلى ماورد في بعض الكتب السماويّة أنّ الله تعالى خلق أوّلاً درّة بيضاء فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماءً « ماء عليه الأرضون » أي البحر الأعظم « غيّره الجوهر » أي جوهر الأرض الّتي نبع منها « من حرّ الحياة» أي من جنسه لأنّ الروح الحيوانيّ و الحرارة الغريزيّة سببان للحياة ، و زوالهما سبب للموت . و فيه إشارة إلى ما ذكره الحكماء في تولّد المعادن ، فلنذكر ما ذكروه في ذلك :

قالوا : المركّبات الّتي لها مزاج ، ثلاثة أنواع تسمّى بالمواليد ، وهي :المعادن والنباتات ، و الحيوانات . ووجه الحصر أنّه إن تحقّق فيد مبدأ التغذية فإمّا مع تحقّق مبدأ الحسّ و الحركة الإراديّة فهوالحيوان ، أو بدونه وهو النبات ، و إن لم يتحقّق

---

(١) التفسير : ٥٣٧ .
(٢) في المصدر : و منها قار ...
(٣) في المصدر : قال عمران .
(٤) بعد (خ) .
(٥) المناقب : ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

ذلك فيه فالمعادن . وقال بعضهم : و إنّما قلنا مع تحقّق الحسّ والحركة لأنّه لاقطع بعدمهما في النبات و المعدن ، بل ربما يدّعى حصول الشعور و الإرادة للنبات لأمارات تدلّ على ذلك ، مثل مايشاهد في ميل النخلة الأنثى إلى الذكر وتعشّقها به بحيث لولم تلقح منه لم تثمر ، و ميل عروق الأشجار إلى جهة الماء ، وميل أغصانها في الصعود من جانب الموانع إلى الفضاء . ثمّ ليس هذا ببعيد عن القواعد الفلسفيّة ، فإنّ تباعد الأمزجة عن الاعتدال الحقيقيّ إنّما هو على غاية من التدريج ، فانتقاض استحقاق الصور الحيوانيّة و خواصّها لابدّ أن يبلغ قبل الانتفاء إلى حدّ الضعف و الخفاء ، و كذا النباتيّة . ولهذا اتّفقوا على أنّ من المعدنيّات ماوصل إلى اُفق النباتيّة ، و من النباتات ماوصل إلى اُفق الحيوانيّة كالنخلة ، و إليه الإشارة بقوله ﷺ « أكرموا عمّتكم النخلة » . وقال بعضهم : اُخرى طبقات المعادن متّصلة بأُولى طبقات النباتات كما أنّ المرجان الّتي هي من المعادن ينمو في قعر البحر ، وهوقريب من النباتات الّتي تنبت في فصل الربيع وتذبل و تفنى سريعاً . و اُخرى طبقات النبات تتّصل بأُولى طبقة الحيوانات كالنخل فإنّها شبيهة بالحيوان في أنّها إذا غرقت في الماء أوتقطع رأسها تموت ولا تثمر كثيراً بدون اللقاح ، و رائحة طلعها شبيهة برائحة المنيّ ، وتعشق بعضها بعضاً بحيث لاتحمل إلّا إذا صبّ فيها من طلعه ، و يميل بعضها إلى بعض ، وهي قريبة من الحيوانات المتولّدة في الأراضي النديّة كالخراطين وأشباهها . واُخرى طبقة الحيوانات تتّصل بأُفق الإنسان كالفيل و القردة ، فإنّهما تتعلّمان بأدنى تعليم ، و في كثير من الصفات شبيهة بالانسان ، وهي قريبة من بعض أفراد الإنسان كالسودان والأتراك الّذين ليس فيهم من الإنسانيّة إلّا الأكل والشرب و النوم و السفاد .

ثمّ إنّهم قالوا : إنّ الأبخرة و الأدخنة المحتبسة في باطن الأرض إذا كثرت يتولّد منها مامرّ من الرجفة و الزلزلة وانفجار العيون ، و إذا لم تكن كثيرة اختلطت على ضروب من الاختلاطات المختلفة في الكمّ و الكيف و المزج بحسب الأمكنة و الأزمنة و الإعدادات ، فتكوّن منها الأجسام المعدنيّة بإذن الله تعالى ، وهي أوّل مايحدث من المركّبات العنصريّة التامّة المزاجيّة . ثمّ إذا غلب البخار على الدخان

تتولّد مثل اليشم و البلور و الزيبق و غيرها من الجواهر المشفّة و إن غلب الدخان يتولّد الملح و الزاج و الكبريت و النوشادر . ثمّ من اختلاط بعض هذه مع بعض يتولّد غيرها من المعادن ، و أصنافها خمسة ، لأنّها إمّا ذائبة أو غير ذائبة ، و الذائبة إمّا منطرقة أو غير منطرقة ، و الغير المنطرقة إمّا مشتعلة أو غير مشتعلة ، و غير الذائبة إمّا عدم ذوبانه لفرط الرطوبة ، أو لفرط اليبوسة ، فأقسامها : ذائب منطرق ، و ذائب مشتعل ، و ذائب غير منطرق ولا مشتعل ، و غير ذائب لفرط الرطوبة ، وغيرذائب لفرط اليبوسة .

فالذائب المنطرق هو الجسم الّذي انجمد فيه الرطب و اليابس بحيث لا يقدر النار على تفريقهما مع بقاء دهنيّة قويّة بسببها يقبل ذلك الجسم الانطراق و هو الاندفاع في السحق بانبساط يعرض للجسم في الطول والعرض قليلاً دون انفصال شيء ، والذوبان سيلان الجسم بسبب تلازم رطبه و يابسه . و المشهور من أنواع الذائب المنطرق سبعة : الذهب ، والفضّة ، و الرصاص ، و الأُسرب ، و الحديد ، و النحاس ، و الخارصينيّ . و قيل : الخارصينيّ هو جوهر شبيه بالنحاس يتّخذ منها مرايا لها خواصّ وذكر بعضهم أنّه لا يوجد في عهدنا[1] والّذي يتّخذ منه المرايا ويسمّى بالحديد الصينيّ والهفتجوش فجوهر مركّب من بعض الفلزات ، و ليس بالخارصينيّ . والذوبان في غير الحديد ظاهر وأمّا في الحديد فيكون بالحيلة كما يعرفه أرباب الصنعة . و شهدت الأمارات بأنّ مادّة الأجساد السبعة الزيبق و الكبريت ، و اختلاف الأنواع و الأصناف عائد إلى اختلاف صفاتهما واختلاطهما و تأثّر أحدهما عن الآخر . أمّا الأمارات فهي أنّها سيّما الرصاص يذوب إلى مثل الزيبق ، و الزيبق ينعقد برائحة الكبريت إلى مثل الرصاص و الزيبق يتعلّق بهذه الأجساد . و أمّا كيفيّة تكوّن تلك الأجساد منهما فهي أنّه إذا كان الزيبق و الكبريت صافيين و كان انطباخ أحدهما بالآخر تامّاً فإن كان الكبريت مع بقائه أبيض غير محترق تكوّنت الفضّة ، و إن كان أحمر وفيه قوّة صباغة لطيفة غير

---

(١) عصرنا (خ) .

محترقة تكوّن الذهب ، و إن كانا نقيّين و في الكبريت قوّة صبّاغة لكن وصل إليه قبل كمال النضج برد مجمد عاقدتكوّن الخارصينيّ ، و إن كان الزيبق نقيّاً والكبريت ردياً فإن كان مع الرداءة فيه قوّة إحراقيّة تكوّن النحاس ، و إن كان غير شديد المخالطة بالزيبق بل متداخلاً إيّاه سافاً فسافاً تولّد الرصاص ، و إن كان الزيبق و الكبريت رديّين فإن قوي التركيب و في الزيبق تخلخل أرضيّ وفي الكبريت إحراق تكوّن الحديد ، و إن ضعف التركيب تكوّن الاُسرب و يسمّى الرصاص الأسود .
قال صاحب المواقف بعد إيراد مثل هذا التقسيم : و أنت خبير بأنّ القسمة غير حاصرة و أنّ التكوّن على هذا الوجه لاسبيل فيه إلى اليقين ولا يرجى له إلاّ الحدس والتخمين و إن سلّم فتكوّنها على غير هذا الوجه ممّا لم يقم على امتناعه دليل ،كيف والمهوّسون بالكيمياء لهم في الأجساد السبعة و الأرواح الّتي تفيد الصورة الذهبيّة والفضيّة تفنّن و الكلّ عندنا للفاعل المختار من غير إحالة على شيء ممّا ذكروه ـ انتهى ـ .

والثاني أي الذائب المشتعل هو الجسم الّذي فيه رطوبة دهنيّة مع يبوسة غير مستحكم المزاج ، ولذلك يقوى النار على تفريق رطبه عن يابسه وهو الاشتعال، وذلك كالكبريت المتولّد من مائيّة تخمّرت بالأرضيّة و الهوائيّة تخمّراً شديداً بالحرارة حتّى صارت تلك المائيّة دهنيّة و انعقدت بالبرد ، و قيل دخانيّة تخمّر بها بخاريّة تخمّراً شديداً بالحرّ حتّى حصل فيها دهنيّة ثمّ انعقدت بالبرد ، وكالزرنيخ وهوكذلك إلاّ أنّ الدهنيّة فيه أقلّ .

و الثالث أي الذائب الّذي لا ينطرق ولا يشتعل ماضعف امتزاج رطبه و يابسه و كثرت رطوبته المنعقدة بالحرّ و اليبس كالزاجات و تولّدها من ملحيّة و كبريتيّة و حجارة ، و فيها قوّة بعض الأجساد الذائبة ، و كالأملاح و تولّدها من ماء خالطه دخان حارّ لطيف كثير الناريّة وانعقد باليبس مع غلبة الأرضيّة الدخانيّة ، و لهذا يتّخذ الملح من الرماد المحترق بالطبخ و التصفية .

و الرابع أي الّذي لايذوب ولا ينطرق لرطوبته مااستحكم الامتزاج بين أجزائه الرطبة الغالبة و الأجزاء اليابسة بحيث لايقوى النار على تفريقهما كالزيبق وهو مركّب

من مائيّة صافية جدّاً خالطتها دخانيّة كبريتيّة لطيفة مخالطة شديدة بحيث لاينفصل منه سطح إلّا و يغشاه من تلك اليبوسة شيء ، فلذلك لايعلق باليد ولا ينحصر انحصاراً شديداً بشكل مايحويه ، و مثاله قطرات الماء الواقعة على تراب في غاية اللطافة فإنّه يحيط بالقطرة سطح ترابيّ حاصر للماء كالغلاف له بحيث تبقى القطرة على شكلها في وجه التراب ، و إذا تلاقت قطرتان منهما فربما ينخرق الغلافان و يصير الماءان في غلاف واحد . و بياض الزيبق لصفاء المائيّة و بياض الأرضيّة وممازجة الهوائيّة .

و الخامس أي الّذي لايذوب ولا ينطرق ليبوسة ما اشتدّ الامتزاج بين أجزائه الرطبة و الأجزاء اليابسة المستولية بحيث لايقدر النار على تفريقهما مع إحالة البرد للمائيّة إلى الأرضية بحيث لاتبقى رطوبة حسيّة دهنيّة ، و لذا لاينطرق . و لما كان تعقّده باليبس لايذوب إلّا بالحيلة بحيث لايبقى ذلك الجوهر بخلاف الحديد المذاب و ذلك كالياقوت و اللعل و الزبرجد ونحو ذلك من الأحجار .

ثمّ إنّ من المعادن ما يتولّدبالصنعة بتهيئة الموادّ وتكميل الاستعداد كالنوشادر والملح ، و إنّ منها مايعمل له شبيه يعسرالتميّز في بادىء النظر كالذهب و الفضّة واللعل وكثير من الأحجار المعدنيّة . وهل يمكن أن يعمل حقيقة هذه الجواهر بالصنعة من غيرجهة الإعجاز ؟ فذهب كثير من العقلاء إلى أنّ تكوّن الذهب والفضّة بالصنعة واقع . ذهب ابن سينا إلى أنّه لم يظهر له إمكان فضلاً عن الوقوع ، لأنّ الفصول الذاتيّة الّتي بها تصير هذه الأجساد أنواعاً أُمور مجهولة ، و المجهول لايمكن إيجاده . نعم يمكن أن يعمل النحاس بصبغ الفضّة ، و الفضّة بصبغ الذهب ، وأن يزال عن الرصاص أكثر مافيه من النقص ، لكن هذه الأُمور المحسوسة يجوز أن لاتكون هي الفصول بل عوارض ولوازم . و اُجيب بأنّا لانسلّم اختلاف الأجسام بالفصول و الصور النوعيّة بل هي متماثلة لاتختلف إلّا بالعوارض الّتي يمكن زوالها بالتدبير . ولو سلّم فإن أُريد بمجهوليّة الصور النوعيّة و الفصول الذاتيّة أنّها مجهولة من كلّ وجه فممنوع ،كيف وقد علم أنّها مبادىء لهذه الخواصّ و الأعراض ، و إن أُريد أنّها مجهولة بحقائقها وتفاصيلها فلا نسلّم أنّ الإيجاد موقوف على العلم بذلك و أنّه لايكفي العلم بجميع

المواد على وجه حصل الظن بفيضان الصور عنده لأسباب لاتعلم على التفصيل كالحيّة من الشعر والعقرب من البادروج ونحو ذلك، وكفى بصنعة الترياق ومافيه من الخواص و الآثار شاهداً على إمكان ذلك . نعم ، الكلام في الوقوع و في العلم بجميع المواد وتحصيل الاستعداد ، ولهذا جعل الكيمياء في اسم بلامسمّى .

اقول : و يظهر من بعض الأخبار تحقّقه ، لكن علم غير المعصوم به غير معلوم ومن رأينا وسمعنا ممّن يدّعي علم ذلك منهم أصحاب خديعة وتدليس ، ومكر وتلبيس ولا يتبعهم إلاّ مخدوع ، وصرف العمر فيه لايسمن ولايغني من جوع .

١٣ ـ **توحيد المفضل** : قال : قال الصادق عليه السلام : لوفطنوا طالبوا الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان وغالبوا بها .

١۴ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ،عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن عبدالله ابن عبد الرحمن ، عن يحيى الحلبيّ ، عن الثماليّ ، قال : مررت مع أبي عبدالله عليه السلام في سوق النحاس ، فقلت : جعلت فداك ، هذا النحاس أيش [1] أصله ، فقال : فضّة إلاّ أنّ الأرض أفسدتها ، فمن قدر على أن يخرج الفساد منها انتفع بها [2] .

١٥ ـ المجازات النبويّة للرضيّ : قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الجبل : ظهورها حرز ، وبطونها كنز .

قال السيّد ـ ره ـ : هذا القول خارج عن طريق المجاز ، لأنّ بطون الجبل على الحقيقة كنز ، و إنّما أراد أنّ أصحابها يستخرجون منها من الأفلاذ ماتنمى به أموالهم و تحسن معه أحوالهم . وظهورها حرز : أراد أنّها منجاة من المعاطب ، وملجأة عند المهارب .

١٦ ـ **الخرائج** : روى أحمد بن عمر الحلاّل قال : قلت لأبي الحسن الثاني عليه السلام : جعلت فداك ، إنّي أخاف عليك من هذا صاحب الرقّة ، قال : ليس عليّ منه بأس، إنّ لله بلاداً تنبت الذهب قد حماها بأضعف خلقه بالذرّ ، فلو أرادتها الفيلة ما وصلت إليها.

(١) في المصدر ، أي شيء .

(٢) الكافي : ج ٥ ، ص ٣٠٧ .

قال الوشّاء : إنّي سألت عن هذه البلاد وقد سمعت الحديث قبل مسألتي ، فأُخبرت أنّه بين البلخ و التبّت ، و أنّها تنبت الذهب ، وفيها نمل كبار أشباه الكلاب على حلقها قلس لا يمرّ بها الطير فضلاً عن غيره ، تكمن بالليل في جحرها و تظهر بالنهار ، فربما غزوا الموضع على الدوابّ الّتي تقطع ثلاثين فرسخاً في ليلة لا يعرف شيء من الدوابّ يصبر صبرها ، فيوقرون أحمالهم و يخرجون ، فإذا النمل خرجت في الطلب ، فلا تلحق شيئاً إلاّ قطعته فتشبه بالريح من سرعتها ، و ربما شغلوهم[1] باللحم يتّخذلها إذا لحقتهم يطرح لها في الطريق إن لحقتهم قطعتهم و دوابّهم .

بيان : الرقّة بلد على الفرات ، و المراد بصاحبها هارون ، لأنّه كان في تلك الأيّام فيها . و القلس حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما ، و كأنّه وصف المشبّه به أي الكلاب المعلّمة .

١٧ ـ **الكافي** : عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عمّن ذكره قال : قيل للرضا عليه السلام : إنّك تتكلّم بهذا الكلام و السيف يقطر دماً ؟! فقال : إنّ لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه النمل فلو رامته البخاتيّ لم تصل إليه .

١٨ ـ **توحيد المفضل** : قال : قال الصادق عليه السلام : فكّر يا مفضّل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجصّ ، و الكلس ، و الجبسين ، و الزرانيخ و المرتك ، و القوينا [2] و الزيبق ، و النحاس ، و الرصاص ، و الفضّة ، و الذهب ، و الزبرجد ، و الياقوت ، و الزمرّد ، و ضروب الحجارة ، و كذلك ما يخرج منها من القار ، و الموميا ، و الكبريت ، و النفط و غير ذلك ممّا يستعمله الناس في مآربهم . فهل يخفى على ذي عقل أنّ هذه كلّها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها ؟ ثمّ قصرت حيلة الناس عمّا حاولوا من صنعتها على حرصهم و اجتهادهم في ذلك ، فإنّهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر و يستفيض في العالم حتّى تكثّر الفضّة و الذهب ، و يسقطا عند الناس ، فلا يكون لهما

---

(١) شغلوها (ظ) .

(٢) القوبنا (خ) .

قيمة ، و يبطل الانتفاع بهما في الشرى و البيع و المعاملات ، ولا كان يجبي السلطان الأموال ولا يدّخرهما أحد للأعقاب ، وقدأُعطي الناس مع هذاصنعة الشبه من النحاس و الزجاج من الرمل ، و الفضّة من الرصاص ، و الذهب من الفضّة و أشباه ذلك ممّا لا مضرّة فيه . فانظر كيف اُعطوا إرادتهم في مالا ضرر فيه ، و منعوا ذلك في ما كان ضارّاً لهم لو نالوه . و من أوغل في المعادن انتهى إلى وادعظيم يجرى منصلتاً بماء غزير ، لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ، و من ورائه أمثال الجبال من الفضّة . تفكّر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم ، فإنّه أراد ـ جلّ ثناؤه ـ أن يرى العباد مقدرته (١) وسعة خزائنه ، ليعلموا أنّه لوشاء أن يمنحهم كالجبال من الفضّة لفعل ، لكن لاصلاح لهم في ذلك لأنّه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس و قلّة انتفاعهم به . و اعتبر ذلك بأنّه قد يظهرالشيء الطريف ممّا يحدثه الناس من الأواني والأمتعة ، فمادام عزيزاً قبيلاً فهو نفيس جليل آخذ الثمن ، فإذا فشاوكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخسّت قيمته . ونفاسة الأشياء من عزّتها .

بيان : الكلس ـ بالكسر ـ : الصاروج ، و الجبس ـ بالكسر ـ : الجصّ ، و في أكثر النسخ « الجبسين » ولم أجده في ماعندنا من كتب اللغة ، لكن في لغة الطبّ كما في أكثر النسخ . و المرتك ـ كمقعد ـ المرداسنج ، و« القوبنا » بالباء الموحّدة أوالياء المثنّاة من تحت ، ولم أجدهما في كتب اللغة ، لكن في القاموس : القونة القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الإناء . و في بعض النسخ « و التوتيا » و في كتب اللغة أنّه حجر يكتحل به . والقار : القير . وجبى الخراج جباية : جمعه . والإيغال : المبالغة في الدخول والذهاب . وانصلت : مضى وسبق .

تتميم نفعه عميم

اعلم أنّ الّذي يستفاد من الآيات المتظافرة و الأخبار المتواترة هو أنّ تأثيره سبحانه في الممكنات لايتوقّف على الموادّ و الاستعدادات ، و إنّما أمره إذا أراد شيئاً

---

(١) قدرته (ظ) .

أن يقول له كن فيكون [١] . و هو سبحانه جعل للأشياء منافع و تأثيرات و خواص أودعها فيها ، و تأثيراتها مشروطة بإذن الله تعالى وعدم تعلّق إرادته القاهرة بخلافها، كما أنّه أجرى عادته بخلق الإنسان من اجتماع الذكر والأنثى وتولّد النطفة منهما وقرارها في رحم الأنثى وتدرّجها علقة ومضغة وهكذا فإذا أراد غير ذلك فهو قادر على أن يخلق من غير أب كعيسى ، ومن غير امّ أيضاً كآدم و حوّاء ، وكخفّاش عيسى وطير إبراهيم وغير ذلك من المعجزات المتواترة عن الأنبياء في إحياء الموتى . وجعل الإحراق في النار ، فلمّا أراد غير ذلك قال للنار : كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .. وجعل الثقيل يرسب في الماء وينحدر من الهواء ، فأظهر قدرته بمشي كثير على الماء و رفعهم إلى السماء وجعل في طبع الماء الانحدار فأجرى حكمه عليه بأن تقف أمثال الجبال منه في الهواء حتّى تعبر بنو إسرائيل من البحر . و مع عدم القول بذلك لا يمكن تصديق شيء من

---

(١) لا بأس بتذييل لهذا التتميم يجعل نفعه أعم و فائدته أتم ، فنقول ، هناك امور لا مجال للارتياب فيها لمن له قدم في العلوم الالهية ،

(الاول) كل ما سوى الله تعالى مخلوق له محتاج إليه في جميع شؤونه الوجودية ، سواء في ذلك الشؤون العلمية و الارادية و غيرها .

(الثاني) ان الله تعالى غني عن جميع ماسواه ولايحتاج إلى غيره في شيء أصلا ، وليس لقدرته تعالى حد و نهاية ، فهو القادر على كل أمر ممكن في ذاته ، و ليس لقدرته على شيء من الاشياء شرط ولا مانع ، سبحانه و تعالى عما يصفون .

(الثالث) كل ممكن في ذاته يستوي نسبته إلى الوجود و العدم ، ولابد في ترجيح أحدهما من مرجح و هذا حكم ضروري لا يكاد يشك فيه عاقل فضلا عن الانكار اللهم الا من لم يتصور طرفي القضية أو عرض له شبهة لم يستطع دفعها أو مكابر ينكر باللسان ما يعترف به قلبا . و هذا أساس جل براهين التوحيد بل المعارف الحقة .

(الرابع) طريق معرفة العلل والمرجحات - سوى ما يعرفه الانسان وجداناً و بالضرورة - اختبار ارتباط وجود شيء بشيء و كشف حدود ذاك الارتباط ، و هذا من معرفة صنع الله تعالى و كشف مجاري مشيئته في خلقه ، لا من باب كشف شرائط قدرته تعالى على الاشياء فتفطن . و من الواضح ان معرفة سبب ما لشيء لاتنفي سببية شيء آخر له وقد ثبت في محله ان هذا ليس

المعجزات اليقينيّة المتواترة عن الأنبياء والأوصياء عَلَيْهِ السَّلَامُ . وكذا جرى عادته على انعقاد الجواهر في المعادن بأسباب من المؤثّرات الأرضيّة و السماويّة لبعض المصالح ، فإذا أراد إظهار كمال قدرته و رفع شأن وليّه يجعل الحصا في كفّه دفعة جوهراً ثميناً ، و الحديد في يد نبيّه عجيناً ، و يخرج الأجساد البالية دفعة من التراب في يوم الحساب. فهذه كلّها و أمثالها لاتستقيم مع الإذعان بقواعدهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة .

و قال بعضهم حذراً من التشهير و التفكير : إعادة النفس إلى بدن مثل بدنها الّذي كان لها في الدنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة كما نطقت

←من صدور الواحد من الكثير لمكان تعدد الحيثيات ولا اظن أن يرتاب أحد فى سببية الاسباب والعلل لمسبباتها ومعلولاتها و ارتباط الثانية بالاولى ارتباطاً ذاتياً وجودياً إلا ان تعرض شبهة لمن لا يستطيع على حلها كالاشاعرة حيث قالوا بان عادة الله جرت على ايجاد شيء عقيب شيء آخر دون ان يرتبط به ارتباطاً وجودياً ، والتزموا بذلك زعماً منهم ان القول بالعلية وارتباط المعلول بالعلة ينافى التوحيد ، وجهلا بأن هذا منهم هدم لاساس التوحيد وإنكار لسنة الله تعالى فى خلقه .

(الخامس) كل علة غير الواجب تعالى ليس مستقلا فى التأثير كما أنه ليس مستقلا فى الوجود ، فكما انها تحتاج فى ذاتها إلى علة اخرى حتى تنتهى إلى الواجب تبارك و تعالى فكذا فى أفعالها و جميع شؤونها فما من اثر وجودى فى شيء من الاشياء من حيث هو اثر وجودى إلا و هو مستند إلى الله تعالى قبل استناده إلى سائر علله و يشهد لهذا المعنى آيات كثيرة جداً نسب فيها افعال العباد والمخلوقات إلى الله تعالى أو انيط فيها تأثير الاشياء باذن الله تعالى و مشيئته ، لكن استناد الافعال والآثار إلى الله سبحانه لايوجب سلب انتسابها إلى عللها المتوسطة و تأثير العلل باذن ربها ، فاستناد خلق الانسان إلى الله تعالى لا ينافى توسط ملائكته و تأثير اسباب و معدات بل يستلزمها ، لا لانه سبحانه يحتاج إليها و قدرته على الخلق يتوقف عليها بل لان مرتبة الفعل هى التى تقتضى ذلك ، فكل معلول له مرتبة تخصه و حدود يتشخص بها بحيث لو تبدل بعضها إلى بعض لانقلب إلى شيء آخر ، كما ان كل عدد له مرتبة خاصة لايتقدم عليها ولا يتأخر عنها و إلا لانقلب إلى عدد آخر ، و فيض الوجود مطلق لا يقيد من ناحية ذات المفيض تعالى بشيء بل مجارى الفيض هى التى تحدده حتى تتقدر باقدار خاصة تسعها ظروف المعاليل المتأخرة « و ما ننزله إلا بقدر معلوم » فتقدره انما هو عند نزوله و اما عنده تعالى فالخزائن التى لا تتناهى . وقد جرت سنته تعالى باجراء الامور من اسبابها و لن تجد لسنة الله تبديلا←

به الشريعة ممكن غير مستحيل ، ولا استبعاد أيضاً فيها ولا يلزم أن يكون حدوث لياقته و استعداده لتعلّقها ممّا يحصل له شيئاً فشيئاً ككونه أوّلاً نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً ثمّ طفلاً إلى تمام الخلقة حسب ما يقتضيه التوالد والتناسل ، فإنّ ذلك نحو خاصّ من الحدوث ، والحدوث لا ينحصر للإنسان في هذا النحو، لجواز أن يتكوّن دفعة تامّاً كاملاً لأجل خصوصية بعض الأزمنة و الأوقات ، والأوضاع الفلكيّة ترجّح إرادة الله

← وان تجد لسنة الله تحويلا . نعم ، من الاسباب ما يكون واضحاً وكيفية تأثيره و شرائطه معروفة و منها ما يكون خفياً لا يطلع عليها إلا الخواص بعد جهد بالغ وتجارب كثيرة ، و منها ما يكون غير عادى لا يستطاع الحصول عليه إلا لمن شاء الله تعالى فربما يدعى من لا يعرف هذين النوعين من الاسباب انحصار سبب شيء فى ما هو الواضح المتعارف ، كما كان الناس يزعمون استحالة كثير من الامور التى حصلت اليوم ببركة العلم الحديث ، و كما كان كثير من الاقوام يزعمون استحالة حدوث بعض الايات قبل مشاهدتها ويسندونها إلى سحر الاعين بعد رؤيتها ، لكن العقل السليم لا يأبى وجود اسباب خفية على الناس و غير طائعة لهم كما لا ينكر تأثير نفوس قدسية بأمر الله تعالى ولا يعد المعجزات و خوارق العادات تجويزاً للمحال ولا ناقضاً لقانون العلية ، لكن يأبى استناد الحوادث أياماً كانت بلا واسطة إلى الله تعالى لاستلزام ذلك اختلال سلسلة العلل و المعاليل و تقدر الفيض من غير مقدر و الترجح بلا مرجح و أما مرجحية ارادة الله تعالى و مقدريتها للفيض فالارادة ان فرضت حادثة فى ذاته سبحانه استلزمت صيرورة الذات محلا للحوادث و معرضاً للكيفيات ـ جل و تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ و ان فرضت حادثة فى خارج ذاته كانت مخلوقة له محتاجة إلى ارادة اخرى متسلسلة وتغيير العبارة والتعبير بالمشيئة لا يحل المشكلة وان فرضت قديمة لزم انفكاك المعلول عن العلة و أما الارادة المنتزعة عن مقام الفعل فمنشأ انتزاعها نفس الفعل فلا تكون مرجحة له و هذا ليس بمعنى اشتراط قدرته تعالى على الفعل بحصول الاسباب و اجتماع الشرائط و استعداد المواد ، فان قدرته تعالى ليست محدودة بشيء ولا متوقفة على شيء ، بل بمعنى نقص المقدور و محدوديته ذاتاً و تأخره عن علله رتبة وارتباطه بها ثبوتا ، و بعبارة اخرى المعلول الخاص هو الذى يكون محدوداً بحدود و قيود خاصة وإلا لم يكن ذاك المعلول لا أن الله تعالى لا يكون قادرا على ايجاد هذا المعلول إلا بهذه الخصوصيات كما انه لا ينافي تكون الاشياء بنفس امر الله تعالى ، فان أمره يوجب وجودها فى ظروفها و ←

تعالى [1] في إيجاد الناس و تكوين أجسادهم دفعة واحدة ، و نفخ أرواحهم في أجسادهم المتكوّنة نفخة واحدة ، بتوسّط بعض ملائكته . فردّ الله تعالى بواسطة واهب الصور تلك الصور إلى موادّها لحصول المزاج الخاصّ مرّة اُخرى كما تتكوّن اُلوف كثيرة من أصناف الحيوانات كالذباب وغيرها في الصيف من العفونات تكوّناً دفعيّاً ، ولايلزم أن يكون نحو التعلّق واحداً في المبدء و الإعادة ، بل يجوز أن يكون التعلّق الآخريّ إلى البدن على وجه لا يكون مانعاً من حصول الأفعال الغريبة والآثار العجيبة ، و مشاهدة اُمور غيبيّة لم يكن من شأن النفس مشاهدتها إيّاها في النشأة الدنيويّة ، وكذا اقتدارها على إيجاد صور عجيبة غريبة حسنة أو قبيحة مناسبة لأوصافها و أخلاقها - انتهى - و أنت تعلم إذا تأمّلت في مجاري كلامه أنّه مع إعمال التقيّة فيه لوح إلى مرامه .

ونقل بعض قدماء الأطبّاء عن جالينوس في بيان تشريح الأعضاء و فوائدها أنّه قال : وشعر الحاجبين أيضاً ممّا لم يقصر فيه ولم يتوان عنه ، و هو و الأشفار دون سائر الشعر جعل له مقدار يقف عنده فلا يطول أكثر منه ، وأمّا شعر الرأس واللحية فإنّه يطول كثيراً ، و السبب في ذلك أنّ شعر الرأس و اللحية له منفعتان : إحديهما تغطية ما تحته من الأعضاء وسترها، والاُخرى إفناء الفضول الغليظة . ومنفعته من جهة التغطية والستر تختلف على وجوه شتّى ، وذلك لأنّ حاجتنا إلى التغطية والستر تختلف بقدر اختلاف

← على حدودها ، و تعين الحدود والقيود من شؤون الموجود بأمر الله تعالى لا من قيود أمره و ايجاده فافهم .

إذا عرفت هذه الامور علمت ان قواعد الفلسفة لا تنفي خوارق العادات و تكون الاشياء من غير طريق اسبابها المتعارفة ، كما لا توجب محدودية قدرته تعالى و توقفها على حصول استعدادات للمواد ، و ان انكر ذلك منكر فلا يعاب به على القواعد العقلية كما لا يعاب بغلط المحاسب على قواعد الحساب ، فنفس القواعد امر و اجراؤها فى مواردها امر آخر . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

(١) لا يخفى ما في هذه العبارة ، فارادة الله تعالى قاهرة للاشياء لا مقهورة لها ومترجحة بها ، إلا أن يكون مراده ما أشرنا إليه سابقاً .

الأسنان و أزمان السنة و البلدان و إخراج البدن ، لأنّ حاجة الرجل التامّ إلى طول الشعر ليست كحاجة الصبيّ الصغير إلى ذلك ، ولا كحاجة الشيخ الفاني ولا كحاجة المرأة ، وكذلك أيضاً ليست الحاجة إلى طول الشعر في الصيف و الشتاء سواء ، ولا في البلاد الحارّة و الباردة ، ولا حاجة من كانت عينه معتلّة من الرمد أوكان رأسه يصدع إلى ذلك كحاجة من هو صحيح البدن لاعلّة به ، فاحتيج لذلك أن نكون نحن نجعل طول الشعر في الأوقات المختلفة بأقدار مختلفة . بحسب مايوافق كلّ وقت منها . وأمّا الحاجبان و الأشفار فإنّه إن زيد فيه أو نقص منه فسدت منفعته ، و ذاك أنّ الأشفار تحوط العين بمنزلة الجدار ليحجب عنها و يمنع من أن يسقط فيها شيء من الأجرام الصغار إذا كانت مفتوحة . وشعر الحاجبين جعل يلقي ماينحدر من الرأس قبل وصوله إلى العين بمنزلة الصور المانع ، فمتى قصرت من طوله أوقلّلت من عدده أكثر ممّا ينبغي كان مايدخل على منفعته من الفساد بحسب ماينقص من المقدار الّذي يحتاج إليه . و ذاك أنّ الأشفار حينئذ تطلق ما قد كانت تمنعه قبل النقصان من الوصول إلى العين ،و شعر الحاجبين يرسل ماقدكان يحبسه و يمنعه من الوصول إلى العين من الأشياء الّتي تسيل من الرأس . فإن أنت طوّلت هذا الشعر وكثّرته فوق المقدار الّذي ينبغي لم يقم حينئذ للعين مقام الحاجب ولا مقام السور المانع ، لكنّه يغطّي العين ويعلو عليها حتّى يصير منه في مثل حبس ضيّق . وذاك أنّه يستر الحدقة و يحجبها حتّى تظلم ،والحدقة أحوج الحواس كلّها إلى أن لا تحجب ولا يحال بينها و بين مايدركه البصر . و إذا كان الأمر على ما وصفت فما الّذي ينبغي أن نقول فيه ؟ أنقول : إنّ الخالق أمر هذا الشعر أن يبقى على مقدار واحد ولا يطول أكثر منه ، و أنّ الشعر قبل ذلك الأمر فأطاع فيبقى لايخالف ما اُمر به إمّا للفزع و الخوف من المخالفة لأمر الله ، و إمّا للمجاملة والاستحياء من الله الّذي أمره بهذا الأمر ،وإمّا لأنّ الشعر نفسه يعلم أنّ هذا أولى به وأحمد من فعله . أمّا موسى فهذا رأيه في الأشياء الطبيعيّة ، وهذا الرأي عندي أحمد وأولى أن يتمسّك به من رأي أفيقورس ، إلّا أنّ الأجود الإضراب عنهما جميعاً والاحتفاظ بأنّ الله هو مبدىء خلق

كلّ شيء كما قال موسى ، و زيادة المبدأ الّذي من المادّة . فإنّ خالقنا إنّما جعل الأشفار و شعر الحاجبين يحتاج أن يبقى على مقدار واحد من الطول ، لأنّ هكذا كان أوفق و أصلح ، فلمّا علم أنّ هذا الشعر كان ينبغي أن يجعل على هذا جعل تحت الأشفار جرماً صلباً يشبه الغضروف يمتدّ في طول الجفن ، وفرش تحت الحاجبين جلدة صلبة ملزقة بغضروف الحاجبين ، و ذلك[1] أنّه لم يكن يكتفي في بقاء الشعر على مقدار واحد من الطول بأن يشاء الخالق أن يكون هكذا ، كما أنّه لو شاء أن يجعل الحجر دفعة إنساناً لم يكن ذلك بممكن . و الفرق في ما بين إيمان موسى و إيماننا وأفلاطون و سائر اليونانيّين هو هذا : موسى يزعم أنّه يكتفي بأن يشاء الله أن يزيّن المادّة و يهيّئها لا غير ، فيتزيّن و يتهيّأ على المكان ، وذاك أنّه يظنّ أنّ الأشياء كلّها ممكنة عندالله فإنّه لوشاء الله أن يخلق من الرماد فرساً أو ثوراً دفعة لفعل . وأمّا نحن فلا نعرف هذا ، و لكنّا نقول : إنّ من الأشياء أشياء في أنفسها غير ممكنة ، و هذه الأشياء لا يشاء الله أصلاً أن تكون ، و إنّما يشاء أن تكون الأشياء الممكنة ، و أيضاً لا يختار إلّا أجودها و أوفقها و أفضلها . و لذا لمّا كان الأصلح و الأوفق للأشفار و شعر الحاجبين أن يبقى على مقداره من الطول على عدده الّذي هو عليه دائماً أبداً لسنا نقول في هذا الشعر إنّ الله إنّما شاء أن يكون على ما هو عليه فصار من ساعته على ما شاء الله ، و ذاك أنّه لو شاء ألف ألف مرّة أن يكون هذا الشعر على هذا لم يكن ذلك أبداً بعد أن يجعل منشأه من جلدة رخوة ، إلّا أنّه لو لم يغرس اُصول الشعر في جرم صلب لكان مع ما يتغيّر كثير ممّا هو عليه لا يبقى أيضاً قائماً منتصبا . و إذا كان هذا هكذا فإنّا نقول : إنّ الله سبب لأمرين : أحدهما اختيار أجود الحالات و أصلحها و أوفقها لما يفعل . و الثاني اختيار المادّة الموافقة . و من ذلك أنّه لمّا كان الأصلح و الأجود أن يكون شعر الأشفار قائماً منتصباً و أن يدوم بقاؤه على حالة واحدة في مقدار طوله وفي عدده ، جعل مغرس الشجر و مركزه في جرم صلب ، ولو أنّه غرسه في جرم رخو لكان أجهل من موسى ، و أجهل من قائد جيش سخيف يضع أساس سور مدينة أو حصنه

---

(١) ذاك (خ) .

على أرض رخوة غارقة بالماء . و كذلك بقاء شعر الحاجبين و دوامه على حالة واحدة إنّما جاء من قبل اختياره للمادّة ، و كما أنّ العشب و سائر النبات ما كان منه ينبت في أرض رطبة سمينة خصبة فإنّه يطول و ينشأ نشوءاً حسناً ، و ما كان منه في أرض صخريّة جافّة فإنّه لا ينمو ولا يطول ، كذلك أحد الأمرين ـ انتهى كلامه ضاعف الله عذابه و انتقامه ـ .

و أقول : قد لاح من الكلام الرديء المشتمل على الكفر الجلي ّ اُمور :

الاول ما أسلفنا من أنّ الأنبياء المخبرين عن وحي السماء لم يقولوا بتوقّف تأثير الصانع ـ تعالى شأنه ـ على استعدادالموادّ ، ولااستحالة تعلّق إرادته بإيجادشيء من شيء بدون مرور زمان أو إعداد ، و له أن يخلق كلّ شيء كان من أيّ شيء أراد .

الثاني أنّ الحكماء لم يكونوا يعتقدون نبوّة الأنبياء ولم يؤمنوا بهم ، وأنّهم يزعمون أنّهم أصحاب نظر وأصحاب آراء مثلهم ، يخطئون ويصيبون ، ولم يكن علومهم مقتبسة من مشكاة أنوارهم كما زعمه أتباعهم .

الثالث أنّهم كانوا منكرين لأكثر معجزات الأنبياء عليهم السلام فإنّ أكثرها ممّا عدّوها من المستحيلات .

الرابع : أنّهم كانوا في جميع الأعصار معارضين لأرباب الشرائع و الديانات كما هم في تلك الأزمنة كذلك [١] .

---

(١) من الناس من يفرط فى حسن الظن بفلاسفة اليونان لا سيما الاقدمين منهم ، ويظن أن علومهم مأخوذة من الانبياء ـ عليهم السلام ـ بل يظن أن فيهم من كان نبياً ، ثم يتعب نفسه فى تفسير الكلمات المنقولة عنهم والمترجمة من كتبهم وتأويلها بما يوافق الحق فى زعمه و منهم من يفرط فى حقهم بل فى حق من سمى فيلسوفاً من علماء الاسلام ، ويتهم فلاسفة الاسلام أيضاً بأنهم أدخلوا انفسهم فى المسلمين ليضيعوا عليهم دينهم و يفسدوا عليهم عقائدهم ! و ربما يقع التصارع بين الطرفين فيتمسك كل منهما لاثبات مدعاه بما لا يليق التمسك به للمحققين . و لعمرى كلاهما خارجان عن طور العدل و الحكم بالقسط ، و الذى نرى لزوم التنبيه عليه امور ،

١ ـ ان وقوع الاختلاف الكثير بين الفلاسفة منذ العهد الاقدم دليل على أن كل رأى ـــ

قال الشيخ المفيد ـ قدّس سرّه ـ في كتاب المقالات : أقول : إنّ الطباع معان تحلّ الجسم يتهيّأ بها للانفعال كالبصر و ما فيه من الطبيعة الّتي بها يتهيّأ لحلول الحسّ فيه و الإدراك . ثمّ قال : و إنّ ما يتولّد بالطبع فإنّما هو لمسبّبه بالفعل في المطبوع و أنّه لا فعل على الحقيقة لشيء من الطباع ، و هذا مذهب أبي القاسم الكعبيّ ، و هو خلاف مذهب المعتزلة في الطباع و خلاف الفلاسفة الملحدين أيضاً في ما ذهبوا إليه من أفعال الطباع . ثمّ قال : قد ذهب كثير من الموحّدين إلى أنّ الأجسام كلّها مركّبة من الطبائع الأربع ، وهي : الحرارة ، و البرودة ، و الرطوبة ، و اليبوسة . و احتجّوا في ذلك بانحلال كلّ جسم إليها و بما يشاهدونه من استحالتها كاستحالة الماء بخاراً ، و البخار ماءاً ، و الموات حيواناً ، و الحيوان مواتاً ، و وجود الناريّة و المائيّة و الهوائيّة و الترابيّة في كلّ جسم و أنّه لا ينفكّ جسم من الأجسام من ذلك ولا يعقل على خلافه ولا ينحلّ إلّا إليه ، وهذا ظاهر مكشوف لست أجد لدفعه حجّة أعتمد عليها ، ولا أراه مفسداً لشيء من التوحيد أو العدل أو الوعيد أو النبوّات أو الشرائع فأطرحه لذلك بل

ـه من كل فيلسوف ليس بحيث يعد وحياً منزلا و نصاً محكماً يستحق بذل الجهود في تفسيره و تأويله و التوفيق بينه و بين آراء سائر الحكماء و تطبيقه على المعارف الدينية الحقيقية .

٢ ـ ان كثيراً من مدارك التأييد و الطعن ينتهي إلى ما ترجم عن كتب لا يعرف مؤلفها و مصنفها ، ولا يوثق بناقلها ومترجمها ، مثل ما ينسبه طبيب إلى جالينوس ، أو شكاك إلى سقراط! فربما ينسب كتاب إلى فيلسوف و يترجم بما انه حاك عن آراء مكتب خاص من المكاتب الفلسفية ثم بعد حين يشكك في النسبة وفي الترجمة وينسب إلى فيلسوف آخر من مكتب مخالف للمكتب الاول ، و يلتمس له شواهد و قرائن ربما لا تترجح على شواهد النسبة الاولى . و ما ندرى لعله لعبت بكثير من هذه التراجم أيدى خائنة ، أو حرفتها اقلام قاصرة أو مقصرة ، أضف إلى ذلك عويصة الاصطلاحات العلمية و نقلها إلى لسان آخر . فكيف نعتمد على مثلها في تعظيم رجال أو تحطيمهم ؛ لا سيما إذا انجر الامر إلى تقديسهم و الحكم بلزوم اتباعهم و الاقتداء بهم بما أنهم أئمة المعرفة وأصحاب الكشف و اليقين ، اوالى تكفيرهم و الحكم عليهم بالخلود في النار و مضاعفة العذاب !

٣ ـ انه لوسلم إلحاد متفلسف وانكاره للشرائع والنبوات فليس ذلك بحيث يسرى الحاده إلى كل من سمى فيلسوفا حتى وان كان مصرحاً بتصديق الانبياء ثم يجب علينا ان لا نقصر في ـه

هو مؤيّد للدين مؤكّد لأدلّة الله تعالى على ربوبيّته وحكمته و توحيده ، و ممّن دان به من رؤساء المتكلّمين النظّام ، و ذهب إليه البلخي و من اتّبعه في المقال .

و قال الشيخ الرضي أمين الدين الطبرسي ـ نور الله مرقده ـ في مجمع البيان في تفسير سورة الفيل بعد إيراد القصّة المشهورة : و فيه حجّة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة و الملحدين و المنكرين للآيات الخارقة للعادات ، فإنّه لايمكن نسبة شيء ممّا ذكره الله من أمر أصحاب الفيل إلى طبع و غيره ، كما نسبوا الصيحة والريح العقيم والخسف وغيرها ممّا أهلك الله تعالى به الأمم الخالية إلى ذلك ، إذلايمكنهم أن يروا في أسرار الطبيعة إرسال جماعات من الطير معها أحجار معدّة مهيّأة لهلاك أقوام معيّنين قاصدات إيّاهم دون من سواهم ، فترميهم بها حتّى تهلكهم و تدمّر عليهم ، لايتعدّى ذلك إلى غيرهم . ولايشكّ من له مسكة من عقل ولبّ أنّ هذا لايكون إلّا من فعل الله

ـــ قدحه والطعن عليه دون أن نحمل كلامه على التقية من المسلمين والخوف من التكفير والتشهير و الحاصل أن الحكم ليس دائراً مدار الاسم ، فليس طعن فقيه على الفلاسفة الملحدين دليلا على بطلان رأى كل فيلسوف فى كل عصر و فى كل مسألة ، كما ان تجليل حكيم للفلاسفة الالهيين لا يصير دليلا على حقية جميع آراء الفلاسفة فى جميع الازمنة و الامكنة ؛ و الحق أحق أن يتبع أينما وجد .

٤-ان الذى ثبت من مدح الفلاسفة الالهيين أنهم رفعوا لواء التوحيد فى عهد و فى أرض كان يسيطر فكرة الشرك و الوثنية على القلوب ، و وجهوا أنظار الجمهور إلى ماوراء الطبيعة بينما كان ائمة الكفر يدعون الناس إلى الطبيعة والدهر ، و قادوا بالهمم إلى العالم الابدى و حياة الاخرة حينما كانت تقصر على العالم المادى و تخلد إلى الارض و الحياة الدنيا . و إذا كانت علوم الطب و الهندسة و امثالها ترتضع من ثدى النبوة فلا غروان تكون منشأ تلك المعارف العالية تعاليم رجال الوحى و ان وقع فيها بعد حين تحريف اوسوء تعبير و تفسير . و أما أنهم هل كانوا يدينون دين الحق ، أو كانوا يرفضون دعوة الانبياء و يجحدون الحق بعد ما تمت عليهم الحجة وقامت عليهم البينة ، أو كانوا مختلفين فى ذلك ، فذلك مما لم يتحقق لنا بعد و لعل من يصر على أنهم ملحدون جاحدون للحق و يدعو عليهم بمضاعفة العذاب له حجة على مدعاه ، والله عليم بذات الصدور . نستعيذ بالله تعالى من لحن القول و لهو الحديث و نسأله التوفيق لملازمة الحق و سواء الطريق .

تعالى مسبّب الأسباب ، و مذلّل الصعاب ، و ليس لأحد أن ينكر هذا ، لأنّ نبيّنا صلّى الله عليه و آله لمّا قرأ هذه السورة على أهل مكّة لم ينكروا ذلك بل أقرّوا به و صدّقوه مع شدّة حرصهم على تكذيبه و اعتنائهم بالردّ عليه ، و كانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل ،فلولم يكن لذلك عندهم حقيقة وأصل لأنكروه وجحدوه. وكيف وإنّهم قدأرّخوا بذلك كما أرّخوا ببناء الكعبة و موت قصيّ بن كعب وغير ذلك . و قد أكثر الشعراء ذكر الفيل ونظموه ونقلته الرواة عنهم .

و أقول : هذه الجناية على الدين ، و تشهير كتب الفلاسفة بين المسلمين ، من بدع خلفاء الجور المعاندين لأئمّة الدين ، ليصرفوا الناس عنهم وعن الشرع المبين .و يدلّ على ذلك ماذكره الصفديّ في شرح لاميّة العجم : إنّ المأمون لمّا هادن بعض ملوك النصارى ـ أظنّه صاحب جزيرة قبرس ـ طلب منهم خزانة كتب اليونان ـ وكانت عندهم مجموعة في بيت لايظهر عليه أحد ـ فجمع الملك خواصّه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلّهم أشار بعدم تجهيزها إليه إلّا مطران واحد فإنّه قال : جهّزها إليهم ، مادخلت هذه العلوم على دولة شرعيّة إلّا أفسدتها وأوقعت الاختلاف بين علمائها.

وقال في موضع آخر : إنّ المأمون لم يبتكر النقل و التعريب ـ أي لكتب الفلاسفة ـ بل نقل قبله كثير ، فإنّ يحيى بن خالد بن برمك عرّب من كتب الفرس كثيراً مثل «كليلة و دمنة » وعرّب لأجله كتاب « المجسطي » من كتب اليونان . والمشهور أنّ أوّل من عرّب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما اُولع بكتب الكيمياء . ويدلّ على أنّ الخلفاء و أتباعهم كانوا مائلين إلى الفلسفة ، و أنّ يحيى البرمكيّ كان محبّاً لهم ناصراً لمذهبهم ما رواه الكشيّ بإسناده عن يونس بن عبدالرحمان ، قال : كان يحيى بن خالد البرمكيّ قد وجد على هشام شيئاً من طعنه على الفلاسفة ، فأحبّ أن يغري به هارون و يضربه على القتل ـ ثمّ ذكر قصّة طويلة في ذلك أوردناها في باب أحوال أصحاب الكاظم عليه السلام و فيها : ـ انّه أخفى هارون في بيته و دعا هشاماً ليناظر العلماء و جرّوا الكلام إلى الإمامة و أظهر الحقّ فيها ، وأراد هارون قتله فهرب ومات من ذلك الخوف ـ رحمه الله ـ . وعدّ أصحاب الرجال من كتبه « كتاب الردّ على أصحاب الطبائع » و

« كتاب الردّ على أرسطاطا ليس » في التوحيد . وعدّ الشيخ منتجب الدين في فهرسه من كتب قطب الدين الراوندي «كتاب تهافت الفلاسفة » وعدّ النجاشي من كتب الفضل بن شاذان « كتاب ردّ على الفلاسفة » و هو من أجلّة الأصحاب . و طعن عليهم الصدوق - ره - في مفتتح كتاب « إكمال الدين » . و قال الرازيّ عند تفسير قوله تعالى « كلّما جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم » : فيه وجوه - ثمّ ذكر من جملة الوجوه - أن يريد علم الفلاسفة و الدهريّين من بني يونان ، و كانوا إذا سمعوا بوحي الله صغّروا علم الأنبياء إلى علمهم . وعن سقراط أنّه سمع بموسى عليه السلام وقيل له : أو هاجرت إليه ؟ فقال : نحن قوم مهذّبون فلا حاجة إلى من يهذّبنا . وقال الرازيّ في « المطالب العالية » : أظنّ أنّ قول إبراهيم لأبيه « ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً » إنّما كان لأجل أنّ أباه كان على دين الفلاسفة ، وكان ينكر كونه تعالى قادراً و ينكر كونه تعالى عالماً بالجزئيّات فلا جرم خاطبه بذلك الخطاب .

٣٥

﴿ باب نادر ﴾

١ - **الخصال** : عن أبيه ، عن محمّد بن يحيى العطّار ، عن محمّد بن أحمد ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهما السلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً إلّا وقد أمّر عليه آخر يغلبه به ، و ذلك أنّ الله تبارك و تعالى لمّا خلق السحاب [1] فخرت و زخرت و قالت : أيّ شيء يغلبني ؟ فخلق الله عزّ وجلّ الفلك فأدارها بها وذلّلها . ثمّ إنّ الأرض فخرت وقالت : أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الجبال فأثبتها في ظهرها أوتاداً منعها من أن تميد بما عليها فذلّت و استقرّت . ثمّ إنّ الجبال فخرت على الأرض فشمخت و استطالت و قالت : أيّ شيء يغلبني ؟ فخلق الله الحديد فقطعها فقرّت الجبال وذلّت . ثمّ إنّ الحديد فخر على الجبال وقال:

(١) في المصدر « البحار » و هو الصواب ظاهراً .

أيّ شيء يغلبني فخلق الله النار فأذابت الحديد فذلّ الحديد . ثمّ إنّ النار زفرت و شهقت و فخرت و قالت : أيّ شيء يغلبني ؟ فخلق الماء فأطفأها فذلّت . ثمّ إنّ الماء فخر و زخر و قال : أيّ شيء يغلبني ؟ فخلق الريح فحرّكت أمواجه وأثارت ما في قعره و حبسته عن مجاريه فذلّ الماء . ثمّ إنّ الريح فخرت وعصفت وأرخت أذيالها وقالت : أيّ شيء يغلبني ؟ فخلق الإنسان فاحتال و اتّخذ ما يستتر به من الريح وغيرها فذلّت الريح . ثمّ إنّ الإنسان طغى و قال : من أشدّ منّي قوّة ؟ فخلق الموت فقهره فذلّ الإنسان . ثمّ إنّ الموت فخر في نفسه فقال الله ـ جلّ جلاله ـ : لا تفخر ، فإنّي أذبحك[1] بين الفريقين : أهل الجنّة و النار ، ثمّ لا اُحييك أبداً ، فذلّ و خاف [2].

بيان : « فخلق الله الفلك فأدارها بها » لعلّ المعنى أنّ الأفلاك بأجرامها النيّرة مسلّطة على السحاب تبعثها و تثيرها و تدنيها [3] و تفرّقها . وقد مرّ برواية الكليني هكذا : « و ذلك أنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق البحار السفلى فخرت وزخرت وقالت : أيّ شيء يغلبني ؟ فخلق الأرض فسطحها على ظهرها فذلّت ، ثمّ إنّ الأرض فخرت ـ إلى آخر الخبر ـ » و هو الظاهر ، بل لا يستقيم ما في الخصال كما لا يخفى ، وقد سبق شرح الخبر في الباب الأوّل .

٢ ـ **الخصال** : عن أبيه ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد ، عن محمّد بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام : في ما سأل رسول معاوية لأسئلة ملك الروم الحسن بن عليّ عليهما السلام قال : و أمّا عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض فأشدّ شيء خلقه الله عزّ وجلّ الحجر ، وأشدّ من الحجر الحديد يقطع به الحجر ، و أشدّ من الحديد النار تذيب الحديد و أشدّ من النار الماء يطفيء النار ، و أشدّ من الماء السحاب يحمل الماء ، وأشدّ من السحاب الريح يحمل السحاب ، وأشدّ من الريح الملك الّذي يرسلها ، و أشدّ من الملك ملك الموت الّذي يميت الملك ، و أشدّ من ملك الموت الموت الّذي يميت ملك الموت ، و أشدّ من الموت أمر [الله] ربّ العالمين

(١) في المصدر : ذابحك .
(٢) الخصال : ٥٨ .
(٣) تذيبها (خ) .

الّذي يميت الموت [١] .

٣ ـ **كتاب الغارات** : لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ ، عن الشعبيّ ، قال : قال ابن الكوّاء لأمير المؤمنين عليه السلام : أيّ [شيء] خلق الله أشدّ ؟ قال : إنّ أشدّ خلق الله عشرة : الجبال الرواسي ، و الحديد تنحت به الجبال ، و النار تأكل الحديد ، و الماء يطفيء النار ، و السحاب المسخّر بين السماء والأرض تحمل الماء ، والريح تقلّ السحاب و الإنسان يغلب الريح يتّقيها بيديه و يذهب لحاجته ، و السكر يغلب الإنسان ، و النوم يغلب السكر ، و الهمّ يغلب النوم ، فأشدّ خلق ربّك الهمّ .

٤ ـ **العلل** : عن أحمد بن محمّد العلويّ ، عن محمّد بن إبراهيم بن أسباط ، عن أحمد ابن محمّد بن زياد ، عن أحمد بن محمّد بن عبدالله ، عن عيسى بن جعفر العلويّ العمريّ عن آبائه عن عمر بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام أنّه سئل : ممّا خلق الله عزّ وجلّ الذرّ الّذي يدخل في كوّة البيت ؟ فقال : إنّ موسى عليه السلام لمّا قال : ربّ أرني أنظر إليك ، قال الله عزّ وجلّ : إن استقرّ الجبل لنوري فإنّك ستقوى على أن تنظر إليّ ، و إن لم يستقرّ فلا تطيق إبصاري لضعفك ، فلمّا تجلّى الله تبارك و تعالى للجبل تقطّع ثلاث قطع : فقطعة ارتفعت في السماء ، و قطعة غاضت تحت الأرض ، و قطعة تفتّت ، فهذا الذرّ من ذلك الغبار غبار الجبل [٢] .

بيان : هذا الخبر على تقدير صحّته و صدوره عن الإمام ، لعلّ المعنى أنّ له أيضاً مدخليّة في تلك الذرّات في بعض البلاد أو كلّها بأن تكون تفرّقت بقدرة الله تعالى في جميع البلاد .

---

(١) الخصال ، ٥٨ .

(٢) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

٣٦

﴿ باب ﴾

(الممدوح من البلدان و المذموم منها و غرائبها)

الآيات :

يونس : ولقد بوّأنا بني إسرائيل مبوّأ صدق و رزقناهم من الطيّبات (١) .

الانبياء : و نجّيناه ولوطاً إلى الأرض الّتي باركنا فيها للعالمين(٢) . وقال تعالى: و لسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض الّتي باركنا فيها (٣) .

المؤمنون : و آويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين (٤) .

القصص : آنس من جانب الطور ناراً ــ إلى قوله تعالى ــ فلمّا أتيها نودي من شاطىء الوادالأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنّي أنا الله ربّ العالمين (٥) .

سبأ : بلدة طيّبة وربّ غفور ــ إلى قوله تعالى ــ وجعلنا بينهم وبين القرى الّتي باركنا فيها قرى ظاهرة (٦) .

النازعات : اذناديه ربّه بالوادي المقدّس طوى (٧) .

البلد : لا أقسم بهذا البلد و أنت حلّ بهذا البلد (٨) .

التين : و التين و الزيتون و طور سينين و هذا البلد الأمين (٩) .

تفسير : « مبوّء صدق » أي مكاناً محموداً حسناً ، و هو بيت المقدس و الشام،و

---

(١) يونس ، ٩٣ . (٢) الانبياء ، ٧١ .
(٣) الانبياء ، ٨١ . (٤) المؤمنون ، ٥٠ .
(٥) القصص ، ٢٩ ــ ٣٠ . (٦) سبأ ، ١٥ ــ ١٨ .
(٧) النازعات ، ١٦ . (٨) البلد ، ١ــ ٢ .
(٩) التين ١ ــ ٣ .

قيل : يريد به مصر . و قال عليّ بن إبراهيم : ردّهم إلى مصر و غرق فرعون[١]. « و رزقناهم من الطيّبات » أي النعم اللذيذة « إلى الأرض الّتي باركنا فيها للعالمين » قيل: هي أرض الشام ، أي نجيّنا إبراهيم ولوطاً من «كوثا» إلى الشام ، وإنّما قال « باركنا فيها » لأنّها بلاد خصب ، و قيل : إلى أرض بيت المقدس لأنّ بها مقام الأنبياء . و الحاصل أنّ أكثر أنبياء بني إسرائيل بعثوا في الشام و بيت المقدس ، فانتشرت في العالمين شرائعهم الّتي هي مبادىء الخيرات الدينيّة و الدنيويّة . و قيل : نجّاهما إلى مكّة كما قال « إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذي ببكّة مباركاً وهدى للعالمين[٢] » روي ذلك عن ابن عبّاس . « إلى الأرض الّتي باركنا فيها » وهي أرض الشام لأنّها كانت مأواه كما ذكره المفسّرون . « و آويناهما » أي عيسى و اُمّه « إلى ربوة » قال الطبرسيّ ـ ره ـ: أي جعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً مستوياً واسعاً . و الربوة هي الرملة من فلسطين ، عن أبي هريرة . و قيل : دمشق ، عن سعيد بن المسيّب ، و قيل : مصر ، عن ابن زيد . و قيل : بيت المقدس ، عن قتادة و كعب ، قال كعب : وهي أقرب الأرض إلى السماء . و قيل : هي حيرة الكوفة و سوادها ، والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات ، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام . و قيل : ذات قرار أي ذات موضع قرار أي هي أرض مستوية يستقرّ عليها ساكنوها ، و قيل : ذات ثمار ، لأنّه لأجل الثمار يستقرّ فيها ساكنوها ، ومعين ماء جار و ظاهر للعيون[٣] .

« في البقعة المباركة » قال الطبرسيّ ـ ره ـ : هي البقعة الّتي قال فيها لموسى « اخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس طوى » وإنّما كانت مباركة لأنّها معدن الوحي و الرسالة وكلام الله تعالى . وقيل : مباركة كثيرة[٤] الثمار و الأشجار و الخير و النعم بها ، والأوّل أصحّ[٥] ـ انتهى ـ وأقول : روى في التهذيب عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

(١) تفسير القمي ، ٢٩٢ .
(٢) آل عمران ، ٩٦ .
(٣) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ١٠٨ .
(٤) في المجمع : لكثرة الاشجار والاثمار .
(٥) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ٢٥١ .

شاطىء الوادي الأيمن الّذي ذكره الله في القرآن هو الفرات ، والبقعة المباركة هي كربلاء « بلدة طيّبة » قيل : أي هذه بلدة نزهة أرضها عذبة تخرج النبات وليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوامّ المؤذية . وقيل : أراد به صحّة هوائها وعذوبة مائها وسلامة تربتها وأنّه ليس فيها حرّ يؤذي في القيظ وبرد يؤذي في الشتاء . « وبين القرى الّتي باركنا فيها » أي بالتوسعة على أهلها ، أوبما مرّ و هي قرى الشام ، وفي تفسير عليّ بن إبراهيم : هي مكّة [1] . « قرى ظاهرة » أي متواصلة يظهر بعضها لبعض . وقد مرّ تأويل « القرى الّتي باركنا فيها » بالأئمّة عليهم السلام و « القرى الظاهرة » برواة أخبارهم و فقهاء شيعتهم و «السير» بالعلم «آمنين» من الشكّ والضلال . « بالوادي المقدّس » أي المطهّر «طوى» اسم الوادي الّذي كلّم الله فيه موسى عليه السلام .

« لا اُقسم بهذا البلد » قال الطبرسيّ - ره - : أجمع المفسّرون على أنّ هذا قسم بالبلد الحرام « وأنت حلّ بهذا البلد » و أنت يا محمّد مقيم به و هو محلّك ، وهذا تنبيه على أنّ شرف البلد بشرف من حلّ فيه من الرسول الداعي إلى توحيده وإخلاص عبادته وبيان أنّ تعظيمه له و قسمه به لأجله صلى الله عليه وآله و لكونه حالاًّ فيه ، كما سمّيت المدينة « طيّبة » لأنّها طابت به حيّاً وميّتاً . وقيل : معناه لا اُقسم بهذا البلد و أنت حلّ فيه منتهك الحرمة ، فلم يبق للبلد حرمة حيث هتك حرمتك ، عن أبي مسلم ، وهو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كانت قريش تعظّم البلد و تستحلّ محمّداً فيه فقال : لا اُقسم بهذا البلد و أنت حلّ بهذا البلد ، يريد : أنّهم استحلّوك فيه فكذّبوك وشتموك وكانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه . ويتقلّدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إيّاه فاستحلّوا من رسول الله صلى الله عليه وآله مالم يستحلّوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم [2]. و قال - قدّس سرّه - في قوله سبحانه « و التين و الزيتون » : أقسم الله سبحانه بالتين الّذي يؤكل والزيتون الّذي يعصر منه الزيت ، عن ابن عبّاس وغيره . و قيل : التين الجبل

---

(١) تفسير القمي : ٥٣٨ .

(٢) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٤٩٢ .

الّذي عليه دمشق ، و الزيتون الجبل الّذي عليه بيت المقدس ، عن قتادة . وقال عكرمة: هما جبلان ، وإنّما سمّيا بهما لأنّهما نبتا[1] بهما ، وقيل : التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس ، عن كعب الأحبار وغيره . وقيل : التين مسجد نوح عليه السلام الّذي بنى على الجوديّ ، و الزيتون بيت المقدس ، عن ابن عبّاس . و قيل : التين مسجد الحرام و الزيتون المسجد الأقصى ، عن الضحّاك . «و طور سينين» يعني الجبل الّذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام عن الحسن . وسينين و سيناء واحد ، وقيل : إنّ سينين معناه المبارك الحسن كأنّه قيل : جبل الخير الكثير لأنّه إضافة تعريف ، عن مجاهد وقتادة .وقيل: معناه كثير النبات والشجر ، عن عكرمة . وقيل : إنّ كلّ جبل فيه شجر مثمر[2] فهو سينين و سيناء بلغة النبط ، عن مقاتل ، وروي عن موسى بن جعفر عليه السلام : وطور سيناء «وهذا البلد الأمين» يعني مكّة البلد الحرام يأمن فيه الخائف في الجاهليّة والإسلام فالأمين بمعنى المؤمن ، مؤمن[3] من يدخله ، وقيل : هو بمعنى الآمن ، ويؤيّده قوله «إنّا جعلناه حرماً آمناً[4]».

الكشي: قال : وجدت بخطّ جبرئيل بن أحمد ، حدّثني محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن الفضيل ، عن عبد الله بن عبد الرحمان ، عن الهيثم بن واقد ، عن ميمون بن عبد الله ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ عليّاً عليه السلام لمّا أراد الخروج من البصرة قام على أطرافها ثمّ قال : لعنك الله ياأنتن الأرض تراباً ، و أسرعها خراباً ، و أشدّها عذاباً ، فيك الداء الدويّ ! قيل : ماهو ياأمير المؤمنين! قال : كلام القدر الّذي فيه الفرية على الله ، و بغضنا أهل البيت ، و فيه سخط الله و سخط نبيّه ، وكذبهم علينا أهل البيت واستحلالهم الكذب علينا .

٢ ـ **معاني الاخبار و الخصال** : عن الحسين بن[5] إدريس ، عن أبيه ، عن

(١) في المصدر : ينبتان

(٢) فيه : وثمر . (٣) في المصدر : يؤمن .

(٤) مجمع البيان : ج ١٠ ، ص ٥١٠ .

(٥) كذا في الخصال ، و رواها في المعاني عن أبيه عن محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن أحمد بن خالد عن أبي عبدالله الرازي ـ الخ ـ .

محمّد بن أحمد الأشعريّ ، عن أبي عبدالله الرازيّ ، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان عن موسى بن بكر ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله اختار من البلدان أربعة ، فقال عزّوجلّ « و التين و الزيتون و طور سينين وهذا البلد الأمين » فالتين المدينة و الزيتون بيت المقدّس ، وطورسينين الكوفة ،وهذاالبلدالأمين مكّة ـ الخبر ـ [1] .

بيان : لعلّه إنّما كنى عن المدينة بالتين لوفوره وجودته فيها ، أولكونها من أشارف البلاد كما أنّ التين من أفاضل الثماركما سيأتي . وكنى عن الكوفة بطور سينين لأنّ ظهرها و هو النجف كان محلّ مناجاة سيد الأوصياء كما أنّ الطور كان محلّ مناجاة الكليم ، أو لأنّ الجبل الّذي سأل عليه موسى الرؤية فتقطّع وقع جزء منه هناك كما ورد في بعض الأخبار ، أو أنّه لمّاأراد ابن نوح أن يعتصم بهذا الجبل تقطّع فصار بعضها في طور سيناء ، أوأنّه هوطور سيناء حقيقة وغلط فيه المفسّرون واللغويّون كما روى الشيخ في التهذيب بإسناده عن الثماليّ عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجوني إلى الظهر فإذا تصوّبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفنوني ، وهو أوّل طور سيناء . ففعلوا ذلك .

٣ ـ **المجالس** لابن الشيخ : عن أبيه ، عن المفيد ، عن أحمد بن محمّد بن الوليد عن أبيه ، عن الصفّار ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن الحسن بن أبي فاختة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لمّا قتل الحسين عليه السلام بكت عليه السماوات السبع و الأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ ومن يتقلّب في الجنّة و النار وما يرى وما لايرى إلّا ثلاثة أشياء : البصرة ، و دمشق ، وآل الحكم بن العاص ـ الخبر ـ .

بيان : بكاء البلاد والبقاع بكاء أهلها وظهورآثار الحزن فيهم .

٤ ـ **العلل** : في خبر الشاميّ أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن أكرم وادٍ على وجد الأرض ، فقال له : وادٍ يقال له « سرانديب [2] » سقط فيه آدم من السماء . و

---

(١) معاني الاخبار ، ٣٦٥ ، الخصال ، ١٠٥ .

(٢) سرنديب (خ) .

سأله عن شرّ وادٍ على وجه الأرض فقال : وادٍ باليمن يقال له « برهوت » و هو من أودية جهنّم (١) .

بيان : قال في النهاية : في حديث عليّ « شرّ بئر في الأرض برهوت » هي بفتح الباء و الراء بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى قعرها . و قيل : برهوت بضمّ الباء و سكون الراء ، فتكون تاؤها على الأوّل زائدة و على الثاني أصليّة ، أخرجه الهرويّ عن عليّ ، و أخرجه الطبرانيّ في المعجم عن ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله . و قال الفيروزآباديّ : برهوت واد و بئر بحضرموت ـ انتهى ـ و كونه من أودية جهنّم لشباهته بها و لتعذيب أرواح الكفّار فيه كما ورد في الأخبار ، ويحتمل أن يكون لجهنّم طريق إليه .

٥ ـ **الخصال** : عن أحمد بن الحسن القطّان و عليّ بن أحمد بن موسى ، عن أحمد ابن يحيى بن زكريّا القطّان ، عن بكر بن عبدالله بن حبيب ، عن تميم بن بهلول ، عن أبي معاوية الضرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : ستّة عشر صنفاً من أمّة جدّي لا يحبّونا ولا يحبّبونا إلى الناس ـ إلى أن قال ـ و أهل مدينة تدعى « سجستان » هم لنا أهل عداوة و نصب ، وهم شرّ الخلق و الخليقة ، عليهم من العذاب ما على فرعون و هامان و قارون ، و أهل مدينة تدعى « الريّ » هم أعداء الله و أعداء رسوله و أعداء أهل بيته يرون حرب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله جهاداً و مالهم مغنماً و لهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا و الآخرة و لهم عذاب مقيم ، و أهل مدينة تدعى « الموصل » هم شرّ من على وجه الأرض ، و أهل مدينة تسمّى « الزوراء » تبنى في آخر الزمان يستشفون بدمائنا ، ويتقرّبون ببغضنا ، يوالون في عداوتنا ، ويرون حربنا فرضاً ، و قتالنا حتما . يا بنيّ فاحذر هؤلاء ثمّ احذرهم فإنّه لا يخلو اثنان منهم بأحد من أهلك إلّا همّوا بقتله ـ الخبر (٢) ـ .

بيان : الموصل ـ بفتح الميم و سكون الواو ـ معروف ، والزوراء يطلق على دجلة

(١) العلل : ج ٢ ، ص ٢٨٢ .
(٢) الخصال : ٩٦٠ .

بغداد وعلى بغداد لأنّ أبوابها الداخلة جعلت مزوّرة عن الخارجة ، و يمكن أن تتبدّل أحوال أهل هذه البلاد باختلاف الأزمنة و يكون ماذكر في الخبر حالهم في ذلك الزمان.

٦ ـ **العلل** : عن عليّ بن عبدالورّاق ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمّد ابن عيسى و الفضل بن عامر ، عن سليمان بن مقبل ، عن محمّد بن زياد الأزديّ ، عن عيسى بن عبدالله الأشعريّ عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال : حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لمّا اُسري بي إلى السماء حملني جبرئيل على كتفه الأيمن فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران و أطيب ريحاً من المسك ، فإذا فيها شيخ على رأسه برنس ، فقلت لجبرئيل : ما هذه البقعة الحمراء الّتي هي أحسن لوناً من الزعفران و أطيب ريحاً من المسك ؟ قال : بقعة شيعتك وشيعة وصيّك عليّ . فقلت : من الشيخ صاحب البرنس ؟ قال : إبليس . قلت : فما يريد منهم ؟ قال: يريد أن يصدّهم عن ولاية أمير المؤمنين و يدعوهم إلى الفسق و الفجور ، فقلت : يا جبرئيل أهو بنا إليهم ، فأهوى بنا إليهم أسرع من البرق الخاطف والبصر اللامح . فقلت: قم يا ملعون ! فشارك أعداءهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم ، فإنّ شيعتي و شيعة عليّ ليس لك عليهم سلطان . فسمّيت « قم » [(١)] .

بيان : البرنس قلنسوة طويلة كان النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام ، ذكره الجوهريّ .

٧ ـ **الاختصاص** : روى عليّ بن محمّد العسكريّ عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لمّا اُسري بي إلى السماء الرابعة نظرت إلى قبّة من لؤلؤ لها أربعة أركان و أربعة أبواب كأنّها من إستبرق أخضر، قلت : ياجبرئيل ما هذه القبّة الّتي لم أر في السماء الرابعة أحسن منها ؟ فقال : حبيبي محمّد ، هذه صورة مدينة يقال لها « قم » يجتمع فيها عباد الله المؤمنون ينتظرون محمّداً و شفاعته للقيامة و الحساب ، يجري عليهم الغمّ و الهمّ و الأحزان و المكاره . قال : فسألت عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام : متى ينتظرون الفرج ؟ قال : إذا ظهر الماء على وجه الأرض [(٢)] .

(١) العلل ، ج٢ ، ص ٢٥٩ . (٢) الاختصاص : ١٠١ .

تاريخ قم : عن أبي مقاتل الديلمي عنه عليه السلام مثله .

بيان : المراد به إمّا ظهور الماء في أصل البلد ، أو لم يكن في هذا الزمان فيه ماء جار أصلاً ، كما ذكر في تاريخ قم مبدأ حدوث الوادي بقم و أنّه كانت فيه قنوات ولم يكن فيه نهر جار .

٨ - **تفسير علي بن ابراهيم** : عن الحسين بن عبدالله السكيني ، عن أبي سعيد البجلي ، عن عبدالملك بن هارون ، عن أبي عبدالله عن آبائه - صلوات الله عليهم - قال لمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أمر معاوية و أنّه في مائة ألف ، قال : من أيّ القوم ؟ قالوا: من أهل الشام . قال : لا تقولوا من أهل الشام ، ولكن قولوا : من أهل الشوم ، هم أبناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل الله منهم القردة و الخنازير - الخبر [(١)] - .

بيان : يمكن الجمع بين الآيات و الأخبار الواردة في مدح الشام و مصر وذمّه بما أومأنا إليه سابقاً من اختلاف أحوال أهله في الأزمان ، فإنّه كان في أوّل الزمان محلّ الأنبياء و الصلحاء فكان من البلاد المباركة الشريفة ، فلمّا صار أهله من أشقى الناس و أكفرهم صار من شرّ البلاد ، كما أنّ يوم عاشوراء كان من الأيّام المتبرّكة - كما يظهر من بعض الأخبار - فلمّا قتل فيه الحسين عليه السلام صار من أنحس الأيّام .

٩ - **قرب الاسناد** : عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن البزنطي ، قال : قلت للرضا عليه السلام : إنّ أهل مصر يزعمون أنّ بلادهم مقدّسة . قال : و كيف ذلك ؟ قلت : جعلت فداك ، يزعمون أنّه يحشر من جبلهم سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب ! قال : لا ، لعمري ما ذاك كذلك ، و ما غضب الله على بني إسرائيل إلّا أدخلهم مصر ، ولا رضي عنهم إلّا أخرجهم منها إلى غيرها . ولقد أوحى الله تبارك و تعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج عظام يوسف منها ، فاستدلّ موسى على من يعرف القبر ، فدلّ على امرأة عمياء زمنة ، فسألها موسى أن تدلّه عليه ، فأبت إلّا على خصلتين : فيدعو الله فيذهب زمانتها و يصيّرها معه في الجنّة في الدرجة الّتي هو فيها ، فأعظم ذلك موسى ، فأوحى الله إليه

(١) تفسير القمي ، ٥٩٦ .

و ما يعظم عليك من هذا أعطها ما سألت . ففعل فتوعّدته [١] طلوع القمر ، فحبس الله القمر حتّى جاء موسى لموعده ، فأخرجه من النيل في سفط مرمر ، فحمله موسى عليه السلام ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تغسلوا رؤسكم بطينها ولا تأكلوا في فخارها فإنّه يورث الذلّة و يذهب الغيرة . قلنا له : قد قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : نعم [٢] .

العياشي : عن عليّ بن أسباط عن الرضا عليه السلام مثله .

١٠ ــ **البصائر** : عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن أبي جميلة ، عن محمّد الحلبيّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلاّ أهل الكوفة .

بيان : أي قبولاً كاملاً كما في الخبر الآتي .

١١ ــ **البصائر** : عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن سنان ، عن عتيبة بيّاع القصب عن أبي بصير ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ ولايتنا عرضت على السموات و الأرض و الجبال و الأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة .

١٢ ــ **النهج** : من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة : كأنّي بك يا كوفة تمدّين مدّ الأديم العكاظيّ ، تُعركين بالنوازل ، و تُركبين بالزلازل ، و إنّي لأعلم أنّه ما أراد بك جبّار سوءً إلاّ ابتلاه الله بشاغل ، و رماه بقاتل .

بيان : « الأديم » الجلد أو مدبوغه ، و« عكاظ » بالضمّ موضع بناحية مكّة كانت العرب تجتمع في كلّ سنة و يقيمون به سوقاً مدّة شهر و يتعاكظون أي يتفاخرون و يتناشدون ، و ينسب إليه الأديم لكثرة البيع فيه ، و الأديم العكاظيّ مستحكم الدباغ شديد المدّ ، و ذلك وجه الشبه ، و العرك : الدلك و الحكّ ، و عركه : أي حمل عليه الشرّ ، و عركت القوم في الحرب : إذا مارستهم حتّى أتعبتهم [٣] « و النوازل » المصائب و الشدائد ، و « الزلازل » البلايا . و « تركبين » ــ على بناء المجهول كالفعلين السابقين ــ

(١) في المصدر و بعض نسخ الكتاب : فوعدته
(٢) قرب الاسناد : ٢٢٠ .
(٣) اتبعتهم (خ) .

أي تُجعلين مركوبة لها أو بها على أن تكون الباء للسببيّة كالسابقة . و الشدائد الّتي أصابت الكوفة و أهلها معروفة مذكورة في السير . و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : هذه مدينتنا و محلّنا و مقرّ شيعتنا . و عن الصادق عليه السلام أنّه قال : تربة تحبّنا و نحبّها . و عنه عليه السلام : اللّهمّ ارم من رماها ، و عاد من عاداها . و قال محمّد بن الحسين الكيدريّ في شرح النهج : فمن الجبابرة الّذين ابتلاهم الله بشاغل فيها زياد ، وقد جمع الناس في المسجد ليلعن عليّاً ـ صلوات الله عليه ـ فخرج الحاجب و قال : انصرفوا، فإنّ الأمير مشغول ، وقد أصابه الفالج في هذه الساعة ! و ابنه عبيدالله بن زياد وقد أصابه الجذام ، و الحجّاج بن يوسف وقد تولّدت الحيّات في بطنه حتّى هلك ، و عمر بن هبيرة و ابنه يوسف وقد أصابهما البرص ، وخالد القسريّ وقد حبس فطولب حتّى مات جوعاً . و أمّا الّذين رماهم الله بقاتل فعبدالله بن زياد ، ومصعب بن الزبير ، وأبوالسرايا و غيرهم قتلوا جميعاً ، و يزيد بن المهلّب قتل على أسوأ حال .

١٣ ـ **القصص** : بالإسناد إلى الصدوق ، بإسناده عن ابن محبوب ، عن داود الرقيّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أبوجعفر ـ صلوات الله عليهما ـ يقول : نعم الأرض الشام و بئس القوم أهلها اليوم ، و بئس البلاد مصر ، أما إنّها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل ، ولم يكن دخل بنوإسرائيل مصر إلّامن سخطة و معصيةمنهم لله ، لأنّ الله عزّ و جلّ قال « ادخلوا الأرض المقدّسة الّتي كتب الله لكم [1] » يعني الشام ، فأبوا أن يدخلوها و عصوا فتاهوا في الأرض أربعين سنة . قال : وماكان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلّا من بعد توبتهم و رضا الله عنهم . ثمّ قال أبوجعفر ـ صلوات الله عليه ـ إنّي أكره أن آكل شيئاً طبخ في فخارمصر ، وما اُحبّ أن أغسل رأسي من طينها مخافة أن تورثني تربتها الذلّ و تذهب بغيرتي .

العياشي : عن داود مثله .

١٤ ـ **القصص** : بالإسنادإلى الصدوق ، عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطّاب عن ابن أسباط ، عن الحسين بن أحمد ، عن أبي إبراهيم الموصليّ ، قال : قلت لأبي

---

(١) المائدة : ٢٣ .

عبدالله عليه السلام : إنّ بني [١] ينازعني مصر . فقال : مالك و مصر ؟ أما علمت أنّها مصر الحتوف ؟! ولا أحسبه إلّا قال : يساق إليها أقصر الناس أعمارا .

١٥ ــ **و منه** : بهذا الإسناد ، عن ابن أسباط ، عن أحمد بن محمّد بن الحضير ، عن يحيى بن عبدالله بن الحسن ، رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها . ولا أحسبه إلّا قال : و هو يورث الدياثة .

بيان : قال في القاموس : نحاه قصده كانتحاه .

١٦ ــ **القصص** : بالإسناد المتقدّم عن ابن أسباط ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: لا تأكلوا في فخارها ولا تغسلوا رؤسكم بطينها فإنّها تورث الذلّة و تذهب بالغيرة .

١٧ ــ **كامل الزيارة** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن الحسين بن عبيدالله عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان ، عن عبد الجبّار ، عن أبي سعيد ، عن الحسين بن ثوير و يونس و أبي سلمة السرّاج و المفضّل بن عمر قالوا سمعنا أباعبدالله عليه السلام يقول لمّا مضى أبوعبدالله الحسين بن عليّ ــ صلوات الله عليهما ــ بكى عليه جميع ما خلق الله إلّا ثلاثة أشياء : البصرة ، و دمشق ، و آل عثمان [٢] .

١٨ ــ **الكشي** : عن محمّد بن مسعود و عليّ بن محمّد معاً ، عن الحسين بن عبيدالله عن عبدالله بن عليّ ، عن أحمد بن حمزة ، عن عمران القمّي ، عن حمّاد الناب قال : كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام ونحن جماعة إذ دخل عليه عمران بن عبد الله القمّي فسأله و برّه و بشّه ، فلمّا أن قام قلت لأبي عبدالله عليه السلام : من هذا الّذي بررت به هذا البرّ فقال : من أهل البيت النجباء ــ يعني أهل قم ــ ما أرادهم جبّار من الجبابرة إلّا قصمه الله .

١٩ ــ **و منه** : بهذا الإسناد ، عن أحمد بن حمزة ، عن المرزبان بن عمران ، عن أبان بن عثمان ، قال : دخل عمران بن عبدالله على أبي عبدالله عليه السلام فقال له : كيف أنت ؟ و كيف ولدك ؟ وكيف أهلك ؟ وكيف بنو عمّك ؟ وكيف أهل بيتك ؟ ثمّ حدّثه مليّاً ، فلمّا خرج قيل لأبي عبدالله عليه السلام : من هذا ؟ قال : هذا نجيب قوم النجباء ، ما

---

(١) ابني (خ) .

(٢) كامل الزيارة : ٨٠ .

نصب لهم جبّار إلاّ قصمه الله . قال حسين : عرضت هذين الحديثين على أحمد بن حمزة فقال : أعرفهما ولا أحفظ من رواهما لي .

٢٠ ـ كتاب تاريخ قم تأليف الحسن بن محمّد بن الحسن القمّي : قال روى سعد ابن عبدالله بن أبي خلف ، عن الحسن بن محمّد بن سعد ، عن الحسن بن عليّ الخزاعيّ عن عبدالله بن سنان ، سئل أبو عبدالله عليه السلام : أين بلاد الجبل ؟ فإنّا قد روينا أنّه إذا ردّ إليكم الأمر يخسف ببعضها . فقال : إنّ فيها موضعاً يقال له « بحر » و يسمّى بقم و هو معدن شيعتنا ، فأمّا الريّ فويل له من جناحيه ، و إنّ الأمن فيه من جهة قم و أهله . قيل : و ماجناحاه ؟ قال عليه السلام : أحدهما بغداد ، و الآخر خراسان ، فإنّه تلتقي فيه سيوف الخراسانيّين وسيوف البغداديّين ، فيعجّل الله عقوبتهم و يهلكهم فيأوي أهل الريّ إلى قم فيؤويهم أهله ثمّ ينتقلون منه إلى موضع يقال له « أردستان » .

٢١ ـ و بإسناده عن عبد الواحد البصريّ ، عن أبي وائل ، عن عبدالله الليثيّ عن ثابت البنانيّ [1] عن أنس بن مالك قال : كنت ذات يوم جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ دخل عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله : إليّ يا أبا الحسن ، ثمّ اعتنقه و قبّل [ما] بين عينيه وقال : ياعليّ إنّ الله عزّ اسمه عرض ولايتك على السماوات، فسبقت إليها السماء السابعة فزيّنها بالعرش ، ثمّ سبقت إليها السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور ، ثمّ سبقت إليها السماء الدنيا فزيّنها بالكواكب ، ثمّ عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكّة فزيّنها بالكعبة ، ثمّ سبقت إليها المدينة فزيّنها بي، ثمّ سبقت إليها الكوفة فزيّنها بك ، ثمّ سبق إليها قم فزيّنها بالعرب وفتح إليه باباً من أبواب الجنّة.

٢٢ ـ وعن محمّد بن قتيبة الهمدانيّ والحسن بن عليّ الكشمارجانيّ [2] عن عليّ ابن النعمان ، عن أبي الأكراد عليّ بن ميمون الصائغ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

---

(١) في أكثر النسخ « ثابتة الشباني » وفي بعضها « ثابت النباتي » والظاهر ان الصواب ما أثبتناه في المتن وهو ثابت بن أسلم البناني ـ بضم الموحدة منسوب الى بنانه وهم بنو سعد بن اوى ـ وهو الذي يروي عن أنس بن مالك وغيره .

(٢) الكمشارجاني (خ) .

إنّ الله احتجّ بالكوفة على سائر البلاد وبالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد واحتجّ ببلدة قم على سائر البلاد ، و بأهلها على جميع أهل المشرق و المغرب من الجنّ و الإنس ، ولم يدع الله قم وأهله مستضعفاً بل وفّقهم و أيّدهم . ثمّ قال : إنّ الدين و أهله بقم ذليل ، ولولا ذلك لأسرع الناس إليه فخرب قم وبطل أهله فلم يكن حجّة على سائر البلاد ، و إذا كان كذلك لم تستقرّ السماء و الأرض ولم يُنظروا طرفة عين و إنّ البلايا مدفوعة عن قم و أهله ، و سيأتي زمان تكون بلدة قم و أهلها حجّة على الخلائق ، و ذلك في زمان غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ، و إنّ الملائكة لتدفع البلايا عن قم و أهله ، وما قصده جبّار بسوء إلّا قصمه قاصم الجبّارين و شغله عنهم بداهية أومصيبة أوعدوّ ، و ينسي الله الجبّارين في دولتهم ذكر قم وأهله كما نسوا ذكر الله .

٢٣ ــ ثمّ قال : و روي بأسانيد عن الصّادق عليه السلام أنّه ذكر كوفة وقال : ستخلو كوفة من المؤمنين و يأزر عنها العلم كما تأزر الحيّة في جحرها ، ثمّ يظهر العلم ببلدة يقال لها قم ، و تصير معدناً للعلم و الفضل حتّى لايبقى في الأرض مستضعف في الدين حتّى المخدّرات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا ، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجّة ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجّة ، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب ، فيتمّ حجّة الله على الخلق حتّى لايبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين و العلم ، ثمّ يظهر القائم عليه السلام و يسير سبباً لنقمة الله و سخطه على العباد ، لأنّ الله لاينتقم من العباد إلّا بعد إنكارهم حجّة .

٢٤ ــ وعن أبي مقاتل الديلميّ نقيب الريّ ، قال : سمعت أبا الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام يقول : إنّما سمّي قم به لأنّه لمّا وصلت السفينة إليه في طوفان نوح عليه السلام قامت ، وهو قطعة من بيت المقدس .

٢٥ ــ وعن الحسن بن يوسف ، عن خالد بن يزيد[1] عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

---

(١) في أكثر النسخ « خالد بن أبي يزيد » والظاهر أنه أبو يزيد خالد بن يزيد العكلي الثقة ، فاشتبه على بعض النساخ كنيته بكنية أبيه .

إنّ الله اختار من جميع البلاد كوفة وقم وتفليس .

٢٦ ـ وعن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي جميلة المفضّل ابن صالح ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا عمّت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها ، فإنّ البلاء مدفوع عنها .

٢٧ ـ وعن أحمد بن خزرج بن سعد ، عن أخيه موسى بن خزرج ، قال : قال لي أبوالحسن الرضا عليه السلام : أتعرف موضعاً يقال له « ورادهار » ؟ قلت : نعم ، ولي فيه ضيعتان . فقال : الزمه وتمسّك به . ثمّ قال ثلاث مرّات : نعم الموضع ورادهار .

٢٨ ـ وعن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن خالد البرقيّ ، عن سعد بن سعد الأشعريّ ، عن جماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا عمّت البلايا فالأمن في كوفة ونواحيها من السواد وقم من الجبل ، ونعم الموضع قم للخائف الطائف .

٢٩ ـ وعن محمد بن سهل بن اليسع ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا فقد الأمن من العباد وركب الناس على الخيول واعتزلوا النساء والطيب فالهرب الهرب عن جوارهم . فقلت : جعلت فداك ، إلى أين ؟ قال : إلى الكوفة ونواحيها ، أو إلى قم وحواليها فإنّ البلاء مدفوع عنهما .

٣٠ ـ وعن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج ، عن زرارة بن أعين ، عن الصادق عليه السلام قال : أهل خراسان أعلامنا ، وأهل قم أنصارنا ، وأهل كوفة أوتادنا ، وأهل هذا السواد منّا ونحن منهم .

٣١ ـ وعن سهل بن زياد ، عن عبد العظيم الحسنيّ ، عن إسحاق الناصح مولى جعفر ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : قم عشّ آل محمد ومأوى شيعتهم ، ولكن سيهلك جماعة من شبابهم بمعصية[1] آبائهم والاستخفاف والسخريّة بكبرائهم ومشايخهم ومع ذلك يدفع الله عنهم شرّ الأعادي وكلّ سوء .

٣٢ ـ وعن سهل ، عن الحسين بن محمد الكوفيّ ، عن محمد بن حمزة بن القاسم العلويّ ، عن عبدالله بن العبّاس الهاشميّ ، عن محمد بن جعفر ، عن أبيه الصادق عليه السلام

(١) بعقوبة (خ) .

قال : إذا أصابتكم بليّة وعناء فعليكم بقم ، فإنّه مأوى الفاطميّين ، ومستراح المؤمنين و سيأتي زمان ينفر أولياؤنا و محبّونا عنّا و يبعدون منّا ، و ذلك مصلحة لهم لكيلا يعرفوا بولايتنا ، و يحقنوا بذلك دماءهم وأموالهم . وما أراد أحد بقم و أهله سوءاً إلاّ أذلّه الله وأبعده من رحمته .

٣٣ ـ وعن سهل ، عن أحمد بن عيسى البزّاز القميّ ، عن أبي إسحاق العلاّف النيشابوريّ ، عن واسط بن سليمان ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إنّ للجنّة ثمانية أبواب ، ولأهل قم واحد منها ، فطوبى لهم ، ثمّ طوبى لهم ، ثمّ طوبى لهم .

٣٤ ـ و عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن خالد ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :كنّا عنده جالسين إذقال مبتدئاً : خراسان ! خراسان!سجستان! سجستان ! كأنّي أنظر إلى أهلهما راكبين على الجمال مسرعين إلى قم .

٣٥ ـ وعن يعقوب بن يزيد ، عن أبي الحسن الكرخيّ ، عن سليمان بن صالح قال : كنّا ذات يوم عند أبي عبدالله عليه السلام فذكر فتن بني عبّاس وما يصيب الناس منهم فقلنا : جعلنا فداك ، فأين المفزع والمفرّ في ذلك الزمان ؟ فقال : إلى الكوفة وحواليها و إلى قم ونواحيها . ثمّ قال : في قم شيعتنا و موالينا ، و تكثر فيها العمارة ، و يقصده الناس و يجتمعون فيه حتّى يكون الجمر بين بلدتهم .

و في بعض روايات الشيعة أنّ قم يبلغ من العمارة إلى أن يشترى موضع فرس بألف درهم .

٣٦ ـ و في خطبة الملاحم لأمير المؤمنين عليه السلام الّتي خطب بها بعد وقعة الجمل بالبصرة قال : يخرج الحسنيّ صاحب طبرستان مع جمّ كثير من خيله و رجله حتّى يأتي نيسابور فيفتحها و يقسم أبوابها ثمّ يأتي إصبهان ، ثمّ إلى قم ، فيقع بينه و بين أهل قم وقعة عظيمة يقتل فيها خلق كثير فينهزم أهل قم ، فينهب الحسنيّ أموالهم ويسبي ذراريهم ونساءهم ويخرب دورهم ، فيفزع أهل قم إلى جبل يقال لها « وراردهار » فيقيم الحسنيّ ببلدهم أربعين يوماً ، و يقتل منهم عشرين رجلاً ، و يصلب منهم رجلين ثمّ يرحل عنهم .

٣٧ ـ و عن عليّ بن عيسى ، عن أيّوب بن يحيى الجندل ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : رجل من أهل قم يدعوا الناس إلى الحقّ ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد ، لاتزلّهم الرياح العواصف ، ولا يملّون من الحرب ، ولايجبنون ، و على الله يتوكّلون ، والعاقبة للمتّقين .

٣٨ ـ و بإسناده عن عفّان البصريّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : أتدري لِمَ سمّي قم؟ قلت : الله و رسوله و أنت أعلم . قال : إنّما سمّي قم لأنّ أهله يجتمعون مع قائم آل محمد ـ صلوات الله عليه ـ و يقومون معه و يستقيمون عليه و ينصرونه .

٣٩ ـ و عن عليّ بن عيسى ، عن عليّ بن محمد الربيع ، عن صفوان بن يحيى بيّاع السابريّ قال : كنت يوماً عند أبي الحسن عليه السلام فجرى ذكر قم و أهله و ميلهم إلى المهديّ عليه السلام فترحّم عليهم و قال : رضي الله عنهم . ثمّ قال : إنّ للجنّة ثمانية أبواب و واحد منها لأهل قم ، وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد ، خمّر الله تعالى ولايتنا في طينتهم .

٤٠ ـ و روى بعض أصحابنا قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً إذقرأ هذه الآية « حتّى إذاجاء وعدا ُوليهما بعثنا عليهم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » فقلنا : جعلنا فداك ، من هؤلاء ؟ فقال ثلاث مرّات : هم والله أهل قم .

٤١ ـ و روي عن عدّة من أهل الريّ أنّهم دخلوا على أبيعبدالله عليه السلام وقالوا: نحن من أهل الريّ . فقال : مرحباً بإخواننا من أهل قم! فقالوا : نحن من أهلالريّ فأعاد الكلام ، قالوا ذلك مراراً و أجابهم بمثل ماأجاب به أوّلاً ، فقال : إنّ لله حرماً وهو مكّة ، و إنّ للرسول [1] حرماً و هو المدينة ، و إنّ لأمير المؤمنين حرماً و هو الكوفة ، و إنّ لنا حرماً وهو بلدة قم ، و ستدفن فيها امرأة من أولادي تسمّى فاطمة

(١) لرسوله (خ) .

فمن زارها وجبت له الجنّة . قال الراوي : و كان هذا الكلام منه قبل أن يولد الكاظم عليه السلام .

٤٢ ــ و في روايات الشيعة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أُسري به رأى إبليس باركاً بهذه البقعة فقال له : قم ياملعون ! فسمّيت بذلك .

٤٣ ــ و روي عن الأئمّة عليهم السلام : لولا القميّون لضاع الدين .

٤٤ ــ و روي مرفوعاً إلى محمّد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال : إذا عمّت البلدانَ الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها ، فإنّ البلاء مرفوع عنها .

٤٥ ــ وقال عليه السلام لزكريّا ابن آدم القميّ حين قال الشيخ عنده : ياسيّدي إنّي أُريد الخروج عن أهل بيتي ، فقد كثرت السفهاء . فقال : لاتفعل ، فإنّ البلاء يدفع بك عن أهل قم ، كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٤٦ ــ وعن سهل بن زياد ، عن عليّ بن إبراهيم الجعفريّ ، عن محمّد بن الفضيل عن عدّة من أصحابه ، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: إنّ لعلى قم ملكاً رفرف عليها بجناحيه لايريدها جبّار بسوء إلّا أذابه الله كذوب الملح في الماء . ثمّ أشار إلى عيسى بن عبدالله فقال : سلام الله على أهل قم . يسقي[1] الله بلادهم الغيث ، و ينزل الله عليهم البركات ، و يبدّل الله سيّئاتهم حسنات ، هم أهل ركوع وسجود وقيام وقعود ، هم الفقهاء العلماء الفهماء ، هم أهل الدراية والرواية وحسن العبادة .

٤٧ ــ وقال أبو عبدالله الفقيه الهمدانيّ في كتاب البلدان : إنّ أباموسى الأشعريّ روى أنّه سأل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن و ظهور السيف ، فقال : أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل ، فإذا اضطربت خراسان ووقعت الحرب بين أهل جرجان وطبرستان وخربت سجستان فأسلم المواضع يومئذ قصبة قم تلك البلدة الّتي يخرج منها أنصار خير الناس أباً واُمّاً وجدّاً وجدّة و عمّاً وعمّة تلك الّتي تسمّى الزهراء . بها موضع قدم جبرئيل ، وهو الموضع الّذي نبع منه الماء

(١) سقي (خ) .

الّذي من شرب منه أمن من الداء ، و من ذلك الماء عجن الطين الّذي عمل منه كهيئة الطير ، ومنه يغتسل الرضا عليه السلام ، ومن ذلك الموضع يخرج كبش إبراهيم وعصاموسى وخاتم سليمان .

٤٨ ــ ومن روايات الشيعة في فضل قم و أهلها مارواه الحسن بن عليّ بن الحسين ابن موسى بن بابويه بأسانيد ذكرها عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّ رجلاً دخل عليه فقال : ياابن رسول الله إنّي اُريد أن أسألك عن مسألة لم يسألك أحد قبلي ولا يسألك أحد بعدي ! فقال : عساك تسألني عن الحشر و النشر [1] ؟ فقال الرجل : إي و الّذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً و نذيراً ماأسألك إلاّ عنه . فقال : محشر الناس كلّهم إلى بيت المقدس إلاّ بقعة بأرض الجبل يقال لها قم ، فإنّهم يحاسبون في حفرهم و يحشرون من حفرهم إلى الجنّة . ثمّ قال : أهل قم مغفور لهم . قال : فوثب الرجل على رجليه وقال : ياابن رسول الله هذا خاصّة لأهل قم ؟ قال : نعم ومن يقول بمقالتهم . ثمّ قال : أزيدك ؟ قال : نعم ، حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : نظرت إلى بقعة بأرض الجبل خضراء أحسن لوناً من الزعفران وأطيب رائحة من المسك و إذا فيها شيخ بارك على رأسه برنس ، فقلت : حبيبي جبرئيل ماهذه البقعة ؟ قال : فيهاشيعة وصيّك عليّ بن أبي طالب . قلت : فمن الشيخ البارك فيها ؟ قال : ذلك إبليس اللعين ــ عليه اللعنة ــ قلت : فما يريد منهم ؟ قال : يريد أن يصدّهم عن ولاية وصيّك عليّ و يدعوهم إلى الفسق و الفجور . فقلت : ياجبرئيل أهوبنا إليه ، فأهوى بنا إليه في أسرع من برق خاطف . فقلت له : قم ياملعون فشارك المرجئة في نسائهم وأموالهم، لأنّ أهل قم شيعتي وشيعة وصيّي عليّ بن أبي طالب .

٤٩ ــ و روى محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب ، عن محمّد بن الحسن الحضرميّ عن محمّد بن بهلول ، عن أبي مسلم العبديّ ، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : تربة قم مقدّسة و أهلها منّا و نحن منهم لايريدهم جبّار بسوء إلاّ عجّلت عقوبته مالم يخونوا

---

(١) المحشر والمنشر (خ) .

إخوانهم[١] ! فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم جبابرة سوء! أما إنّهم أنصار قائمنا ودعاة[٢] حقّنا . ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال : اللّهمّ اعصمهم من كلّ فتنة و نجّهم من كلّ هلكة .

ثمّ ذكر صاحب التاريخ المشاهد و القبور الواقعة في بلدة قم فقال : منها قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام و روي أنّ زيارتها تعادل الجنّة .

و روى مشايخ قم أنّه لمّا أخرج المأمون عليّ بن موسى الرضا عليه السلام من المدينة إلى المرو في سنة مأتين خرجت فاطمة اُخته في سنة إحدى و مأتين تطلبه ، فلمّا وصلت إلى « ساوه » مرضت فسألت :كم بيني و بين «قم» ؟ قالوا: عشرة فراسخ ، فأمرت خادمها فذهب بها إلى قم و أنزلها في بيت موسى بن خزرج بن سعد . و الأصحّ أنّه لمّا وصل الخبر إلى آل سعد اتّفقوا و خرجوا إليها أن يطلبوا منها النزول في بلدة قم ، فخرج من بينهم موسى بن خزرج ، فلمّا وصل إليها أخذ بزمام ناقتها و جرّها إلى قم وأنزلها في داره ، فكانت فيها ستّة [٣] عشر يوماً ثمّ مضت إلى رحمة الله و رضوانه ، فدفنها موسى بعد التغسيل و التكفين في أرض له ، و هي الّتي الآن مدفنها و بنى على قبرها سقفاً من البواري إلى أن بنت زينب بنت الجواد عليه السلام عليها قبّة . و حدّثني الحسين بن عليّ ابن الحسين بن موسى بن بابويه عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد أنّه لمّا توفّيت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ و غسلوها وكفنوها ذهبوا بها إلى بابلان ووضعوها على سرداب حفروه لها ، فاختلف آل سعد بينهم في من يدخل السرداب و يدفنها فيه ، فاتّفقوا على خادم لهم شيخ كبير صالح يقال له « قادر» فلمّا بعثوا إليها رأوا راكبين سريعين متلثّمين يأتيان من جانب الرملة ، فلمّا قربا من الجنازة نزلا و صلّيا عليها و دخلا السرداب و أخذا الجنازة فدفناها ، ثمّ خرجا وركبا و ذهبا ولم يعلم أحد منهما . والمحراب الّذي كانت فاطمة عليها السلام تصلّي إليها موجود إلى الآن في دار موسى بن الخزرج . ثمّ ماتت اُمّ محمّد بنت موسى بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام فدفنوها في جنب فاطمة ـ رضي الله عنها ـ

---

(١) مالم يحولوا أحوالهم (خ) . (٢) دعاة (خ) .

(٣) في بعض النسخ « سبعة عشر » .

ثمّ توفّيت ميمونة اُختها فدفنوها هناك أيضاً و بنو اعليهما أيضاً قبّة ، و دفن فيها اُمّ إسحاق جارية محمّد و اُمّ حبيب جارية محمّد بن أحمد الرضا واُخت محمّد بن موسى . ثمّ قال: و منها قبر أبي جعفر موسى بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام قال : و هو أوّل من دخل من السادات الرضويّة قم ، و كان مبرقعاً دائماً فأخرجه العرب من قم ، ثمّ اعتذروا منه و أدخلوه و أكرموه و اشتروا من أموالهم له داراً و مزارع ، و حسن حاله ، واشترى من ماله أيضاً قرى و مزارع ، فجاءت إليه أخواته زينب و اُمّ محمّد و ميمونة بنات الجواد عليه السلام ثمّ « بريهيه » بنت موسى فدفن كلّهنّ عندفاطمة ـ رضي الله عنها ـ وتُوفّي موسى ليلة الأربعاء ثامن شهرربيع الآخر من سنة ستّ وتسعين ومأتين ودفن في الموضع المعروف أنّه مدفنه . و منها قبر أبي عليّ محمّد بن أحمد بن موسى بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام توفّي في سنة خمس عشر و ثلثمأة ، و دفن في مقبرة محمّد بن موسى . ثمّ ذكر مقابر كثير من السادات الرضويّة و كثير من أولاد محمّد بن جعفر الصادق عليه السلام و كثير من أحفاد عليّ بن جعفر و قبور كثير من السادات الحسنيّة ، و كان أكثر أهل قم من الأشعريّين ، و قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : اللّهمّ اغفر للأشعريّين صغيرهم وكبيرهم . وقال: الأشعريّون منّي وأنا منهم . وروي عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن خالد، عن أبي البختريّ ، عن محمّد بن إسحاق ، عن الزهريّ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : الأزد والأشعريّون وكندة منّي لايعدلون ولا يجبنون . وبهذا الإسناد عن أبي البختريّ عن الزهريّ ، عن زيد بن أسلم قال. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله للأشعريّين لمّا قدموا : أنتم المهاجرون إلى الأنبياء من ولد إسماعيل . ثمّ ذكر أخباراً كثيرة في فضائلهم ، ثمّ قال : من مفاخرهم أنّ أوّل من أظهر التشيّع بقم موسى بن عبدالله بن سعد الأشعريّ .

ومنها أنّه قال الرضا عليه السلام لزكريّا بن آدم بن عبدالله بن سعد الأشعريّ : إنّ الله يدفع البلاء بك عن أهل قم كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر موسى بن جعفر عليهما السلام ومنها أنّهم وقفوا المزارع و العقارات الكثيرة على الأئمّة عليهم السلام ، و منها أنّهم أوّل من بعث الخمس إليهم . و منها أنّهم عليهم السلام أكرموا جماعة كثيرة منهم بالهدايا و التحف و الأكفان كأبي جرير زكريّا بن إدريس ، و زكريّا بن آدم ، و عيسى بن عبدالله بن

سعد وغيرهم ممّن يطول بذكرهم الكلام ، وشرّفوا بعضهم بالخواتيم والخلع ، و أنّهم اشتروا من دعبل الخزاعيّ ثوب الرضا عليه السلام بألف دينار من الذهب . ومنها أنّ الصادق عليه السلام قال لعمران بن عبدالله : أظلّك الله يوم لاظلّ إلّا ظلّه . انتهى ماأخرجته من تاريخ قم ، ومؤلّفه من علماء الإماميّة .

بيان : يظهر من هذا التاريخ أنّ « ورارده‌ار » اسم بعض رساتيق قم و توابعه وقال : فيه سبع عشرة قرية وكان من رساتيق إصبهان فاُلحق بقم . والجمر اسم نهر من الأنهار الّتي كانت قبل بناء بلدة قم كما يلوح من التاريخ . و روى الكشّي خبر زكريّا ابن آدم عن محمّد بن قولويه ، عن سعد بن عبدالله ، عن محمّد بن حمزة ، عن زكريّا بن آدم قال : قلت للرضا عليه السلام : إنّي اُريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء فيهم، فقال: لاتفعل ، فإنّ أهل بيتك يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٥٠ ـ **المجازات النبوية** : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : اُمرت بقرية تأكل القرى تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد . يريد عليه السلام الهجرة إلى المدينة ، قال السيّد ـ ره ـ : فقوله «اُمرت بقرية تأكل القرى» مجاز ، والمراد أنّ أهلها يقهرون أهل القرى فيملكون بلادهم و أموالهم ، فكأنّهم بهذه الأحوال يأكلونهم . وخرّج هذا القول على طريقة للعرب معروفة لأنّهم يقولون « أكل فلان جاره » إذا عدا عليه فانتهك حرمته واصطفى حريبته . وعلى ذلك قول علقة ابن عقيل بن علقة لأبيه في أبيات :

أكلت بيتاك اكل الضبّ حتّى ✿ وجدت مدارة الكل[1] الوبيل

ومن ذلك قوله عليه السلام في غزوة الحديبيّة « ويح قريش أكلهم [2] الحرب » يريد أنّها قد أفنت رجالهم وانتهكت أموالهم ، فكانت من هذا الوجه كأنّها آكلة لهم قال ذلك في حديث طويل ، و المراد بقوله « تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد » أنّ أهلها يتمحّضون فينتفي عنها الأشرار ، و يبقى فيها الأخيار ، و يفارقها الأخلاط

(١) الكلا (خ) .
(٢) اكلتهم (خ) .

و الأقشاب ، ولا يصبر عليها إلّا الصميم و اللباب ، فيكون بمنزلة الكير الّذي ينفي الأخباث و الأدران ، و يخلص الرصاص ، وهذا أيضاً مجاز . وقد ورد هذا الخبر بلفظ آخر ذكره عمر بن عبد العزيزقال : سمعنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : المدينة تنفي خبث الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد . والمعنى في اللفظين واحد .

٥١ ـ كتاب جعفر بن محمد بن شريح : عن المعلّى الطحّان ، عن محمد بن زياد، عن ميمون ، عن ابن عبّاس ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان إذا دخل عليه اُناس من اليمن قال: مرحباً برهط شعيب وأحبار موسى .

٥٢ ـ وعنه قال : سمعت قيس بن الربيع يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال: حضرموت خير من الحارثيّين .

٥٣ ـ **مجالس الشيخ** : عن أحمد بن عبدون ، عن عليّ بن محمد بن الزبير ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال ، عن العبّاس بن عامر ، عن عبدالله بن الوليد قال : دخلنا على أبي عبدالله عليه السلام فسلّمنا عليه وجلسنا بين يديه فسألنا: من أنتم ؟ قلنا : من أهل الكوفة فقال : أما إنّه ليس من بلد من البلدان أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة ثمّ هذه العصابة خاصّة ، إنّ الله هداكم لأمر جهله الناس ، أحببتمونا و أبغضنا الناس ، و صدّقتمونا و كذّبنا الناس ، و اتّبعتمونا و خالفنا الناس ، فجعل الله محياكم محيانا و مماتكم مماتنا ـ الخبر ـ .

بيان : « ثمّ هذه العصابة » أي هم فيها أكثر من غيرها من البلدان ، و المراد عصابة الشيعة فإنّ المحبّ أعمّ منها . والعصابة ـ بالكسر ـ : الجماعة من الناس .

٥٤ ـ **مجالس الشيخ** : عن الحسين بن عبيد الله الغضائريّ ، عن التلعكبريّ عن محمد بن همام ، عن عبدالله الحميريّ ، عن الطيالسيّ ، عن زريق الخلقانيّ قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام يوماً إذ دخل عليه رجلان من أهل الكوفة من أصحابنا ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : أتعرفهما؟ قلت : نعم ، هما من مواليك ، فقال : نعم ، و الحمد لله الّذي جعل أجلّة مواليّ بالعراق ـ الخبر ـ .

٥٥ ـ أقول : وجدت بخطّ الشيخ محمد بن عليّ الجباعيّ ـ رحمه الله ـ : قال

الشيخ محمّد بن مكّي ـ قدّس الله روحه ـ وجدبخطّ جمال الدين ابن المطهّر : وجدت بخطّ والدي ـ ره ـ قال : وجدت رقعة عليها مكتوب بخطّ عتيق ماصورته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماأخبرنا به الشيخ الأجلّ العالم عزّالدين أبوالمكارم حمزة بن عليّ ابن زهرة الحسينيّ الحلبيّ إملاءً من لفظه عند نزوله بالحلّة السيفيّة ـ و قد وردها حاجّاً سنة أربع و سبعين و خمسمائة ـ ورأيته يلتفت يمنة و يسرة ، فسألته عن سبب ذلك ،قال : إنّني لأعلم أنّ لمدينتكم هذه فضلاً جزيلاً . قلت : وما هو ؟ قال:أخبرني أبي ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمّد بن قولويه ، عن الكلينيّ قال : حدّثني عليّ بن إبراهيم عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي حمزة الثماليّ ، عن الأصبغ بن نباته قال : صحبت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عند وروده إلى صفّين وقد وقف على تلّ عرير[1] ثمّ أومأ إلى أجمة ما بين بابل و التلّ وقال : مدينة و أيّ مدينة ! فقلت له : يامولاي أراك تذكر مدينة ، أكان ههنامدينة وانمحت آثارها ؟ فقال : لا ، ولكن ستكون مدينة يقال لها الحلّة السيفيّة يمدّنها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار لوأقسم أحدهم على الله لأبرّ قسمه .

بيان : « عرير » بالمهملتين أي مفرد ، و في القاموس : العرير الغريب في القول أو بالمعجمتين أي منيع رفيع . و الحلّة ـ بالكسر ـ : بلدة معروفة ، و وصفها بالسيفيّة لأنّها بناها سيف الدولة .

٥٦ ـ و وجدت أيضاً بخطّ الشيخ المتقدّم نقلاً من خطّ الشهيد ـ قدّس سرّه ـ : قال الراونديّ : قال الباقر عليه السلام : إنّ الله وضع تحت العرش أربعة أساطين و سمّاه « الضراح » ثمّ بعث ملائكة فأمرهم ببناء بيت في الأرض بمثاله و قدره ، فلمّا كان الطوفان رفع ،فكانت الأنبياء يحجّونه ولا يعلمون مكانه حتّى بوّأه الله لإبراهيم فأعلمه مكانه ،فبناه من خمسة أجبل : من حراء ، وثبير ، ولبنان ،وجبل الطور ، وجبل الخمر. قال الطبريّ : وهو جبل بدمشق .

بيان : قال الفيروزابادي : الخمر ـ بالتحريك ـ : جبل بالقدس . وقال:لبنان

---

(١) عزيز (خ) .

- بالضمّ - : جبل بالشام .

٥٧ - **كنز الكراجكي** : قال : روى الشريف أبو محمّد الحسن بن محمّد الحسينيّ عن عليّ بن عثمان الأشجّ المعروف بأبي الدنيا [١] قال : حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحبّ أهل اليمن فقد أحبّني و من أبغضهم فقد أبغضني .

٥٨ - شرح النهج لابن ميثم : قال : لمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من حرب الجمل خطب الناس بالبصرة فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال : ياأهل البصرة ! ياأهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة ! ياجند المرأة و أعوان البهيمة ، رغا [٢] فأجبتم ، و عُقر فانهزمتم [٣] أخلاقكم دقاق ، ودينكم نفاق وماؤكم زعاق [٤] بلادكم أنتن بلادالله تربة ، وأبعدها من السماء ، بهاتسعة أعشارالشرّ المحتبس فيها بذنبه ، والخارج منها بعفوالله ، كأنّي أنظر إلى قريتكم هذه وقد طبّقها الماء حتّى مايرى منها إلّا شُرف المسجد كأنّه جؤجؤ طير في لجّة بحر - وساق إلى قوله : إذاهم رأوا البصرة قدتحوّلت أخصاصها دوراً ، وآجامهاقصوراً ، فالهرب!الهرب! فإنّه لابصرة لكم يومئذ .

(١) حكى السيد نعمة الله الجزائرى عن السيد هاشم بن الحسين الاحسائى عن استاده الشيخ محمد الحرفوشى قال ، لما كنت بالشام عمدت يوماً إلى مسجد مشهور بعيد من العمران فرأيت شيخاً أزهر الوجه عليه ثياب بيض و هيئة جميلة ... ثم تحققت منه الاسم و النسبة ثم بعد جهد طويل قال : أنا معمر أبو الدنيا المغربى صاحب أمير المؤمنين عليه السلام و حضرت معه صفين و هذه الشجة فى وجهى من رمحة فرسه - سلام الله عليه - ثم ذكر لى من الصفات والعلامات ما تحققت معه صدقه فى كل ما قال ثم استجزته كتب الاخبار فاجازنى عن أمير المؤمنين و عن جميع ائمتنا حتى انتهى فى الاجازة إلى صاحب الدار - عجل الله فرجه - و له قصص عجيبة منها ما رواها عنه ابو محمد العلوى حدثه بها فى دار عمه طاهر بن يحيى ، و كيف كان فحديثه يعد حسناً إن لم يكن صحيحاً .

(٢) أى صوت و ضج .

(٣) فهربتم (خ) .

(٤) أى مر لا يطاق شر به .

ثمّ التفت عن يمينه فقال : كم بينكم و بين الاُبُلّة ؟ فقال له المنذر بن الجارود: فداك أبي و اُمّي : أربعة فراسخ . قال له : صدقت ، فوالّذي بعث محمّداً ﷺ و أكرمه بالنبوّة ، و خصّه بالرسالة ، وعجّل بروحه إلى الجنّة لقد سمعت منه كما تسمعون منّي أن قال : ياعليّ هل علمت أنّ بين الّتي تسمّى البصرة والّتي تسمّى الاُبلّة أربعة فراسخ و سيكون في الّتي تسمّى الاُبلّة موضع أصحاب العشور ، يقتل في ذلك الموضع من اُمّتي سبعون ألف شهيد ، هم يومئذ بمنزلة شهداء بدر .

فقال له المنذر : ياأمير المؤمنين ، ومن يقتلهم ؟ فداك أبي و اُمّي . قال : يقتلهم أخوان وهم جيل كأنّهم الشياطين ، سود ألوانهم ، منتنة أرواحهم ، شديدكلبهم ، قليل سلبهم ، طوبى لمن قتلوه . ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أذلّة عند المتكبّرين من أهل ذلك الزمان ، مجهولون في الأرض ، معروفون في السماء ، تبكي السماء عليهم و سكّانها ، و الأرض و سكّانها ــ ثمّ هملت عيناه بالبكاء ثمّ قال : ــ ويحك يا بصرة من جيش لارهج له ولا حسّ ! فقال له المنذر : ياأمير المؤمنين ، وما الّذي يصيبهم من قبل الغرق ممّا ذكرت ؟ وما الويح ؟ فقال : هما بابان: فالويح باب رحمة ، والويل باب عذاب ياابن الجارود ، نعم ، تارات عظيمة : منها عصبة يقتل بعضها بعضاً ، ومنها فتنة يكون بها إخراب منازل وخراب ديار و انتهاك أموال و سباء نساء يذبحن ذبحاً ، ياويل أمرهنّ حديث عجيب ! ومنها أن يستحلّ بها الدجّال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى و الاُخرى كأنّها ممزوجة بالدم لكأنّها في الحمرة علقة ، ناتيء الحدقة كهيئة حبّة العنب الطافية على الماء ، فيتبعه من أهلها عدّة من قتل بالاُبلّة من الشهداء ، أناجيلهم في صدورهم ، يُقتل من يقتل ، و يهرب من يهرب ، ثمّ رجف ، ثمّ قذف ، ثمّ خسف ثمّ مسخ ، ثمّ الجوع الأغبر ، ثمّ الموت الأحمر وهو الغرق .

يا منذر إنّ للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الاُول [1] لا يعلمها إلّا العلماء : منها الخُريبة ، و منها تدمُر ، ومنها المؤتفكة ــ وساق إلى أن قال ــ يا أهل البصرة إنّ الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خُطّة شرف ولا كرم إلّا وقد جعل

---

(١) في بعض النسخ المخطوطة « زبر الاول » و هو الصواب ظاهراً .

فيكم أفضل ذلك ، و زادكم من فضله بمنّه ماليس لهم : أنتم أقوم الناس قبلة ، قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكّة ، و قارئكم أقرأ الناس ، وزاهدكم أزهد الناس ، و عابدكم أعبد الناس ، و تاجركم أتجر الناس و أصدقهم في تجارته ، و متصدّقكم أكرم الناس صدقة ، و غنيّكم أشدُّ الناس بذلاً و تواضعاً ، و شريفكم أحسن الناس خلقاً وأنتم أكثر الناس جواراً ، و أقلّهم تكلّفاً لما لا يعنيه ، و أحرصهم على الصلاة في جماعة ثمرتكم أكثر الثمار ، و أموالكم أكثر الأموال ، وصغاركم أكيس الأولاد ، و نساؤكم أمنع النساء و أحسنهنّ تبعّلاً ، سخّر لكم الماء يغدو عليكم و يروح صلاحاً لمعاشكم و البحر سبباً لكثرة أموالكم ، فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً وظلاً ظليلاً ، غير أنّ حكم الله ماض ، و قضاؤه نافذ لا معقّب لحكمه و هو سريع الحساب. يقول الله « و إن من قرية إلّا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذّبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً [١] » ـ ثمّ ساق الخطبة إلى قوله ـ إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لي يوماً و ليس معه غيري : إنّ جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتّى أراني الأرض و من عليها وأعطاني أقاليدها وعلّمني ما فيها وماقدكان على ظهرها و ما يكون إلى يوم القيامة ولم يكبر ذلك [عليّ] كما لم يكبر على أبي آدم علّمه الأسماء كلّها ولم تعلمها الملائكة المقرّبون ، وإنّي رأيت بقعة على شاطىء البحر تسمّى البصرة ، فإذا هي أبعد الأرض من السماء و أقربها من الماء ، و أنّها لأسرع الأرض خراباً و أخشنها تراباً و أشدّها عذاباً ، ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً ، و ليأتينّ عليها زمان ، و إنّ لكم يا أهل البصرة و ما حولكم من القرى من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه ، وإنّي لأعلم موضع منفجره من قريتكم هذه ، ثمّ أُمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أُخفيت عنكم و علمناها ، فمن خرج عنها عند دنوّ غرقها فبرحمة من الله سبقت له ، و من بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه و ما الله بظلاّم للعبيد .

توضيح : المؤتفكة : المنقلبة ، و الانقلاب هنا إمّا حقيقة كقرى قوم لوط أو لأنّها غرقت كأنّها انقلبت . طبّقها الماء ـ بالتشديد ـ أي غطّاها و عمّها و

(١) الاسراء : ٥٨ .

الأخصاص : جمع خصّ - بالضمّ - بيت يعمل من الخشب و القصب . والآجام : جمع أجمة - بالتحريك - و هي منبت القصب ، و قيل : هي الشجر الكثير الملتفّ . والا بلّة - بضمّ الهمزة و الباء و تشديد اللام - : الموضع الّذي به مدينة البصرة اليوم وكان من قرى البصرة و بساتينها يومئذ ، و كانوا يعدّونه إحدى الجنّات الأربع ، و في الأبلّة اليوم موضع العشّارين حسب ما أخبر به . و الجيل - بالكسر - : الصنف من الناس و قيل : كلّ قوم يختصّون بلغة فهم جيل. والأرواح : جمع الريح بمعنى الرائحة . و الكلب - بالتحريك - : الشرّ والأذى و شبه جنون يعرض لمن عضّه الكلب الكلب. و السلب - بالتحريك - : ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه ممّا يكون عليه و معه [من] سلاح و ثياب و دابّة و غيرها . ينفر لجهادهم : أي يخرج لقتالهم . ويقال « هملت عينه » أي فاضت بالدمع . والرهج - بالتحريك - الغبار . و الحسّ - بالكسر - صوت المشي و الصوت الخفيّ و هو إشارة إلى صاحب الزنج كما مرّ . و التارات جمع التارة بمعنى المرّة ، أي فتن عظيمة مرّة بعد اُخرى . والعصبة - بالضمّ - : الجماعة أو بالتحريك بمعنى الأقرباء . و انتهاك الأموال : أخذها بما لا يحلّ . و سباءالنساء - بالكسر و المدّ - : أسرهنّ . و «يستحلّ بها الدجّال» أي يتّخذهامنزلاً ويسكنها. والدجّال من الدجل وهوالخلط و التلبيس و الكذب ، ووصفه بالأكبر يدلّ على تعدّد من يدّعي الأباطيل . و الأعورمن ذهب إحدى عينيه . والممسوح صفةمخصّصة للأعور. والناتيء : المرتفع . وطفاعلى الماء : علاولم يرسب . والرجفة : الزلزلة والاضطراب . و القذف : الرمي بالحجارة ونحوها . والخسف : الذهاب في الأرض ، وخسف المكان أن يغيب في الأرض . والمسخ : تحويل صورة إلى ما هوأقبح منها . ووصف الجوع بالأغبر إمّا لأنّ الجوع يكون في السنين المجدبة ، و سنوا الجدب تسمّى غبراً لاغبرارآفاقها من قلّة الأمطار وأرضيها من عدم النبات ، أو لأنّ وجه الجائع يشبه الوجه المغبرّ . و الموت الأحمر يعبّر به في الأكثرعن القتل ، وفسّرهنا بالغرق . والخريبة - بضمّ الخاء المعجمة و فتح الراء المهملةوالباء الموحّدة - : علم محلّةمن محالّ البصرة كانوا يسمّونها البصرة الصغرى . و تدمر -كتنصر- : من الدمار بمعنى الهلاك ، وفي اللغة أنّها بلدبالشام .

والخطّة ـ بالضمّ ـ : الأمروالقصّة . والأقاليد : جمع إقليد ـ بالكسر ـ وهوالمفتاح . ولم يكبر ذلك عليّ : أي قويت عليه وقدرت ، أولم أستعظمها من فضل ربّي . والتنوين في « زمان » للتفخيم أي زمان شديد فظيع . و المرابطة : الإرصاد لحفظ الثغر .

٥٩ ـ اقول : وروى القاضي نورالله التستريّ [قدّس الله روحه] في كتاب «مجالس المؤمنين » عن الصادق عليه السلام أنّه قال : إنّ لله حرماً وهومكّة ، ألا إنّ لرسول الله حرماً و هو المدينة ، ألا و إنّ لأميرالمؤمنين حرماً وهوالكوفة ، ألاوإنّ قم الكوفة الصغيرة. ألا إنّ للجنّة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم ، تقبض فيها امرأة من ولدي اسمها فاطمة بنت موسى ، وتدخل بشفاعتها شيعتي الجنّة بأجمعهم .

٦٠ ـ و عن سعد بن سعد عن الرضا عليه السلام قال : يا سعد من زارها فله الجنّة .

٦١ ـ وعنه عليه السلام قال : إذا عمّت البلدان الفتن والبلايا فعليكم بقم وحواليها ونواحيها ، فإنّ البلايا مدفوع [1] عنها .

٦٢ ـ وعن الرضا عليه السلام قال : للجنّة ثمانية أبواب فثلاثة منها لأهل قم ، فطوبى لهم ثمّ طوبى لهم .

٦٣ ـ و عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال : صلوات الله على أهل قم ، و رحمة الله على أهل قم ، سقى الله بلادهم الغيث ـ إلى آخر ما مرّ عن الصادق عليه السلام .

٦٤ ـ وأقول : روى الشيخ الأجلّ عبدالجليل الرازيّ في كتاب القصص بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : لمّا عرج بي إلى السماء مررت بأرض بيضاء كافوريّة شممت بها رائحة طيّبة ، فقلت : يا جبرئيل ما هذه البقعة ؟ قال : يقال لها « آبة » عرضت عليها رسالتك وولاية ذرّيّتك فقبلت ، وإنّ الله يخلق منها رجالاً يتولّونك ويتولّون ذرّيّتك فبارك الله عليها و على أهلها .

٦٥ ـ **معجم البلدان** : قال : روي أنّه في التورية مكتوب : الريّ باب من أبواب الأرض و إليها متجر الخلق . وقال الأصمعيّ : الريّ عروس الدنيا و إليها متجر

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا ، و الظاهر « مدفوعة » .

الناس . قال : وروي عن جعفر الصادق عليه السلام أنّ الري وقزوين وساوه ملعونات مشؤومات .

٥٦ ـ **كشف الغمة** : عن ابن أعثم الكوفي ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : ويحاً للطالقان فإنّ لله تعالى بها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضّة ، و لكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حقّ معرفته وهم أنصار المهدي في آخر الزمان .

٥٧ ـ وأقول : وجدت في أصل عتيق من اُصول أصحابنا أظنّ أنّه لوالد الصدوق أو ممّن عاصره عن عبدالعزيز بن جعفر بن محمّد ، عن عبدالعزيز بن يونس الموصلي ، عن إبراهيم بن الحسين ، عن محمّد بن خلف ، عن موسى بن إبراهيم عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قزوين باب من أبواب الجنّة .

٥٨ ـ **الدر المنثور** : من عدّة كتب عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمكّة : ما أطيبك من بلدة و أحبّك إليّ ! لولا أنّ قومك أخرجوني منك ماخرجت . و في رواية اُخرى : ما سكنت غيرك (١) .

٥٩ ـ و عن عبدالرحمان بن سابط قال : لمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينطلق إلى المدينة استلم الحجر و قام وسط المسجد و التفت إلى البيت فقال : إنّي لأعلم ما وضع الله في الأرض بيتاً أحبّ إليه منك ، وما في الأرض بلد أحبّ إليه منك ، و ماخرجت عنك رغبة و لكنّ الّذين كفروا هم أخرجوني (٢) .

٦٠ ـ كتاب قسمة أقاليم الأرض و بلدانها تأليف بعض المخالفين : قال: بلد المهدي مدينة حسنة حصينة بناها المهدي الفاطمي و حصّنها وجعل لها أبواباً من حديد ، في كلّ باب ما يزيد على المائة قنطار ، ولمّا بناها وأحكمها قال: الآن أمنت على الفاطميّين.

بيان : اقول : لهذه المدينة قصّة طويلة غريبة أوردتها في كتاب الغيبة .

٧١ ـ و من الكتاب المذكور : قال دخل ذوالقرنين جزيرة عظيمة فوجد بها قوماً قد أنحلتهم العبادة حتّى صاروا كالحمم السود فسلّم عليهم فردّوا عليه السلام فسألهم : ماعيشكم يا قوم في هذا المكان ؟ قالوا : مارزقنا الله من الأسماك وأنواع النبات و نشرب من هذه

---

(١) الدر المنثور : ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٢) الدر المنثور : ج ١ ، ص ١٢٣ .

المياه العذبة . قال لهم ألا أنقلكم إلى عيشة أطيب ممّا أنتم فيه و أخصب ؟ فقالوا له : و ما نصنع به ؟ إنّ عندنا في جزيرتنا هذه ما يغني جميع العالم و يكفيهم لوصاروا إليه و أقبلوا عليه ! قال : و ما هو؟ فانطلقوا إلى وادٍ لا نهاية لطوله و عرضه و هو منضّد من ألوان الدرّ و الياقوت و الزبرجد والبلخش و الأحجار الّتي لم تر فيالدنيا والجواهر الّتي لا تقوّم ، و رأى شيئا لا يحتمله العقول ولا يوصف ، ولو اجتمع العالم على نقله أو بعضه لعجزوا ، فقال : لاإله إلّاالله وسبحان من له الملك العظيم ويخلق الله مالا يعلمه الخلائق . ثمّ انطلقوا به من شفير ذلك الوادي حتّى أتوابه إلى مستوواسع من الأرض به أصناف الأشجار ، و أنواع الثمار ، و ألوان الأزهار ، و أجناس الأطيار ، و خرير الأنهار ، و أفياء و ظلال ، ونسيم ذواعتدال ، و نزه و رياض ، و جنّات و غياض،فلمّا رأى ذوالقرنين ذلك سبّح الله العظيم و استصغر أمرالوادي ومابه من الجواهر عندذلك المنظر البهيج الزاهر. فلمّا تعجّب قالوا له : في مُلك ملك فيالدنيا بعض ماترى؟ قال: لا و حقّ عالم السرّ و النجوى . فقالوا : كلّ هذا بين أيدينا ولا تميل أنفسنا إلىشيء من ذلك واقتنعنا بما نقوى به على عبادة الربّ الخالق ، و من ترك لله شيئاً عوّضه الله خيراً منه ، فسِرعنّا و دعنا بحالنا ، أرشدنا الله وإيّاك . ثمّ ودّعوه وفارقوه وقالواله: دونك والوادي فاحمل منه ماتريد . فأبىأن يأخذ منذلك شيئاً . قال : ثمّأتىذوالقرنين جزيرة عظيمة فرأى بها قوماً لباسهم ورق الشجر ، و بيوتهم كهوف في الصخر و الحجر فسألهم عن مسائل في الحكمة ، فأجابوه بأحسن جواب و ألطف خطاب ، فقال لهم : سلواحوائجكم لتقضى ، فقالوا له : نسألك الخلد في الدنيا . فقال : و أنّى به لنفسي؟! و من لا يقدر على زيادة نفَسمن أنفاسه كيف يبلغكم الخلد ؟! فقال كبيرهم : نسألك صحّة في أبداننا ما بقينا . فقال : و هذا أيضاً لاأقدرعليه . فقالوا : فعرّفنا بقيّةأعمارنا فقال : لا أعرف ذلك لروحيفكيف بكم ؟ فقالوا له : فرّغنا نطلب ذلك ممّن يقدرعلى ذلك و أعظم من ذلك . وجعل الناس ينظرون إلىكثرة جنوده وعظمة موكبه ، وبينهم شيخ صعلوك لا يرفع رأسه ، فقال له ذوالقرنين : مالك لاتنظر إلىما ينظر إليهالناس ؟ قال الشيخ : ما أعجبني الملك الّذي رأيته قبلك حتّى أنظر إليك وإلى ملكك . فقال:

و ما ذاك ؟ قال الشيخ : كان عندنا ملك و آخر صعلوك [١] فماتا في يوم واحد ثمّ جئت إليهما و اجتهدت أن أعرف الملك من الصعلوك[٢] فلم أعرفه . قال : فتركهم ذوالقرنين و انصرف عنهم .

٦٢ ـ **العيون** : عن تميم بن عبدالله القرشيّ ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ ، عن أبي الصلت الهرويّ قال : كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه قوم من أهل قم فسلّموا عليه فردّ عليهم و قرّبهم ثمّ قال لهم : مرحباً بكم و أهلاً ! فأنتم شيعتنا حقّاً ، فسيأتي عليكم يوم تزورون فيه تربتي بطوس ، ألا فمن زارني و هو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه [٣] .

٧٣ ـ **و منه** : عن محمد بن أحمد السنانيّ ، عن محمّد بن جعفر الأسديّ ، عن سهل ابن زياد ، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنيّ قال : سمعت عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام يقول : أهل قم وأهل آبة مغفور لهم لزيارتهم لجدّي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بطوس ألا و من زاره فأصابه في طريقه قطرة من السماء حرّم الله جسده على النار [٤] .

٧٤ ـ **الكافي** : عن أبي عليّ الأشعريّ ، عن محمّد بن سالم ؛ و عليّ بن إبراهيم عن أبيه ، جميعاً عن أحمد بن النضر ؛ ومحمّد بن يحيى ، عن محمّد بن أبي القاسم ، عن الحسين ابن أبي قتادة ، جميعاً عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله لعرض الخيل ـ و ساق الحديث إلى قوله ـ فمرّ بفرس [٥] فقال عيينة ابن حصين : إنّ من أمر هذا الفرس كيت وكيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ذرنا فأنا أعلم بالخيل منك . فقال : و أنا أعلم بالرجال منك . فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى ظهر الدم في وجهه ، فقال له : فأيّ الرجال أفضل ؟ فقال عيينة بن حصين : رجال يكونون بنجد يضعون سيوفهم على عواتقهم ، و رماحهم على كواثب خيلهم ، ثمّ يضربون بها قدما .

---

(١) صلعوك (خ) . (٢) الصلعوك (خ) .

(٣ و ٤) العيون ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .

(٥) في بعض النسخ « فمر به فرس » .

فقال رسول الله ﷺ : كذبت ، بل رجال أهل اليمن أفضل ، الإيمان يماني [١] ، و الحكمة يمانيّة ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من أهل اليمن . الجفاء والقسوة في الفدّادين أصحاب الوبر ربيعة و مضر من حيث يطلع قرن الشمس ، و مذحج أكثر قبيل يدخلون الجنّة ، و حضرموت خير من عامر بن صعصعة ــ و روى بعضهم : خير من الحرث بن معاوية ــ و بجيلة خير من رعل و ذكوان ، وإن يهلك لحيان فلا اُبالي . ثمّ قال : لعن الله الملوك الأربعة : جمداً ، و مِخوساً ، ومِشرحاً ،و أبضعة ، و اُختهم العمرّدة ــ و ساق الحديث إلى قوله ــ لعن الله رعلاً و ذكوان و عضلاً و لحيان و المجذمين من أسد و غطفان و أباسفيان بن حرب و شهبلاً ذا الأسنان وابني مليكة [٢] بن جزيم ومروان و هوذة وهونة [٣] .

٦٥ ــ كتاب جعفر بن محمّد بن شريح : عن معلّى الطحّان ، عن بريد بن [٤] يزيد ابن جابر ، عن عبدالله بن بشير ، عن ابن عيينة بن حصين قال : عرض رسول الله ﷺ يوماً خيلاً و عنده أبي ــ عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر ــ فقال رسول الله ﷺ : أنا أبصر بالخيل منك . فقال عيينة : و أنا أبصر بالرجال منك يا رسول الله . فقال النبيّ صلّى الله عليه و آله : كيف ؟ قال : فقال : إنّ خير الرجال الّذين يضعون أسيافهم على عواتقهم ، و يعرضون رماحهم على مناكب خيولهم من أهل نجد . فقال النبيّ ﷺ : كذبت ، إنّ خير الرجال أهل اليمن ، و الإيمان يمان و أنا يمانيّ ، و أكثر قبائل دخول الجنّة يوم القيامة مذحج ، و حضرموت خير من بني الحرث بن معاوية حيّ من كندة ، إن يهلك لحيان فلا اُبالي ، فلعن الله الملوك الأربعة : جمداً ،ومِخوساً ، ومِشرحاً وأبضعة ، و اُختهم العمرّدة .

بيان : قال الجوهريّ : قال أبوعبيدة : يقال «كان من الأمر كيت وكيت ـ بالفتح ـ

(١) يمان (خ) .
(٢) ملكة (خ) .
(٣) الكافي : ج ٨ ، ص ٧٠-٧٢ .
(٤) و في بعض النسخ « يزيد بن جابر » و في بعضها « يزيد بن جابر » و أيّاما كان فلم نجد له ذكراً في كتب الرجال .

و كيت و كيت ــ بالكسر ــ » و التاء فيهما هاء في الأصل فصارت تاءاً . و في النهاية : الكواثب جمع كاثبة ، وهي من الفرس : مجتمع كتفيه قدّام السرج . و قال : رجل قدم ــ بضمّتين ــ أي شجاع ، و مضى قدماً أي لم يعرج ولم ينثن . و قال : فيه « الإيمان يمان و الحكمة يمانيّة» إنّماقال ذلك لأنّ الإيمان بدامن مكّة وهي من تهامة وتهامة من أرض اليمن ولهذا يقال : الكعبة اليمانيّة . وقيل : إنّه قال هذا القول للأنصار لأنّهم يمانون وهم نصروا الإيمان والمؤمنين و آووهم فنسب الإيمان إليهم . و قال الجوهري: اليمن بلاد للعرب ، و النسبة إليهم يمنيّ ، ويمان مخفّفة والألف عوض من ياء النسب فلا يجتمعان ، قال سيبويه : و بعضهم يقول يمانيّ بالتشديد ــ انتهى ــ . و قال في شرح السنّة : هذا ثناء على أهل اليمن لإسراعهم إلى الإيمان و حسن قبولهم إيّاه .

قوله ﷺ « لولا الهجرة » لعلّ المعنى: لولا أنّي هجرت عن مكّة لكنت اليوم من أهل اليمن إذ مكّة منها ، أو المراد أنّه لولا أنّ المدينة كانت أوّلاً دار هجرتي واخترتها بأمر الله لاتّخذت اليمن وطناً ، أو الغرض أنّه لولا أنّ الهجرة أشرف لعددت نفسي من الأنصار . و في النهاية : فيه أنّ الجفاء و القسوة في الفدّادين . الفدّادون بالتشديد هم الّذين تعلو أصواتهم في حروثهم و مواشيهم ، واحدهم فدّاد ، يقال : فدّ الرجل يفدّ فديداً إذا اشتدّ صوته، وقيل: هم المكثرون من الإبل .وقيل : هم الجمّالون و البقّارون و الحمّارون و الرعيان ، و قيل . إنّما هو الفدادين ــ مخفّفاً ــ واحدها فدّان ــ مشدّداً ــ وهي البقر الّتي يحرث بها ،و أهلها أهل جفاء وقسوة[1] ــ انتهى ــ .

قوله « أصحاب الوبر » أي أهل البوادي ، فإنّ بيوتهم يتّخذونها منه . قوله : « من حيث يطلع قرن الشمس » قال الجوهريّ : قرن الشمس أعلاها وأوّل ما يبدو منها في الطلوع ــ انتهى ــ و لعلّ المراد أهل البوادي من هاتين القبيلتين الكائنتين في مطلع الشمس أي في شرقيّ المدينة . و روى في شرح السنّة بإسناده عن عقبة بن عمرو قال : أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال : الإيمان يمان ههنا، إلّا أنّ القسوة وغلظ القلوب في الفدّادين عند اُصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر

(١) في النهاية : اهل جفاء و غلظة . ج ٣ ، ص ١٨٧ .

و بإسناده عن ابن عمر أنّه قال : رأيت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يشير إلى المشرق ويقول: إنّ الفتنة ههنا ! إنّ الفتنة ههنا ! من حيث يطلع قرن الشيطان . و قال النوويّ : قرنا الشيطان قبل المشرق أي جمعاه المغويان أو شيعتاه من الكفّار ، يريد مزيد تسلّطه في المشرق ، وكان ذلك في عهده صلى الله عليه وآله و يكون حين يخرج الدجّال من المشرق ، وهو في مابين ذلك منشأ الفتن العظيمة و مثار الترك العاتية ـ انتهى ـ ولا يبعد أن يكون في هذا الخبر أيضاً « قرن الشيطان » فصحّف . و قال الجوهريّ : مذحج ـ كمسجد ـ : أبوقبيلة من اليمن . وقال : حضرموت اسم بلد و قبيلة أيضاً ، وهما اسمان جعلا واحداً إن شئت بنيت الاسم الأوّل على الفتح و أعربت الثاني بإعراب مالاينصرف قلت : هذا حضرموت ، و إن شئت أضفت الأوّل إلى الثاني قلت : هذا حضرموتٍ ، أعربت حضراً وخفضت موتاً ، وكذلك القول في‌سامّ‌أبرص ورام‌هرمز . وقال : عامر بن صعصعة أبوقبيلة وهو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . و في القاموس : بجيلة ـ كسفينة ـ: حيّ باليمن من معدّ . و رعل وذكوان قبيلتان من بني سليم . وقال : لحيان أبوقبيلة . وقال : مخوس ـ كمنبر ـ و مشرح وجمد و أبضعة بنو معديكرب الملوك الأربعة الّذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله و لعن اُختهم العمرّدة وفدوا مع الأشعث فأسلموا ثمّ ارتدّوا فقتلوا يوم النجير ، فقالت نائحتهم « ياعين بكّي للملوك الأربعة » و قال : العمرّد ـ كعملّس ـ : الطويل من كلّ شيء ـ إلى أن قال ـ و بهاءٍ : اُخت الّذين لعنهم النبيّ صلى الله عليه وآله ـ انتهى ـ و«المجذمين» لعلّ المرادبهم المنسوبون إلى الجذيمة ، ولعلّ أسداً و غطفان كلتيهما منسوبتان إليها . قال الجوهريّ : جذيمة قبيلة من عبد القيس ينسب إليهم جذميّ ـ بالتحريك ـ وكذلك إلى جذيمة بني‌أسد . وقال الفيروزاباديّ : غطفان ـ محرّكة ـ حيّ من قيس . و لعلّ شهبلا ـ بالشين المعجمة والباء الموحّدة،و في بعض النسخ بالسين‌المهملة و الياء المثنّاة ـ اسم ، وكذا مابعده إلى آخرالخبر أسماء رجال . و أقول : قدمضت الأخبار الكثيرة في ذمّ البصرة في كتب الفتن، وسيأتي أخبار مدح الكوفة والغريّ و كربلا وطوس ومكّة و المدينة في كتاب المزار وكتاب الحجّ لم نوردها ههنا حذراً من التكرار .

٧٦ ـ **اكمال الدين** : عن عبدالله بن محمّد بن عبدالوهّاب ، عن أحمد بن محمّد بن عبدالله بن زيد الشعرانيّ من ولد عمّار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ يقول : حكى أبوالقاسم محمّد بن القاسم البصريّ أنّ أبا الحسن حمادويه بن أحمد بن طولون كان قد فتح عليه من كنوز مصر مالم يرزق أحد قبله ، فاُغري بالهرمين فأشار عليه ثقاته و حاشيته و بطانته أن لا يتعرّض لهدم الأهرام ، فإنّه ما تعرّض أحد لها فطال عمره فلجّ في ذلك ، وأمر ألفاً من الفعلة أن يطلبوا الباب وكانوا يعملون سنة حواليه حتّى ضجروا وكلّوا ، فلمّا همّوا بالانصراف بعد الأياس منه و ترك العمل وجدوا سرباً فقدّروا أنّه الباب الّذي يطلبونه فلمّا بلغوا آخره وجدوا بلاطة قائمة من مرمر فقدّروا أنّها الباب فاحتالوا فيها إلى أن قلعوها و أخرجوها ، فإذا عليها كتابة يونانيّة ، فجمعوا حكماء مصر و علماءها فلم يهتدوا لها ، و كان في القوم رجل يعرف بأبي عبدالله المدائنيّ أحد حفّاظ الدنيا و علمائها ، فقال لأبي الحسن[1] حمادويه بن أحمد : أعرف في بلد الحبشة اُسقفاً قد عمّر وأتى عليه ثلاثمائة و ستّون سنة يعرف هذا الخطّ ، وقدكان عزم على أن يعلّمنيه فلحرصي على علم العرب لم أقم عليه و هو باق . فكتب أبوالحسن إلى ملك الحبشة يسأله أن يحمل هذا الاُسقف إليه ، فأجابه أنّ هذا قد طعن في السنّ وحطمه الزمان و إنّما يحفظه هذا الهواء ، و يخاف عليه إن نقل إلى هواء آخر و إقليم آخر و لحقته حركة و تعب و مشقّة السفر أن يتلف ، و في بقائه لنا شرف و فرج و سكينة ، فان كان لكم شيء يقرأه أو يفسّره أو[2] مسألة تسألونه فالكتب بذلك . فحملت البلاطة في قارب إلى بلد « أسوان » من الصعيد الأعلى ، وحملت من أسوان على العجلة إلى بلاد الحبشة وهي قريبة من أسوان ، فلمّا وصلت قرأها الاُسقف و فسّر ما فيها بالحبشيّة ثمّ نقلت إلى العربيّة فاذا فيها مكتوب : « أنا الريّان بن دومغ » فسئل أبو عبدالله عن الريّان من هو ؟ قال : هو والد العزيز ملك يوسف عليه السلام و اسمه الريّان بن دومغ ، وقد كان

---

(١) الجيش (خ) .

(٢) و (خ) .

عمر العزيز سبعمائة سنة و عمر الريّان والده ألف و سبعمائة سنة و عمّر دومغ ثلاثة آلاف سنة . فإذا فيها :

« أنا الريّان بن دومغ ، خرجت في طلب علم النيل ، لأعلم فيضه و منبعه إذ كنت أرى مغيضه [1] فخرجت و معي ممّن صحبت أربعة آلاف [ألف] رجل ، فسرت ثمانين سنة إلى أن انتهيت إلى الظلمات و البحر المحيط بالدنيا ، فرأيت النيل يقطع البحر المحيط و يعبر فيه ولم يكن له منفذ و تماوت أصحابي و بقيت [2] في أربعة آلاف رجل فخشيت على ملكي فرجعت إلى مصر و بنيت الأهرام والبرابي و بنيت الهرمين وأودعتهما كنوزي و ذخائري ، و قلت في ذلك شعراً :

و أدرك علمي بعض ما هو كائن	ولا علم لي بالغيب والله أعلم
و أتقنت ما حاولت إتقان صنعه	و أحكمته والله أقوى و أحكم
وحاولت علم النيل من بدء [3] فيضه	فأعجزني و المرء بالعجز ملجم
ثمانين شاهوراً قطعت مسائحاً	و حولي بنو حجر و جيش عرمرم
إلى أن قطعت الجنّ والإنس كلّهم	و عارضني لجّ من البحر مظلم
فأيقنت أن لا منفذاً بعد منزلي	لذي هيئة بعدي ولا متقدّم
فابتُ إلى مُلكي وأرسيت نادياً	بمصر ولا الأيّام بؤس و أنعم
أنا صاحب الأهرام في مصر كلّها	و باني برابيها بها و المقدّم
تركت بها آثار كفّي و حكمتي	على الدهر لا تبلى ولا تتهدّم
و فيها كنوز جمّة و عجائب	و للدهــر أمر مرّة و تهجّم
سيفتح أقفالي و يبدي عجائبي	وليّ لربّي آخر الدهر يسجم
بأكناف بيت الله تبدو اُموره	ولابدّ أن يعلو و يسمو به السم
ثمان و تسع و اثنتان و أربع	و تسعون اُخرى من قتيل و ملجم

(١) مفيضه (خ) . (٢) فبقيت (خ) .
(٣) بعد (خ) .

و من بعد هذا كرّ تسعون تسعة و تلك البرابي تستخرّ و تهدم
و تبدى كنوزي كلّها غير أنّني أرى كلّ هذا أن يفرّقه الدم
رمزت مقالي في صخور قطعتها ستفنى و أفنى بعدهاثمّ اعدم [1]

فحينئذ قال أبوالحسن حمادويه بن أحمد : هذا شيء ليس لأحد فيها حيلة إلّاالقائم من آل محمّد عليه السلام وردّت البلاطة مكانها كما كانت . ثمّ إنّ أبا الحسن [2] بعد ذلك بسنة قتله طاهرالخادم على فراشه و هو سكران ، و من ذلك الوقت عرف خبر الهرمين و من بناهما . فهذا أصحّ ما يقال في خبر النيل و الهرمين .

بيان : السرب ـ بالتحريك ـ : الحفير تحت الأرض . و البلاطة ـ بالفتح ـ : الحجارة الّتي تفرش في الدار . و القارب : السفينة الصغيرة . و الاُسوان ـ بالضمّ و يفتح ـ بلد بالصعيد بمصر . كل ذلك ذكره الفيروزآبادي . وقال : الهرمان ـ بالتحريك ـ بناءان أوّليّان بناهما إدريس عليه السلام لحفظ العلوم فيهما عن الطوفان ، أو بناء سنان بن المشلشل أو بناء الأوائل لما علموا بالطوفان من جهة النجوم و فيهما كلّ طبّ و طلسم و هنالك أهرام صغار كثيرة ـ انتهى ـ . و قال أبو ريحان في كتاب الآثار الباقية : إنّ الفرس و عامّة المجوس أنكروا الطوفان بكلّيته ، وزعموا أنّ الملك متّصل فيه من لدن « كيومرث گل شاه » الّذي هو الإنسان الأوّل عندهم ، ووافقهم على إنكارهم إيّاه الهند و الصين و أصناف الاُمم المشرقيّة ، و أقرّ به بعض الفرس و وصفوه بغير الصفة الموصوف بها في كتب الأنبياء ، و قالوا : كان من ذلك شيء بالشام و المغرب في زمان طهمورث لم يعمّ العمران كلّها ولم يغرق فيه إلّا اُمم قليلة ، وإنّه لم يجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ ممالك المشرق . و قالوا : إنّ أهل المغرب لمّا أنذر به حكماؤهم بنوا أبنية كالهرمين المبنيّتين في أرض مصر ، وقالوا : إذا كانت الآفة من السماء دخلناها وإذا كانت من الأرض صعدناها ، فزعموا أنّ آثار ماء الطوفان و تأثيرات الأمواج بيّنة على أنصاف هذين الهرمين لم يجاوزهما . و قيل : إنّ يوسف عليه السلام بناهما و جعل فيهما الطعام و

(١) عدم (خ) .
(٢) اباالجيش (خ) .

الميرة سني القحط . و قالوا : إنّ طهمورث لمّا اتّصل به الإنذار وذلك قبل كونه بمأتين و إحدى و ثلاثين سنة أمر باختيار موضع في مملكته صحيح الهواء والتربة ، فلم يجدوا أحقّ بهذه الصفة من إصبهان ، فأمر بتجليد العلوم و دفنها في أسلم المواضع منه ، وقد يشهد لذلك ما وجد في زماننا بجيء (١) من مدينة إصبهان من التلال الّتي انشقّت عن بيوت مملوءة أعدالاً كثيرة من لحاء الشجرة الّتي يلتبس بها القسيّ و الترسة و يسمّى « التوز » مكتوبة بكتابة لم يدر ما هي و ما فيها ـ انتهى ـ .

٧٧ ـ **المناقب** : عن محمّد بن الفيض، عن أبي عبدالله عليه السلام قال أبو جعفر الدوانيقيّ (٢) للصادق عليه السلام : تدري ما هذا ؟ قال : وما هو؟ قال : جبل هناك يقطر منه [في السنة] قطرات فيجمد (٣) فهو جيّد للبياض يكون في العين يكحل به فيذهب بإذن الله تعالى. قال: نعم، أعرفه وإن شئت أخبرتك باسمه وحاله . هذا جبل كان عليه نبيّ من أنبياء بني إسرائيل هارباً من قومه ، فعبدالله عليه ، فعلم قومه فقتلوه ، وهو يبكي على ذلك النبيّ ، وهذه القطرات من بكائه له ، و من الجانب (٤) الآخر عين تنبع من ذلك الماء بالليل و النهار ولا يوصل إلى تلك العين (٥) .

٧٨ ـ **الدر المنثور** : قال : أخرج الزبير بن بكّار في الموفّقيات عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال : عجائب الدنيا أربعة : مرآة كانت معلّقة بمنارة الإسكندريّة فكان يجلس الجالس تحتها فيبصر من بالقسطنطنيّة و بينهما عرض البحر ؛ و فرس كان من نحاس بأرض أندلس (٦) قائلاً بكفّه كذا باسط يده أي ليس خلفي مسلك ، فلا يطأ تلك البلاد أحد إلّا أكلته النمل ؛ و منارة من نحاس عليها راكب من نحاس بأرض

---

(١) يجيء (خ) .

(٢) الدوانيق (خ) .

(٣) كذا في جميع النسخ ، و الظاهر « فتجمد » .

(٤) في اكثر النسخ «و من جانب الاخر» والصواب ما في المتن موافقا لنسخة مخطوطة .

(٥) المناقب : ج ٤ ، ص ٢٣٦ .

(٦) الاندلس (خ) .

عاد ، فإذا كانت الأشهر الحرم اكرم هطل منه الماء و سقوا[١] و صبّوا في الحياض فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء ؛ و شجرة من نحاس عليها سودانيّة[٢] من نحاس بأرض روميّة ، فإذا كان أوان الزيتون صفرت السودانية الّتي من نحاس فتجيء كلّ سودانيّة من الطيّارات بثلاث زيتونات : زيتونتين برجليها ، و زيتونة بمنقارها حتّى تلقيه على تلك السودانيّة الّتي هي من نحاس ، فيعصر أهل روميّة ما يكفيهم لإدامهم و سرجهم سنتهم إلى قابل [٣] .

٧٩ ــ **الكافي :** عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن أبي يحيى الواسطيّ عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ من وراء اليمن وادياً يقال له «وادي برهوت » ولا يجاوز ذلك الوادي إلّا الحيّات السود والبوم من الطير[٤] في ذلك الوادي بئر يقال لها « بلموت [٥] » يغدى و يراح إليها بأرواح المشركين ، يسقون من ماء الصديد ، خلف ذلك الوادي قوم يقال لهم « الذريح » لمّا أن بعث الله عزّ و جلّ محمّداً صلّى الله عليه و آله صاح عجل لهم فيهم و ضرب بذنبه و نادى فيهم : يا آل الذريح ! ــ بصوت فصيح ــ أتى رجل بتهامة يدعو إلى شهادة أن لا إله إلّا الله . قالوا : لأمر ما أنطق الله هذا العجل ! قال : فنادى فيهم ثانية ، فعزموا على أن يبنوا سفينة ، فبنوها و نزل فيها سبعة منهم ، و حملوا من الزاد ما قذف الله في قلوبهم ، ثمّ رفعوا شراعاً [٦] و سيّبوها في البحر ، فما زالت تسير بهم حتّى رمت بهم بجدّة ، فأتوا النبيّ صلّى الله عليه و آله فقال لهم النبيّ صلّى الله عليه و آله : أنتم أهل الذريح نادى فيكم العجل ! قالوا : نعم ، قالوا : اعرض علينا يا رسول الله الدين و الكتاب ، فعرض عليهم رسول الله الدين و الكتاب والسنن

---

(١) في المصدر ، فاذا كانت الاشهر الحرم هطل منه الماء فشربَ الناس و سقوا ...

(٢) في مخطوطة « سودائية » و كذا في ما يأتي .

(٣) الدرالمنثور ، ج ٣ ، ص ٩٧ .

(٤) في المصدر : الطيور .

(٥) في بعض النسخ و كذا في المصدر ، بلهوت .

(٦) في بعض النسخ و كذا في المصدر : شراعها .

و الفرائض و الشرائع كما جاء من عندالله ـ عزّ ذكره ـ وولّى عليهم رجلاً من بني هاشم سيّره معهم ، فما بينهم اختلاف حتّى الساعة [١] .

٨٠ ـ **حياة الحيوان** :الأهرام من عجائب أبنية الدنيا ،وهي قبور الملوك،أرادوا أن يتميّزوا على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميّزوا عليهم في حياتهم، قيل : إنّ المأمون لمّا وصل إلى مصر أمر بنقب أحد الهرمين فنقب بعد جهد جهيد و غرامة نفقة عظيمة فوجد داخله مراقٍ دمها و يعسر سلوكها ، و وضع في أعلاها بيت مكعّب طول كلّ ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع ، و في وسطه حوض فيه مائة رمّة بالية قدأتت عليها العصور فكفّ عن نقب ماسواه . و نقل أنّ هرمس الأوّل أخنوخ وهو إدريس عليه السلام استدلّ من أحوال الكواكب على كون الطوفان ، فأمر ببنيان الأهرام ، و يقال : إنّه ابتناها في مدّة ستّة أشهر وكتب فيها : قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستّمائة عام والهدم أيسر من البنيان ! وكسوناها الديباج فليكسها الحصر و الحصر أيسر من الديباج . و قال ابن الجوزيّ في كتاب « سلوة الأحزان » : ومن عجائب الهرمين أنّ سمك كلّ واحد منهما أربعمائة ذراع من رخام و زمرّد وفيها مكتوب : أنا بنيتها [٢] بملكي فمن ادّعى قوّة فليهدمها [٣] فإنّ الهدم أيسر من البناء .

قال ابن المنادي : بلغنا أنّهم قدّروا خراج الدنيا مراراً فإذا هو لايقوم بهدمها ـ والله أعلم ـ .

---

(١) روضة الكافي : ٢٦١ .
(٢) بنيتهما(خ) .
(٣) فليهدمهما (خ) .

٢٧

«باب نادر»

أقول : وجدت في بعض الكتب القديمة هذه الرواية،فأوردتها بلفظها ، ووجدتها أيضاً في كتاب « ذكر الأقاليم و البلدان و الجبال و الأنهار و الأشجار » مع اختلاف يسير في المضمون و تباين كثير في الألفاظ أشرت إلى بعضها في سياق الرواية ، و هي هذه :

مسائل عبدالله بن سلام وكان اسمه « اسماويل » فسمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله عبدالله ،عن ابن عبّاس ــ رضي الله عنه ــ قال : لمّا بعث النبيّ صلى الله عليه وآله أمر عليّاً أن يكتب كتاباً إلى الكفّار و إلى النصارى و إلى اليهود ،فكتب كتاباً أملاه جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله فكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم » من محمّد رسول الله إلى يهود خيبر أمّا بعد فإنّ الأرض لله والعاقبة للمتّقين والسلام على من اتّبع الهدى ولاحول ولاقوّة إلّابالله العليّ العظيم» ثمّ ختم الكتاب و أرسله إلى يهود خيبر . فلمّا وصل الكتاب إليهم أتوا إلى شيخهم ابن سلام فقالوا : ياابن سلام هذا كتاب محمّد إليك فاقرأه علينا فقرأه عليهم فقال لهم : ماتريدون من هذا الكلام ؟ وقد أرى فيه علامات وجدنا في التوراة أنّ هذا محمّد الّذي بشّرنا به موسى ابن عمران . فقالوا : ينسخ كتابنا ويحرّم علينا ما اُحلّ لنا من قبل . فقال لهم ابن سلام ياقوم اخترتم الدنيا على الآخرة و العذاب على المغفرة ! فقالوا : ياابن سلام لوكان محمّد على ديننا لكان أحبّ إلينا من غيره . فقال : أنا أروح إليه وأسأله عن أشياء من التوراة فإن أجابني عنها دخلت في دينه وخلّيت دين اليهوديّة ،وقام وأخذ التورات واستخرج منها ألف مسألة وأربعمائة مسألة و أربع مسائل من غامض المسائل فأخذها وأتى بها إلى محمّد وهو في مسجده فقال : السلام عليك يامحمّد وعلى أصحابك ، فقالوا : و على من اتّبع الهدى السلام ورحمة الله و بركاته ، من أنت ياهذا الرجل ؟ قال : أنا عبدالله بن سلام ، و

أنا من رسل بني إسرائيل و ممّن قرأ التوراة ، وأنا رسول اليهود إليك مع شيء لتبيّنه لنا ماهو و أنت من المحسنين . فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله : اجلس يا ابن سلام وسل عمّا شئت و إن شئت أخبرتك عمّا تسألني عنه . فقال : أخبرني يا محمّد فإنّني أزداد فيك يقيناً . فقال : يا ابن سلام جئت تسألني عن ألف مسألة وأربعمائة مسألة و أربع مسائل نسختها من التوراة . فنكس عبدالله بن سلام رأسه و بكى و قال : صدقت يا محمّد . فقال : أنبيّ أنت أم رسول ؟ فقال : يا ابن سلام إنّ الله بعثني نبيّاً ورسولاً وأنا خاتم النبيّين ،أفما قرأت في التوراة « محمّد رسول الله و الّذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تريهم ركّعاً سجّداً [1] ـ الآية ـ » ؟ و أنزل عليّ « ماكان محمّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين [2] » قال : صدقت يا محمّد ، أخبرني أكليم أنت أم وحيّ ؟ قال: يا ابن سلام بل وحيّ يأتيني به جبرائيل عن ربّ العالمين . قال : صدقت يا محمّد،أخبرني كم خلق الله نبيّاً من بني آدم ؟ قال : يا ابن سلام ، خلق الله مائة ألف نبيّ و أربعة و عشرين ألف نبيّ . قال : صدقت يا محمّد ، أخبرني كم المرسلون منهم ؟ قال : يا ابن سلام كان المرسلون ثلاثمأة و ثلاثة عشر . قال : صدقت يا محمّد فأخبرني من كان أوّل الأنبياء؟ قال : آدم . قال : صدقت يا محمّد ، أخبرني آدم كان نبيّاً مرسلاً ؟ قال : نعم ، أفما قرأت في التوراة « قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم [3] ـ الآية ـ » ؟ قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن رسل العرب كم كانوا ؟ قال: ستّة [4] أوّلهم إبراهيم و إسماعيل ولوط وصالح وشعيب ومحمّد . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني كم كان بين موسى وعيسى من نبيّ ؟ قال : ألف،قال : صدقت يا محمّد،فعلى أيّ دين كانوا ؟ قال:على دين الله تعالى ودين ملائكته ودين الإسلام . قال : وما الإسلام ؟ وما الإيمان ؟ قال : أمّا الإسلام فتشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له و الإقرار بأنّ محمّداً عبده و رسوله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صوم شهر رمضان و الحجّ إلى بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً ، و أمّا الإيمان فتؤمن بالله و ملائكته و الكتاب و النبيّين و البعث بعد الموت و القدر

(١) الفتح : ٢٩ . (٢) الاحزاب : ٤٠ .
(٣) البقرة : ٣٣ . (٤) سبعة (خ) .

خيره و شرّه من الله تعالى . قال : صدقت يا محمّد ، أخبرني كم من دين الله تعالى ؟ قال : دين واحد و هو الإسلام . قال : صدقت يا محمّد ، فبم كانت الشرائع ؟ قال : كانت مختلفة في الأمم الماضية . قال: صدقت يا محمّد ، فأهل الجنّة يدخلون بالإسلام أم بالإيمان أم بأعمالهم ؟ قال : يا ابن سلام استوجبوا الجنّة بالإيمان و يدخلون برحمة الله و يقسمونها [1] بأعمالهم . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني كم أنزل الله كتاباً ؟ قال : يا ابن سلام أنزل الله مائة كتاب و أربعة كتب . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني على من أُنزلت هذه الكتب ؟ قال : يا ابن سلام ، أنزل الله عزّ وجلّ على آدم أربعة [2] عشرة صحيفة و أنزل على إبراهيم عشرين صحيفة ــ وفي قول أربعة [3] عشرة صحيفة ــ وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة ، و أنزل على إدريس ثلاثين [4] صحيفة ، و أنزل الزبور على داود و أنزل التوراة على موسى ، و أنزل الإنجيل على عيسى ، و أنزل عليّ الفرقان . قال : صدقت يا محمّد ، فهل أنزل عليك كتاباً ؟ قال : نعم ، قال : و أيّ كتاب هو ؟ قال: الفرقان قال : يا محمّد لم سمّاه الربّ فرقاناً ؟ قال : يا ابن سلام لأنّه يفرق الآيات و السور و أُنزل بغير الألواح و غير الصحف ، والتوراة و الإنجيل والزبور كلّها جملة في الألواح قال: صدقت يا محمّد ، فهل في كتابك شيء من هذه الصحف ؟ قال : نعم يا ابن سلام . قال : ما هو يا محمّد ؟ فقرأ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم « قد أفلح من تزكّى ــ إلى قوله ــ صحف إبراهيم و موسى [5] » قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني ما ابتداء القرآن و ماختمه ؟ قال : يا ابن سلام ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم ، وختمه صدق الله [العليّ] العظيم . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن خمسة أشياء خلقها الله بيده ما هي ؟ قال : يا ابن سلام إنّ الله عزّ وجلّ خلق جنّة عدن بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده ، وصوّر آدم بيده ، و كتب التوراة بيده ، وبنى السماوات بيده ــ قال صدقت يا محمّد ــ والسماوات مطويّات بيمينه . قال : صدقت [قال] يا ابن سلام أما سمعت قوله تعالى « و السماء

---

(١) يقتسمونها (خ) . (٢ و ٣) كذا .
(٤) عشرين (خ) . (٥) الاعلى : ١٩ .

بنيناها بأيد و إنّا لموسعون[1] » قال : صدقت يا محمّد ، أخبرني من أخبرك بهذا ، قال: أخبرني جبرائيل . قال : عنمن ؟ قال: عنميكائيل . قال : عنمن ؟ قال : عنإسرافيل. قال : عن من ؟ قال : عن اللوح المحفوظ . قال : عن من ؟ قال : عن القلم . قال : عن من ؟ قال : عن ربّ العالمين . قال : و كيف ذلك يا محمّد ؟ قال [النبي ﷺ] : يأمر الله القلم يكتب في اللوح ، و ينزل في اللوح على إسرافيل ، و يبلّغ إسرافيل ميكائيل و يبلّغ ميكائيل جبرائيل . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن جبرائيل في زيّ الذكران أم في زيّ الإناث ؟ قال : ياابنسلام بلهو في زيّ الذكران . قال : فأخبرني ما طعامه و ما شرابه ؟ قال : يا ابن سلام طعامه التسبيح و شرابه التهليل . قال : صدقت يا محمّد فأخبرني ماطوله ؟ وما عرضه ؟ وماصفته ؟ ومالباسه ؟ قال : يا ابنسلام علىقدرالملائكة لا بالطويل الأعلى ولابالقصير الأدنى ، أغرّ ، مكحول ، ضوؤه كضوء النهار عندظلمة الليل ، له أربعة و عشرون جناحاً خضراء [2] مكلّلة بالدرّ و الياقوت مختومة باللؤلؤ عليه وشاح بطانته من إستبرق و ظهارته الوقار و الكرامة ، وجهه كالزعفران ، أقنى الأنف ، مدوّر الحدق [3] لا يأكل ولا يشرب ولا يملّ ولا يسهو و هو قائم بوحيالله تعالى إلى يوم القيامة . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن بدء خلق الدنيا ، وأخبرني عن بدء خلق آدم كيف خلقه الله تعالى ؟ قال : نعم يا ابن سلام ، إنّ الله ـ سبحانه و تعالى ، تقدّست أسماؤه ولا إله غيره ـ خلقه من طين بيده ، و خلق الطين من الزبد،و خلق الزبد من الموج ، و خلق الموج من الماء . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن آدم لم سمّي آدم ؟ قال : يا ابن سلام لأنّه خلق من طين الأرض و أديمها . قال : صدقت يا محمّد ، فآدم خلق من الطين كلّه أو بعضه أو من طين واحد ؟ قال : ياابن سلام بلخلقه الله من الطينكلّه ، ولوأنّ آدم خلق منطين واحد لماعرف بعضهم بعضاً وكانوا علىصورة واحدة . قال : صدقت يا محمّد ، هل لهم مثل بذلك [4] في الدنيا ؟ قال : نعم يا ابنسلام

---

(١) الزمر ، ٦٧ . (٢) خضراً (خ) .
(٣) الحدقة (خ) .
(٤) في مخطوطة : هل هم كذلك في الدنيا .

أفما تنظر إلى التراب منه أبيض ، و منه أسود ، و منه أحمر ، و منه أصفر ، ومنه أشقر ومنه أغبر ، و منه أزرق ، وفيه عذب و خشن ، و فيه ليّن ، وكذلك بنو آدم فيهم خشن و فيهم ليّن و فيهم عذب كذلك [التراب] قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني من آدم لمّا خلقه الله عزّ وجلّ من أين دخلت الروح فيه ؟ قال : يا ابن سلام دخلت من فيه . قال: صدقت يا محمّد ، أدخلت فيه على رضا أم على كره ؟ قال : يا ابن سلام أدخله [1] الله كرهاً و يخرجها كرهاً . قال : صدقت يا محمّد ، ما قال الله لآدم ؟ قال : يا ابن سلام قال الله لآدم : يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنّة فكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . قال : صدقت يا محمّد ، فكم أكل منها حبّة ؟ قال : حبّتين قال : وكم أكلت حوّاء ؟ قال: حبّتين . قال · صدقت يا محمّد ، فأخبرني ما صفة الشجرة! وكم لها غصن [2] ؟ وكم كان طول السنبلة ؟ قال : يا ابن سلام كان لها ثلاثة أغصان ، و كان طول كلّ سنبلة ثلاثة أشبار . قال : صدقت يا محمّد ، فكم سنبلة فرك منها آدم ؟ قال: سنبلة واحدة . قال : صدقت يا محمّد ، فكم كان في السنبلة من حبّة ؟ قال :كان فيها خمس حبّات . قال : فأخبرني ما صفة الحبّة ؟ قال : يا ابن سلام كانت بمنزلة البيض الكبار. قال فأخبرني عن الحبّة الّتي بقيت مع آدم ما صنع بها ؟ قال : يا ابن سلام اُنزلت مع آدم من الجنّة فزرع آدم تلك الحبّة فتناسل من تلك الحبّة البركة [3] . قال: صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن آدم أين اُهبط من الأرض ؟ قال : اُهبط بالهند . قال : صدقت يا محمّد ، فأين اُهبطت حوّاء ؟ قال : بجدّة ، قال: صدقت يا محمّد [فأين اُهبطت الحبّة [4] ؟ قال : باصبهان ، قال : صدقت يا محمّد] فأين اُهبط إبليس ؟ قال : ببيسان . قال : صدقت يا محمّد ، قال : ما أغزر علمك ! و ما أصدق لسانك ! فأخبرني ما كان لباس آدم لمّا اُهبط من الجنّة ؟ قال : ثلاث أوراق من ورق الجنّة متوشّحاً بالواحدة ، متّزراً بالاُخرى متعمّماً بالثالثة . [قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني في أيّ مكان اجتمعا ؟ قال : بعرفات]

---

(١) كذا . (٢) كذا .

(٣) فتناسل منها الحب في الارض بورك فيها .

(٤) في بعض النسخ « الحية » .

قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني خلقت حوّاء من آدم أم آدم من حوّاء ؟ قال : يا ابن سلام خلقت حوّاء من آدم ، ولو أن خلق آدم من حوّاء لكان الطلاق بيد النساء ولم يكن بيد الرجال . قال : فأخبرني خلقت من كلّه أو من بعضه ؟ قال : خلقت من بعضه ولو خلقت من كلّه لكان القضاء في النساء ولم يكن في الرجال . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن باطنه خلقت أم من ظاهره ؟ قال : يا ابن سلام بل خلقت من باطنه ، ولو خلقت من ظاهره لكشفت النساء من أبدانهنّ كما تكشف الرجال .

قال : فمن يمينه خلقت أم من شماله ؟ قال : بل خلقت من شماله ، ولو خلقت من يمينه لكان حظّ الاُنثى مثل حظّ الذكر و شهادتها كشهادته ، ومن أجل ذلك جعل الله للذكر مثل حظّ الاُنثيين . قال : فأخبرني من أيّ موضع خلقت ؟ قال : يا ابن سلام خلقت من ضلعه الأقصر (١) . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني من كان يسكن الأرض قبل آدم ؟ قال : الجنّ . قال : فبعد الجنّ ؟ قال : الملائكة . قال : فبعد الملائكة ؟ قال : آدم و ذرّيّته . قال : وكم كان بين الجنّ و بين آدم ؟ قال : سبعة آلاف سنة . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن آدم فهل حجّ إلى بيت الله الحرام ؟ قال : نعم ، قال : فمن حلق رأس آدم ؟ قال : جبرئيل . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني هل اُختتن آدم أم لا ؟ قال : نعم يا ابن سلام ، ختن نفسه بيده . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن الدنيا لم سمّيت دنيا ؟ قال : يا ابن سلام لأنّ الدنيا خلقت من دون الآخرة ، ولو خلقت مع الآخرة لم تفن كما لم تفن (٢) الآخرة . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن القيامة لم سمّيت قيامة ؟ قال : يا ابن سلام لأنّ مقام الخلائق فيها للحساب . قال : فأخبرني لم سمّيت الآخرة آخرة ؟ قال : لأنّها متأخّرة [عنها] بعد الدنيا لا يوصف سنوها ، ولا تحصى أيّامها ولا يموت ساكنها . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن أوّل يوم خلق الله تعالى الدنيا فيه ، قال : يوم الأحد . قال : ولم سمّاه أحداً ؟ قال : لأنّ الله واحد أحد فرد صمد لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً . قال : صدقت يا محمّد . فالاثنين لم

---

(١) الايسر (خ) .

(٢) كذا والظاهر « لاتفنى » .

سمّي اثنين ؟ قال : لأنّه ثاني يوم الدنيا . قال : فالثلاثاء لم سمّي ثلاثاء ؟ قال : لأنّه ثالث يوم الدنيا . قال : فالأربعاء لم سمّي أربعاء ؟ قال : لأنّه رابع يوم الدنيا . قال: فالخميس لم سمّي خميساً ؟ قال : لأنّه خامس يوم الدنيا . قال : فالجمعة لم سمّي جمعة ؟ قال : لأنّه يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود و هو سادس يوم من أيّام الدنيا. قال : فالسبت لم سمّي سبتاً؟ قال : يا ابن سلام لأنّه يوم يوكل فيه ملك، لأنّه مع كلّ عبد ملكان : ملك عن يمينه ، وملك عن شماله . فالّذي عن يمينه يكتب الحسنات والّذي عن شماله يكتب السيّئات . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن مقعد الملكين من العبد و ماقلمهما ؟ ومادواتهما ؟ ومالوحهما ؟ ومامدادهما ؟ قال : يا ابن سلام مقعدهما على كتفيه ، وقلمهما لسانه ، ودواتهما فوه ، ومدادهما ريقه ، و لوحهما فؤاده ، يكتبان أعماله إلى مماته . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني ما خلق الله في ذلك اليوم ؟ قال : ن و القلم و ما يسطرون . قال : فأخبرني كم طول القلم ؟ وكم عرضه ؟ وكم أسنانه ؟ قال : يا ابن سلام طول القلم خمسمائة عام ، و له ثلاثون سنّاً يخرج المداد من بين أسنانه و يجري في اللوح المحفوظ ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة بأمر الله عزّ وجلّ . قال : صدقت يا محمّد ، كم لحظة لله عزّ وجلّ في كلّ يوم و ليلة ؟ قال : يا ابن سلام ثلاثمائة و ستّون لحظة : يُمضي و يقضي و يرفع و يضع و يُسعد و يُشقي و يُعزّ و يُذلّ و يُعلي و يقهر و يُغني و يُفقر . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني ماخلق الله تعالى بعد ذلك؟ قال : يا ابن سلام السماء السابعة ممّا يلي العرش ، وأمرها أن ترتفع إلى مكانها فارتفعت ثمّ خلق الستّة الباقية ، وأمر كلّ سماء أن تستقرّ مكانها فاستقرّت . قال : صدقت يا محمّد فلم سمّاها سماءاً؟ قال: لارتفاعها . قال: فأخبرني ما بال سماء الدنيا خضراء؟ قال يا ابن سلام اخضرّت من جبل قاف . قال: صدقت يا محمّد . فأخبرني ممّ خلقت؟ قال: خلقت من موج مكفوف. قال: وما الموج المكفوف ؟ قال : يا ابن سلام ماء قائم لااضطراب له ، وكانت [1] الأصل دخاناً . قال: صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن السماوات ألها أبواب ؟ قال : نعم لها أبواب

(١) كذا والظاهر « وكان في الاصل » .

وهي مغلقة ، ولها مفاتيح وهي مخزونة . قال: صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أبواب السماء ماهي ؟ قال : ذهب . قال فما أقفالها ؟ قال : من نور . قال : فمفاتيحها ؟ قال : بسم الله العظيم . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن طول كل سماء وعرضها ، وكم ارتفاعها ؟ وما سكّانها ؟ قال : ياابن سلام طول كل سماء خمسمائة عام وعرضها كذلك و بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام ، و سكّان كل سماء جند من الملائكه لايعلم عددهم إلا الله تعالى . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن السماء الثانية ممّا خلقت ؟ قال : من الغمام . قال : صدقت يا محمد ،فأخبرني عن السماء الثالثة ممّ خلقت ؟ قال: من زبرجدة خضراء . قال : فالرابعة ؟ قال : من ذهب أحمر . قال : صدقت يا محمد ، فالخامسة ؟ قال : من ياقوتة حمراء . قال : فالسادسة ؟ قال من فضّة بيضاء . قال فالسابعة ؟ قال : من ذهب . قال: صدقت يا محمد ، فأخبرني مافوق السماء السابعة ؟ قال : بحر الحيوان . قال : فما فوقه ؟ قال: بحر الظلمة . قال : فما فوقه ؟ قال: بحر النور . قال : فما فوقه ؟ قال : الحجب . قال : فما فوقه ؟ قال : سدرة المنتهى . قال : فما فوق سدرة المنتهى ؟ قال : جنّة المأوى. قال: فما فوق جنّة المأوى ؟ قال : حجاب المجد . قال :فما فوق حجاب المجد ؟ قال: حجاب الحمد . قال : فما فوق حجاب الحمد ؟ قال : حجاب الجبروت . قال : فمافوق حجاب الجبروت ؟ قال: حجاب العزّ . قال : فما فوق حجاب العزّ ؟ قال : حجاب العظمة . قال: فما فوق حجاب العظمة؟ قال : حجاب الكبرياء . قال : فمافوق حجاب الكبرياء؟ قال : الكرسيّ قال: صدقت يا محمد ، قال: قد اُوتيت علوم الأوّلين والآخرين وإنّك لتنطق بالحقّ اليقين . قال : فما فوق الكرسيّ ؟ قال : العرش . قال فما فوق العرش ؟ قال: الله تعالى وهو فوق الفوق و علمه تحت التحت . قال : صدقت يا محمد . قال : فأخبرني هل يستوي مخلوق على عرشه ؟ قال : معاذالله ياابن سلام . قال: صدقت يا محمد ، فأخبرني عن الشمس والقمر أهما مؤمنان أم كافران ؟ قال : ياابن سلام بل هما مؤمنان طائعان لله عزّ وجلّ مسخّران تحت قهر المشيّة . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني مابال الشمس والقمر لايستويان في الضوء والنور ؟ قال : ياابن سلام إنّ الله محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة نعمة من الله و فضلاً ، ولولا ذلك ماعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل .

قال: صدقت يا محمد ، فأخبرني عن الليل لم سمّي ليلاً ؟ قال: لأنّه يلايل الرجال من النساء جعله الله إلفاً ولباساً . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني لم سمّي النهار نهاراً ؟ قال : يا ابن سلام لأنّ فيه كلّ من الخلق يطلب معاشه . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني عن النجوم كم جزءاً هي ؟ قال : يا ابن سلام ثلاثة أجزاء : جزء منها بأركان العرش يصل ضوؤها إلى السماء السابعة ، والجزء الثاني بسماء الدنيا كأمثال القناديل المعلّقة و هي تضيء لسكّانها و ترمي الشياطين بشررها إذا استرقوا السمع ، و الجزء الثالث معلّقة في الهواء وهي ضوء البحار وما فيها وما عليها . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما بال النجوم تبان صغاراً وكباراً ؟ قال : يا ابن سلام لأنّ بينها و بين سماء الدنيا بحاراً تضرب الرياح أمواجها فتبان من تحتها صغاراً وكباراً ، ومقدار النجوم كلّها مقدار واحد . قال: صدقت يا محمد ، فأخبرني كم ريحاً بيننا و بين سماء الدنيا ؟ قال: ثلاثة أرياح : الريح العقيم الّتي اُرسلت على قوم عاد حملت الأشجار والثمار ، والريح الّتي هي سوداء مظلمة يعذّب بها أهل النار ، و [ريح] تحمل البحار ، و ريح لأهل الأرض بها حملت الأشجار والثمار تغدو في جوانبها ، ولولا تلك الريح لاحترقت الأرض و الجبال من حرّ الشمس . قال : صدقت يا محمد . فأخبرني عن حملة العرش كم هم صنفاً ؟ قال : ثمانون صنفاً ، طول كلّ صنف ألف ألف فرسخ ، وعرضه خمسمائة عام ، و رؤسهم تحت العرش وأقدامهم تحت سبع أرضين ، ولو أنّ طائراً يطير من اذن أحدهم اليمنى إلى اليسرى ألف سنة من سنين (١) الدنيا لم يبلغ إلى الاُذن الآخر حتّى يموت هرماً - أي شيخاً - لهم ثياب من درّ و ياقوت شعرهم كالزعفران ، طعامهم التسبيح ، و شرابهم التهليل . و الصنف الأوّل نصفه ثلج و نصفه نار لا يذيب النار الثلج ولا الثلج يطفيء النار ، و الصنف الثاني نصفه رعد و نصفه برق ، و الصنف الثالث نصفه ماء و نصفه مدر لا الماء يذيب المدر ولا المدر يذيب الماء ، و الصنف الرابع نصفه ريح و نصفه ماء لا الريح يهيّج الماء ولا الماء يسبق الريح . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن طائر يطير بين السماء و الأرض ليس له في السماء مكان ولا في الأرض مسكن ما هم يا محمد ؟ قال : يا ابن سلام تلك حيّات

(١) سنى (خ) .

أعرافها كأعراف الخيل تبيض في الجوّ على أذنابها ، و تفرخ على مناكبها في الهواء إلى يوم القيامة . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن مولود أشدّ من أبيه . قال : يا ابن سلام ذلك الحديد يولد من الحجر وهو أشدّ من الحجر. قال : صدقت يا محمّد ، قال : فأخبرني عن بقعة أصابتها الشمس مرّة واحدة فلا تعود إليها إلى يوم القيامة . قال : يا ابن سلام ذلك موضع أغرق الله فيه فرعون حين انفلق البحر و انطبق عليه . قال : صدقت يا محمّد فأخبرني عن بيت له اثنا عشر باباً اُخرّج منه اثنا عشر عيناً لاثني عشر سبطاً . قال النبيّ صلى الله عليه وآله : لمّا جاوز [موسى] بني[1] إسرائيل البحر و دخل بهم إلى البريّة فشكوا إلى موسى العطش فمرّ بحجر مربّع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك الحجر ، فضرب به موسى ، فانفجر منه اثنتا عشرة عيناً لاثني [2] عشر سبطاً من بني إسرائيل ، قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن نبيّ لا من الجنّ و الإنس ، ولا من الطير ولا من الوحش قال : يا ابن سلام ذلك النملة الّتي أنذرت قومها حين قالت « يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم [3] » قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن من أوحى الله إليه لا من الجنّ ولا من الملائكة ولا من الإنس ولا من الوحش ما هو ؟ قال : يا ابن سلام النحل أوحى الله إليها « أن اتّخذي من الجبال بيوتاً و من الشجر و ممّا يعرشون [4] » قال : صدقت يا محمّد قال : فأخبرني ما أوحى الله إليه من الأرض ما هو ؟ قال : يا ابن سلام أوحى الله إلى جبل طور سيناء أن ارفع موسى إلى السماء حتّى يتناول الألواح من ربّ العالمين . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن مخلوق أوّله عود و آخره روح . قال : يا ابن سلام تلك عصا موسى بن عمران ، أمره الله أن يلقيها في بيت المقدس فألقاها فإذا هي حيّة تسعى . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن ثلاث [5] ذكور لم يولدوا عن فحل . قال : يا ابن سلام ذلك عيسى بن مريم وآدم وكبش إسماعيل . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني

---

(١) كذا والظاهر « ببني اسرائيل » .

(٢) في اكثر النسخ « لاثنتى عشرة » .

(٣) النمل : ١٨ . (٤) النحل : ٦٨ .

(٥) كذا في جميع النسخ .

عن وسط الدنيا في أيّ موضع هو؟ قال : بيت المقدس ، قال : وكيف ذلك ؟ قال :لأنّ فيه المحشروالمنشر و الصراط والميزان . قال : صدقت يا مجّد ، قال : فأخبرني عن الفلك المشحون ما هو ؟ قال : يا ابن سلام ، السفن المبنيّة في البحر ، أما قرأت في التوراة « و حملناه على ذات ألواح و دسر [1] » ؟ قال : صدقت يا مجّد ، قال : ما الألواح ؟ قال : الأشجار الّتي سفقت [2] طولاً هي الألواح . فأخبرني عن الدسر . قال : يا ابن سلام المسامير و العوارض [من] الحديد . قال · صدقت يا مجّد ، قال : فأخبرني كم كان طول السفينة ؟ وكم عرضها ؟ وكم كان ارتفاعها ؟ قال : يا ابن سلام كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها مائة وخمسين ذراعاً وارتفاعها مائتي ذراع . قال : صدقت يا مجّد ، قال : فأخبرني من أين ركبها نوح ؟ قال : من العراق ، قال : أين ثبت ؟ قال : طافت بالبيت العتيق اُسبوعاً و ببيت المقدس اُسبوعاً و استوت على الجوديّ . قال · صدقت يا مجّد ، قال : فأخبرني عن البيت المعمور أين كان لمّا أغرق الله الدنيا ؟ قال : يا ابن سلام رفعه الله تعالى إلى السماء السابعة قبل الطوفان . قال : صدقت يا مجّد [قال : فأخبرني أين كانت الصخرة وقت الطوفان ؟] قال : و أمر الله تعالى أباقبيس أن يحمل الصخرة في بطنه . قال : فالبيت المقدّس لمّا أغرق الله الدنيا أين كان؟ قال : في جبل أبي قبيس . قال· صدقت يا مجّد ، فأخبرني عن مولود لم يشبه أباه وربما أشبه خاله وربما أشبه عمّه . قال· يا ابن سلام إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة المرأة على شهوة الرجل خرج الولد إلى خاله و إن غلبت شهوة الرجل على شهوة المرأة خرج إلى عمّه و إن استويا خرج الولد إلى اُمّه وأبيه . قال : صدقت يا مجّد .

أقول : في الرواية الاُخرى هكذا « قال : فأخبرني عن المولود إذا لم يشبه أباه و ربما يشبه خاله وعمّه . قال : إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة الرجل شهوة المرأة خرج الرجل بأبيه أشبه و إن غلبت شهوة المرأة خرج الولد باُمّه أشبه ، و إن استويا خرج شبيهاً بهما ، فإن سبقت شهوة الرجل خرج الولد بعمّه أشبه ، و إن سبقت

---

(١) القمر ، ١٣ .

(٢) في مخطوطة « شقت » .

شهوة المرأة كان الولد بخاله أشبه . قال : صدقت » رجعنا إلى الرواية الأولى :

قال : فأخبرني هل يعذّب الله عبده بلاحجّة ؟ قال : معاذالله ياابن سلام، إنّ الله تبارك وتعالى عدل لايجور في قضائه . قال : صدقت ، قال :فأخبرني عن أطفال المشركين في الجنّة أم في النار ؟ قال : ياابن سلام ، الله أولى بهم ، ولكن إذا كان يوم القيامة و جمع الخلق لفصل القضاء أمرالله تعالى بأطفال المشركين فيؤتى بهم فيقول لهم: عبادي و أبناء عبادي و إمائي ، من ربّكم ؟ وما دينكم ؟ وما أعمالكم ؟ فيقولون : اللّهمّ أنت ربّنا وأنت خالقنا ولم نكن شيئاً وأمتّنا ولم تجعل لنا لساناً ننطق به ولاعقلاً نعقل به ولا قوّة في الأعضاء نتعبّد بها ولاعلم لنا إلاّ ماعلّمتنا فيقول الله لهم ـ وهو أجلّ قائل ـ فالآن لكم ألسنة وعقول و قوّة للحركة في الأعضاء فإن أمرتكم بأمر ياعبادي تفعلوه؟ فيقولون : السمع والطاعة لك ياإلهنا وخالقنا و رازقنا ومالكنا . فيأمرالله تعالى [مالكا] فتزجر جهنّم حتّى تفور و يأمر أطفال المشركين : ألقوا أنفسكم في تلك النار . فمن سبق له في علم الله أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها ، فتكون النار عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم خليل الرحمن ، ومن سبق له في علم الله أن يكون شقيّاً امتنع أن يلقي نفسه في تلك النار فيكونون تبعاً لآبائهم واُمّهاتهم في النار، والفرقة الاُخرى يخرجون إلى الجنّة مع المؤمنين ، قال : صدقت ، [قال : بررت و بيّنت و أزلت الشكّ يامحمّد فزدني يقيناً] فأخبرني عن الأرض لم سمّيت أرضاً ؟ قال : لأنّها أرض يداس عليها . قال : فممّ خلقت ؟ قال : من زبرجد [من الزبد] قال : فالزبرجدة ممّ خلقت ؟ قال : من الموج ، قال : فالموج ممّ خلق ؟ قال : من البحر . قال : صدقت يامحمّد ، فكيف ذلك؟ قال : إنّ الله عزّوجلّ لمّا خلق البحر أمر الريح أن تضرب الأمواج بعضها في بعض فاضطرب الأمواج حتّى ظهر الزبد ، ثمّ أمرها أن تجتمع فاجتمعت ، ثمّ أمرها أن تلين فلانت ، ثمّ أمرها أن تعتدل فاعتدلت ، ثمّ أمرها أن تمتدّ فامتدّت فصارت أرضاً قال : صدقت يامحمّد ، فأخبرني من أين سكونها ؟ قال : من جبل قاف و هو أصل أوتاد الأرض الّتي نحن عليها . قال : فأخبرني ماتحت هذه الأرض ؟ قال : تحتها ثور،قال : وما صفته ؟ قال : ياابن سلام ، له أربع قوائم ، وهو قائم على صخرة بيضاء. قال:فأخبرني

ماصفته ؟ قال : ياابن سلام ، له أربعون قرناً و أربعون سنّاً ، رأسه بالمشرق و ذنبه بالمغرب وهو ساجد لله تعالى إلى يوم القيامة ، من القرن إلى القرن مسيرة خمسين ألف سنة . قال : صدقت يامحمّد ، فأخبرني ماتحت الصخرة ؟ قال: تحتها جبل يقال له الصعود. قال : و لمن ذلك الجبل ؟ قال : لأهل النار ، يصعده المشركون إلى يوم القيامة و هو مسيرة ألف سنة ـ حتّى إذا بلغوا أعلا ذلك الجبل ضربوا بمقامع فيسقطون إلى أسفله فيسحبون [1] على وجوههم . قال : صدقت يامحمّد ، فأخبرني ماتحت ذلك الجبل ؟ قال : أرض ، قال : وماأسمها ؟ قال : جارية ، قال : وما تحتها ؟ قال : بحر ، قال : وماأسمه؟ قال : سهك . قال : صدقت يامحمّد ، قال : فما تحت ذلك البحر ؟ قال : أرض ، قال : وما اسمها ؟ قال : ناعمة ، قال : وما تحتها ؟ قال : بحر ، قال : وما اسمه ؟ قال : الزاخر قال : وما تحته ؟ قال : أرض ، قال : وما اسمها ؟ قال : فسيحة ، قال : فصف لي هذه الأرض ، قال : ياابن سلام ، هي أرض بيضاء كالشمس و ريحها كالمسك وضوؤها كالقمر ونباتها كالزعفران يحشرون [2] عليها المتّقون يوم القيامة . قال : صدقت يامحمّد ، قال : فأخبرني أين تكون هذه الأرض الّتي نحن عليها اليوم؟ قال النبيّ ﷺ : ياابن سلام تبدّل هذه الأرض غيرها . قال : صدقت يامحمّد ، فأخبرني ماتحت تلك الأرض ؟ قال : البحر ، قال : وما اسمه ؟ قال : القمقام ، قال : ومافيه ؟ قال : الحوت ، قال: وماأسمه؟ قال : يهموت [3] قال : صدقت يامحمّد . قال : فصف لي الحوت . قال : ياابن سلام رأسه بالمشرق وذنبه بالمغرب . قال : فما على ظهره؟ قال : الأرض والبحار والظلمة والجبال. قال: فمابين عينيه؟ قال: سبعة أبحر في كلّ بحر سبعون ألف مدينة في كلّ مدينة ألف لواء تحت كلّ لواء سبعون ألف ملك. قال فمايقولون؟ قال: يقولون لاإله إلّاالله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيّ لايموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير. قال: صدقت يا محمّد ، فأخبرني ماتحت الريح ، قال : الظلمة ، قال : فماتحت الظلمة ؟ قال :

---

(١) في اكثر النسخ « فيسبحون » والصواب مافي المتن موافقاً لنسخة مخطوطة .

(٢) كذا والظاهر « يحشر » .

(٣) في بعض المخطوطات « بهموت » وفي بعضها « بلهوت » .

الثرى ، قال : فما تحت الثرى ؟ قال : لايعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ . قال : صدقت يا محمّد فأخبرني عن ثلاث من رياض الجنّة في الأرض أين تكون ؟ قال: يا ابن سلام ، أوّلها مكّة ، وثانيها بيت المقدس ، وثالثها مدينة محمّد . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن الجنّة في الدنيا . قال : أوّلها إرمذات العماد ، والثانية المنصورية[١] و هي مدينة بالشام ، و الثالثة قيساريّة وهي مدينة بساحل البحر في الشام ، والرابعة هي البلفاء وهي أرمنيّة[٢]. قال: صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن أربع منابر من منابر الجنّة في الدنيا أيّ موضع هي ؟ قال : يا ابن سلام ، أوّلها قيروان و هي إفريقيّة ، والثانية باب الأبواب وهي بأرض أرمنيّة[٣] ، والثالثة عبدان[٤] وهي بأرض العراق ، والرابعة بخراسان و هي خلف نهر يقال له جيحون . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن جهنّم في الدنيا . قال : يا ابن سلام ، أوّلها مدينة فرعون في أرض مصر ، والثانية أنطاكيّة وهي بأرض الشام ، و الثالثة بأرض سيحان وهي بأرض أرمنيّة[٥] الرابعة المدائن وهي بأرض العراق . قال : صدقت يا محمّد ، قال : فأخبرني عن أربعة أنهار في الدنيا و هي من أنهار الجنّة . قال : أوّلها الفرات و هو بأرض [٦] الشام ، و الثاني النيل وهو بأرض مصر ، والثالث نهر سيحان و هو نهر الهند ، و الرابع جيحون وهو بأرض بلخ . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن شيء لاشيء ، و شيء بعض شيء وشيء لايفنى[٧] منه شيء . قال : يا ابن سلام . أمّا شيء لاشيء فهي الدنيا يذهب نعيمها و يموت ساكنها ، ويخمد ضوءها ؛ وأمّا الشيء بعض الشيء وقوف الخلائق في صعيد واحد فهو شيء بعض شيء ، و أمّا شيء لايفنى [٨] منه شيء فالجنّة و النار لا يفنى[٩]

---

(١) المنصورة من بلاد الهند (خ) .

(٢ و٣) ارمينية (خ) (٤) عباذان (خ) .

(٥) ارمينية (خ) . (٦) فى حدود الشام (خ) .

(٧) فى اكثر النسخ « لايفنى » . والظاهر ان الصواب ما فى المتن موافقاً لبعض النسخ المخطوطة .

(٨) لايفنى (خ) . (٩) يفنى (خ) .

من الجنّة نعيمها ولا ينقص من النار عذابها ، فمن قال من العباد إنّ نعيمها يفنى [١] أو عذاب الله ينقضي فهو كافر بالله في كلّ شيء . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن جبل قاف ما خلفه؟ وما دونه؟ قال: يا ابن سلام ، خلفه أرض ذهب وسبعون أرضاً من فضّة وسبعة [٢] أرضين من مسك .

قال : فما سكّان هذه الأرضين ؟ قال الملائكة قال : كم طول كلّ أرض منها ؟ وكم عرضها ؟ قال : طول كلّ أرض منها عشرة آلاف سنة و عرضها كذلك قال: صدقت يا محمّد ، فما وراء ذلك ؟ قال : حجاب الريح ، قال : فما وراء ذلك ؟ قال [من صبح] [٣] كيف محيط بالدنيا كلّها تسبّح الله تعالى . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن أهل الجنّة يأكلون و يشربون ولا يتغوّطون ولا يبولون ؟ قال نعم يا ابن سلام ، مثلهم في الدنيا كمثل الجنين في بطن اُمّه يأكل ممّا تأكل اُمّه و يشرب ممّا تشربه ولا يبول ولا يتغوّط و لوراث في بطنها وبال لانشقّ بطنها .قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن أنهار الجنّة ماهي ؟ قال : يا ابن سلام ، لبن لم يتغيّر طعمه ، وخمر ، وعسل مصفّى ، وماء غير آسن قال : صدقت يا محمّد ، فجامدة هي أم جارية ؟ قال : بل جارية بين أشجارها . قال :فهل تنقص أم تزيد ؟ قال لا يا ابن سلام ، قال : فهل لذلك مثل في الدنيا ؟قال: نعم ، قال وما هو ؟ قال يا ابن سلام انظر إلى البحار تمطر فيها السماء و تمدّها الأنهار من الأرض فلا تزيد ولا تنقص قال : وصف لي أنهار الجنّة . قال : يا ابن سلام . في الجنّة نهر يقال له الكوثر رائحته أطيب من رائحة المسك الأذفر والعنبر ، حصاه الدرّ والياقوت عليه ختام من اللؤلؤ الأبيض ، و هو منزل أولياء الله تعالى .

قال : صدقت يا محمّد فصف لي أشجار الجنّة . قال : في الجنّة شجرة يقال لها طوبى ، أصلها من درّ و أغصانها من الزبرجد و ثمرها الجوهر ، ليس في الجنّة غرفة ولا حجرة ولا موضع إلّا وهي متدلّية عليه . قال : صدقت يا محمّد ، فهل في الدنيا لها من مثل ؟ قال : نعم ، الشمس المشرقة تشرق على بقاع الدنيا ولا يخلو من شعاعها مكان . قال : صدقت يا محمّد ، فهل في الجنّة ريح ؟ قال : نعم ، يا ابن سلام

(١) يفنى (خ) . (٢) كذا والظاهر « سبع » .
(٣) كذا ، وكان فيه تصحيفاً .

فيهاريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها الحياة [١] واللّذات يقال لها البهاء ،فإذا اشتاق أهل الجنّة أن يزوروا ربهّم هبّت تلك الريح عليهم [الّتي] لم تخلق من حرّ ولا من برد بل خلقت من نور العرش تنفخ في وجوههم ، فتبهي وجوههم وتطيب قلوبهم ويزدادوا نوراً على نورهم ، وتضرب أبواب الجنان ، وتجري الأنهار ، وتسبّح الأشجار و تغرّد الأطيار ، فلوأنّ من في السماوات والأرض قيام يسمعون مافي الجنّة من سرور و طرب لمات الخلائق شوقاً إلى الجنّة ، و الملائكة يدخلون عليهم [٢] فيقولون كما قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه العزيز « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين [٣] سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» [٤] قال : صدقت يا محمّد .

قال : فأخبرني عن أرض الجنّة ماهي ؟ قال : يا ابن سلام ، أرضها من ذهب ، و ترابها المسك والعنبر ، ورضراضها الدرّ والياقوت ، وسقفها عرش الرحمن . قال:صدقت يا محمّد ، فأخبرني ممّا يأكل أهل الجنّة إذا دخلوها ، قال : يا ابن سلام ، يأكلون من كبد الحوت الّذي يحمل الأرض و ماعليها و اسمه « بهموت » قال صدقت يا محمّد . قال : فأخبرني عن أهل الجنّة كيف يصرفون ما يأكلون من ثمارها ؟ و كيف يخرج من أجوافهم ؟ قال : يا ابن سلام ، ليس يخرج من أجوافهم شيء ، بل عرقاً صبّاً أطيب من المسك و أزكى من العنبر ، ولوأنّ عرق رجل من أهل الجنّة مزج به البحار لأسكر ما بين السماء و الأرض من طيب رائحته . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن لواء الحمد ما صفته ؟ وكم طوله ؟ وكم ارتفاعه ؟ قال : يا ابن سلام ، طوله ألف سنة ، و أسنانه من ياقوتة [حمراء و ياقوتة] خضراء ، قوائمه من فضّة بيضاء ، له ثلاث ذوائب من نور : ذؤابة بالمشرق ، وذؤابة بالمغرب ، والثالثة في وسط الدنيا. قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني كم سطر فيه مكتوب ؟ قال : ثلاثة أسطر: السطر الأوّل بسم الله الرحمن الرحيم ، والسطر

---

(١) الحباءات (خ) .
(٢) في اكثر النسخ « يدخلون عليهم الملائكة » .
(٣) الزمر : ٧٣ .
(٤) الرعد : ٢٦ .

الثاني الحمد لله ربّ العالمين ، والسطر الثالث لا إله إلاّ الله ، محمّد رسول الله . قال: صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن الجنّة و النار أيّتهما خلق الله قبل ؟ قال : يا ابن سلام ، خلق الله الجنّة قبل النار ، ولو خلق النار قبل الجنّة لخلق العذاب قبل الرحمة . قال : فأخبرني عن الجنّة أين هي ؟ قال : في السماء السابعة و النار في تخوم الأرض السفلى . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني كم للجنّة من باب ؟ وكم للنار من باب ؟ قال : يا ابن سلام للجنّة ثمانية أبواب ، و للنار سبعة أبواب . قال : فأخبرني كم بين الباب و الباب من الجنّة ؟ قال : مسيرة ألف سنة . قال : وكم ارتفاعه ؟ قال : خمسمائة عام ، عليه سرادق من ذهب بطانته من زمرّد ، على كلّ باب جند من الملائكة لا يحصي عددهم إلاّ الله تعالى . قال : فأخبرني فما[1] يقولون؟ قال: يقولون : طوبى لأهل الجنّة وما يلقون من نعيم الله . قال : فصف لي من يدخل الجنّة ، قال : يا ابن سلام ، يدخلونها أبناء ثلاثين و بنات ثلاثين سنة في حسن يوسف و طول آدم وخلق محمّد . قال : فصف لي بعض نعيم أهل الجنّة. قال : إنّ أدنى من في الجنّة ــ و ليس في الجنّة دنيّ ــ لو نزل به جميع من في الأرض لأوسعهم طعاماً ولا ينقص منه شيء ، ولو أنّ رجلاً من أهل الجنّة يبصق في البحار المالحة لعذبت ، ولو نزل من ذؤابته من السماء إلى الأرض بلغ ضوءها كضوء الشمس و نور القمر . قال : صدقت يا محمّد ، فصف لي الحور العين . قال : يا ابن سلام ، الحور العين بيض الوجوه ، فحام العيون بمنزلة جناح النسر ، صفاؤهنّ كصفاء اللؤلؤ الأبيض الّذي في الصدف الّذي لم تمسّه الأيدي . قال : فصف لي النار . قال : يا ابن سلام ، اُوقد عليها ألف عام حتّى احمرّت ، و ألف عام حتّى ابيضّت ، وألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة ممزوجة بغضب الله تعالى ، لا يهدأ لهيبها ، ولا يخمد جمرها . يا ابن سلام لو أنّ جمرة من جمرها اُلقيت في دار الدنيا لألهبت[2] ما بين المشرق و المغرب لعظم خلقها ، و هي سبعة أطباق : الطبقة الاُولى للمنافقين ، و الثانية للمجوس ، و الثالثة للنصارى ، و الرابعة لليهود ، والخامسة سقر ، والسادسة السعير ــ و أمسك النبيّ صلّى الله عليه وآله

(١) مما (خ) . (٢) لسدت (خ) .

عن السابعة و بكى حتّى ارفضّت[1] دموعه على لحيته و قال - أمّا السابعة وهي أهونها لأهل الكبائر من أمّتي . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن القيامة وكيف تقوم ؟ قال: يا ابن سلام ، إذا كان يوم القيامة كوّرت الشمس واسودّت ، و طمست النجوم ، وسيّرت الجبال ، و عطّلت العشار ، و بدّلت الأرض غير الأرض . قال : صدقت يا محمّد . قال: النبيّ صلى الله عليه وآله : يقام الخلائق لفصل القضاء ، و يمدّ الصراط ، و ينصب الميزان ، وتنشر الدواوين ، و يبرز الربّ لفصل القضاء . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني كيف يميت الله الخلائق يوم القيامة ؟ قال : يا ابن سلام ، يأمر الله ملك الموت فيقف على صخرة بيت المقدس ، فيضع يمينه على السماوات ويده اليسرى تحت الثرى ويصيح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ملك مقرّب ولا إنس ولا جانّ ولا طائر يطير إلّا خرّ ميّتاً ، فتبقى السماوات خالية من سكّانها ، و الأرض خراباً من عمّارها ، و العشار معطّلة ، و البحار جامدة حيتانها ، و الجبال مدكدكة ، و الشمس منكسفة ، و النجوم منطمسة . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عن ملك الموت هل يذوق الموت أم لا ؟ قال : يا ابن سلام ، إذا أمات الله الخلائق ولم يبق شيء له روح يقول الله عزّ وجلّ : يا ملك الموت ! من أبقيته من خلقي ؟ - و هو أعلم - فيقول : يا ربّ أنت أعلم منّي بما بقي من خلقك ، ما خلق إلّا وقد ذاق الموت إلّا عبدك الضعيف ملك الموت . فيقول الله عزّ و جلّ : يا ملك الموت أذقت عبادي و أنبيائي و أوليائي و رسلي الموت ، وقد سبق في علمي القديم - و أنا علّام الغيوب - أنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهي [و هذه نوبتك !] فيقول : إلهي و سيّدي ارحم عبدك ملك الموت فإنّه ضعيف . فيقول الله عزّ و جلّ له : يا ملك الموت ، ضع يمينك تحت خدّك الأيمن بين الجنّة و النار ومت .

قال عبدالله بن سلام : بأبي أنت و أمّي يا رسول الله ، وكم بين الجنّة و النار ؟ قال : مسيرة ثلاثين ألف سنة من سنين[2] الدنيا - فيضطجع ملك الموت على يمينه و يضع يده اليمنى تحت خدّه الأيمن ، و يده الشمال على وجهه و يصرخ صرخة فلو أنّ أهل السماوات و الأرض أحياء لماتوا لشدّة صرخته . قال : صدقت يا محمّد

(١) اى سالت وترششت .　　(٢) سنى (خ) .

فأخبرني مايصنع الله بالسماوات إذا مات سكّانها ؟ قال : يطويها بيمينه كطيّ السجلّ للكتب ثمّ يقول الله ـ جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه ولا إله غيره ولامعبود سواه ـ :أين الملوك و أبناء الملوك ؟ أين الجبابرة وأبناء الجبابرة ؟ فلا يجيبه أحد ، ثمّ يقول: لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيردّ على نفسه : الملك لله الواحد القهّار . اليوم تجزى كلّ نفس ماكسبت لاظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني كيف يحشر الله الخلائق يوم القيامة بعدموتهم ؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : ياابن سلام، يحيي الله إسرافيل وهو أوّل من يحييه من خدمه وهو صاحب الصور أوّلاً (١) فيأمره الله عزّ وجلّ أن ينفخ في الصور . قال :فأخبرني مايقول إسرافيل في الصور ؟ قال : ياابن سلام، يقول أيّتها العظام البالية ،والأعضاء المتفرّقة ،والشعور المنفصلة ، هلمّوا إلى العرض على الله تعالى الملك الجبّار خالق السماوات و الأرض ثمّ ينفخ في الصور (٢) اُخرى فإذاهم قيام ينظرون . قال : فكم طول كلّ نفخة ؟ قال : ميسرة أربعين ألف سنة . قال:صدقت يا محمّد ، فكم كلمة يتكلّم فيه إسرافيل ؟ قال : ستّ كلمات ، قال : وما تلك الكلمات ؟ قال : الكلمة الاُولى يكون الناس طيناً ، و الثانية يكونون صوراً ، و الكلمة الثالثة تستوي الأبدان ، والكلمة الرابعة يجري الدم في العروق ، والكلمة الخامسة ينبت الشعر والكلمة السادسة قوموا ، فإذاهم قيام ينظرون . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني كيف يقوم الخلائق يوم القيامة من القبور ؟ قال : ياابن سلام ، يقومون عراة حفاة أبدانهم خالية بطونهم ، مظلمة أبصارهم ،وجلة ! قال(٣) : الرجال ينظرون إلى النساء،والنساء ينظرون إلى الرجال ؟ قال : هيهات ياابن سلام ! لكلّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه من شدّة هول القيامة . قال : صدقت يا محمّد ، ثمّ أمسك ابن سلام عن الكلام ، قال : النبيّ صلى الله عليه وآله : سل عمّا شئت ياابن سلام ، فقال : الحمد لله الّذي منّ عليّ بالنظر إلى

---

(١) في مخطوطة ، وهو اول من يحييه من المقربين وهوصاحب الصور فيأمره الله...

(٢) فيه (خ) .

(٣) في بعض النسخ ، حال الرجال و النساء ، الرجال ـ الخ ـ و في بعضها « جال » بالجيم ، وفي بعضها ، قال ، الرجال الى النساء والنساء إلى الرجال ينظرون ؟

وجهك المليح ، فأخبرني إذا كان يوم القيامة أين يحشر الخلائق ؟ قال النبي ﷺ : يحشر الله الخلائق إلى بيت المقدس،قال : وكيف ذلك؟قال : يأمر الله عزّ وجلّ ناراً فتحيط بالدنيا و تضرب وجوه الخلائق فيهربون منها و يمرّون على وجوههم فيجتمعون إلى بيت المقدس قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني ما يصنع الله بالطفل الصغير والشيخ الكبير ؟ قال : يا ابن سلام ، من كان مؤمناً بالله سارت به الملائكة وانقضّت النار عن وجهه، ومن كان كافراً تلفح وجهه النار حتّى يؤتى به إلى بيت المقدس . قال : صدقت يا محمّد،فأخبرني كم تكون صفوف الخلائق ؟ قال : يا ابن سلام ، مائة وعشرون صفّاً . قال : فكم طول كلّ صفّ ؟ وكم عرضه ؟ قال: يا ابن سلام ، طوله مسيرة أربعين ألف سنة وعرضه عشرون ألف سنة ، قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني كم صفّ المؤمنين وكم صفّ الكافرين ؟ قال : صفوف المؤمنين ثلاث (١) صفوف ، ومائة وسبعة عشر صفّاً للكافرين . قال : صدقت يا محمّد قال : فما صفة المؤمنين ؟ وما صفة الكافرين ؟ قال : يا ابن سلام ، أمّا المؤمنون فغرٌّ محجّلون من أثر الوضوء و السجود ، و أمّا الكافرون فمسودّون الوجوه فيؤتى بهم إلى الصراط . قال : وكم طول الصراط ؟ قال مسيرة ثلاثون (٢) ألف سنة ، قال : صدقت يا محمّد فأخبرني كيف تمرّ الخلائق على الصراط ، قال : يا ابن سلام ، يكسو الله الخلائق نوراً فأمّا نور المسلمين ونور المؤمنين فمن نور العرش ، ونور الملائكة من نور الكرسيّ ونور الجنّة فلا يطفأ نورهم أبدا ، و أمّا الكافرون فمن الأرض والجبال . قال : فأخبرني عن أوّل من يجوز على الصراط ، قال : المؤمنون ، قال : صدقت يا محمّد ، فصف لي ذلك،قال: يا ابن سلام ، في المؤمنين من يجوز على الصراط عشرين عاماً فإذا بلغ أوّلهم الجنّة تركب الكفّار على الصراط ، حتّى إذا توسّطوا أطفأ الله نورهم فيبقون بلا نور،فينادون بالمؤمنين : انظرونا نقتبس من نوركم ، فيقال لهم : أليس فيكم الأنبياء والأصحاب و الإخوة ؟ فيقولون : أولم نكن معكم في دار الدنيا ؟ قالوا : « بلى و لكنّكم فتنتم أنفسكم وتربّصتم وارتبتم وغرّتكم الأمانيّ حتّى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور . فاليوم

(١) كذا ، والظاهر « ثلاثة » .

(٢) كذا ، والظاهر « ثلاثين » .

لايؤخذ منكم فدية ولامن الذين كفروا مأويكم النار هي موليكم وبئس المصير[١] » فيأمرالله عزّوجلّ جهنّم فتصيح بهم صيحة على وجوههم فيقعون في النار حيارى نادمين وينجوالمؤمنين[٢] ببركةالله وعونه. قال : صدقت يامحمّد فأخبرني مايصنعالله بالموت ؟قال : ياابن سلام ، إذااستوى أهل الجنّة فيالجنّة وأهل النار فيالنار اُتي بالموت كأنّه كبش أملح ، فيوقف بين الجنّة والنار ، فيقال لأهل الجنّة ياأولياءالله هذا الموت ،أتعرفونه فيقولون : نعم ، فيقولون لهم : نذبحه ؟ فيقولون : نعم ياملائكة ربّنا،اذبحوه حتّى لايكون موت أبداً . فيقولون لأهل النار : ياأعداء الله ! هذا الموت هل تعرفونه ؟ فيقولون : نعم ، فتقول الملائكة : نذبحه ؟ فيقولون : ياملائكة ربّنا لاتذبحوه و دعوه لعلّالله يقضي علينا بالموت فنستريح . قال النبيّ ﷺ : و يذبح الموت بين الجنّة والنار فييأس أهل النارمن الخروج منهاوتطمئنّ قلوب أهل الجنّة للخلود فيها،فعندي لك أن تسلم ، قال : صدقت يا محمّد ، [و نهض على قدميه] و قال : امدد يدك الشريفة أنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أنّك[٣] رسول الله ، و أنّالجنّة حقّ ، و الميزان حقّ ، والحساب حقّ ، والساعة آتية لاريب فيها ، وأنّالله يبعث من في القبور . فكبّرت الصحابة عند ذلك و سمّاه رسول الله « عبدالله[٤] بن سلام » وصار من الصحابة ونقمة على اليهود .

توضيح : إنّما أوردت هذه الرواية لاشتهارها بين الخاصّة و العامّة ، و ذكر الصدوق ـ ره ـ و غيره من أصحابنا أكثرأجزائها بأسانيدهم في مواضع ، وقد مرّ بعضها. و إنّما أوردتها فيهذا المجلّد لمناسبة أكثرأجزائه لأبوابه ، و في بعضها مخالفة مالسائر الأخبار ، فهي إمّا محمولة علىأنّه ﷺ أخبره موافقاًلما فيكتبهم ليصير سبباًلإسلامه

(١) الحديد ، ١٤ ـ ١٥ .
(٢) كذا ، في جميع النسخ ، والصواب « وينجوالمؤمنون » أو « وينجي المؤمنين » .
(٣) لرسول (خ) .
(٤) في اكثر النسخ « عبد سلام بن سلام » .

أو غير ذلك من الوجوه و المحامل الّتي تظهر على الناقد البصير ، و في بعضها تصحيفات نرجو من الله الظفر بنسخة اُخرى لتصحيحها .

قوله « كان نبيّا مرسلاً » كأنّ المعنى : هل كان في الجنّة نبيّاً مرسلاً ؟ فأجاب صلّى الله عليه و آله بأنّه كان نبيّاً مرسلاً على الملائكة حيث اُمر بإنبائهم . وفي عدّ إبراهيم من رسل العرب مخالفة للمشهور . قوله « فتشهد » أي ظاهراً . قوله « فتؤمن » أي باطناً و قلباً .

قوله « أربعة كتاب » لا يوافق الإجمال التفصيل ، و لعلّ في أحدهما خطأً أو تصحيفاً . و سؤاله « هل اُنزل عليك كتاب » بعد قوله « و أنزل عليّ الفرقان » لا يخلو من شيء إلّا أن يكون حمل ذلك على أنّه قدّر أنّه سينزل . و « ختمه صدق الله ... » يعني أنّه ينبغي أن يختم به ، لا أنّه جزؤه . و في القاموس : « بيسان » قرية بالشام ، و قرية بمرو ، و موضع باليمامة . أقول : و في بعض النسخ بالنون ، والأوّل أظهر ، و له شواهد . « ولم يكن في الرجال » أي مختصّاً بهم . قوله « لأنّ الله واحد » كأنّه على هذا يعني يوم الأحد يوم الله . قوله « لأنّه يوم » لعلّ المعنى : أوّل يوم مع أنّ وجه التسمية لايلزم اطّراده . قوله « وعلمه تحت التحت » أي أحاط علمه بكلّ تحت ولا ينافي ارتفاع ذاته و علوّه على كلّ شيء إحاطة علمه بكلّ شيء ممّا في العرش أو تحت الثرى .

و في القاموس : غرد الطائر ــ كفرح ــ و غرّد تغريداً و أغرد و تغرّد : رفع صوته و طرب به . و في النهاية : الرضراض : الحصا الصغار . قوله « فحام العيون » لعلّه من الفحمة بمعنى السواد . و في القاموس : العشراء من النوق الّتي مضت لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أوهي كالنفساء من النساء ، والجمع : عشراوات و عشار ، والعشار اسم يقع على النوق حتّى ينتج بعضها و بعضها ينتظر نتاجها . وقال : الدكداك[1] ــ و يكسر ــ من الرمل ما تكبس و استوى و ما التبد منه بالأرض أوهي أرض فيها غلظ ، و

---

(١) في القاموس : الدكدك و يكسر و الدكداك من الرمل . الخ و ينتهي الى قوله « مدعوكه » . ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

أرض مدكدكة مدعوكة كثر بها الناس فكثر آثار المال و الأبوال حتّى تفسدها. انتهى. و انقضاض النار عن وجهه كناية عن سرعة ذهابها عنه و عدم إضرارها به كما ينقضّ الطائر أو الكوكب في الهواء . و « تلفح وجهه النار » أي تحرقه . و قال في النهاية : فيه « أمّتي الغرّ المحجّلون » أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي و الأقدام . استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الّذي يكون في وجه الفرس و يديه و رجليه (١) .

---

(١) النهاية ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

﴿ أبواب ﴾

✿ (الانسان و الروح و البدن و أجزاله و قواهما و أحوالهما) ✿

٣٨

﴿ باب ﴾

✿ (أنه لم سمى الانسان انساناً و المرأة مرأة و النساء نساءاً) ✿
✿ (و الحواء حواء) ✿

١ ـ **العلل** : عن عليّ بن أحمدبن محمّد بن جعفر الأسديّ ، عن معاوية بن‌حكيم عن ابن‌أبي‌عمير ، عن بعض‌أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمّي الإنسان‌إنساناً لأنّه ينسى ، و قال الله عزّوجلّ « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي [١] » .

بيان : الإنسان فعلان عند البصريّين لموافقته مع الاُنس لفظاً و معنىً ، و قال الكوفيّون : هو إفعان من « نسي » أصله إنسيان على إفعلان ، فحذفت الياء استخفافاً لكثرة ما يجري على ألسنتهم فإذا صغّروه ردّوه إلى أصله لأنّ التصغير لا يكثر ، و هذا الخبر يدلّ على مذهب الكوفيّين ، و رواه العامّة عن ابن‌عبّاس أيضاً قال الخليل في كتاب العين : سمّي الإنسان من النسيان ، و الإنسان في الأصل : إنسيان ، لأنّ جماعته أناسيّ ، و تصغيره اُنيسيان ، بترجيع المدّة الّتي حذفت و هو[٢] الياء وكذلك إنسان العين . و حكى الشيخ في التبيان عن ابن عبّاس أنّه قال : إنّما سمّي إنساناً لأنّه عهد إليه فنسي . قال الله تعالى « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً » وقال الراغب في‌مفرداته : الإنسان ، قيل : سمّي بذلك لأنّه خُلق‌خلقة‌لاقوام

---

(١) العلل ، ج ١ ، ص ١٤ . و الاية في سورة طه ، آية ١١٥ .

(٢) كذا ، و الصواب : وهي .

له إلّا بأُنس بعضهم ببعض ، و لهذا قيل : الإنسان مدنيّ بالطبع ، من حيث إنّه لاقوام لبعضهم إلّا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه . و قيل : سمّي بذلك لأنّه يأنس بكلّ ما يألفه . و قيل : هو إفعلان و أصله إنسيان سمّي بذلك لأنّه عهد إليه فنسي .

٢ ـ **العلل** : عن عليّ بن أحمد بن محمّد ، عن محمّد بن أبي عبدالله الكوفيّ ، عن موسى بن عمران النخعيّ ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفليّ ، عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمّيت المرأة مرأة لأنّها خلقت من المرء ، يعني خلقت حوّاء من آدم [1] .

٣ ـ **معاني الاخبار** : مرسلاً : معنى الإنسان أنّه ينسى ، ومعنى النساء أنّهنّ اُنس للرجال ، و معنى المرأة أنّها خلقت من المرء [2] .

بيان : كون النساء من الأنس إمّا مبنيّ على القلب ، أو على الاشتقاق الكبير أو على أنّه إذا أنسوا بهنّ نسوا غيرهنّ فاشتقاقه من النسيان .

٤ ـ **الدر المنثور** : عن ابن عبّاس قال : خلق الله آدم من أديم الأرض يوم الجمعة بعد العصر ، فسمّاه آدم ، ثمّ عهد إليه فنسي ، فسمّاه الإنسان . قال ابن عبّاس فبالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتّى اُهبط من الجنّة . قال : و إنّما سمّيت المرأة مرأة لأنّها خلقت من المرء ، و سمّيت حوّاء لأنّها اُمّ كلّ حيّ [3] .

٥ ـ العلل لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم : قال : كان مكث آدم في الجنّة نصف ساعة ثمّ اُهبط إلى الأرض لتمام تسع ساعات من يوم الجمعة وذلك في وقت صلوة العصر قال : و سمّيت العصر لأنّ آدم عصر بالبلاء . قال : ألقى الله النوم على آدم فأخذ ضلعه القصير [4] من جانبه الأيسر فخلق منه حوّاء فلم يؤذه ذلك ، ولو آذاه ذلك ما عطف عليها أبداً . فقال آدم : ماهذه ؟ قال : هذه امرأة لأنّها من المرء خلقت ، قال : مااسمها؟ قال : حوّاء ، لأنّها خلقت من شيء حيّ . فقال ابن عبّاس : سمّيت حوّاء لأنّها اُمّ

---

(١) العلل ، ج ١ ، ص ١٦ . (٢) معاني الاخبار ، ٤٨ .
(٣) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٥٢ . (٤) القصيرى (خ) .

كلّ حيّ . قال جعفر : سمّين النساء لاُنس آدم بحوّاء حين اُهبط إلى الأرض ولم يكن له اُنس غيرها .

فائدة : اعلم أنّه قد اتّفقت كلمة المليّين من المسلمين و اليهود و النصارى على أنّ أوّل البشر هو آدم ، و أمّا الآخرون فخالفوا فيه على أقوال : أمّا الفلاسفة فزعموا أنّه لا أوّل لنوع البشر ولا لغيرهم من الأنواع المتوالدة ، و أمّا الهند فمن كان منهم على رأي الفلاسفة فهو يوافقهم في ما ذكر ، و من لم يكن منهم على رأي الفلاسفة وقال بحدوث الأجسام لا يثبت[1] آدم و يقول : إنّ الله تعالى خلق الأفلاك وخلق فيها طباعاً محرّكة لها بذاتها فلمّا تحرّكت وحشوها أجسام لاستحالة الخلاُ و كانت الأجسام على طبيعة واحدة فاختلفت طبائعها بالحركة الفلكيّة ، و كان القريب من الفلك أسخن و ألطف ، و البعيد أبرد و أكثف ، ثمّ اختلطت العناصر وتكوّنت منها المركّبات ، وممّا تكوّن منه نوع البشر كما يتكوّن الدود في الفاكهة و اللحم ، و البقّ في البطائح و المواضع العفنة ، ثمّ تكوّن البشر بعضه من بعض بالتوالد ، و نسي التخليق الأوّل الّذي كان بالتولّد ، ومن الممكن أن يقول : يتولّد بعض البشر في بعض الأراضي القاصية مخلوقة بالتولّد ، و إنّما انقطع التولّد لأنّ الطبيعة إذا وجدت للتكوّن[2] طريقاً استغنت عن طريق ثان . و أمّا المجوس فلا يعرفون آدم ، ولا نوحاً ولا ساماً ولا حاماً و[لا] يافث . و أوّل متكوّن من البشر عندهم كيومرث ، و لقبه كوهشاه أي ملك الجبل وقد كان كيومرث في الجبال ، ومنهم من يسمّيه گلشاه أي ملك الطين لأنّه لم يكن حينئذ بشر يملكهم . و قيل : تفسير كيومرث : حيّ ناطق ميّت ، قالوا : و كان قد رزق من الحسّ ما لا يقع عليه بصر حيوان إلّا وله واُغمي عليه . و يزعمون أنّ مبدأ تكوّنه وحدوثه أنّ يزدان و هو الصانع الأوّل عندهم فكّر في أمر أهرمن ــ و هو الشيطان عندهم ــ فكرة أوجبت أن عرق جبينه ، فمسح العرق و رمى به فصارت منه كيومرث . ولهم خبط طويل في كيفيّة تكوّن أهرمن عن فكرة يزدان أو من إعجابه بنفسه أو من توحّشه ، و

---

(١) لم يثبت (خ) .

(٢) للكون (خ) .

بينهم خلاف في قدم أهرمن و حدوثه . ثمّ اختلفوا في مدّة بقاء كيومرث في الوجود، فقال الأكثرون : ثلاثون سنة ، و قال الأقلّون : أربعون سنة ، وقال قوم منهم : إنّ كيومرث مكث في الجنّة الّتي في السماء ثلاثة آلاف سنة ، وهي : ألف الحمل ، و ألف الثور، و ألف الجوزاء ؛ ثمّ اُهبط إلى الأرض و كان بها آمناً مطمئنّاً ثلاثة آلاف سنة اُخرى وهي : ألف السرطان ، و ألف الأسد ، و ألف السنبلة ؛ ثمّ مكث بعد ذلك ثلاثين أو أربعين سنة في حرب و خصام بينه و بين أهرمن حتّى هلك . و اختلفوا في كيفيّة هلاكه مع اتّفاقهم على أنّه هلك قتلاً ، فالأكثرون قالوا : إنّه قتل ابناً لأهرمن يسمّى «جزوز» فاستغاث أهرمن منه إلى يزدان ، فلم يجد بدّاً من أن يقاصّه حفظاً للعهود الّتي كانت بينه و بين أهرمن ، فقتله بابن أهرمن . و قال قوم : بل قتله أهرمن في صراع كان بينه و بين أهرمن ، و ذكروا في كيفيّته أنّ كيومرث كان هو القاهر لأهرمن في بادىء الحال و أنّه ركبه و جعل يطوف به في العالم إلى أن سأله أهرمن عن أيّ الأشياء أخوف(١) و أهولها عنده . فقال له : باب جهنّم ، فلمّا بلغ به أهرمن إليها جمح به حتّى سقط من فوقه ولم يستمسك ، فعلاه و سأله عن أيّ الجهات يبتدىء به في الأكل ، فقال له : من جهة الرّجل لأكون (٢) ناظراً حسن العالم مدّة ما ، فابتدأه أهرمن فأكله من عند رأسه فبلغ إلى موضع الخصي و أوعية المنيّ من الصلب ، فقطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض ، فنبت منهما ريباستان في جبل باصطخر، ثمّ ظهرت على تينك الريباستين الأعضاء البشريّة في أوّل الشهر التاسع و تمّت أجزاؤه فتصوّر منهما بشران : ذكر و اُنثى ، و هما ميشا و ميشانه ، وهما بمنزلة آدم وحوّاء عند المليّين ، ويسمّيهما مجوس خوارزم : مرد ، و مردانه ، و زعموا أنّهما مكثا خمسين سنة مستغنيين عن الطعام و الشراب منعمين غير متأذّيين بشيء حتّى ظهر لهما أهرمن في صورة شيخ كبير فحملهما على تناول فواكه الأشجار وأكل منها و هما يبصرانه شيخاً فعاد شابّاً ، فأكلا منها حينئذ فوقعا في البلايا ، و ظهر فيهما الحرص حتّى تزاوجا و ولد لهما ولد فأكلاه حرصاً ثمّ

(١) اخوف له (خ)

(٢) فاكون (خ) .

ألقى الله تعالى في قلوبهما رأفة فولد بعد ذلك ستّة أبطن كلّ بطن ذكراً و اُنثى ، وأسماؤهم في كتاب زردشت معروفة ، ثمّ كان البطن السابع « سيامك » و« فرواك » فتزاوجا ، فولد لهما الملك المعروف الّذي لم يعرف قبله ملك ، و هو هوشنج . و هو الّذي خلف جدّه كيومرث و عقد التاج و جلس على السرير و بنى مدينتين : بابل ، و السوس .

أقول : هذه هي الخرافات الّتي ذكروها ، و الآيات و الأخبار ناطقة بما هو الحقّ المبين و تبطل أقوال الفرق المضلّين .

٣٩

« باب »

(فضل الانسان و تفضيله على الملك و بعض جوامع أحواله)

الآيات :

البقرة : و إذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة ـ إلى قوله سبحانه ـ و كان من الكافرين [1] .

الانعام : وهوالّذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون [2] .

الحجر : ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون [3] .

الاسراء : ولقد كرّمنا بني آدم و حملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات و فضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً [4] .

الانبياء : خلق الإنسان من عجل [5] .

الفرقان : وهوالّذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديراً [6].

---

(١) البقرة : ٣٠ ـ ٣٤ .
(٢) الانعام : ٩٨ .
(٣) الحجر : ٢٦ .
(٤) الاسراء : ٧٠ .
(٥) الانبياء : ٣٧ .
(٦) الفرقان : ٥٤ .

الروم : الله الّذي خلقكم من ضعف ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة يخلق ما يشاء و هو العليم القدير [١] .

الاحزاب : إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً ليعذّب الله المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً [٢] .

فاطر : و من الناس و الدوابّ و الأنعام مختلف ألوانه كذلك [٣] .

يس : سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض و من أنفسهم و ممّا لا يعلمون [٤] .

الصافات : إنّا خلقناهم من طين لازب [٥] .

الزمر : خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها [٦] .

المؤمن : و صوّركم فأحسن صوركم و رزقكم من الطيّبات [٧] .

الرحمن : خلق الإنسان علّمه البيان [٨] . و قال تعالى : خلق الإنسان من صلصال كالفخّار [٩] .

التغابن : هو الّذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير [١٠] .

البلد : لاأُقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالاً لبداً أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين [١١] .

التين : لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثمّ رددناه أسفل سافلين [١٢] .

---

(١) الروم ، ٥٣ . (٢) الاحزاب ، ٧٢ ـ ٧٣ .
(٣) فاطر ، ٢٨ . (٤) يس : ٣٦ .
(٥) الصافات : ١١ . (٦) الزمر ، ٦ .
(٧) المؤمن ، ٦٣ . (٨) الرحمن ، ٣ ـ ٤
(٩) الرحمن ، ١٤ . (١٠) التغابن : ٢ .
(١١) البلد : ١ ـ ١٠ . (١٢) التين ، ٤ ـ ٥

العلق : اقرأ باسم ربّك الّذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربّك الأكرم الّذي علّم بالقلم علّم الإنسان مالم يعلم [1] .

تفسير : « و إذقال ربّك للملائكة » هذه الآيات ممّا استدلّ به على تفضيل الإنسان على الملائكة ، و سيأتي وجه الاستدلال بها . « من نفس واحدة » أي من آدم عليه السلام لأنّ الله تعالى خلقنا منه جميعاً ، وخلق حوّاء من فضل طينته ، أومن ضلع من أضلاعه ، ومنّ علينا بهذا لأنّ الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى التألّف « فمستقرّ و مستودع » أي مستقرّ في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر،أو مستقرّ في بطون الاُمّهات ومستودع في الأصلاب ، أومستقرّ على ظهر الأرض فيالدنيا و مستودع عند الله في الآخرة ، أو مستقرّها أيّام حياتها و مستودعها حيث [2] يموت وحيث يبعث ، أو مستقرّ في القبر ومستودع في الدنيا ، أو مستقرّ فيهالإيمان ومستودع يسلب منه كما ورد في الخبر .

« من صلصال » أي طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر ، وقيل : من صلصل إذا نتن تضعيف صلّ . « من حمأ » من طين تغيّر واسودّ منطول مجاورة الماء . « مسنون » أي مصوّر من سنّة الوجه،أومصبوب ليبيس ،أومصوّركالجواهر المذابة تصبّ فيالقوالب من السنّ وهو الصبّ ، كأنّه أفرغ الحمأ فصوّر منهاتمثال إنسان أجوف ، فيبس حتّى نقر وصلصل ، ثمّ غيّرذلك طوراً بعد طورحتّى سوّاه ونفخ فيه من روحه ، أومنتن من سننت الحجر علىالحجر إذا حككته به فإنّ مايسيل منهما يكون منتناً يسمّى سنين .

« ولقد كرّمنا بني آدم » قال الرازيّ : اعلم أنّ الإنسان جوهر مركّب من النفس والبدن،فالنفس الإنسانيّة أشرف النفوسالموجودة فيالعالم السفليّ ،لأنّ النفس النباتية قواها الأصليّة ثلاثة وهي : الاغتذاء ، والنموّ ، والتوليد . و النفسالحيوانيّة لهاقوّتان اُخريان : الحاسّة ، والمحرّكة بالاختيار .ثمّ إنّ النفسالإنسانيّة مختصّة بقوّة اُخرى ، وهي القوّة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي ، وهي الّتي يتجلّى

---

(١) العلق : ١-٥ .

(٢) حين (خ) .

فيها نور معرفة الله ، و يشرق فيها ضوء كبريائه ، و هو الّذي يطّلع على أسرار عالمي الخلق و الأمر ، و يحيط بأقسام مخلوقات الله من الأرواح و الأجسام كما هي ، و هذه القوّة من سنخ الجواهر القدسيّة ، و الأرواح المجرّدة الإلهيّة ، فهذه القوّة لا نسبة لها في الشرف و الفضل إلى تلك القوى الخمسة النباتيّة و الحيوانيّة ، و إذا كان الأمر كذلك ظهر أنّ النفس الإنسانيّة أشرف النفوس الموجودة في هذا العالم . و أمّا بيان أنّ البدن الإنسانيّ أشرف أجسام هذا العالم فالمفسّرون ذكروا أشياء :

أحدها : روى ميمون بن مهران عن ابن عبّاس في قوله « ولقد كرّمنا بني آدم » قال : كلّ شيء يأكل بفيه إلّا ابن آدم ، فإنّه يأكل بيديه . عن الرشيد أنّه اُحضرت الأطعمة عنده ، فدعا بالملاعق و عنده أبو يوسف فقال له : جاء في تفسير [1] قوله تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم » : و جعلنا لهم أصابع يأكلون بها ، فاُحضرت الملاعق فردّها و أكل بأصابعه .

و ثانيها : قال الضحّاك : بالنطق و التميّز [2] و تحقيق الكلام أنّ من عرف شيئاً فإمّا أن يعجز عن تعريف غيره كونه عارفاً بذلك الشيء أو يقدر على هذا التعريف أمّا القسم الأوّل فهو جملة حال الحيوان سوى الإنسان ، فإنّه إذا حصل في باطنها ألم أو لذّة فإنّها تعجز عن تعريف غيرها تلك الأحوال تعريفاً تامّاً وافياً . و أمّا القسم الثاني فهو الإنسان ، فإنّه يمكنه تعريف غيره كلّ ماعرفه و وقف عليه و أحاط به فكونه قادراً على هذا النوع من التعريف هو المراد بكونه ناطقاً . و بهذا البيان يظهر أنّ الإنسان الأخرس داخل في هذا الوصف ، لأنّه و إن عجز عن تعريف غيره مافي قلبه بطريق اللسان فإنّه يمكنه ذلك بطريق الإشارة و بطريق الكتابة وغيرهما، ولا يدخل فيه الببغاء ، لأنّه و إن قدر على تعريفات قليلة فلاقدرة له على تعريف جميع الأحوال على سبيل الكمال والتمام .

وثالثها : قال عطاء بامتداد القامة . و اعلم أنّ هذا الكلام غير تمام ، لأنّ

---

(١) في المصدر : جاء في التفسير عن جدك في قوله ...

(٢) فيه ، التمييز .

الأشجار أطول قامةً من الإنسان ، بل ينبغي أن يشرط فيه شرط ، وهوطول القامة مع استكمال القوّة العقليّة و القوّة الحسّيّة والحركيّة .

ورابعها : قال يمان: بحسن الصورة،والدليل عليه قوله تعالى «وصوّركم فأحسن صوركم»،ولمّا ذكرالله تعالى خلقة الانسان قال «فتبارك الله أحسن الخالقين » وقال « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة» وإن شئت فتأمّل عضواً واحداً من أعضاء الإنسان وهوالعين، فخلق الحدقة سوداء ، ثمّ أحاط بذلك السواد بياض العين ، ثمّ أحاط بذلك البياض سواد الأشفار ، ثمّ أحاط بذلك السواد بياض الأجفان ، ثمّ خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين ، ثمّ خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ، ثمّ خلق فوق الجبهة سوادالشعر. وليكن هذا المثال الواحد اُنموذجاً لك في هذا الباب .

وخامسها قال بعضهم : من كرامات الآدميّ أن آتاه الله الخطّ . وتحقيق الكلام في هذا الباب أنّ العلم الّذي يقدر الإنسان الواحد على استنباطه يكون قليلاً ، أمّا إذا استنبط الإنسان علماً و أودعه في الكتاب وجاء الإنسان الثاني و استعان بهذا الكتاب وضمّ إليه من عند نفسه أشياء اُخرى، ثمّ لايزالون يتعاقبون وضمّ كلّ متأخّر مباحث كثيرة إلى علوم المتقدّمين ، كثرت العلوم وقويت الفضائل و المعارف ، وانتهت المباحث العقليّة و المطالب الشرعيّة أقصى الغايات و أكمل النهايات ، و معلوم أنّ هذا الباب لايتأتّى إلّا بواسطة الخطّ و الكتب ، ولهذه الفضيلة الكاملة قال تعالى « اقرأ و ربّك الأكرم الّذي علّم بالقلم علّم الإنسان مالم يعلم » .

و سادسها أنّ أجسام هذا العالم إمّا البسائط و إمّا المركّبات ، أمّا البسائط فهي الأرض ، والماء ، والهواء ،والنار . والإنسان ينتفع بكلّ هذه الأربعة ، أمّا الأرض فهي لنا كالاُمّ الحاضنة ، قال تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً اُخرى » وقد سمّاه الله تعالى بأسماء بالنسبة إلينا ، وهي : الفراش ، و المهاد ، و المهد و أمّا الماء فانتفاعنا في الشرب و الزراعة و الحراثة ظاهر ، و أيضاً سخّر البحر لنأكل لحماً طريّاً و نستخرج منه حلية نلبسها و نرى الفلك مواخر . و أمّا الهواء فهو مادّة حياتنا ، ولولا هبوب الرياح لاستولي النتن على هذه المعمورة . و أمّا النار فبها طبخ

الأغذية و الأشربة و نضجها ، وهي قائمة مقام الشمس والقمر في الليالي المظلمة ، وهي الدافعة لضرر البرد . و أمّا المركّبات فهي إمّا الآثار[١] العلويّة ، و إمّا المعادن ، وإمّا النبات ، و إمّا الحيوان . و الإنسان كالمستولي على كلّ هذه الأقسام و المنتفع بها و المستسخر لكلّ أقسامها، فهذا العالم بأسرهاجرى مجرى قرية معمورة وخان مغلة[٢] و جميع منافعها و مصالحها مصروفة إلى الإنسان والإنسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع ، وسائر الحيوانات بالنسبة إليه كالعبيد ، و كلّ ذلك يدلّ على كونه مخصوصاً من عندالله بمزيد التكريم و التفضيل .

و سابعها أنّ المخلوقات تنقسم إلى أربعة أقسام : إلى ماحصلت له هذه القوّة العقليّة الحكميّة ولم تحصل له القوّة الشهوانيّة وهم الملائكة ، وإلى مايكون بالعكس وهم البهائم ، و إلى ماخلا عن القسمين وهوالنبات والجمادات ، و إلى ماحصل النوعان فيه وهو الإنسان ، ولا شكّ أنّ الإنسان لكونه مستجمعاً للقوّة العقليّة القدسيّة و القوّة الشهوانيّة البهيميّة و الغضبيّة السبعيّة يكون أفضل من البهيمة والسبع، ولا شكّ أيضاً أنّه أفضل من الأجسام الخالية عن القوّتين مثل النبات و المعادن والجمادات و إذا ثبت ذلك ظهر أنّ الله تعالى فضّل الإنسان على أكثر أقسام المخلوقات . بقي ههنا بحث في أنّ الملك أفضل من[٣] البشر ، والمعنى أنّ الجوهر البسيط الموصوف بالقوّة العقليّة القدسيّة المحضة أفضل[٤] من البشر المستجمع لهاتين القوّتين ، و ذلك بحث آخر .

و ثامنها الموجود إمّا أن يكون أزليّاً و أبديّاً معاً و هو الله سبحانه ، و إمّاأن لا يكون أزليّاً ولا أبديّاً وهوعالم الدنيا مع كلّ ما فيه من المعادن و النبات والحيوان و هذا أخسّ الأقسام ، و إمّا أن يكون أزليّاً ولا يكون أبديّاً ، و هذا ممتنع الوجود لأنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه ، و إمّا أن لا يكون أزليّاً و لكنّه يكون أبديّاً و هو

---

(١) كذا في المصدر ، و في بعض النسخ « الاباء » و في بعضها « الايات » .

(٢) في المصدر : معد .

(٣و٤) في المصدر « أم » في الموضعين .

الإنسان و الملك ، ولا شكّ أنّ هذا القسم أشرف من القسم الثاني و الثالث ، و ذلك يقتضي كون الإنسان أشرف من أكثر المخلوقات .

و تاسعها العالم العلويّ أشرف من العالم السفليّ ، و روح الإنسان من جنس الأرواح العلويّة و الجواهر القدسيّة ، وليس في موجودات العالم السفليّ شيء حصل من العالم العلويّ إلّا الإنسان ، فوجب كون الإنسان أشرف موجودات العالم السفليّ .

وعاشرها أشرف الموجودات هو الله تعالى ، و إذا كان كذلك فكلّ موجود كان قربه من الله أتمّ وجب أن يكون أشرف ، لكن أقرب موجودات هذا العالم من الله تعالى هو الإنسان ، بسبب أنّ قلبه مستنير بمعرفة الله ، ولسانه مشرّف بذكر الله ، وجوارحه وأعضاؤه مكرمة بطاعة الله ، فوجب الجزم بأنّ أشرف موجودات هذا العالم السفليّ هو الإنسان ، و لمّا ثبت أنّ الإنسان موجود ممكن لذاته لا يوجد إلّا بإيجاد الواجب لذاته ثبت أنّ كلّما حصل للإنسان من المراتب العالية و الصفات الشريفة فهي إنّما حصلت بإحسان الله وإنعامه ، فلهذا المعنى قال تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم » و من تمام كرامته على الله أنّه لمّا خلقه في أوّل الأمر وصف نفسه بأنّه أكرم ، فقال « اقرأ باسم ربّك الّذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ و ربّك الأكرم الّذي علّم بالقلم » و وصف نفسه بالتكريم عند تربية الإنسان فقال « ولقد كرّمنا بني آدم » و وصف نفسه بالكرم في آخر أحوال الإنسان فقال : « يا أيّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم » و هذا يدلّ على أنّه لا نهاية لكرم الله تعالى و تفضّله و إحسانه مع الإنسان .

الحادى عشر قال بعضهم : هذا التكريم معناه أنّه تعالى خلق آدم بيده و خلق غيره بطريق كن فيكون ، و من كان مخلوقاً بيدي الله كانت العناية به أتمّ ، فكان [1] أكرم و أكمل ، و لمّا جعلنا من أولاده وجب كون بني آدم أكرم و أكمل .

« و حملناهم في البرّ و البحر » قال ابن عبّاس : في البرّ على الخيل و البغال و الحمير و الإبل ، و في البحر على السفن ، و هذا أيضاً من مؤكّدات التكريم المذكور

(١) في بعض النسخ « أتم و اكمل » و في المصدر : كانت العناية به أتم و أكمل وكان أكرم و أكمل .

أولاً ، لأنّه تعالى سخّر هذه الدوابّ له حتّى يركبها و يحمل عليها و يغزو و يقاتل و يذبّ عن نفسه . و كذلك تسخير الله تعالى المياه و السفن و غيرهما ليركبها و ينقل عليها و يتكسّب بها بما [1] يختصّ به ابن آدم ، كلّ ذلك ممّا يدلّ على أنّ الإنسان في هذا العالم كالرّئيس المتبوع و الملك المطاع .

« و رزقناهم من الطيّبات » و ذلك لأنّ الأغذية إمّا حيوانيّة و إمّا إنسانيّة و كلا القسمين فإنّ الإنسان إنّما يغتذي بألطف أنواعها و أشرف أقسامها بعد التنقية التامّة و الطبخ الكامل و النضج البالغ ، وذلك ممّا لا يصلح إلّا للإنسان . «وفضّلناهم» الفرق بين التفضيل والتكريم أنّه تعالى فضّل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقيّة طبيعيّة ذاتيّة مثل العقل و النطق والخطّ و الصورة الحسنة والقامة المديدة ، ثمّ إنّه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل و الفهم لاكتساب العقائد الحقّة و الأخلاق الفاضلة فالأوّل هو التكريم و الثاني هو التفضيل .

« على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً » لم يقل : و فضّلناهم على الكلّ ، فهذا يدلّ على أنّه حصل في مخلوقات الله تعالى شيء لا يكون الإنسان مفضّلاً عليه ، و كلّ من أثبت هذا القسم قال إنّه هو الملائكة ، فلزم القول بأنّ الملك أفضل من الإنسان ، و هذا القول مذهب ابن عبّاس و اختيار الرجّاج على مارواه الواحديّ في البسيط .

و اعلم أنّ هذا الكلام مشتمل على بحثين :

احدهما أنّ الأنبياء أفضل أم الملائكة ، وقد سبق القول فيه في سورة البقرة .

و الثاني أنّ عوامّ الملائكة وعوامّ المؤمنين أيّهما أفضل ، منهم من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة ، و احتجّوا عليه بما روي عن زيد بن أسلم أنّه قال : قالت الملائكة : ربّنا إنّك أعطيت بني آدم دنيا [2] يأكلون فيها و يتنعّمون ولم تعطنا ذلك في الآخرة ، فقال تعالى : و عزّتي و جلالي لا أجعل ذرّيّة من خلقت بيديّ كمن قلت له «كن» فكان . فقال أبو هريرة : المؤمن أكرم على الله من الملائكة الّذين عنده ، هكذا

---

(١) في المصدر : مما .

(٢) « : الدنيا .

أورده الواحديّ في البسيط . و أمّا القائلون بأنّ الملك أفضل من البشر على الإطلاق فقد عوّلوا على هذه الآية و هو في الحقيقة تمسّك بدليل الخطاب [١] (انتهى) .

و قال الطبرسيّ - قدّس سرّه - : استدلّ بعضهم بهذا على أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء ، قال : لأنّ قوله « على كثير » يدلّ على أنّ ههنا من لم يفضّلهم عليه، و ليس إلّا الملائكة ، لأنّ بني آدم أفضل من كلّ حيوان سوى الملائكة بالاتّفاق ، وهذا باطل من وجوه :

أحدها أنّ التفضيل ههنالم يرد به الثواب ، لأنّ الثواب لا يجوز التفضيل به ابتداءاً ، وإنّما المرادبذلك مافضّلهمالله به من فنون النعم الّتي عددنا بعضها .

و ثانيها أنّ المراد بالكثير الجميع ، فوضع الكثير موضع الجميع ، والمعنى: أنّا فضّلناهم على من خلقنا وهم كثير ، كما يقال : بذلت له العريض من جاهي ، وأبحته المنيع من حريمي . ولا يراد بذلك أنّي بذلت له عريض جاهي و منعته ما ليس بعريض و أبحته منيع حريمي ولم اُبحه ما ليس منيعاً ، بل المقصود أنّي بذلت له جاهي الّذي من صفته أنّه عريض ، و في القرآن و محاورات العرب من ذلك مالا يحصى ، ولا يخفى ذلك على من عرف كلامهم .

و ثالثها أنّه إذا سلّم أنّ المراد بالتفضيل زيادة الثواب و أنّ لفظة « من » في قوله « ممّن خلقنا » تفيد التبعيض فلا يمتنع أن يكون جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم ، لأنّ الفضل في الملائكة عامّ لجميعهم أو أكثرهم ، و الفضل من [٢] بني آدم يختصّ بقليل من كثير ، و على هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء أفضل من الملائكة و إن كان جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم [٣] (انتهى) .

وأقول : كلامه - ره - في هذه الآية مأخوذ ممّا سننقله عن السيّد المرتضى - رضي الله عنه - .

---

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٢١ ، ص ١٢ - ١٦ .

(٢) في المصدر : في .

(٣) مجمع البيان : ج ٦ ، ص ٤٢٩ .

« خلق الإنسان من عجل » قال البيضاوي : كأنّه خلق منه لفرط استعجاله و قلّة تأنّيه ، كقولك : خلق زيد من الكرم ، وجعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع ، هو منه مبالغة في لزومه له ، و لذلك قيل : إنّه على القلب ، ومن عجلته مبادرته إلى الكفر و استعجاله الوعيد [١] (انتهى) و في تفسير عليّ بن إبراهيم قال : لمّا أجرى الله في آدم الروح [٢] من قدميه فبلغت إلى ركبتيه أراد أن يقوم فلم يقدر ، فقال الله : خلق الإنسان من عجل [٣] .

« خلق من الماء بشراً » قيل : يعني الّذي خمّر به طينة آدم ثمّ جعله جزءاً من مادّة البشر ليجتمع و يسلس و يقبل الأشكال بسهولة ، أوالنطفة « فجعله نسباً وصهراً » أي فقسمه قسمين: ذوي نسب ، أي ذكوراً ينسب إليهم ؛ و ذوات صهر، أي إناثاً يصاهر بهنّ « و كان ربّك قديراً » حيث خلق من مادّة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة و طباع متباعدة ، و جعله قسمين متقابلين .

و روي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال : إنّ الله تبارك و تعالى خلق آدم من الماء العذب وخلق زوجته من سنخه فبرأها من أسفل أعضائه ، فجرى بذلك الضلع بينهما سبب و نسب ثمّ زوّجها إيّاه ، فجرى بينهما بسبب ذلك صهر ، فذلك قوله « نسباً وصهراً » فالنسب ماكان بسبب الرجال ، والصهر ماكان بسبب النسآء ، وقد أوردناأخباراًكثيرة فيأبواب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : أنّهانزلت فيالنبيّ وأميرالمؤمنين و تزويج فاطمة صلوات الله عليهم .

« الله الّذي خلقكم من ضعف » قيل : أي ابتدأكم ضعفاء ، أو خلقكم من أصل ضعيف و هو النطفة « ثمّ جعل من بعد ضعف قوّةً » و هو بلوغكم الأشدّ « ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة » إذا أخذ منكم السنّ « يخلق ما يشاء » من ضعف و قوّة و شيبة [٤] .

---

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٨٢ .
(٢) فى المصدر : روحه .
(٣) تفسير القمى : ٤٢٩ .
(٤) فى بعض النسخ المخطوطة : شبيبة و شيبة .

« إنّا عرضنا الأمانة » هذه الآية من المتشابهات ، وقد اختلف في تأويله المفسّرون والروايات على وجوه :

الاول : أنّ المراد بالأمانة التكليف بالأوامر و النواهي ، و المراد بعرضها على السماوات و الأرض و الجبال العرض على أهلها ، وعرضها عليهم هو تعريفه إيّاهم أنّ في تضييع الأمانة الإثم العظيم ، و كذلك في ترك أوامر الله تعالى و أحكامه ، فبيّن سبحانه جرأة الإنسان على المعاصي و إشفاق الملائكة من ذلك ، فيكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات والأرض و الجبال من الملائكة و الإنس و الجنّ « فأبين أن يحملنها » أي فأبى أهلهنّ أن يحملوا تركها و عقابها والمأثم فيها « و أشفقن منها » أي أشفق أهلهنّ عن[1] حملها « وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً » لنفسه بارتكاب المعاصي « جهولاً » بموضع الأمانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها ، فالمراد بحمل الأمانة تضييعها . قال الزجّاج : كلّ من خان الأمانة فقد حملها ، ومن لم يحمل الأمانة فقد أدّاها .

والثاني : أنّ معنى « عرضنا » عارضنا وقابلنا ، فإنّ عرض الشيء على الشيء و معارضته به سواء و المعنى أنّ هذه الأمانة في جلالة موقعها و عظم شأنها لوقيست السماوات و الأرض والجبال و عورضت بها لكانت هذه الأمانة أرجح و أثقل وزناً ، و معنى قوله « فأبين أن يحملنها » ضعفن عن حملها كذلك « وأشفقن منها » لأنّ الشفقة ضعف القلب ، و لذلك صار كنايةً عن الخوف الّذي يضعف عنده القلب ، ثمّ قال : إنّ هذه الأمانة الّتي من صفتها أنّها أعظم من هذه الأشياء العظيمة تقلّدها الإنسان ، فلم يحفظها بل حملها وضيّعها لظلمه على نفسه ولجهله بمبلغ الثواب والعقاب .

والثالث ماذكره البيضاويّ حيث قال : تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة ، و سمّاها أمانةً من حيث إنّها واجبة الأداء ، والمعنى أنّها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور و إدراك لأبين أن يحملنها ، وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته لاجرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين « إنّه

(١) من (خ) .

كان ظلوماً » حيث لم يف بها ولم يراع حقّها « جهولاً » بكنه عاقبتها ، وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب [١] (انتهى) .

و قال الطبرسيّ ـ قدّس سرّه ـ : إنّه على وجه التقدير أجرى [٢] عليه لفظ الواقع ، لأنّ الواقع أبلغ من المقدّر ، معناه : لوكانت السماوات و الأرض و الجبال عاقلةً ثمّ عرضت عليها الأمانة وهي وظائف الدين اُصولاً وفروعاً عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدّتها وقوّتها ، ولامتنعت من حملها خوفاً من القصور عن أداء حقّها ، ثمّ حملها الإنسان مع ضعف جسمه ، ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله ، وعلى هذا يحمل ماروي عن ابن عبّاس أنّها عرضت على نفس السماوات و الأرض فامتنعت من حملها .

و الرابع أنّ معنى العرض و الإباء ليس هو على مايفهم بظاهر الكلام ، بل المراد تعظيم شأن الأمانة ، لامخاطبة الجماد ، والعرب تقول « سألت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب » و إنّما هو إخبار عن الحال عبّر عنه بذكر الجواب و السؤال ، و تقول « أتى فلان بكذب لاتحمله الجبال » وقال سبحانه « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » و خطاب من لايفهم لايصحّ . فالأمانة على هذا ما أودع الله سبحانه السماوات و الأرض و الجبال من الدلائل على وحدانيّته و ربوبيّته فأظهرتها والإنسان الكافر كتمها وجحدها لظلمه [٣] . ويرجع إليه ماقيل : المراد بالأمانة الطاعة الّتي تعمّ الطبيعيّة و الاختياريّة ، و بعرضها استدعاؤها الّذي يعمّ طلب الفعل من المختار و إرادة صدوره من غيره ، و بحملها الخيانة فيها و الامتناع عن أدائها ، و منه قولهم « حامل الأمانة ومحتملها » لمن لايؤدّيها فتبرأ ذمّته ، فيكون الإباء عنه إتياناً بما يمكن أن يتأتّى منه ، والظلم والجهالة للخيانة و التقصير .

والخامس ماقيل : إنّه تعالى لمّا خلق هذه الأجرام فيها فهماً [٤] و قال لها :

---

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

(٢) في المصدر : الا انه اجرى ..

(٣) مجمع البيان : ج ٨ ، ص ٣٧٤ .

(٤) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا والظاهر « جعل فيها فهماً » .

إنّي قدفرضت فريضة و خلقت جنّة لمن أطاعني فيها ، و ناراً لمن عصاني ، فقلن: نحن مسخّرات على ماخلقتنا ، لانحتمل فريضة ولا نبغي ثواباً ولا عقاباً ، و لمّا خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فتحمّله ، و كان ظلوماً لنفسه بتحمّله مايشقّ عليها جهولاً بوخامة عاقبته .

والسادس ماقيل : إنّ المراد بالأمانة العقل و التكليف ، و بعرضها عليهنّ اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهنّ ، و بإبائهنّ الإباء الطبيعيّ الّذي هو عدم اللياقة و الاستعداد ، و بحمل الإنسان قابليّته و استعداده لها ، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة و الشهويّة ، و على هذا يحسن أن يكون علّة للحمل عليه فإنّ من فوائد العقل أن يكون مهيمناً على القوّتين ،حافظاً لهما عن التعدّي ومجاوزة الحدّ (١) ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما .

و السابع أنّ المراد بالأمانة أداء الأمانة ضدّ الخيانة ، أو قبولها ، و تصحيح تتمّة الآية على أحد الوجوه المتقدّمة .

الثامن : أنّ المراد بالأمانة الإمامة (٢) و الخلافة الكبرى ، و حملها ادّعاؤها بغير حقّ ، و المراد بالإنسان أبوبكر ، وقد وردت الأخبار الكثيرة في ذلك أوردتهافي كتاب الإمامة وغيرها ، فقد روي بأسانيد عن الرضا عليه السلام قال : الأمانة الولاية من ادّعاها بغير حقّ كفر ، و قال عليّ بن إبراهيم : الأمانة هي الإمامة والأمر و النهي ، عرضت على السماوات والأرض والجبال « فأبين أن يحملنها » قال: أبين أن يدّعوها أو يغصبوها أهلها « و أشفقن منها و حملها الإنسان » الأوّل « إنّه كان ظلوماً جهولاً (١) » . و عن الصادق عليه السلام : الأمانة الولاية ، و الإنسان أبو الشرور المنافق . و عن الباقر عليه السلام : هي الولاية ، أبين أن يحملنها كفراً ، و حملها الإنسان ، و الإنسان أبوفلان .

و ممّا يدلّ على أنّ المراد بها التكليف ماروي أنّ عليّاً عليه السلام كان إذا حضر وقت

---

(١) الحدود (خ) .

(٢) الامارة (خ) .

(١) تفسير على بن ابراهيم : ٥٣٥ (مقطعاً) .

الصلوة تغيّر لونه ، فسئل عن ذلك فقال : حضر وقت أمانة عرضها الله على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها .

و ممّا يدلّ على كون المراد بها الأمانة المعروفة ما في نهج البلاغة في جملة وصاياه للمسلمين : ثمّ أداء الأمانة ، فقدخاب من ليس من أهلها ، إنّها عرضت على السماوات المبنيّة ، و الأرض المدحوّة ، و الجبال ذات الطول المنصوبة ، فلا أطول ولا أعرض ولا أعظم منها ، ولو امتنع شيء منها بطول أو عرض أو قوّة أو عزّ لامتنعن ، و لكن أشفقن من العقوبة ، و عقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ وهو الإنسان ، إنّه كان ظلوماً جهولاً .

وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول : ابتع لي ثوباً ، فيطلب في السوق فيكون عنده مثل ما يجدله في السوق ، فيعطيه من عنده ، قال : لا يقربنّ هذا ولا يدنّس نفسه ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول : « إنّا عرضنا الأمانة ــ الآية ــ » .

والحقّ أنّ الجميع داخل في الآية بحسب بطونها ، كما قيل : إنّ المراد بالأمانة التكليف بالعبوديّة لله على وجهها و التقرّب بها إلى الله سبحانه كما ينبغي لكلّ عبد بحسب استعداده لها ، و أعظمها الخلافة الإلهيّة لأهلها ، ثمّ تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها ، و عدم ادّعاء منزلتها لنفسه ، ثمّ سائر التكاليف ، و المراد بعرضها على السماوات و الأرض و الجبال النظر إلى استعدادهنّ لذلك ، وبإبائهنّ الإباء الطبيعي الّذي هو عبارة عن عدم اللياقة ، وتحمّل الإنسان إيّاها تحمّله لها من غير استحقاق تكبّراً على أهلها ، أومع تقصيره بحسب وصف الجنس باعتبار الأغلب ، فهذه معانيها الكلّيّة و كلّ ماورد في تأويلها في مقام يرجع إلى هذه الحقائق كما يظهر عند التدبّر والتوفيق من الله سبحانه .

قال السيّد المرتضى ــ رضي الله عنه ــ في أجوبة المسائل العكبريّة حيث سئل عن تفسير هذه الآية : إنّه لم يكن عرض في الحقيقة على السماوات والأرض والجبال بقول صريح أو دليل ينوب مناب القول ، و إنّما الكلام في هذه الآية مجاز اُريد به الإيضاح عن عظم الأمانة و ثقل التكليف بها و شدّته على الإنسان ، و إنّ السماوات و الأرض و الجبال لو كانت ممّا يقبل لأبت حمل الأمانة ولم تؤدّ مع ذلك حقّها ، و

نظير ذلك قوله تعالى « تكاد السماوات يتفطّرن منه و تنشقّ الأرض و تخرّ الجبال هدّا [١] » ، و معلوم أنّ السماوات و الأرض و الجبال جماد لاتعرف الكفر من الإيمان ولكنّ المعنى في ذلك إعظام ما فعله المبطلون ، وتفوّه به الضالّون ، وأقدم به المجرمون من الكفر بالله تعالى ، و أنّه من عظمه جارٍ مجرى ما يثقل باعتماده على السماوات و الأرض و الجبال ، و أنّ الوزر به كذلك ، و كان الكلام في معناه ما جاء به التنزيل مجازاً و استعارة كما ذكرناه ، و مثل ذلك قوله تعالى « و إنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار ـ الآية ـ [٢] » و معلوم أنّ الحجارة جماد لايعلم فيخشى أو يرجو ويؤمّل و إنّما المراد بذلك تعظيم الوزر في معصية الله تعالى و ما يجب أن يكون العبد عليه من خشية الله [تعالى] وقد بيّن الله ذلك بقوله في نظير ما ذكرناه « ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال ـ الآية ـ [٣] » فبيّن بهذا المثل عن جلالة القرآن و عظم قدره وعلوّ شانه و أنّه لو كان كلام يكون به ماعدّه ووصفه لكان بالقرآن لعظم قدره على سائر الكلام وقد قيل : إنّ المعنى في قوله « إنّا عرضنا الأمانة » عرضها على أهل السماوات وأهل الأرض و أهل الجبال ، والعرب يخبر عن أهل الموضع بذكر الموضع و يسمّيهم باسمه قال الله تعالى « و اسأل القرية الّتي كنّا فيها و العير [٤] » يريد أهل القرية و أهل العير و كان العرض على أهل السماوات و أهل الأرض وأهل الجبال قبل خلق آدم وخيّروا بين التكليف لما كلّفه آدم و بنوه فأشفقوا من التفريط فيه واستعفوا منه فأُعفوا ، فتكلّفه الإنسان ففرّط فيه ، وليست الآية على ما ظنّه السائل أنّها هي الوديعة و ما في بابها و لكنّها التكليف الّذي وصفناه . و لقوم من أصحاب الحديث الذاهبين إلى الإمامة جواب تعلّقوا به من جهة بعض الأخبار و هي أنّ الأمانة هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام ، و أنّها عرضت قبل خلق آدم على السماوات و الأرض و الجبال ليأتوا بها على شروطها فأبين من حملها على ذلك خوفاً من تضييع الحقّ فيها و كلّفها الناس فتكلّفوها ، ولم يؤدّ أكثرهم حقّها (انتهى) .

---

(١) مريم : ٩١ .　　(٢) البقرة ، ٧٤ .
(٣) الرعد : ٣٣ .　　(٤) يوسف ، ٨٢ .

« ليعذّب الله المنافقين » تعليل للحمل من حيث إنّه نتيجة كالتأديب للضرب في « ضربته تأديباً » و ذكر التوبة في الوعد إشعار بأنّ كونهم ظلوماً جهولاً في جبلّتهم لايخلّيهم عن فرطات « وكان الله غفوراً رحيماً » حيث تاب على فرطاتهم، وأثاب بالفوز على طاعاتهم . « كذلك » أي كاختلاف الثمار والجبال .

« خلق الأزواج كلّها » أي الأنواع والأصناف « ممّا تنبت الأرض » من النبات و الشجر « و من أنفسهم » الذكر و الأنثى « و ممّا لايعلمون » أي و أزواجاً ممّا لم يطلعهم الله عليه ، ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته ، و سيأتي تأويل آخر برواية عليّ ابن إبراهيم .

« من طين لازب » أي ممتزج متماسك يلزم بعضه بعضاً ، يقال : طين لازب يلزق باليد لاشتداده ، وقال عليّ بن إبراهيم : يعني يلزق[1] باليد . « ثمّ جعل منهازوجها» أي من جزئها ، أومن طينتها ، أومن نوعها ، أولأجلها ولانتفاعها .

« فأحسن صوركم » بأن خلقكم منتصب القامة ، بادي البشرة ، متناسب الأعضاء و التخطيطات ، متهيّأ لمزاولة الصنائع و اكتساب الكمالات « و رزقكم من الطيّبات » أي اللّذائذ .

« علّمه البيان » قيل : إيماء بأنّ خلق البشر وما يميّز به عن سائر الحيوانات من البيان ، وهو التعبير عمّا في الضمير و إفهام الغير لما أدركه لتلقّي الوحي و تعرّف الحقّ وتعلّم الشرع . و في تفسير عليّ بن إبراهيم : عن أبيه ، عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام في قوله « الرحمن علّم القرآن » قال : الله علّم محمداً القرآن ، قلت : « خلق الإنسان » ؟ قال : ذلك أمير المؤمنين ، قلت : « علّمه البيان » ؟ قال : علّمه تبيان كلّ شيء يحتاج الناس إليه ـ الخبر ـ[2].

« من صلصال كالفخّار » قيل : الصلصال الطين اليابس الّذي له صلصلة ، والفخّار الخزف ، وقد خلق الله آدم من تراب جعله طيناً ، ثمّ حمأ مسنوناً ، ثمّ صلصالاً ، فلايخالف

(١) في المصدر : يلصق . تفسيرالقمي : ٥٥٥ .

(٢) تفسير القمي : ٦٥٨ .

ذلك قوله « من تراب » ونحوه .

« فمنكم كافر » أي يصير كافراً ، أوكان في علم الله أنّه كافر . و في الكافي وتفسير عليّ ابن إبراهيم ، عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن تفسير هذه الآية فقال : عرف الله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذرّ (١) .

« لقد خلقنا الإنسان في كبد » قيل : في تعب ومشقّة ، فإنّه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وقال عليّ بن إبراهيم : أي منتصباً (٢) . وسيأتي تفسيره في الخبر أنّه منتصب في بطن أمّه .

« ألم نجعل له عينين » يبصر بهما « ولساناً » يترجم عن ضمائره « وشفتين » يستر بهما فاه ، و يستعين بهما على النطق و الأكل و الشرب و غيرها « و هديناه النجدين » طريقي الخير و الشر ، وقيل : الثديين ، وأصله المكان المرتفع . و في الكافي عن الصادق عليه السلام : نجد الخير والشرّ . و في مجمع البيان عن أمير المؤمنين عليه السلام : سبيل الخير و سبيل الشرّ . وعنه عليه السلام أنّه قيل له : إنّ أناساً يقولون في قوله « و هديناه النجدين » إنّهما الثديان ، فقال : لا ، هما الخير والشرّ (٣) .

« لقد خلقنا الإنسان » قيل : يريد به الجنس « في أحسن تقويم » أي تعديل بأن خصّ بانتصاب القامة و حسن الصورة و استجماع خواصّ الكائنات و نظائر سائر الممكنات « ثمّ رددناه أسفل سافلين » بأن جعلناه من أهل النّار ، أو إلى أسفل سافلين و هو النار ، و قيل : أرذل العمر ، و قال عليّ بن إبراهيم : نزلت في الأوّل ، و في المناقب عن الكاظم عليه السلام قال : الإنسان الأوّل ، ثمّ رددناه أسفل سافلين ببغضه أمير المؤمنين .

واقول : على سبيل الاحتمال يمكن أن يكون ردّه إلى أسفل سافلين ابتلاؤه بالقوى الشهوانيّة والعلائق الجسمانيّة ، فإنّ روحه كان من عالم القدس ، فلمّا ابتلي

---

(١) الكافي ، ج ١ ، ص ٤١٣ ، وتفسير القمي ، ٦٨٢ .

(٢) تفسير القمي ، ٧٢٥

(٣) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٤٩٤ .

بعد التعلّق بالبدن بالصفات البهيميّة و العلائق الدنيّة (١) فقد تنزّل من أعلى علّيّين إلى أسفل سافلين ، فهم باقون في تلك الدركات منهمكون في تلك التعلّقات « إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصالحات » فإنّهم نفضوا عن أذيالهم أدناس تلك النشأة الفانية،واختاروا الدرجات العالية ، فرجعوا إلى النشأة الاُولى وتعلقت أرواحهم بالملاء الأعلى، فصاروا أشرف من الملائكة المقرّبين ، وسكنوا في غرفات الجنان آمنين .

« باسم ربّك الّذي خلق » أي جميع المخلوقات على مقتضى حكمته . و عن الباقر عليه‌السلام : خلق نورك القديم قبل الأشياء « من علق » أي من دم جامد بعد النطفة « الّذي علّم بالقلم » قال عليّ بن إبراهيم علّم الإنسان بالكتابة (٢) الّتي بها يتمّ اُمور الدنيا في مشارق الأرض و مغاربها (٣) . « علّم الإنسان مالم يعلم » من أنواع الهدى و البيان ، و قال عليّ بن إبراهيم : قال : يعني علّم عليّاً من الكتابة لك ما لم يعلم قبل ذلك (٤) . قيل : عدّد سبحانه مبدأ أمر الإنسان و منتهاه إظهاراً لما أنعم عليه من نقله من أخسّ المراتب إلى أعلاها تقريراً لربوبيّته و تحقيقاً لأكرميّته .

فائدة : اعلم أنّ المسلمين اختلفوا في تفضيل الملائكة على البشر أو العكس، فذهب أكثر الأشاعرة إلى أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة ، وصرّح بعضهم بأنّ عوامّ البشر من المؤمنين أفضل من عوامّ الملائكة ، و خواصّ الملائكة أفضل من عوامّ البشر أي غير الأنبياء ، و ذهب أكثر المعتزلة إلى أنّ الملائكة أفضل من جميع البشر ، ولا خلاف بين الإماميّة في أنّ الأنبياء و الأئمّة عليهم‌السلام أفضل من جميع الملائكة ، والأخبار في ذلك مستفيضة أوردنا [ها] في كتاب النبوّة و سائر مجلّدات الحجّة ، و أمّا سائر المؤمنين ففي فضل كلّهم أو بعضهم على جميع الملائكة أو بعضهم ، فلا يظهر من الآيات والأخبار ظهوراً بيّناً يمكن الحكم بأحد الجانبين ، فنحن فيه من المتوقّفين .

قال الشيخ المفيد ـ قدّس الله سرّه (٥) ـ في كتاب المقالات : اتّفقت الإماميّة على أنّ أنبياء الله و رسله من البشر أفضل من الملائكة ، و وافقهم على ذلك أصحاب

---

(١) المدنية (خ) . (٢) في المصدر : الكتابة .
(٣ و ٤) تفسير القمي ، ٧٣١ . (٥) روحه (خ) .

الحديث ، و أجمعت المعتزلة على خلاف ذلك ، وزعم الجمهور منهم أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء و الرسل ، و قال نفر منهم سوى من ذكرناه بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الآخر ، و كان اختلافهم في هذا الباب على ما وصفناه و إجماعهم على خلاف القطع بفضل الأنبياء على الملائكة [عليهم السلام] حسب ما شرحناه .

ثمّ قال : أمّا الرسل من الملائكة و الأنبياء عليهم السلام فقولي فيهم مع أئمّة آل محمّد عليهم السلام كقولي في الأنبياء و الرسل عليهم السلام ، و أمّا باقي الملائكة فإنّهم وإن بلغوا بالملائكة فضلاً ، فالأئمّة من آل محمّد عليهم السلام أفضل منهم و أعظم ثواباً عندالله عزّ وجلّ بأدلّة ليس موضعها هذا الكتاب (انتهى) .

وقال صاحب الياقوت : الأنبياء أفضل من الملائكة ، لاختصاصهم بشرف الرسالة مع مشقّة التكليف . و قال العلّامة ــ قدّس سرّه ــ في شرحه : اختلف الناس في ذلك فذهب [1] الإماميّة و جماعة من الأشاعرة إلى أنّ الأنبياء عليهم السلام أشرف من الملائكة وقالت المعتزلة والفلاسفة : بل الملائكة أشرف . وقال الصدوق ــ قدّس سرّه ــ في رسالة العقائد : اعتقادنا في الأنبياء و الرسل و الحجج عليهم السلام أنّهم أفضل من الملائكة ، ثمّ ذكر الدلائل و بسط القول فيها كما ذكرناه في كتاب الإمامة .

و قال السيّد الشريف المرتضى ــ رضي الله عنه ــ في كتاب الغرر والدرر في تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام : اعلم أنّه لا طريق من جهة العقل إلى القطع بفضل مكلّف على الآخر ، لأنّ الفضل المراعى في هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب ، ولا سبيل إلى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات ، لأنّ الطاعتين قد تتساوى في ظاهر الأمر حالهما و إن زاد ثواب واحدة على الاُخرى زيادةً عظيمة ، و إذا لم يكن للعقل في ذلك مجال فالمرجع فيه إلى السمع ، فإن دلّ سمع مقطوع به من ذلك على شيء عوّل عليه ، وإلّا كان الواجب التوقّف عنه و الشكّ فيه ، و ليس في القرآن ولا في سمع مقطوع على صحّته ما يدلّ على فضل نبيّ على ملك ولا ملك على نبيّ . و سنبيّن أنّ آية واحدة ممّا يتعلّق به في تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام يمكن أن يستدلّ بها

(١) فذهبت (خ) .

على ضرب من الترتيب نذكره .

و المعتمد - في القطع على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة - على إجماع الشيعة الإماميّة على ذلك ، لأنّهم لا يختلفون في هذا ، بل يزيدون عليه و يذهبون إلى أنّ الأئمّة عليهم السلام أفضل من الملائكة أجمعين ، و إجماعهم حجّة ، لأنّ المعصوم في جملتهم وقد بيّنّا في مواضع من كتبنا كيفيّة الاستدلال بهذه الطريقة ، و رتّبناه و أجبنا عن كلّ سؤال يسأل عنه فيها ، و بيّنّا كيف الطريق مع غيبة الإمام إلى العلم بمذاهبه و أقواله ، و شرحنا ذلك ، فلامعنى للتشاغل به ههنا . و يمكن أن يستدلّ على ذلك بأمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، و أنّه يقتضي تعظيمه عليهم و تقديمه و إكرامه و إذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه و تقديمه على الفاضل علمنا أنّ آدم عليه السلام أفضل من الملائكة ، و كلّ من قال إنّ آدم أفضل من الملائكة ذهب إلى أنّ جميع الأنبياء عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة ، ولا أحد من الأمّة فصّل بين الأمرين .

فان قيل : و من أين أنّه أمرهم بالسجود على جهة التقديم و التعظيم ؟

قلنا : لا يخلو تعبّدهم بالسجود له من أن يكون على سبيل القبلة و الجهة من غير أن يقترن به تعظيم و تقديم ، أو يكون على ما ذكرناه ، فإن كان الأوّل لم يجز أنفة إبليس من السجود و تكبّره عنه ، و قوله « أرأيتك هذا الّذي كرّمت عليّ [١] » وقوله « أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين [٢] » والقرآن كلّه ناطق بأنّ امتناع إبليس من السجود إنّما هو لاعتقاده التفضيل به و التكرمة ، فلو لم يكن الأمر على هذا لوجب أن يردّه الله تعالى عنه ويعلمه أنّه ماأمره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله ، بل على الوجه الآخر الّذي لاحظّ للتفضيل فيه ، وما جاز إغفال ذلك وهو سبب معصية إبليس وضلالته ، فلمّا لم يقع ذلك دلّ على أنّ الأمر بالسجود لم يكن إلاّ على جهة التفضيل و التعظيم ، وكيف يقع شكّ في أنّ الأمر على ماذكرناه ،وكلّ نبيّ أراد تعظيم آدم عليه السلام ووصفه بما اقتضى الفخر والشرف نفسه بإسجاد الملائكه له،وجعل

---

(١) أسرى : ٦٢ .

(٢) الاعراف : ١١ ، ص : ٧٦ .

ذلك من أعظم فضائله ، وهذا ممّا لاشبهة فيه .

فأمّا اعتماد بعض أصحابنا في تفضيل الأنبياء على الملائكة على أنّ المشقّة في طاعة الأنبياء عليهم السلام أكثر وأوفر من حيث كانت لهم شهوات في القبائح و نفار عن الواجبات فليس بمعتمد ، لأنّا لا نقطع على أنّ مشاق الأنبياء أعظم من مشاقّ الملائكة في التكليف و الشكّ في مثل ذلك واجب ، وليس كلّ شيء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائه ونحن نعلم على الجملة أنّ الملائكة إذا كانوا مكلّفين فلا بدّ من أن تكون عليهم مشاقّ في تكليفهم لولا ذلك ما استحقّوا ثواباً على طاعاتهم ، و التكليف إنّما يحسن في كلّ مكلّف تعريضاً للثواب ، ولا يكون التكليف شاقّاً عليهم إلّا و تكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفار ممّا أوجب ، و إذا كان الأمر على هذا فمن أين يعلم أنّ مشاقّ الأنبياء عليهم السلام أكثر من مشاقّ الملائكة ، و إذا كانت المشقّة عامّة لتكليف الأمّة ولا طريق إلى القطع على زيادتها في تكليف بعض و نقصانها في تكليف آخرين فالواجب التوقّف والشكّ ، ونحن الآن نذكر شبه من فضّل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ونتكلّم عليها بعون الله :

فممّا تعلّقوا به في ذلك قوله تعالى حكايةً عن إبليس مخاطباً لآدم وحوّاء عليهما السلام « ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين أوتكونا من الخالدين [(١)] » فرغّبهما في التناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتّى تناولا وعصيا ، وليس يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة هي دون منزلته حتّى يحمله ذلك على خلاف الله تعالى و معصيته ، وهذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام . و تعلّقوا أيضاً بقوله تعالى « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون [(٢)] » وتأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم ، لأنّ العادة إنّما جرت أن يقال : لن يستنكف الوزير أن يفعل هذا ولا الخليفة ، فيقدّم الأدون و يؤخّر الأعظم، ولم تجر بأن يقال : لن يستنكف الأمير أن يفعل كذا ولا الحارس ، وهذا يقتضي تفضيل الملائكة

(١) الاعراف ، ١٩ .

(٢) النساء : ١٧١ .

على الأنبياء عليهم السلام . و تعلّقوا بقوله تعالى : « و لقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم من الطيّبات و فضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلا [١] » قالوا : و ليس بعد بني آدم مخلوق يستعمل في الخبر عنه لفظة « من » الّتي لاتستعمل إلّا في العقلاء إلّا الجنّ و الملائكة ، و لمّا لم يقل : و فضّلناهم على من ، بل قال : على كثير ممّن خلقنا ، علم أنّه إنّما أخرج الملائكة ممّن فضّل بني آدم عليه، لأنّه لا خلاف في بني آدم أنّه أفضل من الجنّ ، و إذا كان وضع الخطاب يقتضي مخلوقاً لم يفضّل بنو آدم [٢] فلا شبهة في أنّهم الملائكة . وتعلّقوا بقوله تعالى « ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنّي ملك [٣] » فلولا أنّ حال الملائكة أفضل من حال النبيّ لما قال ذلك .

فيقال لهم في ما تعلّقوا به أوّلاً : لم زعمتم أنّ قوله تعالى « إلّا أن تكونا ملكين» معناه : أن تصيرا أو تتقلّبا إلى صفة الملائكة ؟ فإنّ هذه اللفظة ليست بصريح لما ذكرتم بل أحسن الأحوال أن تكون محتملة له ، وما أنكرتم أن يكون المعنى أنّ المنهيّ عن تناول الشجرة غيركما ، و إذاً النهي يختصّ الملائكة و الخالدين دونكما، ويجري ذلك مجرى قول أحدنا لغيره : ما نهيت عن كذا إلّا أن تكون فلاناً ، و إنّما يعني أنّ المنهيّ هو فلان دونك ، ولم يرد : إلّا أن تتقلّب فتصير فلاناً ، ولمّا كان غرض إبليس إيقاع الشبهة لهما فمن أوكد الشبهة إيهامهما أنّهما لم ينهيا و إنّما المنهيّ غيرهما . ومن وكيد ما تفسد به هذه الشبهة أن يقال : ما أنكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلا إلى صفة الملائكة وخلقهم كما رغّبهما إبليس في ذلك، ولا تدلّ هذه الرغبة على أنّ الملائكة أفضل منهما ، لأنّه بالتقلّب إلى خلقة غيره لا يتقلّب ولا يتغيّر الحقيقة بانقلاب الصورة والخلق ، فإنّه إنّما يستحقّ الثواب على الأعمال دون الهيئات [٤] وغير ممتنع أن

(١) الاسراء : ٧٠ .
(٢) كذا ، والصواب : بنوآدم عليه ..
(٣) الانعام : ٥٠ .
(٤) الهيئة (خ) .

يكونا رغبا في أن يصيرا على الهيئة الملائكة [1] وصورها ، وليس ذلك يرغّبه في الثواب ولا الفضل ، فإنّ الثواب فضل لا يتبع الهيئات و الصور ، ألا ترى أنّهما رغبا في أن يكونا من الخالدين ، وليس الخلود ممّا يقتضي مزيّة في ثواب ولا فضلاً فيه ، و إنّما هو نفع عاجل ، وكذلك لا يمتنع أن يكون الرغبة منهما في أن يصيرا ملكين إنّما كانت على هذا الوجه .

و يمكن أن يقال للمعتزلة خاصّة و كلّ من أجاز على الأنبياء الصغائر : ما أنكرتم أن يكونا اعتقدا أنّ الملك أفضل من النبيّ وغلطا في ذلك وكان منهما ذنباً صغيراً؟ لأنّ الصغائر عندكم تجوز على الأنبياء ، فمن أين لكم إذا اعتقدا أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء و رغبا في ذلك أنّ الأمر على ما اعتقداه مع تجويزكم عليهم الذنوب ؟ و ليس لهم أن يقولوا : إنّ الصغائر إنّما تدخل في أفعال الجوارح دون القلوب ، لأنّ ذلك تحكّم بغير برهان ، وليس يمتنع على اُصولهم أن تدخل الصغائر في أفعال القلوب و الجوارح معاً ، لأنّ حدّ الصغيرة عندهم ما نقص عقابه عن ثواب طاعات فاعله ، وليس يمتنع معنى هذا الحدّ في أفعال القلوب كما لا يمتنع في أفعال الجوارح .

و يقال لهم فيما تعلّقوا به ثانياً : ما أنكرتم أن يكون هذا القول إنّما توجّه إلى قوم اعتقدوا أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء فاُخرج الكلام على حسب اعتقادهم و اُخّر ذكر الملائكة لذلك ؟ و يجري هذا القول مجرى قول من قال منّا لغيره : لن يستنكف أبي أن يفعل كذا ولا أبوك ، و إن كان القائل يعتقد أنّ أباه أفضل ، و إنّما اُخرج الكلام على حسب اعتقاد المخاطب لا المخاطِب .

و ممّا يجوز أن يقال أيضاً : أنّه لا تفاوت في الفضل بين الأنبياء و الملائكة وإن ذهبنا إلى أنّ الأنبياء أفضل منهم ، و مع التقارب و التداني يحسن أن يؤخّر ذكر الأفضل الّذي لا تفاوت بينه و بين غيره في الفضل ، و إنّما مع التفاوت والتنافي لا يحسن ذلك ، ألا ترى أنّه يحسن أن يقول القائل : ما يستنكف الأمير فلان من كذا ، ولا الأمير

---

(١) في مخطوطة « على الهيئة على الملائكة » وسائر النسخ موافق للمتن ، والظاهر ، على هيئة الملائكة .

فلان من كذا ، وإن كانا متساويين متناظرين أو متقاربين ، ولا يحسن أن يقول : ما يستنكف الأمير من كذا ولا الحارس ، لأجل التفاوت . و أقوى من هذا أن يقال : إنّما اُخّر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأنّ جميع الملائكة أكثر ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً و هذا لا يقتضي أنّ كلّ واحد منهم أفضل من المسيح عليه السلام ، و إنّما الخلاف في ذلك .

و يقال لهم في ما تعلّقوا به ثالثاً : ما أنكرتم أن يكون المراد بقوله تعالى «على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً » أنّا فضّلناهم على من خلقنا وهم كثير ولم يرد التبعيض ، و يجري ذلك مجرى قوله تعالى « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً [(١)] » معناه : لا تشتروا بها ثمناً قليلاً فكلّ ثمن تأخذونه عنها قليل ، ولم يرد التخصيص و المنع من الثمن القليل خاصّة . و مثله قول الشاعر :

من اُناس ليس في أخلاقهم ✿ عاجل الفحش ولا سوء الجزع

و إنّما أراد نفي الفحش كلّه عن أخلاقهم و إن وصفه بأنّه عاجل ، و نفي الجزع عنهم و إن وصفه بالسوء ، و هذا من غريب البلاغة ودقيقها ، و نظائره في الشعر والكلام الفصيح لا تحصى ، وقد كنّا أملينا في تأويل هذه الآية كلاماً منفرداً استقصيناه وشرحنا هذا الوجه و أكثرنا من ذكر أمثلته .

و وجه آخر في تأويل هذه الآية ، و هو أنّه غير ممتنع أن يكون جميع الملائكة أفضل من جميع بني آدم و إن كان في جملة بني آدم من الأنبياء عليهم السلام من يفضل كلّ واحد منهم على كلّ واحد من الملائكة ، لأنّ الخلاف إنّما هو في فضل كلّ بني آدم على كلّ ملك ، و غير ممتنع أن يكون جميع الملائكة فضلاء يستحقّ كلّ واحد منهم الجزيل الأكثر من الثواب ، فيزيد ثواب جميعهم على ثواب جميع بني آدم ، لأنّ الأفاضل من بني آدم أقلّ عدداً ، و إن كان في بني آدم آحاد كلّ واحد منهم أفضل من كلّ واحد من الملائكة .

و وجه آخر و ممّا يمكن أن يقال في هذه الآية أيضاً : أنّ مفهوم الآية إذا تؤمّلت يقتضي أنّه تعالى لم يرد الفضل الّذي هو زيادة الثواب ، و إنّما أراد النعم و

(١) البقرة ، ٤١ ، و المائدة ، ٣٧ .

المنافع الدنيويّة ، ألا ترى إلى قوله تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم » و الكرامة إنّما هي الترقية و ما يجري مجراه ، ثمّ قال « و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم من الطيّبات » ولاشبهة في أنّ الحمل لهم في البرّ والبحرورزق الطيّبات خارج ممّا يستحقّ به الثواب ويقتضي التفضيل الّذي وقع إطلاقه فيه ، ويجب أن يكون ما عطف عليه من التفضيل داخلاً في هذا الباب و في هذا القبيل ، فإنّه أشبه من أن يكون المراد به غير ما سياق الآية وارد [به و] مبنيّ عليه ، و أقلّ الأحوال أن تكون لفظة «فضّلناهم» مجتمعةً للأمرين ، فلا يجوز الاستدلال بها على خلاف ما نذهب إليه .

و يقال لهم فيما تعلّقوا به رابعاً : لا دلالة في هذه الآية على أنّ حال الملائكة أفضل من حال الأنبياء ، لأنّ الغرض في الكلام إنّما هو نفي مالم يكن عليه ، لاالتفضيل لذلك على ما هو عليه . ألا ترى أنّ أحدنا لوظنّ أنّه على صفة و هو ليس عليها جاز أن ينفيها عن نفسه بمثل هذا اللفظ و إن كان على أحوال هي أفضل من تلك الحال و أرفع ، وليس يجب إذا انتفى ممّا تبرّأ منه من علم الغيب وكون خزائن الله تعالى عنده أن يكون فيه فضل أن يكون ذلك معتمداً في كلّ ما يقع النفي له والتبرّؤ منه ، وإذا لم يكن ملكاً عنده خزائن الله تعالى جاز أن ينتفي من الأمرين من غير ملاحظة ، لأنّ حاله دون هاتين الحالتين .

و ممّا يوضح هذا و يزيل الإشكال فيه أنّه تعالى حكى عنه قوله في آية اُخرى « ولا أقول للّذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً [(١)] » و نحن نعلم أنّ هذه منزلة غير جليلة ، وهو على كلّ حال أرفع منها وأعلى ، فما المنكر أن يكون نفي الملكيّة عنه في أنّه لايقتضي أنّ حاله دون حال الملك بمنزلة نفي هذه المنزلة . والتعلّق بهذه الآية ضعيف جدّاً ، وفيما أوردناه كفاية وبالله التوفيق (انتهى) .

و ذكر ـ رضي الله عنه ـ نحواً من هذا في أجوبة المسائل الّتي وردت عليه من الريّ .

وقال الدوانيّ في شرح العقائد : هم أي الأنبياء أفضل من الملائكة العلويّة عند

---

(١) هود ، ٣١ .

أكثر الأشاعرة ، ومن الملائكة السفليّة بالاتّفاق ، وعامّة البشر من المؤمنين أيضاً أفضل من عامّة الملائكة ، و عند المعتزلة وأبي عبد الله الحليمي (١) و القاضي أبي بكر منّا الملائكة أفضل ، والمراد بالأفضل أكثر ثواباً ، وذلك أنّ عبادة الملائكة فطريّة لامزاحم لهم عنها بخلاف عبادة البشر ، فإنّ لهم مزاحمات فتكون عبادتهم أشقّ ، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله « أفضل الأعمال أضرّها (٢) » أي أشقّها .

قلت : وعلى هذا يندفع ما يتوهّم أنّ إساءة الأدب مع الملائكة كفر ومع آحاد المؤمنين ليس بكفر ، فتكون الملائكة أفضل ، لأنّ ذلك يدلّ على أنّ كون الملك أشرف بسبب كثرة مناسبته مع المبدأ في النزاهة وقلّة الوسط ، لا على أنّه أفضل بمعنى كونه أكثر ثواباً .

وقال شارح المقاصد : ذهب جمهور أصحابنا و الشيعة إلى أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة خلافاً للمعتزلة والقاضي و أبي عبدالله الحليمي ، وصرّح بعض أصحابنا بأنّ عوامّ البشر من المؤمنين أفضل من عوامّ الملائكة ، و خواصّ الملائكة أفضل من عوامّ البشر أي غير الأنبياء . لنا وجوه عقليّة و نقليّة :

الاولى : أنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ، والحكيم لا يأمر بسجود الأفضل للأدنى ، و إباء إبليس و استكباره و التعليل بأنّه خير من آدم لكونه من نار و آدم من طين يدلّ على أنّ المأمور به كان سجود تكرمة و تعظيم ، لا سجود تحيّة وزيارة ، ولا سجود الأعلى للأدنى إعظاماً له و رفعاً لمنزلته وهضماً لنفوس الساجدين .

الثاني : أنّ آدم أنبأهم بالأسماء و بما علّمه الله من الخصائص ، والمعلّم أفضل من المتعلّم ، وسوق الآية ينادي على أنّ الغرض إظهار ما خفي عليهم من أفضليّة آدم ، و دفع ما توهّموا فيه من النقصان ، ولذا قال تعالى « ألم أقل لكم إنّي أعلم غيب السماوات والأرض (٣) » وبهذا يندفع ما يقال : إنّ لهم أيضاً علوماً جمّة أضعاف العلم بالأسماء

---

(١) الحلبي (خ) .

(٢) احمزها (خ) .

(٣) البقرة ، ٣٣ .

لما شاهدوا من اللوح و حصّلوا في الأزمنة المتطاولة بالتجارب والأنظار المتوالية .

الثالث : قوله تعالى : « إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً و آل إبراهيم وآل عمران على العالمين [١] » وقد خصّ من آل إبراهيم و آل عمران غير الأنبياء بدليل الإجماع فيكون آدم ونوح وجميع الأنبياء مصطفون[٢] على العالمين الّذين منهم الملائكة ، إذلا مخصّص للملائكة من العالمين ، ولا جهة لتفسيره بالكثيرمن المخلوقات .

الرابع : أنّ للبشر شواغل عن الطاعات العلميّة و العمليّة ، كالشهوة والغضب وسائر الحاجات الشاغلة و الموانع الخارجة والداخلة ، فالمواظبة على العبادات وتحصيل الكمالات بالقهر و الغلبة على مايضادّ القوّة العاقلة يكون أشقّ و أفضل و أبلغ في استحقاق الثواب . ولا معنى للأفضليّة سوى استحقاق الثواب والكرامة .

لايقال : لوسلّم انتفاء الشهوة و الغضب وسائر الشواغل في حقّ الملائكةفالعبادة معكثرة البواعث والشواغل إنّما يكون أشقّ وأفضل من الاُخرى إذا استويافيالمقدار و باقي الصفات ،وعبادة الملائكة أكثر و أدوم . فإنّهم يسبّحون الليل والنهارلايفترون و الإخلاص الّذي به القوام و النظام و اليقين الّذي هو الأساس و التقوى الّتي هي الثمرة فيهم أقوى وأقوم ، لأنّ طريقهم العيان لاالبيان والمشاهدة لاالمراسلة .

لانانقول : انتفاء الشواغل في حقّهم ممّا لاينازع فيه أحد ، و وجود المشقّة والألم في العبادة و العمل عند عدم المنافي و المضادّ ممّا لايعقل قلّت أوكثرت ، و كون باقي الصفات في حقّ الأنبياء أضعف و أدنى ممّا لايسمع ولا يقبل . وقد يتمسّك بأنّ للملائكة عقلاً بلاشهوة ، وللبهائم شهوة بلاعقل ،وللإنسانكليهما، فإذا ترجّح شهوته على عقله يكون أدنى من البهائم لقوله تعالى « بل هم أضلّ [٣] » ، فإذا ترجّح عقله على شهوته يجب أن يكون أعلا منالملائكة ، وهذا عائد إلى ماسبق لأنّ تمام تقريره هو أنّ الكافر آثر النقصان مع التمكّن من الكمال ، و كلّ من فعل كذا فهو أضلّ

(١) آل عمران : ٣٣ .

(٢) كذا في جميع النسخ ، و الصواب « مصطفين » .

(٣) الفرقان : ٤٤ .

و أرذل ممّن آثره بدونه ، لأنّ إيثار الشيء مع وجود المضادّ و المنافي أرجح و أبلغ من إيثاره بدونه ،فيلزم أن يكون من آثر الكمال مع التمكّن من النقصان أفضل وأكمل ممّن آثره بدونه .

و أمّا التمسّك بقوله [تعالى] « ولقدكرّمنا بني آدم » و التكريم المطلق لأحد الأجناس يشعر بفضله على غيره ، فضعيف ، لأنّ التكريم لا يوجب التفضيل سيّما مع قوله تعالى « وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا » فإنّه يشير بعدم التفضيل على القليل و ليس غير الملائكة بالإجماع ، كيف وقد وصف الملائكة أيضاً بأنّهم عباد مكرمون .

ثمّ قال : و احتجّ المخالفون أيضاً بوجوه نقليّة و عقليّة :

أمّا النقليّات فمنها قوله تعالى « ولله يسجد ما في السموات و ما في الأرض من دابّة و الملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربّهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون[1] » خصّهم بالتواضع و ترك الاستكبار في السجود ، و فيه إشارة إلى أنّ غيرهم ليس كذلك وأنّ أسباب التكبّر والتعظّم حاصلة لهم ؛ و وصفهم باستمرار الخوف و امتثال الأوامر و من جملتها اجتناب المنهيّات .

و منها : قوله [تعالى] « و من عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبّحون اللّيل و النهار لا يفترون[2] » وصفهم بالقرب و الشرف عنده ، و بالتواضع و المواظبة على الطاعة و التسبيح .

و منها قوله تعالى « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون – إلى أن قال – وهم من خشيته مشفقون[3] » وصفهم بالكرامة المطلقة والامتثال والخشية و هذه الأمور أساس كافّة الخيرات .

و الجواب : أنّ جميع ذلك إنّما يدلّ على فضيلتهم لا على أفضليّتهم لا سيّما على الأنبياء .

---

(١) النحل : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الانبياء : ١٩ - ٢٠ .

(٣) الانبياء : ٢٦ - ٢٨ .

و منها قوله تعالى « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولاأقول لكم إنّي ملك [١] » فإنّ مثل هذا الكلام إنّما يحسن إذا كان الملك أفضل .

و الجواب : أنّه إنّما قال ذلك حين استعجله قريش العذاب الّذي اُوعدوا به بقوله تعالى « و الّذين كذّبوا بآياتنا يمسّهم العذاب بما كانوا يفسقون [٢] » و المعنى أنّي لست بملك حتّى يكون لي القوّة و القدرة على إنزال العذاب بإذن الله كما كان لجبرئيل عليه السلام ، أو يكون له العلم بذلك بإخبار من الله تعالى بلا واسطة .

ومنها قوله تعالى « مانهاكما ربّكما عن هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين [٣] » أي إلّا كراهة أن تكونا ملكين ، يعني أنّ الملائكة بالمرتبة العليا ، و في الأكل من الشجرة ارتقاء إليهما .

و الجواب : أنّ ذلك تمويه من الشيطان و تخييل أنّ ما يشاهد في الملك من حسن الصورة و عظم الخلق وكمال القوّة يحصل بأكل الشجرة ، ولو سلّم فغايته التفضيل على آدم قبل النبوّة .

و منها قوله تعالى « علّمه شديد القوى [٤] » يعني جبرئيل عليه السلام ، و المعلّم أفضل من المتعلّم .

و الجواب : أنّ ذلك بطريق التبليغ و إنّما التعليم من الله تعالى .

و منها قوله تعالى « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون [٥] » أي لا يترفّع عيسى من العبوديّة ولامن هو أرفع منه درجة ، كقولك : لن يستنكف من هذا الأمر الوزير ولا السلطان ، ولو عكست أحلت [٦] بشهادة علماء البيان ، و البصراء بأساليب الكلام . وعليه قوله تعالى « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى [٧] »

---

(١) الانعام : ٥٠ .
(٢) الانعام : ٤٩ .
(٣) الاعراف : ١٩ .
(٤) النجم : ٥ .
(٥) النساء : ١٧١ .
(٦) حلت (خ) .
(٧) البقرة : ١٢٠ .

أي مع أنّهم أقرب مودّة لأهل الإسلام ، ولهذا خصّ الملائكة بالمقرّبين منهم لكونهم أفضل .

و الجواب : أنّ الكلام سيق لردّ مقالة النصارى و غيرهم في المسيح وادّعائهم فيه مع النبوّة البنوّة ، بل الألوهيّة والترفّع عن العبوديّة ، لكونه روح الله ولد بلا أب لكونه يبرىء الأكمه و الأبرص ، و المعنى : لا يترفّع عيسى عن العبوديّة ولا من هو فوقه في هذا المعنى ، وهم الملائكة الّذين لا أب لهم ولا اُمّ ، ولا يقدرون على ما لا يقدر عليه عيسى عليه السلام ، ولادلالة على الأفضليّة بمعنى كثرة الثواب و سائر الكمالات ألا ترى أنّ فيما ذكرت من المثال لم يقصد الزيادة و الرفعة في الفضل والشرف والكمال بل في ما هو مظنّة الاستنكاف و الرضا كالغلبة و الاستكبار و الاستعلاء في السلطان وقرب المودّة في النصارى .

و منها : اطّراد تقديم ذكر الملائكة على ذكر الأنبياء و الرسل ، ولا تعقل له جهة سوى الأفضليّة .

والجواب : أنّه يجوز أن يكون بجهة تقدّمهم في الوجود ، أوفي قوّة الإيمان بهم و الاهتمام به لأنّه أخفى ، فالإيمان بهم أقوى وبالتحريص عليه أحرى .

واما العقليات : فمنها أنّ الملائكة روحانيات مجرّدة في ذاتها، متعلّقة بالهياكل العلويّة ، مبرّأة عن ظلمة المادّة ، و عن الشهوة و الغضب اللّذين هما مبدءا الشرور والقبائح ، متّصفة بالكمالات العلميّة والعمليّة بالفعل ، من غير شوائب الجهل والنقص و الخروج عن القوّة إلى الفعل على التدريج و من احتمال الغلط ، قويّة على الأفعال العجيبة ، و إحداث السحب والزلازل و أمثال ذلك ، مطّلعة على أسرار الغيب ، سابقة إلى أنواع الخير ، ولاكذلك حال البشر .

والجواب : أنّ مبنى ذلك على قواعد الفلسفة دون الملّة .

و منها : أنّ أعمالهم الموجبة للمثوبات أكثر لطول زمانهم ، و أدوم لعدم تخلّل الشواغل ، و أقوم لسلامتها عن مخالطة المعاصي المنقّصة للثواب ، وعلومهم أكمل وأكثر لكونهم نورانيّين يشاهدون اللوح المحفوظ المنتقش بالكائنات وأسرار المغيبات .

والجواب : أنّ هذا لايمنع كون أعمال الأنبياء و علومهم أفضل و أكثر ثواباً لجهات اُخر ، كقهر المضادّ والمنافي ، وتحمّل المتاعب و المشاقّ ونحو ذلك على ما مرّ (انتهى) .

واقول : والعمدة في ذلك الأخبار الكثيرة الدالّة على فضل الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام على الملائكة ، و إن كان فيها مايوهم خلاف ذلك ، وهي متفرّقة فيأبواب مجلّدات الحجّة ، لم نوردها ههنا حذراً من الإطناب وحجم الكتاب .

١ ـ **الاحتجاج** : في ما سأل الزنديق الصادق عليه السلام : الرسول أفضل أم الملك المرسل إليه ؟ قال عليه السلام : بل الرسول أفضل [1].

٢ ـ **مجالس ابن الشيخ** : عن أبيه ، عن جماعة ، عن أبي المفضّل الشيبانيّ عن عليّ بن محمّد بن الحسن النخعيّ ، عن جدّه سليم بن إبراهيم بن عبيد ، عن نصر بن مزاحم المنقريّ ، عن إبراهيم بن الزبرقان ، عن عمرو بن خالد ، عن زيد بن عليّ ، عن أبيه عليه السلام في قوله تعالى « ولقدكرّمنا بنيآدم » يقول : فضّلنا بنيآدم علىسائر الخلق « وحملناهم فيالبرّ و البحر » يقول : على الرطب و اليابس « و رزقناهم من الطيّبات » يقول : من طيّبات الثمار كلّها « و فضّلناهم » يقول : ليس من دابّة ولا طائر إلّا هي تأكل و تشرب بفيها لاترفع بيدها إلى فيها طعاماً ولا شراباً غير ابنآدم ، فإنّه يرفع إلى فيه بيده طعامه ، فهذا من التفضيل .

بيان : لعلّه أراد بالرطب الحيوانات المتحرّكة النامية ، و باليابس الأخشاب اليابسة الّتي تعملمنها السفن ، و يحتمل كون النشر على خلاف ترتيب اللفّ ، فالرطب البحر ، واليابس البرّ .

٣ ـ **مجالس ابن الشيخ** : عن أبيه ، عن جماعة ، عن أبي المفضّل ، عن أحمد بن الحسن بن هارون ، عن يحيى بن السريّ الضرير ، عن محمّد بن حازم أبيمعاوية الضرير قال : دخلت على هارون الرشيد ، قيل لي ، وكانت بين يديه المائدة ، فسألني عن تفسير هذه الآية « ولقد كرّمنا بنيآدم و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم من الطيّبات

---

(١) الاحتجاج : ١٩١ .

ـ الآية ـ » فقلت : ياأمير المؤمنين ، قد تأوّلها جدّك عبد الله بن عبّاس ، أخبرني الحجّاج بن إبراهيم الخوزيّ ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عبّاس في هذه الآية « ولقدكرّمنا بني آدم و حملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات » قال : كلّ دابّة تأكل بفيها إلّا ابن آدم فإنّه يأكل بالأصابع . قال أبومعاوية : فبلغني أنّه رمى بملعقة كانت بيده من فضّة ، وتناول من الطعام بإصبعه .

٤ ـ **ومنه** : عن أبيه ، عن جماعة ، عن أبي المفضّل ، عن عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز البغويّ ، عن يحيى بن عبد الحميد الحمانيّ ، عن حجّاج بن تميم ، عن ميمون بن مهران . عن ابن عبّاس في قوله تعالى عزّ وجلّ « ولقد كرّمنا بني آدم ـ إلى قوله ـ تفضيلا » قال : ليس من دابّة إلّا و هي تأكل بفيها إلّا ابن آدم فإنّه يأكل بيده .

٥ ـ **العلل** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليّ ابن الحكم ، عن عبد الله بن سنان ، قال : سألت أباعبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقلت : الملائكة أفضل أم بنوا آدم ؟ فقال : قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، و ركّب في البهائم شهوة بلا عقل، و ركّب في بني آدم كلتيهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلب [(١)] شهوته عقله فهو شرّ من البهائم [(٢)] .

٦ ـ **صحيفة الرضا** : بالإسناد عنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : مثل المؤمن عند الله كمثل ملك مقرّب ، و إنّ المؤمن عند الله عزّ وجلّ أعظم من الملك ، وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب أومؤمنة تائبة [(٣)] .

٧ ـ **ومنه** : بهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ المؤمن ليعرف في السماء

(١) في المصدر : غابت

(٢) علل الشرائع : ج ١ ، ص ٥ .

(٣) صحيفة الرضا : ٦ .

كما يعرف الرجل أهله وولده ، و إنّه أكرم عندالله[1] عزّ وجلّ من ملك مقرّب[2] .

٨ ـ **العياشي** : عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى « و فضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلا » قال : خلق كلّ شيء منكبّاً غير الإنسان فإنّه خلق منتصباً .

٩ ـ **الكافي** : عن العدّة ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن غالب بن عثمان عن بشير الدهّان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال الله عزّ وجلّ : يا ابن آدم اذكرني في ملإ أذكرك في ملإ خير من ملإك[3] .

١٠ ـ **و منه** : بالإسناد المتقدّم عن ابن فضّال ، رفعه قال : قال الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام : يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي ، و اذكرني في ملإك أذكرك في ملإ خير من ملإ الآدميّين[4] .

بيان : ربّما يستدلّ بالخبرين على كون الملائكة أفضل من بني آدم ، و يمكن أن يجاب بأنّ خيريّة ملإ الملائكة باعتبار كون الجميع معصومين بخلاف ملإ البشر لا ينافي كون بعض البشر أفضل من الملائكة ، على أنّه يمكن أن يكون المراد بالملإ الثاني ما يشتمل على أرواح النبيّين عليهم السلام ، لكن وقع التصريح في بعض الأخبار بملإ من الملائكة .

١١ ـ **كتاب تفضيل أمير المؤمنين**: الكراجكي ، عن عليّ بن الحسن بن مندة ، عن الحسن بن يعقوب البزّاز ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : لمّا حمل المأمون أبا هدية مولى أنس إلى خراسان بلغني ذلك ، فخرجت في لقائه فصادفني في بعض المنازل ، فرأيت رجلاً طويلاً خفيف العارضين منحنياً من الكبر وقد اجتمع عليه الناس ، فقلت له : حدّثني ـ رحمك الله ـ فإنّي أتيتك من بلد بعيد أسمع منك ، فلم يحدّثني من الزحمة الّتي كانت عليه ، ثمّ رحل فتبعته إلى المرحلة الاُخرى فلمّا نزل أتيته فقلت له : حدّثني

---

(١) في المصدر : على الله .

(٢) الصحيفة : ٨ .

(٣) الكافي : ج ٢ ، ص ٤٩٨ .

(٤) « : ج ٢ ، ص ٥٠٢ .

- رحمك الله تعالى - قال: أنت صاحبي بالأمس ؟ قلت : نعم ، قال : إذاً والله لاأُحدّثك إلّا قائماً لما بدامنّي إليك ، لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : من كان عنده علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ، ثمّ قام قائماً و قال : كنت رأيت مولاي أنس بن مالك و هو معصّب بعصابة بيضاء ، فقلت : و ما هذه العصابة ؟ قال : هذه دعوة عليّ بن أبي طالب ، فقلت : و كيف ؟ فقال : اُهدي إلى رسول الله ﷺ طائر ورسول الله ﷺ في بيت اُمّ سلمة رضي الله عنها و أنا حينئذ أحجب رسول الله ﷺ فأصلحته اُمّ سلمة رضي الله عنها و أتت به رسول الله ﷺ وقالت اُمّ سلمة : الزم الباب لينال رسول الله ﷺ منه ، فلزمت الباب و قدّمته إلى النبيّ ﷺ ، فلمّا وضعته بين يديه رفع رسول الله ﷺ يديه و قال : اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، فسمعت دعوة رسول الله ﷺ وأحببت أن يكون رجلاً من قومي ، فأتى عليّ ابن أبي طالب ، فقلت : إنّ رسول الله عنك مشغول فانصرف ، ثمّ دعا رسول الله ﷺ ثانية و قال : اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، فأتى عليّ ابن أبي طالب ، فقلت : إنّ رسول الله عنك مشغول فانصرف ، ثمّ رفع رسول الله ﷺ رأسه و دعا ثالثة و قال : يا ربّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فأتى عليّ فقلت : رسول الله عنك مشغول ، فقال : و ما يشغل رسول الله ﷺ عنّي ؟ و دفعني فدخل ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قبّل ما بين عينيه و قال : يا أخي ! من الّذي حبسك عنّي وقد دعوت الله ثلاثاً أن يأتيني بأحبّ خلقه إليه يأكل معي من هذا الطائر ؟ فقال يا رسول الله ؟ قد جئت ثلاثاً كلّ ذلك يردّني أنس ، فقال : لم رددت عليّاً ؟ فقلت : يا رسول الله إنّي سمعت دعوتك فأحببت أن يكون رجلاً من الأنصار فأفتخر به إلى الأبد ، فقال عليّ عليه السلام : اللّهمّ ارم أنساً بوضح لا يستره من الناس، فظهر عليّ هذا الّذي ترى وهي دعوة عليّ .

بيان : في سائر الأخبار أنّ دعوة أمير المؤمنين عليه السلام عليه حين استشهده فأبى أن يشهد و هذا من الأخبار المتواترة ، و ممّا احتجّ به يوم الشورى فصدّقوه ، و يدلّ على أنّه عليه السلام أفضل [جميع] خلق الله ، وخرج الرسول ﷺ بالإجماع والنصوص المتواترة

فيدلّ على فضله على الملائكة ، وكلّ من قال بفضله قال بفضل سائر الأئمّة وجميع الأنبياء عليهم السلام فثبت فضل الجميع .

١٢ ـ و من الكتاب المذكور : عن محمّد بن أحمد بن شاذان ، عن طلحة بن أحمد عن عبد الحميد القنّاد ، عن هشام بن بشير ، عن ابن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عليّ أفضل من خلق الله غيري ، و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، و أبوهما خير منهما ، و إنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين ، ولو أنّ لفاطمة خيراً من عليّ لم اُزوّجها منه .

١٣ ـ **و منه :** عن ابن شاذان ، عن محمّد بن عبدالله ، عن جعفر بن عليّ الدقّاق عن عبدالله بن محمّد الكاتب ، عن سليمان بن الربيع ، عن نصر بن مزاحم ، عن عليّ بن عبدالله ، عن الأشعث ، عن مرّة ، عن أبي ذرّ ، قال : نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : خير الأوّلين و الآخرين من أهل السماوات و الأرضين ، هذا سيّد الصدّيقين ، و سيّد الوصيّين ، و إمام المتّقين ، و قائد الغرّ المحجّلين ، إذا كان يوم القيامة جاء على ناقة من نوق الجنّة ، قد أضاءت القيامة من نورها ، على رأسه تاج مرصّع بالزبرجد و الياقوت ، فتقول الملائكة : هذا ملك مقرّب ، و يقول النبيّون : هذا نبيّ مرسل ، فينادي منادٍ من تحت بطنان العرش : هذا الصدّيق الأكبر ، هذا وصيّ حبيب الله ربّ العالمين ، هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فيجيء عليّ حتّى يقف على متن جهنّم ، فيخرج منها من يحبّ ، و يأتي أبواب الجنّة فيدخل فيها أولياءه بغير حساب .

١٤ ـ **ومنه :** عن ابن شاذان ، عن الحسن [1] بن أحمد ، عن أبي بكر بن محمّد عن عيسى بن مهران ، عن عيسى بن عبد الحميد ، عن قيس بن الربيع ، عن الأعمش عن عباية ، عن حميد المغربيّ ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا سيّد الأوّلين و الآخرين ، وأنت يا عليّ سيّد الخلائق بعدي ، أوّلنا كآخرنا .

أقول : الاستدلال بهذه الأخبار بتقريب ما مرّ .

---

(١) الحسين (خ) .

١٥ ـ و من الكتاب المذكور : عن ابن شاذان ، عن جعفر بن محمد بن مسروق اللحام ، عن حسين بن محمد ، عن أحمد بن علويه ، عن إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن عبدالله ابن صالح ، عن حريز بن عبد الحميد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لما اُسري بي إلى السماء مامررت بملاء من الملائكة إلا سألتني عن علي بن أبي طالب ، حتى ظننت أن اسم علي بن أبي طالب في السماوات أشهر من اسمي ، فلما بلغت السماء الرابعة و نظرت إلى ملك الموت قال لي : يامحمد ! ما خلق الله خلقاً إلا وأنا أقبض روحه إلا أنت وعلي ، فإن الله جل جلاله يقبض أرواحكما بقدرته و جزت تحت العرش إذ أنا [1] بعلي بن أبي طالب واقفاً تحت العرش ، فقلت : ياعلي سبقتني ؟ فقال جبرئيل : من هذا الذي تكلمه يامحمد ؟ فقلت: هذا علي بن أبي طالب، فقال: يامحمد ! ليس هذا علي بن أبي طالب ، ولكنه ملك من الملائكة خلقه الله تعالى على صورة علي بن أبي طالب عليه السلام فنحن الملائكة المقربون كلما اشتقنا إلى وجه علي بن أبي طالب عليه السلام زرنا هذا الملك ، لكرامة علي بن أبي طالب على الله سبحانه .

أقول : دلالته أولاً وآخراً على فضله لايخفى على المتأمل ، ودلت عليه الأخبار المستفيضة الدالة على مباهاة الله به عليه السلام ليلة المبيت و يوم اُحد ، وقول جبرئيل عليه السلام: أنا منكما .

١٦ ـ **العيون و العلل و كمال الدين** : عن الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي عن فرات بن إبراهيم ، عن ابن عقدة ، عن العباس بن عبدالله البخاري ، عن محمد بن القاسم بن إبراهيم ، عن أبي الصلت الهروي ، عن الرضا ، عن آبائه ، عن أميرالمؤمنين عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ماخلق الله عز وجل خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني ، قال علي عليه السلام : فقلت : يارسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل ؟ فقال صلى الله عليه وآله : يا علي إن الله تبارك و تعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين ، وفضلني على جميع النبيين و المرسلين . و الفضل بعدي لك يا علي و للأئمة عليهم السلام من بعدك و إن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا ، يا علي ! الذين يحملون العرش ومن حوله

(١) اذا انا (خ) .

يسبّحون بحمد ربّهم و يستغفرون للّذين آمنوا بولايتنا ، يا عليّ ! لولا نحن ما خلق آدم ، ولاحوّاء ، ولاالجنّة ، ولا النار ، ولاالسماء ، ولاالأرض ، فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلىمعرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه ؟ ـ و ساق الحديث إلى قوله ـ فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون لكوننا في صلبه ؟ و إنّه لمّا عرج بي إلىالسماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى ، وأقام مثنى مثنى ، ثمّ قال لي : تقدّم يا محمّد ، فقلت له : يا جبرئيل ! أتقدّم عليك ؟ فقال : نعم ، لأنّ الله تبارك و تعالى فضّل أنبياءه على الملائكة[1] أجمعين ، و فضّلك خاصّة ـ إلى آخر الخبر بطوله ـ [2] .

١٧ ـ **العلل** : بإسناده إلى عمرو بن جميع ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان جبرئيل عليه السلام إذا أتى النبيّ صلى الله عليه وآله قعد بين يديه قعدة العبيد [3] و كان لا يدخل حتّى يستأذنه [4] .

١٨ ـ **الاحتجاج وتفسير الامام** : قال : سأل المنافقون النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا : يا رسول الله أخبرنا عن عليّ هو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وهل شرّفت الملائكة إلاّ [بحبّها] لمحمّد و عليّ و قبولها لولايتهما ؟ إنّه لا أحد من محبّي عليّ نظّف قلبه من قذر الغشّ و الدغل و الغلّ ونجاسة الذنوب إلاّ كان أطهر و أفضل من الملائكة ـ الخبر ـ [5] .

١٩ ـ **كمال الدين** : بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا سيّد من خلق الله ، و أنا خير من جبرئيل و إسرافيل و حملة العرش و جميع الملائكة المقرّبين و أنبياء الله المرسلين ـ الحديث ـ .

---

(١) في العلل : ملائكته .

(٢) علل الشرائع : ج ١ ، ص ٦ ، العيون : ج ١ ، ص ٢٦٢ .

(٣) في المصدر : العبد .

(٤) علل الشرائع : ج ١ ، ص ٧ .

(٥) الاحتجاج : ٣١ .

و أقول : الأخبار في ذلك كثيرة قد أوردناها في أبواب فضائل النبي صلى الله عليه وآله و الأئمة عليهم السلام فليرجع إليها .

تذييل

قال السيد الأجل المرتضى في كتاب الغرر بعد أن سئل عن تفسير قوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » : قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل ، نحن نذكرها و نرجح الأرجح منها :

فأولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة ، و أنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، لهج باستدناء ما يجلب إليه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً ، و لهم عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة ، كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خُلقت إلا من نوم ، و ما خُلق فلان إلا من شر ، إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه ، و ربما قالوا : إنما أنت أكل وشرب ، و ما أشبه ذلك . قالت الخنساء تصف بقرة :

ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت ✿ و إنما هي إقبال و إدبار .

و إنما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال و الإدبار منها ، و يشهد لهذا التأويل قوله عز وجل في موضع آخر « و كان الإنسان عجولاً » و يطابقه أيضاً قوله تعالى « فلا تستعجلون » لأن وصفهم بكثرة العجلة وأن من شأنهم فعلها توبيخاً لهم و تقريعاً ، ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال ، و قادرين على التثبت و التأيد .

و ثانيها ما أجاب به أبوعبيدة وقطرب [بن المستنير] و غيرهما من أن في الكلام قلباً ، و المعنى : خلق العجل من الإنسان ، و استشهدوا على ذلك بقوله سبحانه « وقد بلغني الكبر » أي قد بلغت الكبر ، و بقوله تعالى « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة » و المعنى أن العصبة تنوء بها ، و تقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، و إنما هو: عرضت الحوض على الناقة ، ثم ذكر ـ ره ـ شواهد و أبياتاً كثيرة في ذلك ، ثم قال : و يبقى على صاحب هذا الجواب مع التغاضي له عن حمل كلامه تعالى على القلب أن

يقال : و ما المعنى و الفائدة في قوله عزّ وجلّ « خلق العجل من الإنسان » ؟ أتريدون بذلك أنّ الله تعالى خلق العجلة في الإنسان ؟ و هذا لا يجوز ، لأنّ العجلة فعل من أفعال الإنسان ، فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ؟ ولو كان كذلك لما جاز أن ينهاهم عن الاستعجال في الآية فيقول « سأُريكم آياتي فلا تستعجلون » لأنّه لا ينهاهم عمّا خلقه فيهم ، فإن قالوا : لم يرد أنّه تعالى خلقها ، لكنّه أراد كثرة فعل الإنسان لها و أنّه لا يزال يستعملها ، قيل لهم : هذا هو الجواب الّذي قدّمناه من غير حاجة إلى القلب و التقديم و التأخير ، و إذا كان هذا المعنى يتمّ و ينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا إليه . وقد ذكر أبوالقاسم البلخيّ هذا الجواب في تفسيره و اختاره و قوّاه ، و سأل نفسه عنه و قال : كيف جاز أن يقول : فلا تستعجلون ، و هو خلق العجلة فيهم ؟ وأجاب بأنّه قد أعطاهم قدرة على مغالبة طبائعهم وكفّها ، وقد يكون الإنسان مطبوعاً عليها و هو مع ذلك مأمور بالتثبّت قادر على أن يجانب العجلة ، و ذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح ، و أمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع منه ، و هذا الّذي ذكره البلخي تصريح بأنّ المراد بالعجل غيره ، و هو الطبع الداعي إليه ، و الشهوة المتناولة له ، و يجب أيضاً أن يكون المراد بـ « مِن» ههنا « في » لأنّ شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان ، وإنّما تكون فيه ،وهذا تجوّز على تجوّز ، و توسّع على توسّع ، لأنّ القلب أوّلاً مجاز ، ثمّ هو من بعيد المجاز ، و ذكر العجل و المراد به غيره مجاز آخر ، و إقامة « من » مقام « في » كذلك ، على أنّه تعالى إذا نهاهم عن العجلة بقوله عزّ و جلّ « فلا تستعجلون » أيّ معنى لتقديم قوله : إنّي خلقت شهوة العجلة فيهم ، و الطبع الداعي إليها ــ على ما عبّر به البلخيّ ــ ؟ و هذا إلى أن يكون عذراً لهم أقرب منه إلى أن يكون حجّة عليهم ، و أيسر الأحوال أن لا يكون عذراً ولا احتجاجاً ، فلا يكون لتقديمه معنى . وفي الجواب الأوّل حسن تقديم ذلك على طريق الذمّ والتوبيخ و التقريع من غير إضافة له إليه عزّ وجلّ ، فالجواب الأوّل أوضح و أصحّ .

و ثالثها جواب روي عن الحسن ، قال : يعني بقوله « من عجل » أي من ضعف وهي النطفة المنتنة المهينة الضعيفة ، و هذا قريب إن كان في اللغة شاهد على أنّ العجل

يكون عبارة عن الضعف أو عن معناه .

ورابعها ما حكي أنّ أبا الحسن الأخفش أجاب به ، و هو أن يكون المراد أنّ الإنسان خلق من تعجيل الأمر ، لأنّه تعالى قال : « إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون [١] » فإن قيل : كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد « فلا تستعجلون » ؟ قلنا : يمكن أن يكون وجه المطابقة أنّه لمّا استعجلوا بالآيات واستبطؤوها أعلمهم تعالى أنّه ممّن لا يعجزه شيء إذا أراده ولا يمتنع عليه ، وأنّ من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مؤونة بأن قال له كن فكان ، مع مافيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة الّتي يعجز عنها كلّ قادر و يحار فيها كلّ ناظر لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات .

وخامسها ما أجاب به بعضهم من أنّ العجل الطين ، فكأنّه تعالى قال : خلق الإنسان من طين ، كما قال في موضع آخر « بدأ خلق الإنسان من طين [٢] » واستشهد بقول الشاعر :

والنبع يخرج بين الصخر ضاحية ✡ والنخل ينبت بين الماء و العجل

و وجدنا قوماً يطعنون في هذا الجواب و يقولون : ليس بمعروف أنّ العجل هو الطين ، وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أنّ العجل الحمأة ، ولم يستشهد عليه إلّا أنّ البيت الّذي أنشدناه يمكن أن يكون شاهداً له ، وقد رواه تغلب عن ابن الأعرابيّ و خالف في شيء من ألفاظه ، و إذا صحّ هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى « فلا تستعجلون » على نحو ما ذكرناه ، و هو أنّ من خلق الإنسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات ، أو يكون المعنى أنّه لا يجب بمن خلق من الطين المهين وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسل الله تعالى و آياته و شرائعه ، لأنّه تعالى قال قبل هذه الآية : « و إذا رآك الّذين كفروا إن يتّخذونك إلّا هزواً أهذا الّذي يذكر آلهتكم [٣] » .

---

(١) النحل : ٤٠ .
(٢) ألم السجدة : ٧ .
(٣) الانبياء : ٣٦ .

وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ومعنى « من عجل » أي في سرعة من خلقه ، لأنّه تعالى لم يخلقه من نطفة ، ثمّ من علقة ، ثمّ من مضغة كما خلق غيره و إنّما ابتدأه الله ابتداء و أنشأه إنشاءً ، فكأنّه تعالى نبّه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له ، و أنّه عزّ وجلّ يري عباده من آياته و بيّناته [أوّلاً] أوّلاً ما تقتضيه مصالحهم و تستدعيه أحوالهم .

و سابعها ما روي عن مجاهد و غيره أنّ الله تعالى خلق آدم بعد خلق كلّ شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلاً بد غروب الشمس ، وروي أنّ آدم عليه السلام لمّا نفخت فيه الروح و بلغت أعالي جسده ولم تبلغ أسافله قال : ربّ استعجل بخلقي قبل غروب الشمس .

وثامنها ما روي عن ابن عبّاس والسدّي أنّ آدم عليه السلام لمّا خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً إلى ثمار الجنّة . وقال : قوم بل همّ بالوثوب، فهذا معنى قوله « خلق الإنسان من عجل » و هذه الأجوبة الثلاثة المتأخّرة مبنيّة على أنّ المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره .

٤٠
« باب آخر »

نورد ماذكره محمّد بن بحر الشيبانيّ المعروف بالدهنيّ[(١)] في كتابه من قول مفضّلي الأنبياء والرسل [و الأئمّة] و الحجج على الملائكة صلوات الله عليهم أجمعين على ما

---

(١) كذا في جميع نسخ البحار ، والمشهور ضبطه بالراء المهملة المضمومة نسبة الى « رهنه » قرية بكرمان ، وحكى ابن داود عن نسخة « الدهنى » بالدال قال النجاشي، محمد ابن بحر الرهني : ابو الحسن الشيباني ساكن نرماشير من ارض كرمان قال اصحابنا انه كان في مذهبه ارتفاع ، وحديثه قريب من السلامة ، ولاادرى من اين قيل وقال في محكي الفهرست، محمد بن بحر الرهني من اهل سجستان و كان من المتكلمين وكان عالما بالاخبار فقيها الا انه متهم بالغلو وله نحو من خمسمائة مصنف ورسالة ـ انتهى ـ والظاهر ان منشأ اتهامه بالغلومبالغته في تفضيل الائمه وعلو رتبتهم عليهم السلام ولم يثبت منه قول بحلول اواتحاد أو تفويض و نحوها فلا يبعد كونه حسنا .

أورده الصدوق ـ ره ـ في كتاب علل الشرائع ناقلاً عنه حيث قال :

قال مفضّلوا الأنبياء والرسل والحجج على الملائكة : إنّا نظرنا إلى جميع ما خلق الله عزّ وجلّ من شيء علا علوّاً طبعاً واختياراً أوعلي به قسراً واضطراراً ، وماسفل شيء طبعاً واختياراً أوماسفل به قسراً واضطراراً ، فإذا هي ثلاثة أشياء بإجماع : حيوان نام و جماد ، وأفلاك سائرة ، و بالطبع الّذي طبعها عليه صانعها دائرة ، و في ما دونها عن إرادة خالقها مؤثّرة . و إنّهم نظروا في الأنواع الثلاثة و في الأشياء الّتي هي أجناس منقسمة إلى جنس الأجناس الّذي هو شيء إذ يعطي كلّ شيء اسمه .

قالوا : ونظرنا أيّ الثلاثة هو نوع لما فوقه وجنس لما تحته أنفع وأرفع ، وأيّها أدون وأوضع . فوجدنا أرفع الثلاثة الحيوان ، وذلك بحقّ الحياة الّتي بان بها النامي و الجماد ، و إنّما رفعة الحيوان عندنا في حكمة الصانع و ترتيبها أنّ الله تقدّست أسماؤه جعل النامي له أغذاء ، وجعل له عند كلّ داء دواء ، وفي ماقدّر له صحّة وشفاء فسبحانه ماأحسن مادبّره في ترتيب حكمته ! إذ الحيوان الرفيع ممّا دونه يغذو ، و منه لوقاية الحرّ والبرد يكسو ، وعليه أيّام حياته ينشو . وجعل الجماد له مركزاً ومكديّاً فامتهنه له امتهاناً ، وجعل له مسرحاً و أكناناً ، ومجامع وبلداناً ، ومصانع وأوطاناً ، و جعل له حزناً محتاجاً و سهلاً محتاجاً إليه ، و علواً ينتفع بعلوّه ، و سفلاً ينتفع به و بمكاسبه برّاً و بحراً . فالحيوان مستمتع ، فيستمتع بما جعل له فيه من وجوه المنفعة و الزيادة و الزبول عند الزبول [1] و تتّخذ المركز عند التجسيم و التأليف من الجسم المؤلّف ، تبارك الله ربّ العالمين .

قالوا : ثمّ [إنّا] نظرنا ، فإذا الله عزّ وجلّ قد جعل المتّخذ بالروح و النموّ والجسم أعلى و أرفع ممّا يتّخذ بالنموّ والجسم والتأليف و التصريف ، ثمّ جعل الحيّ الّذي هو بالحياة الّتي هي غيره نوعين : ناطقاً و أعجم ، ثمّ أبان الناطق من الأعجم بالنطق و البيان اللّذين جعلهما له ، فجعله أعلى منه بفضيلة النطق و البيان . ثمّ جعل

(١) في بعض النسخ « الذبول » في الموضعين ، و في نسخة « الذاول » في الموضع الثاني .

الناطق نوعين : حجّة ومحجوجاً ،فجعل الحجّة أعلى من المحجوج ، لإبانةالله الحجّة واختصاصه إيّاه بعلم علويّ يخصّه له دون المحجوجين ،فجعله معلّماً من جهة باختصاصه إيّاه ، وعلماً بأمره إيّاه أن يعلم بأنّ الله عزّ وجلّ معلّم الحجّة دون أن يكله إلى أحد من خلقه ، فهو متعال به ، و بعضهم يتعالى على بعض بعلم يصل إلى المحجوجين من جهة الحجّة .

قالوا : ثمّ رأينا أصل الشيء الّذي هو آدم ، فوجدناه قدجعله [علماً] على كلّ روحانيّ خلقه قبله ، وجسمانيّ ذرأه و برأه منه ،فعلّمه علماً خصّه به لم يعلّمهم قبل ولا بعد ، وفهّمه فهماً لم يفهمهم قبل ولابعد . ثمّ جعل ذلك العلم الّذي علّمه ميراثاً فيه لإقامة الحجج من نسله على نسله ، ثمّ جعل آدم لرفعة قدره وعلوّ أمره للملائكة الروحانيّين قبلة ، و أقامه لهم محنة ، فابتلاهم بالسجود إليه ، فجعل ـ لامحالة ـ من اُسجد له له أعلى و أفضل ممّن أسجدهم ، ولأنّ من جعل بلوى وحجّة أفضل ممّن حجّهم به، و لأنّ إسجاده جلّ وعزّ إيّاهم للخضوع ألزمهم الاتّضاع منهم له ، و المأمورين بالاتّضاع بالخضوع والخشوع والاستكانة دون من أمرهم بالخضوع له ، ألاترى إلى من أبى الائتمار لذلك الخضوع و لتلك الاستكانة فأبى واستكبر ولم يخضع لمن أمره له بالخضوع كيف لعن وطرد عن الولاية ، و اُدخل في العداوة ، فلا يرجى له من كبوته الإقالة آخر الأبد فرأينا السبب الّذي أوجب الله عزّ وجلّ لآدم عليهم فضلاً ، فإذاً هو العلم خصّه الله عزّ وجلّ دونهم ، فعلّمه الأسماء ، و بيّن له الأشياء ، فعلا بعلمه من لايعلم . ثمّ أمره جلّ وعزّ أن يسألهم سؤال تنبيه لاسؤال تكليف عمّا علمه بتعليم الله عزّ وجلّ إيّاه ممّا لم يكن علّمهم، ليريهم جلّ وعزّ علوّ منزلة العلم ورفعة قدره ،كيف خصّ العلم محلاً و موضعاً اختاره له ، و أبان ذلك المحلّ عنهم بالرفعة و الفضل .

ثمّ علمنا أنّ سؤال آدم إيّاهم عمّا سألهم عنه ممّا ليس في وسعهم وطوقهم الجواب عنه سؤال تنبيه لاسؤال تكليف ، لأنّه جلّ وعزّ لايكلّف ماليس في وسع المكلّف القيام به . فلمّا لم يطيقوا الجواب عمّا سألوا علمنا أنّ السؤال كان كالتقرير منه لهم يقرن[1]

(١) في العلل : يقرر .

به اتّضاعهم بالجهالة عمّا علّمه إيّاه ، و علوّ خطره وقدره ، و اختصاصه [1] إيّاه بعلم لم يخصّهم به ، فالتزموا الجواب بأن قالوا : « سبحانك لا علم لنا إلّا ما علّمتنا [2] » .
ثمّ جعل الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام معلّم الملائكة بقوله « أنبئهم » لأنّ الإنباء من النبأ تعليم ، والأمر بالإنباء من الآمر تكليف يقتضي طاعة و عصياناً ، و الإصغاء من الملائكة للتعليم و التوقيف والتفهيم و التعريف تكليف يقتضي طاعة و عصياناً ، فمن ذهب منكم إلى فضل المتعلّم على المعلّم ، والموقَف على الموقِف ، و المعرَّف على المعرِّف ، كان في تفضيله تعكيس لحكمة الله عزّ وجلّ ، و قلب لترتيبها الّتي رتّبها الله عزّ وجلّ ، فإنّه على قياد مذهبه أن تكون الأرض الّتي هي المركز أعلى من النامي الّذي هو عليها الّذي فضّله الله عزّ و جلّ بالنموّ ، و النامي أفضل و أعلى من الحيوان الّذي فضّله الله جلّ جلاله بالحياة و النموّ و الروح ، و الحيوان الأعجم الخارج عن التكليف و الأمر و الزجر أعلى و أفضل من الحيوان الناطق المكلّف للأمر والزجر ، و الحيوان الّذي هو المحجوج أعلى من الحجّة الّتي هي حجّة الله عزّ وجلّ فيها ، و المتعلّم أعلى من المعلّم وقد جعل الله عزّ وجلّ آدم حجّة على كلّ من خلق من روحانيّ و جسمانيّ إلّا من جعل له أوّليّة الحجّة . فقد روي لنا أنّ حبيب بن مظاهر الأسديّ - بيّض الله وجهه - أنّه قال للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام : أيّ شيء كنتم قبل أن يخلق الله عزّ و جلّ آدم عليه السلام ؟ قال: كنّا أشباح نور ندور حول عرش الرحمن ، فنعلّم للملائكة التسبيح و التهليل و التحميد . و لهذا تأويل دقيق ليس هذا مكان شرحه ، وقد بيّنّاه في غيره .
قال مفضّلوا الملائكة : إنّ مدار الخلق روحانيّاً كان أو جسمانيّاً على الدنوّ من الله عزّ وجلّ و الرفعة و العلوّ ، و الزلفة و السموّ ، وقد وصف الله جلّت عظمته الملائكة من ذلك بما لم يصف به غيرهم ، ثمّ وصفهم بالطاعة الّتي عليها موضع الأمر و الزجر والثواب والعقاب ، فقال عزّ وجلّ « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون [3] »

---

(١) باختصاصه (خ) .
(٢) البقرة : ٣٢ .
(٣) التحريم : ٦ .

ثمّ جعل محلّهم الملكوت الأعلى ، فبراهينهم على توحيده أكثر ، و أدلّتهم عليه أشهر و أوفر ، و إذا كان ذلك كذلك كان حظّهم من الزلفة أجلّ ، و من المعرفة بالصانع أفضل .

قالوا : ثمّ رأينا الذنوب و العيوب الموردة النار و دار البوار كلّها من الجنس الّذي فضّلتموه على من قال الله عزّ وجلّ في نعتهم لمّا نعتهم و وصفهم بالطاعة لمّا وصفهم « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون » قالوا : كيف يجوز فضل جنس فيهم كلّ عيب ولهم كلّ ذنب على من لا عيب فيهم ولا ذنب منهم لا صغائر ولا كبائر ؟

و الجواب : أنّ مفضّلي الأنبياء والحجج عليهم السلام قالوا : إنّا لا نفضّل ههنا الجنس على الجنس ، و لكنّا فضّلنا النوع على النوع من الجنس ، كما أنّ الملائكة كلّهم ليسوا كإبليس و هاروت و ماروت لم يكن البشر كلّهم كفرعون الفراعنة و كشياطين الإنس المرتكبين المحارم ، المقدمين على المآثم . و أمّا قولكم في الزلفة والقربة فإنّكم إن أردتم زلفة المسافات وقربة المداناة فالله عزّ وجلّ أجلّ ، و ممّا توهّمتموه أنزه ، و في الأنبياء و الحجج من هو أقرب إلى قربه بالصالحات ، و القربات [١] الحسنات ، و بالنيّات الطاهرات من كلّ خلق خلقهم ، و القرب و البعد من الله جلّت عظمته بالمسافة و المدى تشبيه له بخلقه ، و هو من ذلك نزيه .

وأمّا قولهم في الذنوب و العيوب فإنّ الله جلّت أسماؤه جعل الأمر والزجر أسباباً و عللاً ، و الذنوب و المعاصي وجوهاً ، فالله جلّ جلاله هو الّذي جعل قاعدة الذنوب من جميع المذنبين من الأوّلين و الآخرين إبليس ، و هو من حزب الملائكة و ممّن كان في صفوفهم ، وهورأس الأبالسة ، وهوالداعي إلى عصيان الصانع ، و الموسوس والمزيّن لكلّ من تبعه و قبل منه و ركن إليه الطغيان ، وقد اُمهل الملعون لبلوى أهل البلوى في دار الابتلاء ، فكم من بريّة نبيه ، و في طاعة الله عزّ وجلّ وجيه ، و عن معصيته بعيد و قد أقمأ إبليس و أقصاه وزجره و نفاه ، فلم يلوله على أمر إذا أمره ولا انتهى عن زجر إذا زجره له لمّات في قلوب الخلق مكافيء من المعاصي لُمّات الرحمن ، فلمّات الرحمن

(١) العزمات (خ) .

دافعة للمّاته و وسوسته وخطراته ، ولوكانت المحنة بالملعون واقعة بالملائكة ، والابتلاء به قائماً كما قام في البشر ، و دائماً كما دام ، لكثرت من الملائكة المعاصي ، وقلّت فيهم الطاعات ، إذا تمّت فيهم الآلات ، فقد رأينا المبتلى من صفوف [1] الملائكة بالأمر و الزجر مع آلات الشهوات كيف انخدع بحيث دنا من طاعته ، و كيف بعد ممّا لم يبعد منه الأنبياء والحجج الّذين اختارهم الله على علم على العالمين ، إذ ليست هفوات البشر كهفوة إبليس في الاستكبار ، و فعل هاروت و ماروت في ارتكاب المزجور .

قال مفضّلوا الملائكة : إنّ الله جلّ جلاله وضع الخضوع و الخشوع و التضرّع والخنوع حلية ، فجعل مداها و غايتها آدم عليه السلام ففازت الملائكة في هذه الحلية وأخذوا منها بنصيب الفضل و السبق ، فجعل للطاعة فأطاعوا الله فيه ، ولوكان هناك بنو آدم لما أطاعوه فيما أمر و زجر ،كما لم يطعه قابيل ، فصار إمام كلّ قاتل .

جواب مفضّلي الأنبياء و الحجج عليهم السلام ، قالوا : إنّ الابتلاء الّذي ابتلى به الله عزّ وجلّ الملائكة من الخشوع والخضوع لآدم عن غير شيطان مغو وعدوّ مطغي، فاصل بغوايته بين الطائعين و العاصين ؛ و المقيمين على الاستقامة عن الميل ، وعن غير آلات المعاصي الّتي هي الشهوات المركّبات في عباده المبتلين ، وقد ابتلى من الملائكة من ابتلي فلم يعتصم بعصمة الله الوثقى ، بل استرسل للخادع الّذي كان أضعف منها . وقد روينا عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : إنّ في الملائكة من باقة بقل خير منه ، و الأنبياء و الحجج يعلمون ذلك لهم و فيهم ما جهلناه ، وقد أقرّ مفضّلوا الملائكة بالتفاضل بينهم كما أقرّ بالتفاضل بين ذوي الفضل من البشر . ومن قال : إنّ الملائكة جنس من خلق الله عزّ وجلّ تقلّ فيهم العصاة كهاروت و ماروت وكإبليس اللعين ، إذ الابتلاء فيهم قلّ [2] فليس ذلك بموجب أن يكون فاضلهم أفضل من فاضل البشر الّذين جعل الله عزّ وجلّ الملائكة خدمهم إذا صاروا إلى دار المقامة الّتي ليس فيها حزن ولاهمّ ولا نصب ولاسقم ولا فقر .

---

(١) في المصدر : صنوف .

(٢) في المصدر : قليل .

قال مفضّلوا الملائكة : إنّ الحسن البصري يقول : إنّ هاروت وماروت علجان من أهل بابل ، و أنكر أن يكونا من الملائكة ، فلم تعترضونا بالحجّة بهما وبإبليس فتحتجّون علينا بجنّي فيه .

قال مفضّلوا الأنبياء و الحجج عليهم السلام : ليس شذوذ الحسن عن جميع المفسّرين من الاُمّة بموجب أن يكون مايقول كما يقول ، وأنتم تعلمون أنّ الشيء لا يستثنى إلّا من جنسه ، وتعلمون أنّ الجنّ سمّوا جنّاً لاجتنانهم عن الرؤية إلّا إذا أرادوا التراثي بما جعل الله عزّ وجلّ فيهم من القدرة على ذلك ، وأنّ إبليس من صفوف[1] الملائكة و غير جائز في كلام العرب أن يقول قائل : جاءت الإبل كلّها إلّا حماراً ، و وردت البقر كلّها إلّا فرساً ، فإبليس من جنس ما استثني . وقول الحسن في هاروت وماروت بأنّهما علجان من أهل بابل شذوذ شذّ به عن جميع أهل التفسير ، وقول الله عزّ وجلّ يكذّبه إذ قال « وما اُنزل على الملكين ـ بفتح اللام ـ ببابل هاروت و ماروت » و ليس في قولكم عن قول الحسن فرج لكم ، فادّعوا[2] مالا فائدة فيه من علّة ، ولا عائدة من حجّة .

قال مفضّلوا الملائكة : قد علمتم ما للملائكة في كتاب الله عزّ وجلّ من المدح والثناء ممّا بانوا به عن خلق الله جلّ و علا ، إذ لو لم يكن فيه إلّا قوله « بل هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون[3] » .

قال مفضّلوا الأنبياء والحجج عليهم السلام : لو استقصينا آي القرآن في تفضيل الأنبياء و الحجج صلوات الله عليهم أجمعين لاحتجنا لذلك إلى التطويل و الإكثار ، و ترك الإيجاز والاختصار ، وفي ما جئنا به من الحجج النظريّة الّتي تزيح العلل من الجميع مقنع ، إذ ذكرنا ترتيب الله عزّ وجلّ خلقه ، فجعل الأرض دون النامي ، والنامي أعلى و أفضل من الأرض ، وجعل النامي دون الحيوان ، و الحيوان أعلى وأرفع من النامي

---

(١) في المصدر : صنوف .

(٢) فدعوا (خ) .

(٣) الانبياء : ٢٦ ـ ٢٧ . وفي المصدر بعد ذكر الاية « لكفى » .

وجعل الحيوان الأعجم دون الناطق، وجعل الحيوان الناطق أفضل من الحيوان الأعجم و جعل الحيوان الجاهل الناطق دون الحيوان العالم الناطق ، و جعل الحيوان العالم الناطق المحجوج دون الحيوان العالم الحجّة ، ويجب على هذا الترتيب أنّ المعرب المبين أفضل من الأعجم غير الفصيح ، و يكون المأمور المزجور مع تمام الشهوات وما فيهم من طباع حبّ اللذّات و منع النفس من الطلبات و البغيات و مع البلوى بعدوّ يمهل يمتحن بمعصيته إيّاه وهو يزيّنها له محسناً بوسوسته في قلبه وعينه أفضل من المأمور المزجور مع فقد آلة الشهوات و عدم معاداة هذا المتوصّل له بتزيين المعاصي والوسوسة إليه . ثمّ هذا الجنس نوعان : حجّة و محجوج ، و الحجّة أفضل من المحجوج ، ولم يحجج آدم الّذي هو أصل البشر بواحد من الملائكة تفضيلاً من الله عزّ وجلّ إيّاه عليهم ، وحجّج جماهير الملائكة بآدم ، فجعله العالم بما لم يعلموا وخصّه بالتعليم ليبيّن لهم أنّ المخصوص بما خصّه به ممّا لم يخصّهم أفضل من غير المخصوص بما لم يخصّه به وهذا الترتيب حكمة الله عزّ وجلّ ، فمن ذهب يروم إفسادها ظهر منه عناد من مذهبه و إلحاد في طلبه . فانتهى الفضل إلى محمّد صلّى الله عليه وآله لأنّه ورث آدم وجميع الأنبياء ، ولأنّه الاصطفاء الّذي ذكره الله عزّ وجلّ فقال « إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً و آل إبراهيم وآل عمران على العالمين [1] » فمحمّد الصفوة والخالص، نجيب النجابة [2] من آل إبراهيم فصار خير آل ابراهيم بقوله « ذرّيّة بعضها من بعض » واصطفى الله جلّ جلاله آدم ممّن اصطفاه عليهم من روحانيّ وجسمانيّ . والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله [و] حسبنا الله ونعم الوكيل .

قال الصدوق : إنّما أردت أن تكون هذه الحكاية في هذا الكتاب ، وليس قولي في إبليس أنّه كان من الملائكة ، بل كان من الجنّ ، إلّا أنّه كان يعبدالله بين الملائكة وهاروت و ماروت ملكان ، وليس قولي فيهما قول أهل الحشو ، بل كانا عندي معصومين

---

(١) آل عمران : ٣٣ .

(٢) في المصدر : النجباء .

و معنى هذه الآية « و اتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ـ الآية ـ[١] » إنّما هو : و اتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان و على ما أُنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت ، وقد أخرجت في ذلك خبراً مسنداً في كتاب عيون الأخبار عن الرضا عليه السلام [٢] .

توضيح : قوله « و جماد » لعلّ مراده بالجماد غير الحيوان ليشمل النبات ، و كأنّه كان هكذا : حيوان ، و نام و جماد ، فقوله « و أفلاك » عطف على ثلاثة أوعلى جماد و هما قسم واحد ، لأنّ الأفلاك أيضاً على مذهب أهل الحقّ من الجماد . قوله « إلى جنس الأجناس » الظرف متعلّق بـ « نظروا » و يحتمل تعلّقه بـ « منقسمة » على شبه القلب ، أي هي أقسامه ، كأنّه جعل جنس الأجناس مفهوم الشيئيّة ولا يقول بإطلاق الشيء على الواجب تعالى شأنه ، و فيه نظر من وجوه ، و يحتمل أن تكون كلمة «إن» زائدة ، فتأمّل .

قوله « هو نوع » صفة للثلاثة ، أي كلّ منها « بان بها النامي » أي من النامي « جعل النامي له » أي للحيوان « و جعل له » أي جعله له ، و كأنّه كان كذلك . قوله « و مكديّاً » كذا في النسخ ، و كأنّه من الكدية ، قال في النهاية : الكدية قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس ، وأكدى الحافر إذا بلغها ، و فيه أنّ فاطمة خرجت في تعزية بعض جيرانها ، فلمّا انصرفت قال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله : لعلّك بلغت معهم الكدى ، أراد المقابر ، و ذلك لأنّها كانت مقابرهم في مواضع صلبة وهي جمع كدية (انتهى) ويشبه أن يكون فيه تصحيف . والمهنة ـ بالكسر والفتح والتحريك وككلمة ـ : الحذق بالخدمة و امتهنه : استعمله للمهنة . ذكره الفيروز آباديّ . و قال : المصنعة كالحوض يجمع فيه ماء المطر كالمصنع ، والمصانع : الجمع ، والقرى ، والمباني من القصور والحصون (انتهى).

« دون من أمرهم » أي أدون منهم ، و المدى : الغاية ، و يطلق على المسافة أيضاً و في المصباح : نبه ـ بالضمّ ـ نباهة : شرف ، و هو نبيه . و أقمأه : صغّره و أذلّه . و

(١) البقرة ، ١٠٢ .
(٢) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ١٩ ـ ٢٦ . والحديث الذى اشار اليه فى العيون ، ج ١ ص ٢٦٧ .

في النهاية : فيه « فانطلق الناس لايلوي أحد على أحد » أي لا يلتفت ولا يعطف عليه . و قال : فيه « لابن آدم لمّتان : لمّة من الملك ، و لمّة من الشيطان » اللّمّة : الهمّة و الخطرة تقع في القلب ، أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه ، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك ، و ما كان من خطرات الشرّ فهو من الشيطان .

قوله « من طاعته » أي طاعة الشيطان . و الهفوة : الزلّة ، و في النهاية : الخانع الذليل الخاضع . قوله «حلية» في أكثر النسخ بالياء المثنّاة ، والأظهر أنّه بالباء الموحّدة في القاموس : الحلبة - بالفتح - : الدفعة من الخيل في الرهان ، و خيل تجمع للسباق من كلّ أوب لا تخرج من اصطبل واحد (انتهى) .

« فجعل مداها و غايتها » أي غاية الحلبة في السباق ، و على النسخة الأولى كان المعنى أنّه كان قبلة للخنوع و الخضوع ، فجعل على بناء المجهول ، والضمير للسبق أو آدم . و في الصحاح : استرسل إليه : انبسط واستأنس . وقال : الباقة من البقل: الحزمة منه . و في المصباح : العلج : الرجل الضخم من كفّار العجم ، و بعض العرب قد يطلق العلج على الكافر مطلقاً . قوله « لاجتنانهم » أي استتارهم ، و في الصحاح : زاح الشيء يزيح زيحاً : بعد وذهب .

٤١

﴿ باب ﴾

✿ (بدء خلق الانسان في الرحم الى آخر أحواله) ✿

الآيات :

آل عمران : هو الّذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلّا هو العزيز الحكيم (١) .

النساء : يا أيّها الناس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بثّ منهما رجالاً كثيراً و نساءً (٢) .

---

(١) آل عمران : ٦ .
(٢) النساء : ١ .

الانعام : هو الّذي خلقكم من طين [١] .

هود : هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها [٢] .

الرعد : الله يعلم ما تحمل كلّ اُنثى و ما تغيض الأرحام و ماتزداد وكلّ شيء عنده بمقدار [٣] .

النحل : خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين [٤] .

مريم : أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً [٥] .

الحج : ياأيّها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمّى ثمّ نخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفّى ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا [٦] .

المؤمنون : و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثمّ إنّكم بعد ذلك لميّتون ثمّ إنّكم يوم القيامة تبعثون [٧] .

الروم : ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون [٨] .

لقمان : حملته اُمّه وهناً على وهن وفصاله في عامين [٩] .

التنزيل : الّذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثمّ سوّيه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون [١٠] .

---

(١) الانعام : ٢ .
(٢) هود : ٦١
(٣) الرعد : ٨ .
(٤) النحل : ٤ .
(٥) مريم : ٦٧ .
(٦) الحج : ٥ .
(٧) المؤمنون : ١٢ - ١٦ .
(٨) الروم : ٢٠ .
(٩) لقمان : ١٣ .
(١٠) السجدة : ٧ ـ ٩ .

فاطر : والله خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ جعلكم أزواجاً وما تحمل من أُنثى ولا تضع إلّا بعلمه وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلّا في كتاب إنّ ذلك على الله يسير[1] .

يس : أولم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين[2] .

الزمر : يخلقكم في بطون أُمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث[3] .

المؤمن : هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفّى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّى ولعلّكم تعقلون[4] .

حمعسق : لله ملك السماوات و الأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً و يهب لمن يشاء الذكور أو يزوّجهم ذكراناً و إناثاً و يجعل من يشاء عقيماً إنّه عليم قدير[5] .

النجم : هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض و إذ أنتم أجنّة في بطون أُمّهاتكم - إلى قوله تعالى - و إنّه خلق الزوجين الذكر والأُنثى من نطفة إذا تمنى[6] .

الواقعة : أفرأيتم ماتمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون[7] .

التغابن : وصوّركم فأحسن صوركم و إليه المصير[8] .

الملك : قل هو الّذي أنشأكم وجعل لكم السمع و الأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون قل هو الّذي ذرأكم في الأرض و إليه تحشرون[9] .

نوح : مالكم لاترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً - إلى قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثمّ يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً[10] .

---

(١) فاطر : ١١ .
(٢) يس : ٧٧
(٣) الزمر : ٦ .
(٤) المؤمن : ٦٧ .
(٥) الشورى : ٤٩ - ٥٠ .
(٦) النجم : ٣٢ - ٤٦ .
(٧) الواقعة : ٥٨ - ٥٩ .
(٨) التغابن : ٣ .
(٩) الملك : ٢٣ - ٢٤ .
(١٠) نوح : ١٣ - ١٨ .

القيامة : ألم يك نطفة من منيّ يمنى ثمّ كان علقة فخلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى (١) .

الدهر : هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً (٢) .

المرسلات : ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذّبين (٣) .

النبأ : و خلقناكم أزواجا (٤) .

عبس : قتل الإنسان ما أكفره من أيّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره ثمّ السبيل يسّره ثمّ أماته فأقبره ثمّ إذا شاء أنشره كلاّ لمّا يقض ما أمره (٥) .

الانفطار : ما غرّك بربّك الكريم الّذي خلقك فسوّيك فعدلك في أيّ صورة ماشاء ركّبك (٦) .

الطارق : فلينظر الإنسان ممّ خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب (٧) .

تفسير : « هو الّذي يصوّركم » قال الطبرسيّ ـ رحمه الله ـ . أي يخلق صوركم « في الأرحام كيف يشاء » على أيّ صورة شاء ، و على أيّ صفة شاء ، من ذكر و أنثى أو صبيح أودميم ، أو طويل أو قصير . « لا إله إلاّ هو العزيز » في سلطانه « الحكيم » في أفعاله . و دلّت الآية على وحدانيّة الله سبحانه و تمام قدرته و كمال حكمته حيث صوّر الولد في رحم الأمّ على هذه الصفة ، و ركّب فيه أنواع البدائع من غير آلة ولا كلفة ، وقد تقرّر في عقل كلّ عاقل أنّ العالم لو اجتمعوا أن يجعلوا من الماء بعوضة و يصوّروا منه صورة في حال ما يشاهدونه و يعرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا إليه

---

(١) القيامة : ٣٧ ـ ٤٠ .
(٢) الدهر : ١ ـ ٢ .
(٣) المرسلات : ٢٠ ـ ٢٤ .
(٤) النبأ : ٨ .
(٥) عبس : ١٧ـ٢٣ .
(٦) الانفطار : ٦ ـ ٨ .
(٧) الطارق : ٥ ـ ٧ .

سبيلا ، فكيف يقدرون على الخلق في الأرحام ؟ فتبارك الله أحسن الخالقين . و هذا الاستدلال مرويّ عن جعفر بن محمّد عليهما السلام [١] . « من نفس واحدة » أي آدم « و خلق منها زوجها » حوّاء كما مرّ « و بثّ منهما رجالاً كثيراً و نساءً » أي نشرو فرّق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالاً كثيراً و نساءً . و قال البيضاوي : و اكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكنّ أكثر ، وذكر «كثيراً» حملاً على الجمع [٢] .

« خلقكم من طين » قيل أي ابتدأ خلقكم منه ، فإنّه المادّة الأولى ، أو إنّ آدم الّذي هو أصل البشر خلق منه ، أو خلق أباكم ، فحذف المضاف إليه (انتهى) و يحتمل أن يكون المراد الطين الّذي سيأتي في الأخبار أنّه يذرّ في النطفة . « هو أنشأكم من الأرض » قيل : أي هو كوّنكم منها لا غيره ، فإنّه خلق آدم و موادّ النطف الّتي خلق نسله منها من الأرض . « و استعمركم فيها » قيل : أي عمّركم فيها و استبقاكم من العمر ، أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها . و قيل : هو من العمرى ، بمعنى أعمركم فيها دياركم و يرثها منكم بعد انصرام أعماركم ، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدّة عمركم ثمّ تتركونها لغيركم .

« الله يعلم ما تحمل كلّ أُنثى » قال الطبرسيّ ـ رحمه الله ـ يعلم ما في بطن كلّ حامل من ذكر أو اُنثى تامّ أو غير تامّ ، و يعلم لونه و صفاته « و ما تغيض الأرحام » أي يعلم الوقت الّذي تنقصه الأرحام من المدّة الّتي هي تسعة أشهر « و ما تزداد » على ذلك ، عن أكثر المفسّرين ، وقيل : ما تغيض الولد الّذي تأتي به المرأة لأقلّ من ستّة أشهر ، و ما تزداد الولد الّذي تأتي به لأقصى مدّة الحمل ، و قيل : معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض و هو انقطاع الحيض ، و ما تزداد بدم النفاس بعد الوضع [٤] .

---

(١) مجمع البيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ .

(٢) انوار التنزيل ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٣) انوار التنزيل ، ج ١ ، ص ٣٦٩ .

(٤) مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٢٨٠ .

و قال البيضاوي : أي و ما تنقصه و ماتزداد في الجنّة و المدّة و العدد . وقيل: المراد نقصان دم الحيض و ازدياده ، و «غاض» جاء لازماً ومتعدّياً ، وكذا «ازداد[1]».

« و كلّ شيء عنده بمقدار » قيل : أي بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه ، و في الأخبار : أي بتقدير خلق الإنسان من نطفة . قال البيضاوي : من جماد لاحسّ بها ولا حراك ، سيّالة لا تحفظ الوضع و الشكل « فإذا هو خصيم » منطيق [2] مجادل «مبين» للحجّة ، أو خصيم مكافح لخالقه قائل : من يحيي العظام وهي رميم[3]؟ « ولم يك شيئا» بل كان عدماً صرفاً ، فإنّه أعجب من تجميع المواد بعد التفريق الّذي ينكر منكر البعث .

« في ريب من البعث » قال البيضاوي : من إمكانه وكونه مقدوراً «فإنّا خلقناكم» أي فانظروا في بدء خلقكم ، فإنّه يزيح ريبكم ، فإنّا خلقناكم « من تراب » بخلق آدم منها [4] و الأغذية الّتي يتكوّن منها المني « ثمّ من نطفة » أي من منيّ ، من النطف و هو الصبّ « ثمّ من علقة » قطعة من الدم جامدة « ثمّ من مضغة » قطعة من اللحم بقدر[5] مايمضغ « مخلّقة وغير مخلّقة » مسوّاة لا نقص فيها ولاعيب ، وغير مسوّاة أو تامّة وساقطة ، أومصوّرة وغير مصوّرة « لنبيّن لكم » بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا فإنّ ماقبل التغيّر و الفساد و التكوّن مرّة قبلها اُخرى ، و إنّ من قدر على تغييره وتصويره أوّلاً قدر على ذلك ثانياً ، وحذف المفعول إيماء إلى أنّ الأفعال هذه يتبيّن بها من قدرته وحكمته مالا يحيط به الذكر «ونقرّ في الأرحام مانشاء » أن نقرّه «إلى أجل مسمّى» هووقت الوضع ، وقرىء « ونقرّ » بالنصب ، وكذا قوله « ثمّ نخرجكم » عطفاً على « نبيّن » كأنّ خلقهم مدرّج لغرضين: تبيين القدرة ، وتقريرهم في الأرحام حتّى يولدوا و ينشؤوا ، أو يبلغوا حدّ التكليف ، و « طفلاً » حال اُجريت على تأويل كلّ واحد ، أو للدلالة على الجنس ، أو لأنّه في الأصل مصدر « ثمّ لتبلغوا أشدّكم »

---

(١) انوار التنزيل : ج ١ ، ص ٦١٦ .

(٢) في المصدر : منطيق مناظر مجادل .

(٣) انوار التنزيل : ج ١ ، ص ٦٥٧ .

(٤) في المصدر : اذخلق آدم منه .

(٥) في المصدر : وهي في الاصل قدر مايمضغ .

أي كمالكم في القوّة والعقل ، جمع شدّة . « ومنكم من يتوفّى » عند بلوغ الأشدّ أو قبله « و منكم من يردّ إلى أرذل العمر » أي الهرم و الخرف « لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » أي ليعود كهيئته الاُولى في أوان الطفوليّة من سخافة العقل وقلّة الفهم فينسى ما علمه و ينكر من عرفه ، و أنه استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الاُمور المختلفة و الأحوال المتضادّة ، فإنّ من قدر على ذلك قدر على نظائره[1] .

من سلالة » من خلاصة سلّت من بين الكدر « من طين » متعلّق بمحذوف لأنّه صفة لسلالة أو بمعنى سلالة ، لأنّها في معنى مسلولة ، فتكون ابتدائيّة كالأوّل ، و الإنسان آدم خلق من صفوة سلّت من الطين ، أو الجنس فإنّهم خلقوا من سلالات جعلت نطفاً بعد أدوار، وقيل : المراد بالطين آدم لأنّه خلق منه ، والسلالة نطفته « ثمّ جعلناه » أي ثمّ جعلنا نسله ، فحذف المضاف « نطفة » بأن خلقناه منها ، أو ثمّ جعلنا السلالة نطفة ، و تذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء « في قرار مكين » أي مستقرّ حصين يعني الرحم « ثمّ خلقنا النطفة علقة » بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء « فخلقنا العلقة مضغة » أي فصيّرناها قطعة لحم « فخلقنا المضغة عظاماً » بأن صلبناها « فكسونا العظام لحماً » ممّا بقي من المضغة ، أو ممّا أنبتنا عليها ممّا يصل إليها ، و اختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات ، و الجمع لاختلافها في الهيئة و الصلابة « ثمّ أنشأناه خلقاً آخر » هو صورة البدن والروح و القوى بنفخة فيه أو المجموع ، و « ثمّ » لما بين الخلقتين من التفاوت « أحسن الخالقين » أي المقدّرين تقديرا . « ثمّ إذا أنتم بشر » أي ثمّ فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض . « وهناً » أي ذات وهن أو تهن وهناً « على وهن » أي تضعف ضعفاً فوق ضعف ، فإنّها لا تزال يتضاعف ضعفها ، و الجملة في موضع الحال « وفصاله في عامين » أي وفطامه في انقضاء عامين .

« الّذي أحسن كلّ شيء خلقه » أي خلقه موفّراً عليه ما يستعدّه و يليق به على وفق الحكمة و المصلحة ، و « خلقه » بدل من « كلّ » بدل الاشتمال ، وقيل : علم كيف يخلقه . وقرأ نافع والكوفيّون بفتح اللام على الوصف « وبدأ خلق الإنسان » يعني آدم

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

« من طين ثمّ جعل نسله » أي ذرّيّته ، سمّيت به لأنّها تنسلّ منه أي تنفصل « من سلالة من ماء مهين » أي ممتهن . و قال الطبرسيّ ـ رحمه الله ـ أي ضعيف ، و قيل : حقير مهان ، أشار إلى أنّه من شيء حقير لاقيمة له و إنّما يصير ذا قيمة بالعلم و العمل [١] .

« ثمّ سوّاه » قال البيضاويّ : أي قوّمه بتصوير أعضائه على ماينبغي « و نفخ من روحه » أضافه إلى نفسه تشريفاً ، و إظهاراً [٢] بأنّه خلق عجيب ، و أن له شأناً له مناسبة إلى الحضرة الربوبيّة ، و لأجله من عرف نفسه فقد عرف ربّه « و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة » خصوصا لتسمعوا و تبصروا وتعقلوا « قليلاً ماتشكرون » أي تشكرون شكراً قليلاً [٣] .

« من تراب » بخلق آدم منه « ثمّ من نطفة » بخلق ذرّيّته منها « ثمّ جعلكم أزواجا » ذكراناً و إناثا « إلّا بعلمه » أي إلّا معلومة له « و ما يعمّر من معمّر » أي و ما يمدّ في عمر من مصيره إلى الكبر « ولا ينقص من عمره » من عمر المعمّر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره ، أولا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصاً ، والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه ، أو للمعمّر على التسامح فيه ثقةً بفهم السامع كقولهم: لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلّا بحقّ . و قيل : الزيادة و النقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة اُثبتت في اللوح ، مثل أن يكون فيه : إن حجّ و اعتمر [٤] فعمره ستّون سنة و إلّا فأربعون . و قيل : المراد بالنقصان ما يمرّ من عمره و ينقص ، فإنّه يكتب في صحيفة عمره يوماً فيوماً « إلّا في كتاب » هو علم الله أو اللوح أو الصحيفة « إنّ ذلك على الله يسير » إشارة إلى الحفظ أو الزيادة و النقص [٥] .

---

(١) مجمع البيان ، ج ٨ ، ٣٢٧ .
(٢) في المصدر ، إشعاراً .
(٣) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .
(٤) في المصدر ، ان حج عمرو فعمره ...
(٥) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

« يخلقكم في بطون اُمّهاتكم » بيان لكيفيّة خلقما ذكر من الأناسيّ والأنعام إظهاراً لما فيه من عجائب القدرة ، غير أنّه غلّب اُولي العقل أو خصّهم بالخطاب لأنّهم المقصودون « خلقاً من بعد خلق » حيواناً سويّاً من بعد عظام مكسوّة لحماً ، من بعد عظام عارية ، من بعد مُضغ ، من بعد علق ، من بعد نُطف « في ظلمات ثلاث » ظلمة البطن و الرحم و المشيمة ، أو الصلب و الرحم و البطن .

اقول : الأوّل رواه الطبرسيّ ـ رحمه الله ـ عن أبي جعفر عليه السلام [١] .

« ثمّ لتبلغوا » أي ثمّ يبقيكم لتبلغوا ، وكذا قوله تعالى « ثمّ لتكونوا » . « من قبل » أي من قبل الشيخوخة [٢] أو بلوغ الأشدّ « و لتبلغوا » قيل : أي و يفعل ذلك لتبلغوا « أجلاً مسمّى » هو وقت الموت أو يوم القيامة « و لعلّكم تعقلون » ما في ذلك من الحجج و العبر .

« يهب لمن يشاء إناثاً » قال البيضاويّ : المعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيّة ، فيهب لبعض إمّا صنفاً واحداً من ذكر أو اُنثى أو الصنفين جميعاً و يعقم آخرين ، و لعلّ تقديم الإناث لأنّه [٣] أكثر لتكثير النسل ، أو لأنّ مساق الآية للدلالة على أنّ الواقع ما يتعلّق به مشيّة الله [تعالى] لا مشيّة الإنسان و الإناث كذلك ، أو لأنّ الكلام في البلاء و العرب تعدّهنّ بلاء ، أو لتطييب قلوب آبائهنّ ، أو للمحافظة على الفواصل [٤] .

« هوأعلم بكم » أي أعلم بأحوالكم منكم « إذأنشأكم » أي علم أحوالكم ومصارف اُموركم حين ابتدأخلقكم من التراب بخلق آدم ، و حين ما صوّركم في الأرحام . «من نطفة إذا تمنى » أي تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدّر منها الولد من منيّ إذا قدّر . « أفرأيتم ما تمنون » أي تقذفونه في الأرحام من النطف « ءأنتم تخلقونه » أي تجعلونه

---

(١) مجمع البيان ، ج ٨ ، ص ٤٩١ .

(٢) الشيخوخية (خ) .

(٣) في المصدر : لانها .

(٤) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .

بشراً سويّاً . « و صوّركم فأحسن صوركم » قيل : أي فصوّركم من جملة ما خلق في السماوات و الأرض بأحسن صورة ، حيث زيّنكم بصفوة أوصاف الكائنات ، و خصّكم بخلاصة خصائص المبدعات ، وجعلكم اُنموذج جميع المخلوقات «وإليه المصير» فأحسنوا سرائركم حتّى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم . « و جعل لكم السمع » لتسمعوا المواعظ « و الأبصار » لتنظروا صنائعه « و الأفئدة » لتعتبروا و تتفكّروا « قليلاً ما تشكرون » باستعمالها في ما خلقت لأجلها .

« لا ترجون لله و قارا » قيل : أي لا تأملون له توقيراً أي تعظيماً لمن عبده وأطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إيّاكم «وقدخلقكم أطوارا » حال مقدّرة للإنكار من حيث إنّها موجبة للرجاء فانّ خلقهم أطواراً أي تارات ، إذخلقهم أوّلاً عناصر، ثمّ مركّبات يغذي الإنسان ، ثمّ أخلاطاً ثمّ نُطفاً ، ثمّ علقاً ، ثمّ مُضغاً ، ثمّ عظاماً ولحوما، ثمّ أنشأهم خلقاً آخر ، فإنّه يدلّ على أنّه يمكن أن يعيدهم تارة اُخرى فيعظّمهم بالثواب و على أنّه تعالى عظيم القدرة ، تامّ الحكمة . و قال عليّ بن إبراهيم : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « لا ترجون لله وقارا » يقول : لاتخافون لله عظمة. و قال عليّ بن إبراهيم في قوله « وقد خلقكم أطواراً » قال : على اختلاف الأهواء و الإرادات والمشيّات[1]. « والله أنبتكم من الأرض نباتا » قيل: أي أنشأكم منها، فاستعير الإنبات للإنشاء لأنّه أدلّ على الحدوث و التكوين من الأرض ، و أصله : أنبتكم إنباتاً فنبتّم نباتاً ، فاختصر اكتفاءً بالدلالة الالتزاميّة « ثمّ يعيدكم فيها » مقبورين « و يخرجكم إخراجاً » بالحشر ، و أكّده بالمصدر كما أكّد به الأوّل دلالة على أنّ الإعادة محقّقة كالابتداء و أنّها تكون لا محالة . و قال عليّ بن إبراهيم : من الأرض أي على الأرض [2] . « فخلق فسوّى » قيل : أي قدّره فعدله « فجعل منه الزوجين » أي الصنفين .

« هل أتى على الإنسان » قال البيضاوي : استفهام تقرير وتقريب ، و لذلك فسّر

(١و٢) تفسير القمي ، ٦٩٧ . و فيه ، على وجه الارض .

بقد ، و أصله أهل . « حين من الدهر » طائفة محدودة من الزمان الممتدّ الغير المحدود « لم يكن شيئاً مذكوراً » بل كان نسياً [١] منسيّاً غير مذكور بالإنسانيّة كالعنصر ، و النطفة ، و الجملة حال من الإنسان أو وصف لحين بحذف الراجع ، و المراد بالإنسان الجنس لقوله « إنّا خلقنا الإنسان من نطفة » أو آدم ، بيّن أوّلاً خلقه ، ثمّ ذكر خلق بنيه من نطفة « أمشاج » أي أخلاط ، جمع مشيج أو مشج ، من مشجت الشيء إذا خلطته ، وجمع [٢] النطفة به لأنّ المراد بهامجموع منيّ الرجل و المرأة ، وكلّ منهما مختلفة الأجزاء في الرقّة والقوام و الخواصّ ، ولذلك يصيركلّ جزء منهمامادّة عضو و قيل : مفرد كأعشار ، وقيل : ألوان ، فإنّ ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا اخضرّا ، أو أطوار ، فإنّ النطفة تصير علقة ثمّ مضغة إلى تمام الخلقة « نبتليه » في موضع الحال ، أي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره ، أو ناقلين له من حال إلى حال فاستعار له الابتلاء « فجعلناه سميعاً بصيرا » ليتمكّن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبّب من الابتلاء و لذلك عطف بالفاء على الفعل المقيّد به و رتّب عليه قوله « إنّا هديناه السبيل [٣] » .

وقال الطبرسيّ - رحمه الله - : قد كان شيئاً إلّا أنّه لم يكن مذكوراً ، لأنّه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الروح . وقيل: إنّه أتى على آدم أربعون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض بل كان جسداً ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الروح . و روي عن ابن عبّاس أنّه تمّ [٤] خلقه بعد عشرين ومائة سنة .

و روى العيّاشي بإسناده عن عبد الله بن بكير عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله « لم يكن شيئاً مذكوراً » قال : كان شيئاً ولم يكن مذكورا .

---

(١) في المصدر : شيئاً .

(٢) في المصدر : وصف .

(٣) انوار التنزيل : ج ٢ ، ص ٥٦٩ .

(٤) في المصدر : انه تعالى خلقه .

وبإسناده عن شعيب[1] الحدّاد عن أبي‌جعفر عليه السلام قال : كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق . و عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبدالله عليه السلام مثله . و عن حمران بن أعين قال : سألته عنه فقال : كان شيئاً مقدّراً[2] ولم يكن مكوّناً[3]. وفي هذا دلالة على أنّ المعدوم معلوم و إن لم يكن مذكوراً ، و أنّ المعدوم يسمّى شيئاً .
فإذا حمل الإنسان على الجنس فالمراد أنّه قبل الولادة لايعرف ولا يذكر ولا يدرى من هو وما يراد به ، بل يكون معدوماً ، ثمّ يوجد في صلب أبيه ، ثمّ في رحم اُمّه إلى وقت الولادة . « أمشاج » أي أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة في الرحم فأيّهما علا صاحبه كان الشبه له عن ابن عبّاس وغيره ، وقيل :أمشاج أطوار ، وقيل: أراد اختلاف الألوان فنطفة الرجل بيضاء و حمراء ، ونطفة المرأة خضراء وحمراء[4] فهي مختلفة الألوان ، و قيل : نطفة مشجت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض ، وقيل هي العروق الّتي تكون في النطفة ، و قيل : أخلاط من الطبائع الّتي تكون في الإنسان من الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة جعلها الله في النطفة ، ثمّ بناه[5] البنية الحيوانيّة المعدّلة الأخلاط ، ثمّ جعل فيه الحياة ، ثمّ شقّ له السمع والبصر فتبارك الله أحسن الخالقين[6] (انتهى)[7] .

و أقول ــ على سبيل الاحتمال ــ : لايبعد أن يكون كونه أمشاجاً إشارة إلى

---

(١) شعيب بن اعين الحداد كوفى ثقة روى عن الصادق عليه‌السلام و يروى عنه سيف بن عميرة و ابن ابى عمير و غيرهما ولم يذكروا روايته عن ابى جعفر عليه‌السلام بلا واسطة . وفى مجمع البيان « سعيد الحداد » و الصحيح فى ضبطه كما عن غير العلامة فى الخلاصة « سعد » بلاياء و هو من اصحاب الباقر عليه‌السلام مجهول .

(٢) مقدورا (خ) .

(٣) مذكورا (خ)

(٤) فى المصدر ، صفراء .

(٥) فى المصدر ، بناه الله .

(٦) فى المصدر : رب العالمين .

(٧) مجمع البيان : ج ١٠ ، ص ٤٠٦ .

الشؤون المختلفة الّتي جعلها الله في الإنسان بتبعيّة ماجعل فيه من العناصر المختلفة والصفات المتضادّة، والموادّ المتبائنة.

« من ماء مهين » نطفة قذرة ذليلة، وقال عليّ بن إبراهيم: منتن « في قرار مكين » قال: في الرحم [١].

« إلى قدر معلوم » أي إلى قدر [٢] معلوم من الوقت قدّره الله للولادة « فقدرنا » على ذلك أو فقدّرناه، و يدلّ عليه قراءة نافع والكسائيّ بالتشديد « فنعم القادرون » نحن « فويل يومئذ للمكذّبين » بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة. « وخلقناكم أزواجاً » أي ذكراً وأُنثى « قتل الإنسان ماأكفره » قيل: دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجّب من إفراطه في الكفران « من أيّ شيء خلقه » بيان لما أنعم عليه خصوصاً من مبدأ حدوثه واستفهام للتحقير، ولذلك أجاب عنه بقوله « من نطفة خلقه فقدّره » أي فهيّأه لما يصلح له من الأعضاء و الأشكال، أو فقدّر أطواراً إلى أن تمّ خلقه « ثمّ السبيل يسّره » أي ثمّ سهّل مخرجه من بطن اُمّه بأن فتح فوهة الرحم، وألهمه أن ينتكس، أوذلّل [٣] له سبيل الخير والشرّ، وفيه ــ على المعنى الأخير ــ إيماء بأنّ الدنيا طريق والمقصد غيرها، ولذا عقّبه بقوله « ثمّ أماته فأقبره ثمّ إذا شاء أنشره » عدّ الإماتة والإقبار في النعم لأنّ الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبديّة و اللذّات الخالصة، و الأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع.

« ما غرّك بربّك الكريم » أي أيّ شيء خدعك و جرّأك على عصيانه؟ قيل: ذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار والإشعار بما به يغرّه الشيطان، فإنّه يقول له: افعل ماشئت فإنّ ربّك كريم لا يعذّب أحدا، و قيل: إنّما قال سبحانه « الكريم » دون سائر أسمائه و صفاته لأنّه كأنّه لقّنه الجواب حتّى يقول: غرّني كرم الكريم. و في مجمع البيان: روي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لمّا تلا هذه الآية قال: غرّه جهله [٤]

(١) تفسير القمى: ٧٠٨.
(٢) مقدار (خ).
(٣) دلل (خ).
(٤) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٤٩.

« فسوّاك » أي جعل أعضاءك سليمة مسوّاة معدّة لمنافعها « فعدّلك » قيل : التعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء ، أومعدّلة بما يستعدّها من القوى . وقرأ الكوفيّون « فعدلك » بالتخفيف ، أي عدل بعض أعضائك ببعض حتّى اعتدلت ، أو فصرفك عن خلقة غيرك و ميّزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات . « في أيّ صورةما شاء ركّبك » أي ركّبك في أيّ صورة شاءها ، و«ما» مزيدة ، وقيل : شرطيّة و«ركّبك» جوابها ، و الظرف صفة عدلك ، و إنّما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنّها بيان لـ « عدلك » .

« فلينظر الإنسان ممّ خلق » قيل : ليعلم صحّة إعادته فلا يملي على حافظيه إلّا ما ينفعه في عاقبته « خلق من ماء دافق » قال الرازيّ : الدفق صبّ الماء ، يقال : دفقت الماء إذا صببته فهو مدفوق و مندفق ، و اختلف في أنّه كيف وصف بأنّه دافق :

الاول أنّ معناه ذواندفاق كما يقال دارع و تارس ولابن و تامر أي ذودرع و ترس و لبن و تمر .

الثاني أنّهم يسمّون المفعول باسم الفاعل ، قال الفرّاء : و أهل الحجاز أجعل لهذا من غيرهم ، يجعلون الفاعل مفعولا إذا كان في مذهب النعت كقولهم : سرّ كاتم وهمّ ناصب ، و ليلٌ قائم ، و كقوله تعالى « في عيشةراضية » .

الثالث ذكر الخليل : دفق الماء دفقاً و دفوقاً إذا انصبّ .

الرابع صاحب الماء لمّاكان دافقاً اُطلق ذلك على المجاز .

« بين الصلب و الترائب » قال الجوهريّ : التريبة واحدة الترائب ، وهي عظام الصدر ما بين الترقوة إلى الشذوة (انتهى) و قال الرازيّ : ترائب المرأة عظام صدرها حيث تكون القلادة ، و كلّ عظم من ذالك تريبة ، و هذا قول جميع أهل اللغة . ثمّ قال : في هذه الآية قولان : أحدهما أنّ الولد مخلوق من الماء الّذي يخرج من صلب الرجل و ترائب المرأة ، و قال آخرون : إنّه مخلوق من الماء الّذي يخرج من صلب الرجل و ترائبه . و احتجّ صاحب القول الثاني على مذهبه بوجهين : الأوّل أنّ ماء

الرجل خارج من الصلب فقط و ماء المرأة خارج من ترائب المرأة [١] فقط ، وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خرج من بين الصلب و الترائب ، وذلك على خلاف الآية .
الثاني أنّه تعالى بيّن أنّ الإنسان مخلوق من ماء دافق ، و الّذي وصف بذلك هو ماء الرجل ، ثمّ وصفه بأنّه يخرج هذا الدافق من بين الصلب و الترائب و ذلك يدلّ على أنّ الولد مخلوق من ماء الرجل فقط . و أجاب القائلون بالقول الأوّل عن الحجّة الأولى أنّه يجوز أن يقال للشيئين المتباثنين إنّه يخرج من بين هذين خير كثير ، و لأنّ الرجل والمرأة عند اجتماعهما يصيران كالشيء الواحد ، فحسن هذا اللفظ هناك.
و عن الثانية بأنّ هذا من باب إطلاق اسم البعض على الكلّ ، فلمّا كان أحد قسمي المنيّ دافقاً أُطلق هذا الاسم على المجموع . ثمّ قالوا : و الّذي يدلّ على أنّ الولد مخلوق منهما أنّ منيّ الرجل وحده صغير ولا يكفي ، و روي أنّه ﷺ قال : إذا غلب ماء الرجل يكون ذكراً و يعود شبهه إليه و إلى أقاربه ، و إذا غلب ماء المرأة فإليها وإلى أقاربها يعود الشبه . و ذلك يقتضي صحّة القول الأوّل .

ثمّ قال : و اعلم أنّ الملحدين طعنوا في هذه الآية فقالوا : إن كان المراد من قوله « يخرج من بين الصلب و الترائب » أنّ المنيّ إنّما ينفصل من تلك المواضع فليس الأمر كذلك لأنّه إنّما يتولّد عن فضلة الهضم الرابع ، وينفصل عن جميع أجزاء البدن حتّى يأخذ من كلّ عضو طبيعة و خاصيّة [٢] فيصير مستعدّاً لأن يتولّد منه مثل تلك الأعضاء ، و لذلك قيل : إنّ المفرط في الجماع يستولي الضعف عليه في جميع أعضائه و إذا كان المراد أنّ معظم المنيّ يتولّد هناك فهو ضعيف بل معظم أجزائه إنّما يتولّد [٣] في الدماغ ، و الدليل عليه أنّه في صورته يشبه الدماغ ، ولأنّ المكثر منه يظهر الضعف أوّلاً في عينيه ، و إن كان المراد أنّ مستقرّ المنيّ هناك فهو ضعيف لأنّ مستقرّ المنيّ هو أوعية المنيّ وهي عروق تلتفّ بعضها ببعض عند الأنثيين ، وإن كان المراد أنّ مخرج

---

(١) في المصدر : الترائب .

(٢) في المصدر : طبيعته و خاصيته .

(٣) في المصدر : يتربى .

المنيّ هناك فهو ضعيف فإنّ الحسّ يدلّ على أنّه ليس كذلك .

و الجواب : لاشكّ أنّ معظم الأعضاء معونة في توليد المنيّ هو الدماغ ، وللدماغ خليفة وهي النخاع في الصلب ، وشعب كثيرة نازلة إلى مقدّم البدن و هو التريبة ، فلهذا السبب خصّص الله هذين العضوين بالذكر ، على أنّ كلامكم في كيفيّة تولّد المنيّ و كيفيّة تولّد الأعضاء عن[1] المنيّ محض الوهم والظنّ الضعيف وكلام الله أولى بالقبول[2] (انتهى) .

و قال البيضاويّ : « من بين الصلب و الترائب » بين صلب الرجل و ترائب المرأة وهي عظام صدرها ، ولو صحّ أنّ النطفة تتولّد من فضلة [3] الهضم الرابع و تنفصل عن جميع الأعضاء حتّى يستعدّ[4] أن يتولّد منها مثل تلك الأعضاء ، و مقرّها عروق التفّ بعضها ببعض عند البيضتين ، فالدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها ، و لذلك تشبهه و يسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه ، وله خليفة و هي النخاع و هو في الصلب ، و شعب كثيرة نازلة إلى الترائب و هما أقرب إلى أوعية المنيّ فلذلك خصّا بالذكر [5] (انتهى) .

و أقول : على تقدير تسليم ما ذكره الأطبّاء في ذلك يمكن أن يكون المراد خروج المنيّ من الرجل و المرأة من أعضاء محصورة بين الصلب من جهة الخلف والترائب من جهة القدّام ، بأن يكون الصلب والترائب مقصودين في كلّ من الرجل و المرأة ، و يكون هذا التعبير لبيان كثرة مدخليّة الصلب و الترائب فيهما ، و كون ماء المرأة غير دافق ممنوع ، بل الظاهر أنّ له أيضاً دفقاً لكنّه لمّا كان في داخل الرحم لا يظهر كثيراً و ما ورد في الأخبار من تخصيص الصلب بالرجل و الترائب بالمرأة لكون الصلب أدخل

---

(١) من (خ)

(٢) مفاتيح الغيب : ج ٣١ ، ص ١٢٩ .

(٣) في المصدر ، فضل .

(٤) في المصدر ، تستعدلان .

(٥) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٥٩٧ .

في منيّ الرجل و الترائب في منيّ المرأة ، و يؤيّده أنّ الأطبّاء ذكروا من آداب الجماع دغدغة ثدي المرأة لتهييج شهوتها ، وعلّلوه بأنّ الثدي شديد المشاركة للرحم .

١ ـ **المناقب** : أبوجعفر الطوسيّ في الأمالي ، و أبو نعيم في الحلية ، وصاحب الروضة بالإسناد عن محمّد الصيرفيّ و عبد الرحمن بن سالم ، قال : دخل أبوحنيفة على الصادق عليه السلام فقال عليه السلام له : البول أقذر أم المنيّ ؟ قال : البول ، قال : يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المنيّ وقد أوجب الله الغسل من المنيّ دون البول. ثمّ قال : لأنّ المنيّ اختيار ، ويخرج من جميع الجسد ، ويكون في الأيّام ، والبول ضرورة و يكون في اليوم مرّات [١] . قال أبوحنيفة : كيف يخرج من جميع الجسد والله يقول « من بين الصلب والترائب » ؟ قال أبو عبدالله عليه السلام : فهل قال لايخرج من غير هذين الموضعين ؟ ثمّ قال عليه السلام : لم لاتحيض المرأة إذا حبلت ؟ قال : لاأدري ، قال عليه السلام : حبس الله الدم فجعله غذاء للولد ـ إلى آخر الخبر بطوله ـ [٢] .

٢ ـ **تفسير النعماني** : بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن مشابه [٣] الخلق ، فقال : هو على ثلاثة أوجه : فمنه خلق الاختراع كقوله سبحانه « خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام» [٤] وخلق الاستحالة ، قوله تعالى « يخلقكم في بطون اُمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث [٥] » و قوله « هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ـ الآية ـ [٦] » وأمّا خلق التقدير فقوله لعيسى « و إذ تخلق من الطين [٧] ـ الآية ـ » .

٣ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن أحمد

---

(١) في المصدر : و هو مختار و الاخر متواج .
(٢) المناقب ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ .
(٣) متشابه (خ) .
(٤) الاعراف : ٥٣ ، يونس : ٣ ، هود : ٥٧ ، الحديد : ٤ .
(٥) الزمر : ٣٢ .
(٦) المؤمن : ٦٧ .
(٧) المائدة : ١١٣ .

ابن أشيم ، عن بعض أصحابه ، قال : أصاب رجل غلامين في بطن ، فهنّأه أبو عبد الله عليه السلام ثمّ قال : أيّهما أكبر ؟ فقال : الّذي خرج أوّلاً ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : الّذي خرج آخراً هو أكبر ! أما تعلم أنّها حملت بذاك أوّلاً وأنّ هذا دخل على ذاك فلم يمكنه أن يخرج حتّى خرج هذا ؟ فالّذي يخرج آخراً هو أكبرهما [١] .

المناقب : مرسلاً مثله [٢] .

بيان : لم أرقائلاً به ، و لعلّه ليس غرضه عليه السلام الكبر الّذي هو مناط الأحكام الشرعيّة .

٤ ــ **الكافي** : عن العدّة ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن أبيه ، عن وهب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال أميرالمؤمنين عليه السلام : يعيش الولد لستّة أشهر ولسبعة أشهر ولتسعة أشهر ، ولا يعيش لثمانية أشهر [٣] .

٥ ــ **ومنه** : عن عليّ بن محمّد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن يونس بن عبدالرحمن عن عبد الرحمن بن سيابة ، عمّن حدّثه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن غاية الحمل بالولد في بطن اُمّه كم هو ؟ فإنّ الناس يقولون : ربما يبقى [٤] في بطنها سنين ، فقال : كذبوا ، أقصى حدّ الحمل تسعة أشهر لايزيد لحظة ، ولوزاد ساعة لقتل اُمّه قبل أن يخرج [٥] .

٦ ــ **ومنه** : عن محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن الحسن ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن محمّد بن مسلم ، قال : كنت جالساً عند أبي عبدالله عليه السلام إذدخل يونس ابن يعقوب ، فرأيته يئنّ ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : مالي أراك تئنّ ؟ قال : طفل لي تأذّيت به الليل أجمع . فقال له أبوعبدالله عليه السلام : يا يونس ! حدّثني أبي محمّد بن عليّ عن آبائه عليهم السلام عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جبرئيل نزل عليه و رسول الله و عليّ

---

(١) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٣ .
(٢) المناقب ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ .
(٣) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٢ .
(٤) في المصدر ، بقي .
(٥) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٢ .

يئنّان ، فقال جبرئيل : ياحبيب الله! مالي أراك تئنّ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أجل طفلين لنا تأذّينا ببكائهما . فقال جبرئيل : مه يا محمّد ! فإنّه سيبعث لهؤلاء القوم شيعة إذا بكى أحدهم فبكاؤه لاإله إلاّ الله إلى أن يأتي عليه سبع سنين ، فإذا جاز السبع فبكاؤه استغفار لوالديه إلى أن يأتي عليه الحدّ ، فإذا جاز الحدّ فما أتى من حسنة فلوالديه وما أتى من سيّئة فلا عليهما [١] .

بيان : « فبكاؤه لاإله إلاّ الله » لعلّ المعنى أنّه يعطى والداه ببكائه ثواب التهليل .

٧ ـ **العلل والعيون** : عن محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن حمزة الأشعري ، عن ياسر الخادم ، قال : سمعت أباالحسن الرضا عليه السلام يقول: إنّ أوحش مايكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يلد [٢] و يخرج من بطن اُمّه فيرى الدنيا، و يوم يموت و يعاين [٣] الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا ، وقد سلّم الله عزّوجلّ على يحيى عليه السلام في هذه المواطن الثلاثة [٤] وآمن روعته ، فقال « و سلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيّاً » وقد سلّم عيسى بن مريم عليهما السلام على نفسه في هذه المواطن الثلاثة [٥] فقال « و السلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت و يوم اُبعث حيّاً [٦] .

٨ ـ **المناقب** : قال عمران الصابيّ للرضا عليه السلام : ما بال الرجل إذا كان مؤنّثا و المرأة إذا كانت مذكّرة ؟ قال عليه السلام : علّة ذلك أنّ المرأة إذاحملت و صار الغلام منها في الرحم موضع الجارية كان مؤنّثا ، و إذا صارت الجارية موضع الغلام كانت مذكّرة و ذلك أنّ موضع الغلام في الرحم ممّايلي ميامنها ، و الجارية ممّايلي مياسرها .

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٥٢ .
(٢) كذا ، و الصواب « يولد » .
(٣) في العيون : فيعاين .
(٤و٥) في اكثر النسخ : الثلاثة المواطن :
(٦) العيون : ج ١ ، ص ٢٥٧ . ولم يوجد في العلل .

و ربما ولدت المرأة ولدين في بطن واحد ، فإن عظم ثدياها جميعاً تحمل توأمين و إن عظم أحد ثدييها كان ذلك دليلاً على أنّه[1] تلد واحداً ، إلّا أنّه إذا كان الثدي الأيمن أعظم كان المولود ذكراً و إذا كان الأيسر أعظم كان المولود اُنثى ، و إذا كانت حاملاً فضمر ثديها الأيمن فإنّها تسقط غلاماً ، وإذا ضمر ثديها الأيسر فإنّها تسقط اُنثى ، و إذا ضمرا جميعاً تسقطهما جميعاً . قال : من أيّ شيء الطول والقصر في الإنسان ؟ فقال : من قبل النطفة ، إذا خرجت من الذكر فاستدارت جاء القصر ، و إن استطالت جاء الطول [2] .

٩ ـ **تفسير الامام و الاحتجاج** : بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ عليه السلام عن جابر بن عبدالله ، قال : سأل ابن صوريا النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : أخبرني يا محمّد الولد يكون من الرجل أو من المرأة ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : أمّا العظام والعصب و العروق فمن الرجل و أمّا اللحم و الدم و الشعر فمن المرأة . قال : صدقت يا محمّد ، ثمّ قال : يا محمّد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه [3] من شبه أخواله شيء ، و يشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيّهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له . قال : صدقت يا محمّد ، فأخبرني عمّن [4] لا يولد له و من يولد له . فقال : إذا مغرت النطفة لم يولد له ـ أي إذا احمرّت و كدرت ـ و إذا كانت صافية ولد له ـ الخبر [5] ـ .

١٠ ـ **الاحتجاج** : عن ثوبان ، قال : إنّ يهوديّاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يا محمّد أسألك عن شيء لا يعلمه إلّا نبيّ . قال : و ما هو ؟ قال : عن شبه الولد أباه و اُمّه . قال : ماء الرجل أبيض غليظ و ماء المرأة أصفر رقيق ، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله عزّ وجلّ و من قبل ذلك يكون الشبه ، و إذا علا ماء المرأة ماء الرجل خرج الولد اُنثى بإذن الله تعالى ومن قبل ذلك يكون الشبه ـ الخبر ـ[6] .

العلل : عن عليّ بن أحمد بن محمّد ، عن حمزة بن القاسم العلويّ ، عن عليّ بن

---

(١) كذا . (٢) المناقب ، ج ٣ ، ص ٣٥٤ .
(٣) في الاحتجاج : له . (٤) فيه ، عما .
(٥) الاحتجاج ، ٢٤ . (٦) الاحتجاج ، ٢٩ .

الحسين بن الجنيد البزّاز ، عن إبراهيم بن موسى الفرّاء ، عن محمّد بن ثور ، عن معمّر ابن يحيى ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عبدالله بن مرّة ، عن ثوبان مثله [١] .

اقول : سيأتي أخبار الخضر في هذا المعنى في باب النفس و أحوالها .

١١ ــ **تفسير علي بن ابراهيم** : عن أبيه ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا بلغ الولد أربعة أشهر فقد صار فيه الحياة ــ الخبر [٢] ــ .

١٢ ــ **و منه** : قال عليّ بن إبراهيم في قوله « فلينظر الإنسان ممّ خلق خلق من ماء دافق » قال : النطفة الّتي تخرج بقوّة « يخرج من بين الصلب و الترائب » قال : الصلب الرجل و الترائب المرأة و هي صدرها [٣] .

١٣ ــ **الكافي** : عن عليّ بن محمّد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن محمّد ابن سليمان الديلميّ ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلاّقين ، فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة الّتي قال في كتابه « منها خلقناكم وفيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اُخرى [٤] » فعجن النطفة بتلك التربة الّتي يخلق منها بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة ، فإذا تمّت له [٥] أربعة أشهر قالوا : يا ربّ تخلق ماذا ؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر [٦] واُنثى ، أبيض أوأسود فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ماكان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو اُنثى ، فلذلك يغسل الميّت غسل الجنابة [٧] .

بيان : « خلاّقين » أي ملائكة خلاّقين ، و الخلق هنا بمعنى التقدير لا الإيجاد وظاهره خروج المنيّ الأوّل بعينها من فيه أوعينه ، و يمكن أن يحفظ الله تعالى جزءً من تلك النطفة مدّة حياته ، و يحتمل أن يكون المراد أنّ هذا الماء من جنس النطفة فعلّة الغسل مشتركة .

(١) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٢) تفسير القمي : ٤٤٦ .

(٣) التفسير ، ٧٢٠ .

(٤) طه ، ٥٧ .

(٥) في المصدر ، لها .

(٦) فيه : أو .

(٧) الكافي : ج ٣ ، ص ١٦٢ .

١٤ ـ **الكافي** : عن العدّة ، عن سهل ، عن الحجّال ، عن ابن بكير ، عن أبي منهال ، عن الحارث بن المغيرة ، قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ النطفة إذا وقعت في الرحم بعث الله عزّ وجلّ ملكاً فأخذ من التربة الّتي يدفن فيها فماثها في النطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يدفن فيها (١) .

بيان : الموث : الخلط ، والحنين : الشوق .

١٥ ـ **العلل** : عن عليّ بن أحمد بن محمّد بن (٢) يعقوب عن عليّ بن محمّد بإسناده رفعه قال : أتى عليّ بن أبي طالب يهوديّ فسأله عن مسائل ، فكان في ماسأله: أخبرني عن شبه الولد أعمامه و أخواله ، و من أيّ النطفتين يكون الشعر (٣) واللحم و العظم و العصب ؟ فقال عليه السلام : أمّا شبه الولد أعمامه و أخواله فإذا سبق نطفة الرجل نطفة المرأة إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أعمامه ، و من نطفة الرجل يكون العظم والعصب و إذا سبق نطفة المرأة نطفة الرجل إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أخواله ، ومن نطفتها يكون الشعر والجلد واللحم لأنّها صفراء رقيقة ـ الخبر ـ (٤) .

١٦ ـ **و منه** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن الحكم ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام فقلت له : إنّ الرجل ربما أشبه أخواله و ربما أشبه عمومته . فقال : إنّ نطفة الرجل بيضاء غليظة و نطفة المرأة صفراء رقيقة ، فإن غلبت نطفة الرجل نطفة المرأة أشبه الرجل أباه وعمومته ، و إن غلبت نطفة المرأة نطفة الرجل أشبه الرجل أخواله (٥) .

١٧ ـ **ومنه** : عن عليّ بن حاتم ـ في ما كتب إليّ ـ عن القاسم بن محمّد ، عن حمدان بن الحسين ، عن الحسين بن الوليد ، عن ابن بكير ، عن عبدالله بن سنان ، عن

---

(١) الكافي : ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

(٢) في المصدر و بعض نسخ الكتاب ، عن محمد بن يعقوب .

(٣) في المصدر : والدم .

(٤) العلل : ج ١ ، ص ١ .

(٥) العلل ، ج ١ ، ص ٨٨

أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : المولود يشبه أباه و عمّه . قال : إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة فالولد يشبه أباه و عمّه ، و إذا سبق ماء المرءة ماء الرجل يشبه الولد اُمّه و خاله [١] .

١٨ ـ **و منه :** عن العبّاس بن محمّد [٢] بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ ، عن محمّد بن يوسف الخلّال [٣] عن محمّد بن خليل المحرميّ ، عن عبدالله بن بكر المسمعيّ [٤] عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سأل عبدالله بن سلام النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى اُمّه ؟ قال صلى الله عليه وآله : إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إليه ـ الخبر [٥] ـ .

بيان : في القاموس : نزع أباه وإليه : أشبهه . و أقول: يحتمل أن يكون المراد بالسبق الغلبة ليوافق خبر أبي بصير ، أو العلوّ ليطابق رواية ثوبان و غيره ، و يمكن كون كلّ منها سبباً لذلك . وأقول : مضامين تلك الأخبار مرويّة من طرق العامّة أيضاً و في كتبهم ، و رووا أيضاً أنّ حبراً من أحبار اليهود سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن الولد فقال : ماء الرجل أبيض و ماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل منيّ المرأة أذكر بإذن الله تعالى . وقال بعضهم : معنى العلوّ الغلبة على الآخر ، و معنى السبق الخروج أوّلاً ، و زعم بعضهم أنّ العلوّ علّة شبه الأعمام و الأخوال ، و السبق علّة الإذكار و الإيناث ، وردّ ذلك التفصيل بأنّه جعل في حديث الحبر العلوّ علّة الإذكار والإيناث . و أجاب عنه بعضهم بأنّ العلوّ في حديث الحبر بمعنى السبق إلى الرحم لأنّ ما علا سبق و يتعيّن تفسيره بذلك ، فإنّه في حديث آخر جعل العلوّ علّة شبه الأعمام والأخوال و جعله في حديث الحبر علّة الإذكار والإيناث ، فلو أبقينا العلوّ في حديث الحبر على

(١) العلل ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٢) كذا ، و الصواب : ابوالعباس محمد بن ابراهيم بن إسحاق الطالقانى .

(٣) فى بعض النسخ بالحاء المهملة وفى بعضها بالجيم ، ولم نجد له ذكراً فى كتب الرجال

(٤) كذا فى جميع نسخ الكتاب ، و الظاهر ان الصواب « السهمى » كما فى المصدر لانه الذى يروى عن حميد الطويل .

(٥) العلل ، ج ١ ، ص ٨٩ .

بابه لزم بمقتضى الحديث أن يكون العلوّ علّة في شبه الأعمال والأخوال و في الإذكار و الإيناث ، ولا يصحّ لأنّ الحسّ يكذّبه ، لأنّا نشاهد الولد ذكراً و يشبه الأخوال و وجه الجمع بين أحاديث الباب أن يكون الشبه المذكور في هذا الحديث يعني به الشبه الأعمّ من كونه في التذكير و التأنيث و شبه الأعمام و الأخوال ، و السبق إلى الرحم علّة للتذكير و التأنيث ، و يخرج من مجموع ذلك أنّ الأقسام أربعة : إن سبق ماء الرجل و علا أذكر و أشبه الولد أعمامه ، وإن سبق ماء المرأة و علا ماؤه اُنّث و أشبه الولد أعمامه (انتهى) [١] .

١٩ ــ **العلل** : عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب عن جعفر بن بشير ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله تبارك و تعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كلّ صورة بينه و بين أبيه إلى آدم ثمّ خلقه على صورة أحدهم فلا يقولنّ أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي [٢] .

٢٠ ــ **و منه** : عن المظفّر بن جعفر بن المظفّر العلويّ ، عن جعفر بن محمّد بن مسعود العيّاشيّ ، عن أبيه ، عن عليّ بن الحسن ، عن محمّد بن عبدالله بن زرارة ، عن عليّ بن عبدالله ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : تعتلج النطفتان في الرحم فأيّتهما كانت أكثر جاءت تشبهها ، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله و إن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه . وقال : تحول النطفة في الرحم أربعين يوماً ، فمن أراد أن يدعو الله عزّ وجلّ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق ، ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ فيقف منه ما شاء الله، فيقول: يا إلهي أذكر أم اُنثى ؟ فيوحي الله عزوجلّ إليه من ذلك ما يشاء و يكتب الملك ، ثمّ يقول : إلهي أشقيّ أم سعيد ؟ فيوحي الله عزّ وجلّ إليه من ذلك ما يشاء و يكتب الملك

---

(١) كذا في جميع نسخ الكتاب ، و الظاهر سقوط قسمين من الاقسام الاربعة في العبارة و هما : ان سبق ماء الرجل وعلاماء المرأة اذكر و اشبه الولد اخواله ، و ان سبق ماء المرأة و علا ايضا انث و اشبه الولد اخواله .

(٢) العلل : ج ١ ص ٩٧ .

فيقول : اللّهمّ [١] كم رزقه ؟ و ما أجله ؟ ثمّ يكتبه ويكتب كلّ شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه ، ثمّ يرجع به فيردّه في الرحم ، فذلك قول الله عزّ وجلّ « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها [٢] » .

بيان : [في القاموس] اعتلجوا : اتّخذوا صراعاً وقتالاً ، و الأرض : طال نباتها و الأمواج : التطمت .

٢١ ـ **العلل :** عن أبيه ، عن محمّد بن أبي القاسم ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ ، عن عبدالله بن عبدالرحمان الأصمّ ، عن الهيثم بن واقد . عن مقرن [٣] عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سأل سلمان ـ رضي الله عنه ـ عليّاً عليه السلام عن رزق الولد في بطن اُمّه ، فقال : إنّ الله تبارك و تعالى حبس عليها الحيضة فجعلها رزقه في بطن اُمّه [٤] .

٢٢ ـ **و منه :** عن الحسين بن أحمد ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن البزنطيّ عن عبدالرحمان بن حمّاد ، قال : سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الميّت لم يغسل غسل الجنابة؟ قال : إنّ الله تبارك و تعالى أعلا و أخلص من أن يبعث الأشياء بيده ، إنّ لله تبارك و تعالى ملكين خلاّقين ، فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمر اُولئك الخلاّقين فأخذوا من التربة الّتي قال الله في كتابه « منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اُخرى [٥] » فعجنوها بالنطفة المسكنة في الرحم ، فإذا عجنت النطفة بالتربة قالا : يا ربّ ما تخلق ؟ قال : فيوحي الله تبارك و تعالى [٦] ما يريد من ذلك ذكراً أو اُنثى ، مؤمناً أو كافراً أسود أو أبيض ، شقيّاً أو سعيداً . فإن مات سالت منه تلك النطفة بعينها لاغيرها ، فمن

---

(١) في المصدر : الهي .

(٢) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٨٩ و الاية في سورة الحديد : ٢٢ .

(٣) ذكر الشيخ في رجاله عدة من اصحاب الصادق عليه السلام بهذا الاسم و حال جميعهم مجهول .

(٤) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(٥) طه ، ٥٧ .

(٦) في المصدر : اليهما ما يريد . .

ثمّ صار الميّت يغسل غسل الجنابة [١] .

بيان : « أمر اُولئك الخلّاقين » كأنّ الجمعيّة على المجاز ، أو المراد بالملكين نوعين [٢] من الملك لكلّ امرأة شخصان ، فيجري فيهما التثنية و الجمع باعتبارين .

٢٣ ـ **المحاسن** : عن أبيه ، عن هارون بن الجهم ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله تبارك و تعالى يقول في كتابه « لقد خلقنا الإنسان في كبد[٣] يعني منتصباً في بطن اُمّه ، مقاديمه إلى مقاديم اُمّه ، ومواخيره إلى مواخير اُمّه ، غذاؤه ممّا تأكل اُمّه و يشرب ممّا تشرب تنسّمه تنسيماً ، وميثاقه الّذي أخذالله عليه بين عينيه فإذا دنا ولادته أتاه ملك يسمّى «الزاجر» فيزجره فينقلب ، فيصير مقاديمه إلى مواخر[٤] اُمّه و مواخيره إلى مقدّم اُمّه ، ليسهّل الله على المرأة و الولد أمره ، و يصيب ذلك جميع الناس إلّا إذا كان عاتياً ، فإذا زجره فزع و انقلب و وقع إلى الأرض باكياً من زجرة الزاجر ، و نسي الميثاق [٥] .

أقول : تمامه و شرحه في باب جوامع أحوال الدوابّ و الأنعام .

٢٤ ـ **العياشي** : عن عبدالملك بن أعين ، قال : إذا زنى الرجل أدخل الشيطان ذكره ثمّ عملا جميعاً ، ثمّ تختلف النطفتان فيخلق الله منهما فيكون شرك الشيطان .

٢٥ ـ **و منه** : عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن شرك الشيطان قوله « و شاركهم في الأموال و الأولاد » قال : ما كان من مال حرام فهو شرك الشيطان قال : ويكون مع الرجل حتّى يجامع ، فيكون من نطفته و نطفة الرجل إذا كان حراماً .

٢٦ ـ **العلل** : لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم : العلّة في تحويل آدم لحماً و دماً بعد أربعين سنة أنّه لم يكن في رحم ولا بطن وكان ظاهراً بارزاً فتحوّل لحماً و دماً بعد أربعين سنة .

٢٧ ـ **المناقب** : عن سلام بن المستنير ، عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل يذكر

---

(١) العلل ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .
(٢) نوعان (ظ) .
(٣) البلد ، ٤ .
(٤) في المصدر ، مواخير .
(٥) المحاسن ٣٠٤ .

فيه خلق الولد في بطن أمّه ، قال : و يبعث الله ملكاً يقال له « الزاجر » فيزجره زجرة فيفزع الولد منها و ينقلب ، فتصير رجلاه أسفل البطن ليسهّل الله عزّ وجلّ على المرأة وعلى الولد الخروج . قال: فإن احتبس زجره زجرة أخرى شديدة ، فيفزع منها فيسقط إلى الأرض فزعاً باكياً من الزجر [١] .

٢٨ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، و عليّ بن إبراهيم عن أبيه جميعاً عن الحسن بن محبوب ، عن محمّد بن النعمان ، عن سلام بن المستنير ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ «مخلّقة وغير مخلّقة[٢]» فقال : المخلّقة هم الذرّ الّذين خلقهم الله في صلب آدم عليه السلام أخذ عليهم الميثاق ، ثمّ أجراهم في أصلاب الرجال و أرحام النساء ، وهم الّذين يخرجون إلى الدنيا حتّى يسألوا عن الميثاق . و أمّا قوله « و غير مخلّقة » فهم كلّ نسمة لم يخلقهم الله في صلب آدم عليه السلام حين خلق الذرّ وأخذ عليهم الميثاق ، وهم النطف من العزل والسقط قبل أن ينفخ فيه الروح والحياة والبقاء[٣] .

بيان : على تأويله عليه السلام يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير ، أي ما قدّر في الذرّ أن ينفخ فيه الروح و مالم يقدّر .

٢٩ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حمّاد بن عيسى ، عن حريز ، عمّن ذكره ، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ «يعلم ما تحمل كلّ أنثى و ما تغيض الأرحام و ما تزداد [٤] » قال : الغيض كلّ حمل دون تسعة أشهر ، و ما يزداد [٥] كلّ شيء يزداد على تسعة أشهر ، فكلّما رأت المرأة الدم الخالص في حملها فإنّها تزداد بعدد الأيّام الّتي رأت في حملها من الدم [٦] .

٣٠ ـ **ومنه** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن الحسن ابن الجهم ، قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : قال أبو جعفر عليه السلام : إنّ النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً ، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً ، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً

---

(١) المناقب ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ . (٢) الحج ، ٥ .
(٣) الكافي ، ج ٦ ، ص ١٢ . (٤) الرعد : ٨ .
(٥) في المصدر : تزداد . (٦) الكافي ، ج ٦ ، ص ١٢ .

فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله عزّ وجلّ ملكين خلاّقين فيقولان : ياربّ ماتخلق ؟ ذكراً أو اُنثى ؟ فيؤمران فيقولان : يارب شقيّاً أوسعيداً ؟ فيؤمران فيقولان : يارب ما أجله ؟ وما رزقه ؟ وماكلّ شيء من حاله ؟ ــ وعدّد من ذلك أشياء ــ و يكتبان الميثاق بين عينيه ، فإذا أكمل الله الأجل بعث الله ملكاً فزجره زجرة فيخرج وقد نسي الميثاق . وقال الحسن بن الجهم : فقلت له : أفيجوز أن يدعو الله عزّ وجلّ فيحوّل الأنثى ذكراً أو الذكر اُنثى ؟ فقال : إنّ الله يفعل مايشاء [١] .

بيان : قيل : كتابة الميثاق كناية عن مفطوريّته على خلقه قابلة للتوحيد و سائر المعارف ، ونسيان الميثاق كناية عن دخوله في عالم الأسباب المشتمل على موانع تعقّل مافطر عليه .

أقول : قد مرّ بسط القول في تلك الأخبار في كتاب العدل .

٣١ ــ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد وعليّ بن إبراهيم ، عن أبيه جميعاً عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يخلق النطفة الّتي [٢] أخذ عليها الميثاق في صلب آدم أومايبدو له فيه و يجعلها في الرحم حرّك الرجل للجماع ، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتّى يلج فيك خلقي و قضائي النافذ و قدري ، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلى الرحم فتردّد فيه أربعين يوماً ، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً ، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً ، ثمّ تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة ، ثمّ يبعث الله ملكين خلاّقين يخلقان في الأرحام مايشاء [٣] يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم ، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فينفخان فيها روح الحياة و البقاء ، ويشقّان له السمع و البصر و جميع الجوارح ، و جميع مافي البطن بإذن الله تعالى . ثمّ يوحي الله إلى الملكين : اكتبا عليه قضائي و قدري و نافذ أمري و اشترطا لي البداء في ماتكتبان

---

(١) الكافي ، ج ٦ ، ص ١٣ .

(٢) في المصدر ، مما اخذ .

(٣) في المصدر ، يشاءالله فيقتحمان

فيقولان : يارب ما نكتب ؟ قال : فيوحي الله عزّ وجلّ إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمّه ، فيرفعان رؤوسهما فإذاً اللوح يقرع جبهة أمّه ، فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته و رؤيته [١] و أجله و ميثاقه شقيّاً أو سعيداً و جميع شأنه . قال : فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ، و يشترطان البداء في ما يكتبان ، ثمّ يختمان الكتاب و يجعلانه بين عينيه ، ثمّ يقيمانه قائماً في بطن أمّه . قال : فربما عتا فانقلب ، ولا يكون ذلك إلّا في كلّ عات [٢] أومارد : فإذا بلغ أوان خروج الولد تامّاً أوغير تامّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى الرحم أن افتحي بابك حتّى يخرج خلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري فقد بلغ أوان خروجه . قال : فيفتح الرحم باب الولد فيبعث الله عزّ وجلّ إليه ملكاً يقال له « زاجر » فيزجره زجرة فيفزع منها الولد ، فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه و رأسه في أسفل البطن ليسهّل الله على المرأة و على الولد الخروج . قال : فإذا احتبس زجره الملك زجرة اُخرى فيفزع منها فيسقط الولد إلى الأرض باكياً فزعاً من الزجرة [٣] .

بيان : قوله « أو ما يبدوله فيه » من البداء ، وقد مرّ معناه في محلّه ، و المعنى : لم يؤخذ عليه الميثاق أوّلاً في صلب آدم و لكن بداله ثانياً بعد خروجه من صلبه أن يأخذ عليها الميثاق ، و يحتمل أن يكون المراد به ما فسّر به غير المخلّقة في الخبر السابق فيكون مشاركاً للأوّل في بعض ما سيذكر ، كما أنّ القسم الأوّل أيضاً قد يسقط قبل كماله فلا يجري فيه جميع ما في الخبر ، و يحتمل أيضاً أن يراد بالأوّل من يصل إلى حدّ التكليف و يؤخذ بما اُخذ عليه من الميثاق ، و بالثاني من يموت قبل ذلك «حرّك الرجل » بإلقاء الشهوة عليه ، و الإيحاء كأنّه على سبيل الأمر التكويني لا التكليفي أي تنفتح بقدرته و إرادته تعالى ، أوكناية عن فطره إيّاها على الإطاعة طمعاً كما قيل. « فتردّد » بحذف إحدى التائين ، أي تتحوّل من حال إلى حال ، وقد مرّ أنّ الخلق

---

(١) في المصدر : « زينته » .

(٢) ومارد (خ)

(٣) الكافي : ج ٦ ، ص ١٣ ـ ١٥ .

المنسوب إلى الملك بمعنى التقدير و التصوير والتخطيط كما هو معناه المعروف في أصل اللغة . «فيقتحمان» أي يدخلان من غير اختيارلها وإذن منها « وفيها الروح القديمة» أي الروح المخلوق في الزمان المتقادم قبل خلق جسده ، و كثيراً ما يطلق القديم في اللغة و العرف على هذا المعنى كما لا يخفى على من تتبّع كتب اللغة و موارد الاستعمالات و المراد بها النفس النباتيّة أو الروح الحيوانيّة أو الإنسانيّة . قوله « رؤيته » أي ما يرى منه ، و يمكن أن يقرأ بالتشديد بمعنى التفكّر و الفهم ، و العتوّ مجاوزة الحدّ و الاستكبار .

ثمّ اعلم أنّ للعلماء في أمثال هذا الخبر مسالك : فمنهم من آمن بظاهرها ووكل علمها إلى من صدرت عنه ، و هذا سبيل المتّقين ؛ و منهم من يقول : مايفهم من ظاهره حقّ ولا عبرة باستبعاد الأوهام في ما صدر عن أئمّة الأنام عليهم السلام ؛ و منهم من قال : هذا على سبيل التمثيل ،كأنّه عليه السلام شبّه مايعلمه سبحانه من حاله وطينته ومايستحقّه من الكمالات و ما أودع فيه من درجات الاستعدادات بمجيء الملكين و كتابتهما على جبهته و غير ذلك ؛ و قال بعضهم : قرع اللوح جبهة أمّه كأنّه كناية عن ظهور أحوال أمّه و صفاتها و أخلاقها من ناصيتها و صورتها الّتي خلقت عليها كأنّها جميعاً مكتوبة عليها ، و إنّما يستنبط الأحوال الّتي ينبغي أن يكون الولد عليها من ناصية أمّه [1] و يكتب ذلك على وفق ما ثمّة للمناسبة الّتي تكون بينه و بينها ، و ذلك لأنّ جوهر الروح إنّما يفيض على البدن بحسب استعداده و قبوله إيّاه ، و استعداد البدن تابع لاستعداد نفس الأبوين و صفاتهما و أخلاقهما لاسيّما الأمّ المربّية له على وفق ماجاء به من ظهر أبيه ، فهي حينئذ مشتملة على أحواله الأبويّة و الأمّيّة . وجعل الكتاب المختوم بين عينيه كناية عن ظهور صفاته و أخلاقه من ناصيته و صورته .

أقول :الأحوط والأولى عدم التعرّض لأمثال هذه التأويلات الواهية ، والتسليم لما ورد عن الأئمّة الهادية عليهم السلام .

٣١ ــ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن الحسين ، عن محمّد بن إسماعيل أو

---

(١) امه مكتوبة (خ) .

غيره ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ، الرجل يدعو للحبلى أن يجعل الله ما في بطنها ذكراً سويّاً . فقال : يدعو ما بينه و بين أربعة أشهر ، فإنّه أربعين ليلة نطفة ، و أربعين ليلة علقة ، و أربعين ليلة مضغة ، فذلك تمام أربعة أشهر ، ثمّ يبعث الله ملكين خلّاقين فيقولان : يا ربّ ما تخلق ؟ ذكراً أو اُنثى ؟ شقيّاً أو سعيداً ؟ فيقولان: يا ربّ ما رزقه ؟ و ما أجله ؟ و ما مدّته ؟ فيقال ذلك ، و ميثاقه بين عينيه ينظر إليه فلا يزال منتصباً في بطن اُمّه حتّى إذا دنا خروجه بعث الله عزّ وجلّ إليه ملكاً فزجره زجرة فيخرج و ينسى الميثاق (١) .

٣٢ ــ **و منه** : عن محمّد بن يحيى و غيره ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن أحمد ابن محمّد بن أبي نصر ، عن إسماعيل بن عمرو (٢) عن شعيب العقرقوفيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ للرحم أربعة سبل ، في أيّ سبيل سلك فيه الماء كان منه الولد، واحد أو اثنان و ثلاثة و أربعة ، ولا يكون إلى سبيل أكثر من واحد (٣) .

٣٣ ــ **و منه** : عن عليّ بن محمّد ، رفعه عن محمّد بن حمران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق للرحم أربعة أوعية ، فما كان في الأوّل فللأب ، وما كان في الثاني فللاُمّ ، و ما كان في الثالث فللعمومة ، و ما كان في الرابع فللخؤولة (٤) .

بيان : « فللأب » أي يشبه الولد إذا وقعت فيه وكذا البواقي ، فسياق هذا الخبر غير سياق الخبر المتقدّم من بيان أكثر ما يمكن من أن تلد المرأة ، و إن كان يظهر ذلك منه إيماءً و تلويحاً ، ولذا أوردهما الكلينيّ ــ ره ــ في باب أكثر ما تلد المرأة .

٣٤ ــ **النهج** : قال : أيّها المخلوق السويّ ، والمنشأ المرعيّ ، في ظلمات الأرحام

---

(١) الكافى ، ج ٦ ، ص ١٦ .

(٢) كذا ، ولم يذكر فى كتب الرجال « اسماعيل بن عمرو » والظاهر انه اسماعيل بن عمر بن ابان الكلبى و يروى عنه احمد بن محمد بن ابى نصر على ماذكره فى جامع الرواة وهو ضعيف .

(٣) الكافى ، ج ٦ ، ص ١٦ .

(٤) الكافى ، ج ٦ ، ص ١٧ .

و مضاعفات الأستار ، بدئت من سلالة من طين ، ووضعت في قرار مكين ، إلى قدرمعلوم و أجل مقسوم ، تمور في بطن أمّك جنيناً ، لا تحير دعاءً ، ولاتسمع نداءً ، ثمّ أخرجت من مقرّ[ك] إلى دار لم تشهدها ، ولم تعرف سبل منافعها ، فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمّك ، و عرّفك عند الحاجة مواضع طلبك و إرادتك ؟ هيهات ! إنّ من يعجز عن صفات ذي الهيئة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز ، ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد [١] .

توضيح : السويّ : العدل ، و الوسط ، و رجل سويّ أي مستوي الخلقة غير ناقص . و أنشأ الخلق : ابتدأ خلقهم ، و الرعاية : الحفظ ، و المرعيّ : من شمله حفظ الراعي . و مضاعفات الأستار أي الأستار المضاعفة ، و الحجب بعضها فوق بعض . « بدئت من سلالة ... » إشارة إلى قوله تعالى « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين [٢] » وقد مرّ وجوه التفسير فيه ، و هي جارية ههنا . و المكين : المتمكّن ، و هو في الأصل صفة للمستقرّ ، وصف به المحلّ مبالغة ، أو المراد تمكّن الرحم في مكانها مربوطة برباطات كما سيأتي ، و المعنى : في مستقرّ حصين هي الرحم «إلى قدرمعلوم» أي مقدار معيّن من الزمان قدّره الله للولادة . وقسمه ـكضربهـ و قسّمه ـ بالتشديد ـ أي جزّأه و فرّقه ، و قسم أمره أي قدّره . و الأجل المقسوم : المدّة المقدّرة لحياة كلّ أحد ، فالظرف متعلّق بمحذوف ، أي منتهياً إلى أجل مقسوم أو يقال : الوضع في الرحم غايته ابتداء الأجل أي مدّة حياة الدنيا ، ويحتمل أن يكون تأكيداً للقدر المعلوم . ومار الشيء ـكقال ـ : تحرّك ، أو بسرعة و اضطراب ، والجنين الولد في البطن لاستتاره ، من « جنّ » أي استتر ، فإذا ولد فهو منفوس . و المحاورة : الجواب و مراجعة النطق ، و يقال « كلّمته فما أحار إليّ جواباً » أي لم يجبني . و دعوته دعاءً : ناديته و طلبت إقباله . « لم تشهدها » أي لم تحضرها قبل ذلك ولم تعلم بحالها . و الاجترار : الجذب . « مواضع طلبك » قيل : أي حلمة الثدي ، و الجمع

---

(١) نهج البلاغة : ج ١ ، ص ٣٠٢ .

(٢) المؤمنون : ١٣ .

باعتبار أنّ الطفل يمتصّ من غير ثدي اُمّه أيضاً ، أو عرّفك عند الحاجة إلى كلّ شيء في دار الدنيا مواضع طلبك . وفي بعض النسخ «وحرّك عندالحاجة » فالمراد بمواضع الطلب القوى و الآلات الّتي يحصل بها اجترار الغذاء . « هيهات » أي بعد أن يحيط علماً بصفات خالقه الّذي هوأبعد الأشياء منه من حيث الحقيقة لعدم المشابهة و المجانسة و ليس له حدود المخلوقين من لا يقدر على وصف نفسه مع أنّه أقرب الأشياء إليه و غيره من ذوي الهيئة و الأدوات ، المجانس له في الذات و الصفات ، المتّصف بحدود المخلوقين .

٣٥ ــ **النهج** : جعل لكم أسماعاً لتعي ماعناها ، وأبصاراً لتجلو عن عشاها ، و أشلاء جامعة لأعضائها ، ملائمة لأحنائها ، في تركيب صورها و مدد عمرها ، بأبدان قائمة بأرفاقها ، و قلوب رائدة لأرزاقها ، في مجلّلات نعمه ، و موجبات مننه ، وحواجز بليّته ، و حوائز عافيته[1] وقدّر لكم أعماراً سترها عنكم ، و خلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم - إلى قوله عليه السلام - أم هذا الّذي أنشأه في ظلمات الأرحام و شغف الأستار نطفة دهاقاً ، و علقة محاقاً ، و جنيناً و راضعاً ، و وليداً و يافعاً ، ثمّ منحه قلباً حافظاً و لساناً لافظاً ، و بصراً لاحظاً ، ليفهم معتبراً ، و يقصر مزدجراً ، حتّى إذا قام اعتداله و استوى مثاله ، نفر مستكبراً - إلى آخر الخطبة - [2] .

توضيح : وعاه يعيه : حفظه و جمعه ، و عناه الأمر يعنيه و يعنوه : أهمّه ، و العشا - بالفتح و القصر - : سوء البصر بالليل و النهار ، أو بالليل ، أوالعمى ، و تجلو : بمعنى تكشف ، قيل : اُقيم المجلوّ مقام المجلوّ عنه ، و التقدير : لتجلو عن قواها عشاها ، و قيل : كلمة « عن » زائدة أو بمعنى « بعد » و المفعول محذوف ، و التقدير : لتجلوالأذى بعد عشاها ، و هو بعيد ، و المراد جلاء العشا عن البصر الظاهر بأن ينظر إلى ما يعتبر به ، أو عن بصر القلب بأن يفرق بين الضارّ و النافع ، و الأشلاء : جمع شلو - بالكسر - و هو العضو ، و فسّره في القاموس بالجسد أيضاً ، و جمعها للأعضاء على

(١) في المصدر : .... مننه ، وحواجز عافيته وقدر....

(٢) نهج البلاغة : ج ١ ، ص ١٤٣ .

الثاني واضح ، و على الأوّل يمكن حملها على الأعضاء الظاهرة الجامعة للباطنة كما قيل .

واقول : يمكن أن يكون المراد بالأعضاء أجزاءالأعضاء . و الملاءمة : الموافقة و الأحناء : جمع حنو ـ بالكسر ـ و هو الجانب ، و في النهاية : لأحنائها أي معاطفها و الغرض الإشارة إلى الحكم و المصالح المرعيّة في تركيب الأعضاء و ترتيبها و جعل كلّ منها في موضع يليق بها ، كما بيّن بعضها في علم التشريح و كتب منافع الأعضاء و الظرف متعلّق بالملاءمة ، و قيل : كأنّه قال : مركّبة و مصوّرة ، فأتى بلفظة « في » كما تقول : ركب في سلاحه أو بسلاحه أي متسلّحاً ، و الأرفاق : جمع رفق ـ بالكسر ـ و هو المنفعة ، و في القاموس : هو ما استعين به ، و الأرفاق على هذا عبارة عن الأعضاء و سائر ما يستعين به الإنسان ، و الباء للاستعانة أو السببيّة بخلاف الأوّل ، و روي « بأرماقها » و الرمق : بقيّة الروح ، و الرود : الطلب . « في مجلّلات نعمه » بصيغة الفاعل أي النعم الّتي تجلّل الناس أي تغطّيهم كما يتجلّل الرجل بالثوب ، وقيل : أي الّتي تجلّل الناس و تعمّهم من قولهم « سحاب مجلّل » أي يطبق الأرض ، والظرف متعلّق بمحذوف والموضع نصب على الحال . والمراد بموجبات المنن ـ على صيغة الفاعل ـ النعم الّتي توجب الشكر ، و يروى على صيغة المفعول أي النعم الّتي أوجبها الله على نفسه لكونه الجواد المطلق، وقيل : أي ماسقط من نعمه واُفيض على العباد من الوجوب بمعنى السقوط .

و حواجز العافية : ما يدفع المضارّ ، و يروى « حواجز بليّته » أي ما يمنعها. و الامتنان بستر الأعمار لكون الاطّلاع عليها و اشتغال الخاطر بخوف الموت ممّا يبطل نظام الدنيا ، و الغرض تنبيه الغافل عن انقضاء العمر لستر حدّه وانتهائه . وخلف العبر إبقاؤها بعد ارتحال الماضين كأنّها خليفة لهم .

« أم هذا الّذي . . . » قيل : أم ههنا إمّا استفهاميّة على حقيقتها كأنّه قال : أعظكم و اُذكّركم بحال الشيطان و إغوائه أم بحال الإنسان من ابتداء وجوده إلى حين مماته و إمّا أن تكون منقطعة بمعنى بل كأنّه قال عادلاً و تاركاً لما وعظهم به :

بل أتلو عليكم بناء هذا الإنسان الّذي حاله كذا . و الشغف ـ بضمّتين ـ جمع شغاف ـ بالفتح ـ وهو في الأصل غلاف القلب و حجابه ، استعير هنا لوضع الولد . و الدهاق ـ بكسر الدال ـ الّذي أدهق أي أفرغ إفراغاً [شديدا] ، و قيل : الدهاق المملوءة من قولهم دهق الكأس ـ كجعله ـ ملأها . و يروى « دفاقاً » من دفقت الماء أي صببته. و المحق : المحو و الإبطال و النقص ، و سمّيت ثلاث ليال من آخر الشهر محاقاًلأنّ القمر يقرب من الشمس فتمحقه ، و استعير للعلقة لأنّها لم تتصوّر [بعد] فأشبهت ما اُبطلت صورته ، وفي الأوصاف تحقير للإنسان كما اُومىء إليه بالإشارة . و الراضع: الطفل يرضع اُمّه ـ كيسمع ـ أي يتمصّ ثديها ، و الاُمّ مرضعة . والوليد : المولود وكأنّ المراد به الفطيم . و اليافع : الغلام الّذي شارف الاحتلام ولمّا يحتلم ، يقال : أيفع الغلام فهو يافع ، وهو من النوادر .

قال في « سرّ الأدب » في ترتيب أحوال الإنسان : هو مادام في الرحم جنين،فإذا ولد فوليد ، ثمّ مادام يرضع فرضيع ، ثمّ إذا قطع منه اللبن فهو فطيم ، ثمّ إذا دبّ ونمى فهو دارج ، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسيّ ، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور ، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو مثّغر ، فإذا تجاوز العشر أو جاوزها فهو مترعرع وناشيء ، فإذاكاد يبلغ الحلم أوبلغه فهو يافع ومراهق ، فإذا احتلم واجتمعت قوّته فهو حزور ، واسمه في جميع هذه الأحوال غلام ، فإذا اخضرّ شاربه قيل قد بقل وجهه ، فإذا صار ذافتاء فهو فتى و شارخ ، فإذا اجتمعت لحيته و بلغ غاية شبابه فهو مجتمع ، ثمّ مادام بين الثلاثين و الأربعين فهو شابّ ، ثمّ هو كهل إلى أن يستوفي الستّين ، و قيل : إذا جاوز أربعاً و ثلاثين إلى إحدى و خمسين ، فإذا جاوزها فهو شيخ .

ثمّ «منحه» أي أعطاه . واللافظ : الناطق ، و يقال : لحظ إذا نظر بمؤخّرعينيه و كأنّ المراد هنا مطلق النظر ، و « يقصر » على بناء الإفعال أي ينتهي . و المعنى : أعطاه القوى الثلاثة ليعتبر بحال الماضين ، و ما نزل بساحة العاصين ، و ينتهي عمّا يفضيه إلى أليم النكال ، و شديد الوبال ، أوليفهم دلائل الصنع و القدرة ، و يستدلّ بشواهد

الربوبيّة على وجوب الطاعة و الانتهاء عن المعصية ، فينزجر عن الخلاف و العصيان ويتخلّص عن الخيبة والخسران . والاعتدال : التناسب والاستقامة والتوسّط بين الحالين في كمّ أوكيف ، و قيام الاعتدال : تمام الخلقة والصورة ، و تناسب الأعضاء ، وخلوّها عن النقص و الزيادة ، و كمال القوى المحتاج إليها في تحصيل المآرب . و « استوى » أي اعتدل ، و المثال - بالكسر - : المقدار ، وصفة الشيء ، و يقال : استوى الرجل إذا بلغ أشدّه أي قوّته ، و هو ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين . و نفرت الدابّة - كضرب - أي فرّ و ذهب .

٣٦ ـ **الفقيه** : عن محمّد بن عليّ الكوفيّ ، عن إسماعيل بن مهران ، عن مرازم عن جابر بن يزيد ، عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إذا وقع الولد في جوف [(١)] اُمّه صار وجهه قبل ظهر اُمّه إن كان ذكراً ، و إن كان اُنثى صار وجهها قبل بطن اُمّها ، يداه على وجنتيه ، وذقنه على ركبتيه كهيئة الحزين المهموم فهو كالمصرور منوط بمعاء من سرّته إلى سرّة اُمّه ، فبتلك السرّة يغتذي من طعام اُمّه و شرابها إلى الوقت المقدّر لولادته ، فيبعث الله تعالى [(٢)] ملكاً فيكتب على جبهته : شقيّ أو سعيد ، مؤمن أو كافر ، غنيّ أو فقير ، ويكتب [(٣)] أجله ورزقه و سقمه وصحّته فإذا انقطع الرزق المقدّر له من سرّة اُمّه زجره الملك زجرة ، فانقلب فزعاً من الزجرة و صار رأسه قبل المخرج [(٤)] فإذا وقع إلى الأرض دفع [(٥)] إلى هول عظيم و عذاب أليم ، إن أصابته ريح أو مشقّة أومسّته يد وجد لذلك من الألم ما يجده المسلوخ عنه جلده ، يجوع فلا يقدر على استطعام [(٦)] و يعطش فلا يقدر على استسقاء [(٧)] و يتوجّع فلا يقدر على الاستغاثة ، فيوكل الله تعالى به الرحمة و الشفقة عليه و المحبّة له اُمّه فتقيه الحرّ و البرد بنفسها ، و تكاد تفديه بروحها ، و تصير من التعطّف عليه بحال لا

(١) في المصدر : في بطن .
(٢) فيه : اليه ملكا
(٣) فيكتب (خ) .
(٤) في المصدر : الفرج .
(٥) وقع (خ)
(٦) في المصدر : الاستطعام .
(٧) في المصدر : الاستسقاء

تبالي أن تجوع إذا شبع ، و تعطش إذا روي ، و تعرى إذا كسي ، و جعل الله - تعالى ذكره - رزقه في ثدي اُمّه ، في إحديهما طعامه و في الاُخرى شرابه ، حتّى إذا رضع آتاه الله في كلّ يوم بما قدّر له فيه من الرزق ، وإذاأدرك فهمّه الأهل و المال والشره و الحرص ، ثمّ هو مع ذلك بعرض [1] الآفات و العاهات و البليّات من كلّ وجه ، و الملائكة تهديه و ترشده ، و الشياطين تضلّه و تغويه ، فهوهالك إلّا أن ينجيه الله تعالى وقد ذكر الله - تعالى ذكره - نسبة الإنسان في محكم كتابه فقال عزّوجلّ « و لقدخلقنا الإنسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فسكونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثمّ إنّكم بعد ذلك لميّتون ثمّ إنّكم يوم القيامة تبعثون [2] » .

قال جابر بن عبدالله الأنصاريّ : فقلت : يا رسول الله ! هذه حالنا فكيف حالك و حال الأوصياء بعدك في الولادة ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله مليّاً ثمّ قال : يا جابر ! لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلّا ذوحظّ عظيم ، إنّ الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جلّ ثناؤه [3] يودع الله أنوارهم أصلاباً طيّبة و أرحاماً طاهرة ، يحفظها بملائكته ، و يربّيها بحكمته ، و يغذوها بعلمه ، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف ، و أحوالهم تدقّ عن أن تعلم ، لأنّهم نجوم الله في أرضه ، و أعلامه في بريّته ، و خلفاؤه على عباده ، و أنواره في بلاده ، وحججه على خلقه . يا جابر ! هذا من مكنون العلم و مخزونه ، فاكتمه إلّا من أهله [4] .

بيان : في القاموس : الوجنة - مثلّثة وككلمة و محرّكة - : ماارتفع من الخدّين . والمصرور : الأسير ، لأنّه مجموع اليدين ، من« صررت » جمعت ، وقال : صرّ الناقة : شدّ ضرعها . و قال : ناطه نوطاً : علقه . و الشره - بالتحريك - : غلبة الحرص .

(١) في المصدر : تعرضه .
(٢) المؤمنون ، ١٢ ــ ١٦ .
(٣) في المصدر : جل ذكره .
(٤) الفقيه ، ٥٨٩ .

٣٧ ـ **الكافي** : عن العدّة ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن فضّال ، و محمّد بن عيسى ، عن يونس ، قالا : عرضنا كتاب الفرائض عن أمير المؤمنين عليه السلام على أبي الحسن الرضا عليه السلام و ممّا فيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام جعل دية الجنين مائة دينار ، و جعل منيّ الرجل إلى أن يكون جنيناً خمسة أجزاء ، فإذا كان جنيناً قبل أن تلجه الروح مائة دينار ، و ذلك أنّ الله عزّ وجلّ خلق الإنسان من سلالة وهي النطفة فهذا جزء ، ثمّ علقة فهو جزءان ، ثمّ مضغة فهو ثلاثة أجزاء ، ثمّ عظماً فهو أربعة أجزاء ثمّ يكسى لحماً فحينئذ تمّ جنيناً فكملت له خمسة أجزاء مائة دينار - إلى قوله - فإذا اُنشيء فيه خلق آخر و هو الروح فهو حينئذ نفس فيه ألف دينار كاملة إن كان ذكراً و إن كان اُنثى فخمسمائة دينار [1] .

٣٨ ـ **ومنه** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن محبوب عن أبي أيّوب الخزّاز ، عن محمّد بن مسلم ، قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن الرجل يضرب المرأة فتطرح النطفة ، فقال : عليه عشرون ديناراً ، فقلت : فيضربها فتطرح العلقة فقال : أربعون [2] ديناراً ، قلت : فيضربها فتطرح المضغة ، قال : عليه ستّون ديناراً قلت : فيضربها فتطرحه وقد صار له عظم ، فقال : عليه الدية كاملة ، بهذا قضى أمير المؤمنين عليه السلام : قلت : فما صفة [خلقة] النطفة الّتي تعرف بها ؟ فقال : النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة ، فتمكث في الرحم إذا صارت فيه أربعين يوماً ثمّ تصير إلى علقة . قلت : فما صفة خلقة العلقة الّتي تعرف بها؟ فقال : هي علقة كعلقة الدم المحجمة الجامدة ، تمكث في الرحم بعد تحويلها عن النطفة أربعين يوماً ثمّ تصير مضغة . قلت : فما صفة المضغة وخلقتها الّتي تعرف بها ؟ قال : هي مضغة لحم حمراء ، فيها عروق خضر مشتبكة ثمّ تصير إلى عظم . قلت : فما صفة خلقته إذا كان عظماً ؟ فقال : إذا كان عظماً شقّ له السمع و البصر ، ورتّبت جوارحه ، فإذا كان كذلك فإنّ فيه الدية كاملة [3] .

---

(١) الكافي ، ج ٧ ، ص ٣٤٢ .

(٢) في المصدر : عليه أربعون ...

(٣) الكافي ، ج ٧ ، ص ٣٤٥ .

٣٩ ـ **ومنه** : عن صالح بن عقبة ،عن يونس الشيباني ، قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : فإن خرج في النطفة قطرة دم ؟ قال : القطرة عشر النطفة ، فيها اثنان و عشرون ديناراً ، قلت : فإن قطرت قطرتين ؟ قال : أربعة و عشرون ديناراً ، قال : قلت : فإن قطرت بثلاث ؟ قال : فست و عشرون ديناراً ، قلت : فأربع ؟ قال : فثمانية وعشرون ديناراً ، و في خمس ثلاثون [1] ، وما زاد على النصف فعلى حساب ذلك حتى تصير علقة ، فإذا صارت علقة ففيهاأربعون [دينارا] فقال له أبوشبل : ـ وأخبرنا أبو ـ شبل ، قال : حضرت يونس و أبوعبد الله عليه السلام يخبره بالديات ، قال : قلت : ـ فإن النطفة خرجت متخضخضة بالدم؟ قال : فقال لي : فقد علقت إن كان دماً صافياً ففيها أربعون ديناراً ، و إن كان دماً أسود فلاشيء عليه إلا التعزير ، لأنه ماكان من دم صاف فذلك للولد ، وما كان من دم أسود فذلك من الجوف . قال أبوشبل : فإن العلقة صار فيها شبه العرق من لحم ؟ قال : اثنان وأربعون العشر ، قال : قلت :فإن عشرالأربعين أربعة ، قال : لا ، إنما هو عشر المضغة ، لأنه إنما ذهب عشرها ، فكلما زادت زيد حتى تبلغ الستين . قال : قلت : فإن رأيت في المضغة شبه العقدة عظماً يابساً ؟ قال : فذلك عظم كذلك أول مايبتدىء العظم ، فيبتدىء بخمسة أشهر ففيه أربعة دنانير،فإن زاد فزاد أربعة أربعة حتى تتم [2] الثمانين . قال : قلت : و كذلك إذا كسي العظم لحماً ؟ قال : كذلك ، قلت : فإذا وكزها فسقط الصبي فلا يدرى أحياً كان أم لا ؟ قال: هيهات ياباشبل ! إذا مضت الخمسة أشهر فقد صارت فبه الحياة ، وقد استوجب الدية [3] .

بيان : الخضخضة تحريك الماء ونحوه «إنما هوعشرالمضغة » أي عشرالدية التي زيدت لصيرورتها مضغة ، والوكز ـ كالوعد ـ : الدفع والطعن والضرب بجمع الكف . ثم إن الخبر يدل على أن ولوج الروح بعد الخمسة أشهر ، وهو خلاف المشهور وما

---

(١) في المصدر : ثلاثون ديناراً .

(٢) في المصدر : يتم .

(٣) الكافي : ج ٧ ، ص ٣٦٥ .

دلّ عليه غيره من الأخبار من أنّ ولوج الروح بعد الأربعة أشهر ، ولعلّ المراد أنّه قد يكون كذلك .

٤٠ ــ **الكافي** : عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن عبدالله ابن غالب ، عن أبيه ، عن سعيد المسيّب ، قال : سألت عليّ بن الحسين عليهما السلام عن رجل ضرب امرأته حاملاً برجله فطرحت ما في بطنها ميّتاً ، فقال : إن كان نطفة فإنّ عليه عشرين ديناراً ، قلت : فما حدّ النطفة ؟ فقال : هي الّتي إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه أربعين يوماً قال : وإن طرحته وهو علقة فإنّ عليه أربعين ديناراً ، قلت: فما حدّ العلقة؟ فقال: هي الّتي إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه ثمانين يوماً ، قال : وإن طرحته وهو مضغة فإنّ عليه ستّين ديناراً ، قلت : فما حدّ المضغة ؟ فقال : هي الّتي إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه مائة وعشرين يوماً ، قال : و إن طرحته و هو نسمة مخلّقة له عظم ولحم مرتّب(١) الجوارح قد نفخ فيه روح العقل فإنّ عليه دية كامله . قلت له : أرأيت تحوّله في بطنها إلى حال أبروح كان ذلك أو بغير روح ؟ قال : بروح عدا الحياة القديم المنقول في أصلاب الرجال و أرحام النساء ، ولولا أنّه كان فيه روح عدا الحياة ما تحوّل من حال(٢) إلى حال في الرحم ، وما كان إذن على من يقتلانه (٣) دية وهو في تلك الحال(٤) .

توضيح : « مرتّب الجوارح » في بعض النسخ « مزيّل الجوارح » أي امتازت وافترقت جوارحه بعضها عن بعض كما قال تعالى « لو تزيّلوا لعذّبنا (٥) » و في بعضها « مربّل » بالراء المهملة و الباء الموحّدة ، قال الجوهري : تربّلت المرأة كثر لحمها . « بروح غذاء الحياة » المراد إمّا روح الوالدين أو القوّة النامية ، وفي بعضها « عدا » بالمهملتين من غير مدّة ، فالمراد به أنّ تحوّله بروح غير الروح الّذي خلق لأجله قبل

---

(١) في المصدر : مزيل .
(٢) « « : عن حال بعد حال .
(٣) « « : يقتله .
(٤) الكافي ، ج ٧ ، ص ٣٤٧ .
(٥) الفتح ، ٢٥ .

خلق الأجساد لأنّه لم يتعلّق به بعد ، فالمراد بالروح الأوّل القوّة النامية أو روح الوالدين ، وعلى النسختين المنقول صفة روح لاالحياة ، و المراد بالقديم ماتقادم زمانه لأنّه خلق قبل خلق الأجسادكماسيأتي إن شاءالله ، و إطلاق القتل على الإسقاط قبل تعلّق الروح مجاز .

٤١ ـ **الكافي :** عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن أبي نصر ، عن الحسين بن خالد ، قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : إنّا روينا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من شرب الخمر لم يحتسب صلوته أربعين يوماً ، قال : فقال : صدقوا ، قلت : و كيف لا يحتسب [١] صلوته أربعين صباحاً لا أقلّ من ذلك ولا أكثر ؟ فقال : إنّ الله جلّ و عزّ قدّر خلق الإنسان فصيّره نطفة أربعين يوماً ، ثمّ نقلها فصيّرها علقة أربعين يوماً ثمّ نقلها فصيّرها مضغة أربعين يوماً ، فهو إذا شرب الخمر بقي في مُشاشته [٢] أربعين يوماً على قدر انتقال خلقته ، ثمّ قال عليه السلام : كذلك جميع غذاء أكله و شربه يبقى في مشاشته [٣] أربعين يوماً [٤] .

٤٢ ـ **و منه :** عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان ، عن عليّ ابن عيسى رفعه ، في ما ناجى الله به موسى عليه السلام قال : يا موسى ! أنا السيّد الكبير ، إنّي خلقتك من نطفة من ماء مهين ، من طينة أخرجتها من أرض ممشوجة [٥] فكانت بشراً فأنا صانعها خلقاً ـ الخبر [٦] ـ .

٤٣ ـ **و منه :** عن محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن أحمد ، عن أحمد بن الحسن ، عن

---

(١) في المصدر : لاتحتسب

(٢ و٣) في المصدر : مشاشه .

(٤) الكافي : ج ٦ ، ص ٤٠٢ .

(٥) في المصدر : ارض ذليلة ممشوجة . وقال المؤلف ـ ره ـ في مرآت العقول : أي مخلوطة من انواع ، والمراد : أني خلقتك من نطفة و اصل تلك النطفة حصل من شخص خلقته من طينة الارض وهوآدم عليه السلام واخذت طينته من جميع وجه الارض المشتملة على الوان وأنواع مختلفة .

(٦) روضة الكافي : ٤٤

عمرو بن سعيد ، عن مصدّق بن صدقة ، عن عمّار بن موسى ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئل عن الميّت يبلى جسده ؟ قال : نعم ، حتّى لا يبقى لحم ولا عظم إلّا طينته الّتي خلق منها فإنّها لا تبلى ، تبقى في القبر مستديرة حتّى يخلق الله منها كما خلق أوّل مرّة[1] .

٤٤ ـ **و منه** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن إبراهيم بن مسلم الحلوانيّ ، عن أبي إسماعيل الصيقل الرازيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ في الجنّة لثمرة تسمّى « المزن » فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة ، فلا تصيب بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلّا أخرج الله من صلبه مؤمناً[2] .

٤٥ ـ **العلل** : عن عليّ بن حاتم ، عن القاسم بن محمّد ، عن إبراهيم بن مخلّد عن أحمد بن إبراهيم ، عن محمّد بن بشير ، عن محمّد بن سنان ، عن أبي عبدالله القزوينيّ قال : سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام فقلت : لأيّ علّة يولد الإنسان ههنا ويموت في موضع آخر ؟ قال : إنّ[3] الله تبارك و تعالى لمّا خلق خلقه خلقهم من أديم الأرض فيرجع[4] كلّ إنسان إلى تربته[5] .

٤٦ ـ **تفسير الامام** : قال عليه السلام في سياق قصّة ذبح البقرة : ثمّ ذبحوها وأخذوا قطعة و هي عجب الذنب الّذي منه خلق ابن آدم و عليه يركب إذا أراد خلقاً جديداً فضربوه بها ـ القصّة ـ .

٤٧ ـ **البصائر** : عن الحسن بن محبوب ، عن صالح بن سهل الهمدانيّ و غيره عن يونس بن ظبيان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا أراد الله أن يقبض روح إمام و يخلق من بعده إماماً أنزل قطرة من ماء تحت العرش إلى الأرض فيلقيها على ثمرة أو بقلة ، فيأكل تلك الثمرة أو تلك البقلة الإمام الّذي يخلق الله منه نطفة الإمام الّذي يقوم من بعده ، قال : فيخلق الله من تلك القطرة نطفة في الصلب ، ثمّ يصير إلى الرحم

(١) الكافي ، ج ٣ ، ٢٥١ .
(٢) الكافي : ج ٢ ، ص ١٤ .
(٣) في المصدر : لان .
(٤) وفي المصدر و في بعض نسخ الكتاب : فمرجع .
(٥) العلل : ج ١ ، ص ٢٩٠ .

فيمكث فيها أربعين ليلة ، فإذا مضى له أربعون ليلة سمع الصوت ، فإذا مضى له أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن « و تمّت كلمة ربّك صدقاً و عدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم [1] » فإذا خرج إلى الأرض اُوتي الحكمة ، و زيّن بالعلم و الوقار و اُلبس الهيبة ، و جعل له مصباح من نور يعرف به الضمير ، و يرى به أعمال العباد.

أقول : قد مضت الأخبار في بدء خلق الإمام و خواصّه في المجلّدات السابقة المتعلّقة بالإمامة ، فلا نعيدها حذراً من التكرار .

٤٨ ـ **العلل** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمّد البرقيّ ، عن أبي هاشم الجعفريّ ، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه إتيان الخضر أمير المؤمنين عليه السلام و سؤاله عن مسائل وأمره عليه السلام الحسن بجوابه ، فقال الحسن عليه السلام في سياق الأجوبة : وأمّا ما ذكرت من أمر الرجل يشبه أعمامه و أخواله فإنّ الرجل إذا أتى أهله بقلب ساكن و عروق هادئة و بدن غير مضطرب استكنت تلك النطفة في [تلك] الرحم فخرج الولد يشبه أباه و اُمّه ، و إن [2] أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة و بدن مضطرب اضطربت تلك النطفة في جوف تلك الرحم فوقعت على عرق من العروق ، فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه ، و إن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه [3] أخواله ـ إلى آخر ما سيأتي من الخبر الطويل ـ [4] .

بيان : في القاموس : هدأ ـ كمنع ـ هدءً و هدوءً : سكن . و أقول : يحتمل أن يكون المراد أنّه إذا لم تضطرب النطفة تحصل المشابهة التامّة ، لأنّ المنيّ يخرج من جميع البدن فيقع كلّ جزء موقعه ، وإذا اضطربت حصلت المشابهة الناقصة ، فيشبه الأعمام إذا كان الأغلب منيّ الرجل لأنّهم أيضاً يشبهون الأب مشابهة ناقصة ، وإن غلب منيّ الاُمّ أشبه الأخوال كذلك ، و يمكن أن يكون بعض العروق في بدن الأب منسوباً إلى

---

(١) الانعام ، ١١٥ .

(٢) في المصدر : و إن هو .

(٣) في المصدر ، أشبه الولد .

(٤) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٩١ .

الأعمام و في بدن الأمّ منسوباً إلى الأخوال ، ففي الاضطراب يعلو المنيّ الخارج من ذلك العرق ، فالمراد بالعرق منيّ العرق ، و هذا لايخلو من بعد .

٤٩ ـ **تفسير الامام** : قال عليه السلام في قوله تعالى « يا أيّها الناس اعبدوا ربّكم الّذي خلقكم [1] » من نطفة من ماء مهين ، فجعله في قرارمكين إلى قدر معلوم، فقدّره فنعم القادر ربّ العالمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ النطفة تثبت في الرحم أربعين يوماً نطفة ، ثمّ يصير علقة أربعين يوماً ، ثمّ مضغة أربعين يوماً ، ثمّ يجعل بعده عظماً ، ثمّ يكسى لحماً ، ثمّ يلبس الله بعده جلداً ، ثمّ ينبت عليه شعراً ، ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام ، فيقال له : اكتب أجله و عمله و رزقه ، و شقيّاً يكون أو سعيداً، فيقول الملك : يا ربّ أنّى لي بعلم ذلك ؟ فيقال له : استمل ذلك من قرّاء اللوح المحفوظ فيستمليه منهم .

٥٠ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن أبي محمّد المدائنيّ عن عائذ بن حبيب بيّاع الهرويّ ، عن عيسى بن زيد ، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : يثغر الغلام لسبع سنين ، و يؤمر بالصلوة لتسع ، و يفرّق بينهم في المضاجع لعشر و يحتلم لأربع عشرة [2] و ينتهي طوله إلى اثنين [3] و عشرين سنة ، و ينتهي عقله إلى ثمان [4] و عشرين سنة إلاّ التجارب [5] .

بيان : قال المطرزيّ : ثُغر الصبيّ فهو مثغور : سقطت رواضعه ، و أمّا إذا نبت بعد السقوط فهو متّغر بالتاء والثاء ، وقد اتّغر على افتعل .

٥١ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن أحمد ، عن موسى بن عمر ، عن عليّ بن الحسين ، عن الحسن الضرير ، عن حمّاد بن عيسى ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام : يشبّ الصبيّ كلّ سنة أربع أصابع بأصابع نفسه [6] .

٥٢ ـ **و منه** : عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ

---

(١) البقرة : ٢١ .
(٢) في المصدر ، لاربع عشرة سنة
(٣) في المصدر ، اثنتين .
(٤) في المصدر : لثمان .
(٥و٦) الكافي ، ج ٦ ، ص ٤٦

عن أبي‌عبدالله عن أبيه عليهما‌السلام قال : الغلام لا يلقح بتفلّك ثدياه و بسطح[1] ريح إبطيه [2] .

بيان : لا يلقح : لا يجامع ، [3] و هو كناية عن البلوغ ، و في القاموس : فلك ثديها و تفلّك : أستدار .

٥٣ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن‌محمّد ، و عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن‌محبوب ، عن خليل بن عمرو اليشكريّ ، عن جميل بن درّاج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول : إذاكان الغلام ملتاث الادرةصغير الذكر ساكن النظر فهو ممّن يرجى خيره و يؤمن شرّه ، قال : و إذا كان الغلام شديد الادرة كبير الذكر حادّ النظر فهو ممّن لا يرجى خيره ولا يؤمن شرّه [4] .

توضيح : في أكثرالنسخ « ملتاث الادرة » بالتاء المثنّاة ثمّ الثاءالمثلّثة من‌اللوثة بالضمّ وهي الاسترخاء ، و الادرة : نفخة في الخصية ، و كأنّ المراد بها هنانفس‌الخصية أي مسترخي‌الخصية متدلّيها ، وفي‌بعضها « الازرة » بالزاي ، أي هيئة الائتزار، والتياثه كناية عن أنّه لا يجوّد شدّ الإزار والمنطقة بحيث يرى منه حسن الائتزار فعجب به كما هو عادة الظرفاء ، و في بعضها « ملثاث » بالثائين المثلّثتين ، و اللثّ و الإلثاث و اللثلثة : الإلحاح و الإقامة و دوام المطر ، و اللثلثة : الضعف و الحبس [5] و التردّد في الأمر ، ذكرها الفيروزآباديّ ، و الأوّل أنسب .

٥٤ ـ **الكافي** : عن عليّ بن محمّد بن‌بندار ، عن‌أبيه ، عن محمّد بن‌عليّ الهمدانيّ عن أبي سعيد الشاميّ ، عن‌صالح بن عقبة ، قال : سمعت العبد الصالح يقول : تستحبّ

---

(١) في اكثر النسخ : يتفلك ثدياه و يسطع . و في المصدر ، و تسطع .

(٢) الكافي ، ج ٦ ، ص ٤٦ .

(٣) في اكثر النسخ « أو » .

(٤) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥١ .

(٥) في القاموس [طبعة مصر] ، الجيش . و الظاهران الصواب هو الحبس ، لانه من معاني اللثلثة

عرامة الغلام[1] في صغره ليكون حليماً في كبره . ثمّ قال : ماينبغي إلاّ أن يكون هكذا . و روي أنّ أكيس الصبيان أشدّهم بغضاً للكتّاب[2] .

بيان : العرامة : سوء الخلق و الفساد و المرح و الإشرار ، و المراد ميله إلى اللعب و بغضه للكُتّاب ، أي عرامته في صغره علامة عقله وحلمه في كبره و ينبغي أن يكون الطفل هكذا ، فأمّا إذا كان منقاداً ساكناً حسن الخلق في صغره يكون بليداً في كبره كما هو المجرّب ، والكُتّاب ــ بالتشديد ــ : المكتب .

٥٥ ــ **الدر المنثور** : عن محمّد بن كعب القرطيّ ، قال : قرأت في التورية ــ أو قال : في صحف إبراهيم ــ فوجدت فيها يقول الله تعالى : ياابن آدم ماأنصفتني ! خلقتك ولم تك شيئاً وجعلتك بشراً سويّاً ، خلقتك من سلالة من طين ثمّ جعلتك نطفة في قرار مكين ، ثمّ خلقت النطفة علقة ، فخلقت العلقة مضغة ، فخلقت المضغة عظاماً ، فكسوت العظام لحماً ، ثمّ أنشأتك خلقاً آخر . ياابن آدم ! هل يقدر على ذلك غيري ؟ ثمّ خفّفت ثقلك على اُمّك حتّى لاتتبرّم[3] بك ولا تتأذّى ، ثمّ أوحيت إلى الأمعاء أن اتّسعي و إلى الجوارح أن تفرّقي ، فاتّسعت الأمعاء من بعد ضيقها ، و تفرّقت الجوارح من بعد تشبيكها ، ثمّ أوحيت إلى الملك الموكّل بالأرحام أن يخرجك من بطن اُمّك ، فاستخلصك[4] على ريشة من جناحه ، فاطّلعت عليك فإذاً أنت خلق ضعيف ليس لك سنّ يقطع ولا ضرس يطحن ، فاستخلصت لك في صدر اُمّك ثدياً[5] يدرّ لك لبناً بارداً في الصيف حارّاً في الشتاء ، و استخلصته من بين جلد و لحم و دم وعروق ، وقذفت لك في قلب والدتك الرحمة ، و في قلب أبيك التحنّن ، فهما يكدّان و يجهدان ، و يربّيانك و يغذّيانك ، ولم يناما حتّى ينوّمانك . ابن آدم ! أنا فعلت ذلك بك لابشيء استأهلته به منّي أولحاجة استعنت على قضائها . ابن آدم ! فلمّا قطع

---

(١) في المصدر ، الصبي .
(٢) الكافي : ج ٦ ، ص ٥١ .
(٣) في المصدر : لا تتمرض .
(٤) في المصدر ، فاستخلصتك
(٥) « ، عرقاً .

سنّك و طلع [1] ضرسك أطعمتك فاكهة الصيف وفاكهة الشتاء في أوانهما ، فلمّا [2] عرفت أنّي ربّك عصيتني ، فالآن إذ عصيتني فادعني و إنّي قريب مجيب ، وادعني فإنّي غفور رحيم [3] .

٥٦ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد ، عن بعض أصحابه رواه عن رجل من العامّة قال :كنت اُجالس أباعبدالله عليه السلام فلا والله مارأيت مجلساً أنبل[4] من مجالسه .

قال : فقال لي ذات يوم : من أين تخرج العطسة ؟ فقلت : من الأنف ، فقال لي : أصبت الخطأ ، فقلت : جعلت فداك ، من أين تخرج ؟ فقال : من جميع البدن، كما أنّ النطفة تخرج من جميع البدن و مخرجها من الإحليل . ثمّ أما رأيت الإنسان إذا عطس نفض جميع أعضائه ، وصاحب العطسة يأمن الموت سبعة أيّام [5] .

٥٧ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن الفضيل ، عن أبي حمزة ، قال سألت أباجعفر عليه السلام عن الخلق ، فقال : إنّ الله تعالى لمّا خلق الخلق من طين أفاض بها كإفاضة القداح ، فأخرج المسلم فجعله سعيداً وجعل الكافر شقيّاً ، فإذا وقعت النطفة تلقّتها الملائكة فصوّروها ، ثمّ قالوا : ياربّ أذكر أو اُنثى ؟ فيقول الربّ جلّ جلاله أيّ ذلك شاء ، فيقولان : تبارك الله أحسن الخالقين ! ثمّ يوضع [6] في بطنها فتردّد تسعة أيّام و في كلّ عرق ومفصل منها،وللرحم ثلاثة أقفال : قفل في أعلاها ممّا يلي أعلا السرّة من جانب الأيمن ، والقفل الآخر في وسطها أسفل [7] من الرحم ، فيوضع بعد تسعة أيّام في القفل الأعلى فيمكث فيه ثلاثة

---

(١) في المصدر : طحن .
(٢) « « : فاكهة الصيف في اوانها و فاكهة الشتاء في اوانها فلما أن عرفت .
(٣) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣١۶ .
(۴) في المصدر و بعض نسخ الكتاب ، أنبل .
(٥) الكافي ، ج ٢ ، ص ٦٥٧ .
(۶) في المصدر ، توضع .
(٧) في المصدر و بعض نسخ الكتاب : و القفل الاخر أسفل ....

أشهر ، فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفس و التهوّع ، ثمّ ينزل إلى القفل الأوسط فيمكث فيه ثلاثة أشهر ، و سرّة الصبيّ فيها مجمع العروق و عروق المرأة كلّها منها يدخل طعامه و شرابه من تلك العروق ، ثمّ ينزل إلى القفل الأسفل فيمكث فيه ثلاثة أشهر ، فذلك تسعة أشهر ثمّ تطلق المرأة ، فكلّما طلقت انقطع عرق من سرّة الصبيّ فأصابها ذلك الوجع ، و يده على سرّته حتّى يقع على الأرض و يده مبسوطة،فيكون رزقه حينئذ من فيه [1] .

بيان : « أفاض بها كإفاضة القداح » قال الجوهريّ : إفاضة القداح : الضرب بها ، والقداح جمع القدح ـ بالكسر ـ وهو السهم قبل أن يراش وينصّل ، فانّهم كانوا يخلّطونها و يقرعون بها بعد ما يكتبون عليها أسماءهم . و في التشبيه إشارة لطيفة إلى اشتباه خير بني آدم بشرّهم إلى أن يميز الله الخبيث من الطيّب ، كذا ذكره بعض الأفاضل .

أقول : يمكن أن يقرأ « القدّاح » بفتح القاف و تشديد الدال و هو صانع القدح ، أي أفاض وشرع في بريها ونحتها كالقدّاح [فيراهم مختلفة كالقداح] . قوله « فتردّد...» لعلّ تردّدها كناية عمّا يؤثّر فيها من مزاج الأمّ ، أوما يختلط بها من نطفة الأمّ الخارجة من جميع عروقها . ثمّ إنّه يحتمل أن يكون نزولها إلى الأوسط و الأسفل ببعضها لعظم جثّتها لا بكلّها. قوله « أسفل من الرحم » أي [هو] أسفل موضع منها . و في القاموس : الطلق وجع الولادة ، وقد طُلقت المرأة طلقاً على مالم يسمّ فاعله و « يده » أي يد الصبيّ .

٥٨ ـ **الكافي** : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، وعليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن زرارة بن أعين ، قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إذا وقعت النطفة في الرحم استقرّت فيها أربعين يوماً وتكون علقة أربعين يوماً و تكون مضغة أربعين يوماً ، ثمّ يبعث الله ملكين خلّاقين فيقال لهما : اخلقاكما يريد الله ذكراً أو انثى ، صوّراه و اكتبا أجله و رزقه و منيّته ، وشقيّاً أوسعيداً ، واكتبا لله

(١) الكافي : ج ٦ ، ص ١٥

الميثاق الّذي أخذه[1] في الذرّ بين عينيه ، فإذا دناخروجه من بطن أُمّه بعثالله إليه ملكاً يقال له « زاجر » فيزجره فيفزع فزعاً ، فينسى الميثاق و يقع إلى الأرض [و] يبكي من زجرة الملك [2] .

٥٩ ـ **قرب الاسناد** : عن أحمدبن محمّد بن عيسى ، عن أحمد بن محمّد بنأبي نصر قال : سألت الرضا عليه السلام أن يدعو الله عزّوجلّ لامرأة من أهلنا بها حمل ، فقال : قال أبوجعفر عليه السلام : الدعاء مالم يمض أربعة أشهر ، فقلت له : إنّما لها أقلّ من هذا،فدعا لها ، ثمّ قال : إنّ النطفة تكون فيالرحم ثلاثينيوماً و تكون علقة ثلاثين يوماًوتكون مضغة ثلاثين يوماً ، وتكون مخلّقة وغير مخلّقة ثلاثين يوماً ، فإذا تمّت الأربعة أشهر بعثالله تعالى إليها ملكين خلاّقين يصوّرانه و يكتبان رزقه وأجله ، و شقيّا أو سعيداً ـ الخبر ـ [3] .

٦٠ ـ **تفسير علي بن ابراهيم** : « لقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم » أي خلقناكم في الأصلاب و صوّرناكم في أرحام النساء . ثمّ قال : وصوّر ابن مريم في الرحم دون الصلب و إنكان مخلوقا في أصلاب الأنبياء ، و رفع وعليه مدرعة من صوف .

حدّثناأحمد بن محمّد ، عن جعفر بن عبدالله المحمّديّ ، عن كثير بن عيّاش ،عن[4] أبي جعفر عليه السلام في قوله « ولقد خلقناكم ثمّصوّرناكم » قال : أمّا « خلقناكم » فنطفةً ثمّ علقةً ، ثمّ مضغةً ، ثمّ عظاما [5] ثمّ لحما ، و أمّا « صوّرناكم » فالعين ، و الأنف و الاُذنين ، والفم ، و اليدين ، والرجلين ، صوّرهذا ونحوه ، ثمّ جعل الدميم والوسيم والجسيم والطويل والقصير وأشباه هذا [6] .

---

(١) في المصدر : اخذه عليه .
(٢) الكافي : ج ٦ ، ص ١٦ .
(٣) قرب الاسناد ، ٢٠٦ .
(٤) في المصدر : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام .
(٥) « « : عظماً .
(٦) تفسير القمي : ٢١٢ .

٦١ - **ومنه** : « خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها» يعني آدم وزوجته حوّاء « في ظلمات ثلاث » قال : البطن ، والرحم ، والمشيمة [١] .

٦٢ - **ومنه** : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم في بروج مشيّدة » يعني الظلمات الثلاث الّتي ذكرها الله ، وهي المشيمة والرحم والبطن [٢] .

٦٣ - **الكافي** : عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مرّار ،عن يونس ،قال: إنّماجعلت المواريث من ستّة أسهم علىخلقة الإنسان ، لأنّ الله عزّوجلّ بحكمته خلق الإنسان من ستّة أجزاء فوضع المواريث على ستّة أسهم ، و هو قوله عزّوجلّ « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين » ففي النطفة دية « ثمّ خلقنا النطفة علقة » ففي العلقة دية « فخلقنا العلقة مضغة » و فيها دية « ثمّ خلقنا المضغة عظاماً » وفيها دية « فكسونا العظام لحماً » وفيه دية اُخرى « ثمّ أنشأناه خلقاً آخر » وفيه دية اُخرى ، فهذا ذكرآخر المخلوق [٣] .

٦٤ - **قصص الراوندي** : بإسناده عن الصدوق ، بإسناده عن شهر بن حوشب قال : لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة أتاه رهط من اليهود فسألوه عن مسائل ، منها قالوا:كيف يكون الشبه من المرأة وإنّماالنطفة للرجل ؟ فقال : اُنشدكم بالله أتعلمون أنّ نطفة الرجل بيضاء غليظة وأنّ نطفة المرأةحمراء رقيقة ، فأيّتها غلب [٤] علىصاحبتها كان لها الشبه ؟ قالوا : اللّهمّ نعم - الخبر - .

٦٥ - **ومنه** : بإسناده عن الصدوق،عن محمدبن يحيى ، عن محمّد بن أحمد بن يحيى عن السيّاريّ، عنإسحق ابن إبراهيم ، عن الرضا عليه السلام قال : إنّ الملك قال لدانيال : أشتهي أن يكون لي ابن مثلك ، فقال : ما محلّي من قلبك ؟ قال : أجلّ محلّ و أعظمه

---

(١) التفسير : ٥٧٤ .
(٢) « : ١٣٢ .
(٣) الكافي : ج ٧ ، ص ٨٤ .
(٤) كذا ، و الصواب « غلبت »

قال دانيال : فإذا [١] جامعت فاجعل همّتك فيّ. قال : ففعل الملك ذلك ، فولد لها ابن أشبه خلق الله بدانيال .

بيان : أقول : ذكر الأطبّاء أيضاً أنّ للتخيّل في وقت الجماع مدخلاً في كيفيّة تصوير الجنين ، قال ابن سينا في القانون : قد قال قوم من العلماء ولم يعدوا عن حكم الجواز إنّ من أسباب الشبه ما يتمثّل حال العلوق في وهم المرأة أو الرجل من الصور الإنسانيّة تمثّلاً متمكّناً (انتهى) و قال بعضهم : تصوّر رجل عند الجماع صورة حيّة فتولّد منه طفل كان رأسه رأس إنسان و بدنه بدن حيّة .

٦٦ ـ **قرب الاسناد** : عن السندي بن محمّد ، عن أبي البختريّ ، عن وهب القرشيّ عن جعفر عن أبيه عليهما السلام أنّ رجلاً أتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : إنّ امرأتي هذه جارية حدثة وهي عذراء وهي حامل في تسعة أشهر ، ولا أعلم إلّا خيراً ، و أنا شيخ كبير ما افترعتها و إنّها لعلى حالها . فقال له عليّ عليه السلام : نشدتك بالله هل كنت تهريق على فرجها ؟ قال : نعم ، فقال عليّ عليه السلام : إنّ لكلّ فرج ثقبتين : ثقب يدخل فيه ماء الرجل وثقب يخرج منه البول ، وأفواه الرحم تحت الثقب الّذي يدخل منه ماء الرجل، فإذا دخل الماء في فم واحدة من أفواه الرحم حملت المرأة بولد واحد ، و إذا دخل في اثنين حملت [٢] باثنين ، و إذا دخل من ثلاثة حملت بثلاثة ، و إذا دخل من أربعة حملت بأربعة و ليس هناك غير ذلك ، وقد ألحقت بك ولدها . فشقّ عنها [٣] القوابل ، فجاءت بغلام فعاش [٤] .

٦٧ ـ **التهذيب** : بإسناده عن محمّد بن الفضيل ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قلت : تلزمني المرأة أو الجارية من خلفي و أنا متّكيء على جنب ، فتتحرّك على ظهري فتأتيها الشهوة و تنزل الماء ، أفعليها غسل أم لا ؟ قال : نعم ، إذا جاءت الشهوة و أنزلت الماء

---

(١) إذا (خ) .

(٢) في المصدر ، من اثنين حملت المرأة باثنين .

(٣) « « فسوغتها القوابل » و هو الصواب ظاهراً .

(٤) قرب الاسناد : ٩١ .

وجب عليها الغسل .

٦٨ ـ **و منه** : بسند موثّق عن معاوية بن حكيم ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إذا أمنت المرأة و الأمة من شهوة جامعها الرجل أولم يجامعها في نوم كان ذلك أو في يقظة فإنّ عليها الغسل .

٦٩ ـ **و منه** : بإسناده عن يحيى بن أبي طلحة ، أنّه سأل عبداً صالحاً عن رجل مسّ فرج امرأته أو جاريته يعبث بها حتّى أنزلت ، عليها غسل أم لا ؟ قال : أليس قد أنزلت من شهوة ؟ قلت : بلى ، قال : عليها غسل .

٧٠ ـ **و منه** : بسند صحيح عن ابن بزيع ، قال : سألت الرضا عليه السلام عن الرجل يجامع المرأة في مادون الفرج فتنزل المرأة ، هل عليها غسل ؟ قال : نعم .

تبيان : أقول : الأخبار في هذا المعنى كثيرة ، وهي تدلّ مع مامرّ من الأخبار في شبه الأعمام و الأخوال على أنّ للمرأة منيّاً كالرجل كما ذهب إليه جالينوس و أكثر الأطبّاء ، و ذهب أرسطو و جماعة من الحكماء إلى أنّه ليس للمرأة منيّ و إنّما تنفصل من بيضتها [١] رطوبة شبيهة بالمنيّ يقال لها المنيّ مجازاً ، إذ عندهم أنّ المنيّ مااجتمع فيه خمس صفات : بياض اللون ، و حصول اللذّة عند الخروج ، والقوّة العاقدة و الدفق ، ورائحة شبيهة برائحة الطلع ، وإذا امتزج منيّ الرجل بتلك الرطوبة تتولّد منه مادّة الجنين ، و منيّ الرجل هي العاقدة و الفاعلة ، ورطوبة المرأة هي المنعقدة و المنفعلة . و قال جالينوس و أتباعه : في كلّ منهما قوّة عاقدة و منعقدة . و الحقّ أنّ النزاع في إطلاق المنيّ على رطوبة المرأة وعدمه لفظي لاطائل تحته ، وقد مرّ في الأخبار الكثيرة أنّ الولد يتكوّن من المنيّين معاً ، و سيأتي بعض القول فيه أيضاً في آخر الباب إن شاء الله .

٧١ ـ **تفسير علي بن ابراهيم** : قوله « سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض و من أنفسهم و ممّا لا يعلمون [٢] » قال : فإنّه حدّثني أبي ، عن النضر

---

(١) بيضتيها (خ) .

(٢) يس : ٣٦ .

ابن سويد ، عن الحلبيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ النطفة تقع من السماء إلى الأرض على النبات و الثمر و الشجر ، فتأكل الناس منه و البهائم ، فيجري فيهم [١] .

٧٢ - **العلل :** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل ، عن عليّ بن الحسين السعدآباديّ عن أحمد بن أبي عبدالله البرقيّ ، عن أبيه ، عن محمّد بن يحيى ، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ابن آدم منتصب في بطن أمّه ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ « لقد خلقنا الإنسان في كبد [٢] » و ما سوى ابن آدم فرأسه في دبره ويداه [٣] بين يديه [٤].

٧٣ - **تفسير علي بن ابراهيم :** « و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » قال : السلالة الصفوة من الطعام و الشراب الّذي يصير نطفة ، والنطفة أصلها من السلالة و السلالة هو من [٥] صفوة الطعام و الشراب ، و الطعام من أصل الطين ، فهذا معنى قوله « من سلالة من طين » . « ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين » أي في الأنثيين ثمّ في الرحم « ثمّ خلقنا النطفة علقة - إلى قوله - أحسن الخالقين » و هذه استحالة أمر إلى أمر ، فحدّ النطفة إذا وقعت في الرحم أربعين يوماً ثمّ يصير علقة [٦] .

٧٤ - **و منه :** قوله « ولقد خلقنا الإنسان - إلى قوله - ثمّ أنشأناه خلقاً آخر » فهي ستّة أجزاء وستّة استحالات ، و في كلّ جزء و استحالة دية محدودة ، ففي النطفة عشرون ديناراً ، وفي العلقة أربعون ديناراً ، وفي المضغة ستّون ديناراً ، و في العظم ثمانون ديناراً ، و إذا كسي لحماً فمائة دينار ، حتّى يستهلّ ، فإذا استهلّ فالديه كاملة [٧].

٧٥ - و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « ثمّ أنشأناه خلقاً آخر» فهو نفخ الروح فيه [٨] .

---

(١) تفسير القمي : ٥٥١

(٢) البلد : ٤

(٣) في نسخة مخطوطة : فرأسه في دبرة بين يديه .

(٤) علل الشرائع : ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٥) في المصدر : و النطفة من السلالة و السلالة من صفوة .

(٦) تفسير القمي : ٤٤٥ .

(٧) « « : ٤٤٥ .

(٨) التفسير : ٤٣٦ .

٧٦ ـ **و منه** : «و بدأ خلق الإنسان من طين » قال : هو آدم عليه السلام «ثمّ جعل نسله» أي ولده « من سلالة » و هو الصفوة من الطعام و الشراب « من ماء مهين » قال : النطفة المنيّ « ثمّ سوّاه » أي استحاله من نطفة إلى علقة ، و من العلقة[1] إلى مضغة ، ثمّ[2] نفخ فيه الروح[3] .

٧٧ ـ **و منه** : في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « يهب لمن يشاء إناثاً » يعني : ليس معهنّ ذكر « و يهب لمن يشاء الذكور » يعني : ليس معهم اُنثى « أو يزوّجهم ذكراناً و إناثاً » أي يهب لمن يشاء ذكراناً وإناثاً جميعاً ، يجمع له البنين و البنات[4] .

٧٨ ـ **و منه** : عن أبيه ، عن المحموديّ و محمّد بن عيسى بن عبيد ، عن محمّد بن إسماعيل الدارميّ[5] عن محمّد بن سعيد ، أنّ يحيى بن أكثم سأل موسى بن عليّ بن محمّد عن مسائل ، و فيها : أخبرنا عن قول الله « أو يزوّجهم ذكراناً و إناثا »فهل يزوّج الله عباده الذكران وقدعاقب قوماً فعلوا ذلك ؟ فسأل موسى أخاه أباالحسن العسكريّ عليه السلام فكان من جواب أبي الحسن عليه السلام : أمّا قوله « أو يزوّجهم ذكراناً و إناثا » فإنّ الله تعالى زوّج ذكران المطيعين إناثاً من الحور العين ، وإناث المطيعات من الإنس ذكران المطيعين ، و معاذ الله أن يكون الجليل عنى[6] ما لبّست على نفسك تطلّباً للرخصة[7] لارتكاب المآثم[8] .

بيان : لا يخفى بُعد ما ذكر في الخبر من سياق الآية ، وكأنّه على سبيل التنزّل

---

(١) في المصدر : علقة .

(٢) فيه : حتى

(٣) التفسير : ٥١١ .

(٤) « : ٦٠٥ .

(٥) كذا في نسخ الكتاب ، و في المصدر « الرازي » وهو الصواب ظاهراً ، لعدم ذكر من « محمد بن اسماعيل الدارمي » في كتب الرجال .

(٦) في اكثر النسخ « اعني » .

(٧) في المصدر : طلباً لرخصة .

(٨) تفسير القمي : ٦٠٥ .

أي لوكان المراد بالتزويج ما زعمت لاحتمل محملاً صحيحاً أيضاً ، أو يكون هذا بطناً من بطون الآية . و يمكن تصحيحه بوجه لا يأبى عن سياق الآية بأن يكون الغرض بيان أحوال جميع أفراد البشر أو المؤمنين في الأزواج [1] و الأولاد ، فإنّهم إمّا أن يكونوا تزوّجوا في الدنيا أم لا ، فعلى الأوّل إمّا يهب لهم إناثاً مع الذكران أو بدونهم أو يهب لهم ذكراناً مع الإناث و بدونهنّ على سبيل منع الخلوّ ، أو يجعلهم عقيماً لا يولد لهم ، و على الثاني يزوّج المؤمنين و المؤمنات في الآخرة .

٧٩ ـ **التهذيب** : عن محمّد بن الحسن الصفّار ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن العبّاس بن موسى الورّاق ، عن يونس بن عبدالرحمن ، عن أبي جرير القمّي ، قال : سألت العبد الصالح عليه السلام عن النطفة مافيها من الدية ؟ و ما في العلقة ؟ و ما في المضغة المخلّقة و مايقرّ في الأرحام ؟ قال : إنّه يخلق في بطن اُمّه خلقاً من بعد خلق ، يكون نطفة أربعين يوماً ، ثمّ يكون علقة أربعين يوماً ، ثمّ مضغة أربعين يوماً ، ففي النطفة أربعون ديناراً ، و في العلقة ستّون ديناراً ، و في المضغة ثمانون ديناراً ، فإذا اكتسى العظام لحماً ففيه مائة دينار ، قال الله عزّ وجلّ « ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » فإن كان ذكراً ففيه الدية ، و إن كانت اُنثى ففيها ديتها .

٨٠ ـ **معاني الاخبار** : عن أبيه ، عن محمّد بن يحيى العطّار ، عن أحمد بن محمّد [2] عن عليّ بن السندي ، عن محمّد بن عمرو بن سعيد ، عن أبيه ، قال : كنت عند أبي عبدالله [3] عليه السلام حيث دخل عليه داود الرقّيّ ، فقال له : جعلت فداك ، إنّ الناس يقولون إذا مضى للحمل [4] ستّة أشهر فقد فرغ الله من خلقته . فقال أبوالحسن عليه السلام : ياداود! ادع ولو بشقّ الصفا ـ فقلت [5] : و أيّ شيء الصفا ؟ قال : ما يخرج مع الولد ـ فإنّ

(١) الزواج (خ) .

(٢) في المصدر : عن محمد بن أحمد .

(٣) كذا في نسخ الكتاب ، و في المصدر : عند أبي الحسن عليه السلام .

(٤) في المصدر : للحامل .

(٥) فيه : فقلت جعلت فداك .

الله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء (١) .

٨١ ـ **الاقبال** : عن الحسين بن عليّ عليهما السلام في دعاء يوم عرفة : ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً ، وخلقتني من التراب ، ثمّ أسكنتني الأصلاب، أمناً لريب المنون واختلاف الدهور ، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم الأيّام الماضية و القرون الخالية ، لم تخرجني لرأفتك بي و لطفك لي و إحسانك إليّ في دولة أيّام الكفرة الّذين نقضوا عهدك ، و كذّبوا رسلك ، لكنّك أخرجتني رأفة منك وتحنّناً عليّ للّذي سبق لي من الهدى الّذي (٢) يسّرتني وفيه أنشأتني ، ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك ، و سوابغ نعمتك ، فابتدعت خلقي من منيّ يمنى ، ثمّ أسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم و جلد و دم ، لم تشهرني بخلقي ، ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري ثمّ أخرجتني إلى الدنيا تامّاً سويّاً ، و حفظتني في المهد طفلاً صبيّاً ، و رزقتني من الغذاء لبناً مريئاً ، وعطفت عليّ قلوب الحواضن ، وكفّلتني الاُمّهات الرحائم، وكلأتني من طوارق الجانّ ، وسلّمتني من الزيادة و النقصان ، فتعاليت يارحيم يارحمان . حتّى إذا استهللت ناطقاً بالكلام ، أتممت عليّ سوابغ الإنعام ، فربّيتني زائداً في كلّ عام حتّى إذاكملت فطرتي ، واعتدلت سريرتي ، أوجبت عليّ حجّتك ، بأن ألهمتني معرفتك ، و روّعتني بعجائب فطرتك ، و أنطقتني لما ذرأت لي في سمائك وأرضك من بدائع خلقك ، و نبّهتني لذكرك و شكرك ، و واجب طاعتك و عبادتك ، وفهّمتني ما جاءت به رسلك ، و يسّرت لي تقبّل مرضاتك ، و مننت عليّ في جميع ذلك بعونك ولطفك ، ثمّ إذخلقتني من حرّ الثرى لم ترض لي ياإلهي نعمة دون اُخرى ، ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف الرياش ، بمنّك العظيم عليّ ، و إحسانك القديم إليّ ، حتّى إذا أتممت عليّ جميع النعم ، و صرفت عنّي كلّ النقم ، لم يمنعك جهلي و جرأتي عليك أن دلّلتني على ما يقرّبني إليك ، و وفّقتني لما يزلفني لديك ـ إلى آخر الدعاء ـ (٣) .

---

(١) معانى الاخبار : ٤٠٥ .

(٢) فى المصدر : فيه يسرتنى .

(٣) الاقبال : ٢٤٠ .

بيان : « ثمّ أسكنتني الأصلاب » أي جعلت مادّة وجودي مودعة في أصلاب آبائي ، فإنّ نطفة كلّ ولدكانت في صلب والده ، وكلّهم كانوا من علل وجوده . وريب المنون : حوادث الدهر ، ذكره الجوهريّ ، و « أمناً » مفعول له ، أي حفظت مادّة وجودي في الأصلاب لأكون آمناً من حوادث الدهر « واختلاف الدهور » وهومعطوف على « ريب » أو « المنون » والظاعن : السائر ، وقال الجوهريّ : قدم الشيء ـ بالضمّ ـ قدماً فهو قديم ، وتقادم مثله (انتهى) فهو من قبيل إضافة الصفة إلىالموصوف أيالأيّام المتقادمة ، و الخالية : الماضية . «للّذي » متعلّق بقوله « أخرجتني » ويحتمل أن يكون اللام للظرفيّة وللعلّة . «الّذي يسّرتني » أي جعلتني قابلاً له ،كما قال تعالى «فسنيسّره لليسرى [١] » . « بين لحم وجلدودم » الظاهر أنّه ليس تفسيراً للظلمات الثلاث ، أي كوّنتني أو حال كوني بين لحم الرحم و جلدها و الدم الّذي فيها ، أو كنت بين تلك الأجزاء من بدني ، والأوّل أظهر . « لم تشهرني بخلقي » أي لم تجعل تلك الحالات الخسيسة ظاهرة للخلق في ابتداء خلقي لأصير محقّراً مهينا عندهم ، بل سترت تلك الأحوال عنهم و أخرجتني بعد اعتدال صورتي و خروجي عن تلك الأحوال الدنيّة والطفل : المولود ، و الصبيّ : الغلام ، و هما متقاربان في المعنى ، فالصبيّ إمّا تأكيد أو إشارة إلى اختلاف مراتب المولود ، بأن يكون الطفولية قبل الصبا ، و الأوّل أظهر إذيطلق على المولود حينكونه في المهد طفلاً وصبيّاً ، فيكون الجمع بينهما إشارة إلى حالتي المولود ، فاعتبار نعومة بدنه طفل ، و باعتبار قلّة عقله صبيّ ، فلذا قال تعالى « كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً [٢] » وما قيل من أنّ الصبيّ أعمّ من الطفل لأنّ المولود إذافطم لا يسمّى طفلاً ، يضعفه قوله تعالى « أو الطفل الّذين لم يظهروا على عورات النساء [٣] » .

قال الراغب : الصبيّ من لم يبلغ الحلم ، قال تعالى «كيف نكلّم من كان فيالمهد

---

(١) الليل : ٧ .

(٢) مريم : ٢٩ .

(٣) النور : ٣١ .

صبيّا » . و قال : الطفل : الولد مادام ناعما ، وقد يقع على الجمع ، قال تعالى « ثمّ يخرجكم طفلاً » وقال « أو الطفل الّذين لم يظهروا على عورات النساء » و قد يجمع على أطفال ، قال عزّوجلّ « و إذا بلغ الأطفال منكم الحلم [١] » وباعتبار النعمة قيل امرأة طفلة (انتهى) .

والغذاء : مايتغذّى به من الطعام والشراب، والمريّ إمّا من المهموز أي الموافق للطبع فخفّف ، أومن المعتلّ من قولهم « مريت الناقة مرياً » إذا مسحت ضرعها لتدرّ والمريّ ــ على فعيل ــ : الناقة الكثيرة اللبن . و العطف : الشفقة و الإمالة ، يقال : عطف العود ، أي ميّله ، وعلى الأوّل يكون على بناء التفعيل . والحواضن : النساء اللاتي يقمن بتربية الصبيان ، والحضن مادون الإبط إلى الكشح ، وحضن الطير بيضه لأنّه يضمّه إلى نفسه تحت جناحه ، و لمّا كانت الاُمّهات يحضنّ الأولاد سمّين حواضن . والكافل : الحافظ لغيره ، قال تعالى « و كفّلها زكريّا [٢] » . و« كلأتني » أي حفظتني « من طوارق الجانّ » أي جماعة من الجنّ يطرقون بشرّ على الأطفال كاُمّ الصبيان . والطارق ــ في الأصل ــ : الّذي يأتي بالليل لاحتياجه إلى طرق الباب ثمّ استعمل في كلّ شرّ نزل سواءكان بالليل أو بالنهار، والمراد بالزيادة والنقصان مايصير منهما سبباً لتشويه الخلقة وضعف البنية . والاستهلال : رفع الصوت ، واستهلال الصبيّ صياحه عند الولادة . وكمال الفطرة إشارة إلى قوّة الأعضاء والقوى الظاهرة ، واعتدال السريرة إلى كمال القوى الباطنة . « أوجبت » أي ألزمت وأتممت ، و « روّعتني » أي أفزعتني وخوّفتني ، والعلم بعجائب الفطرة يصير سبباً للخوف للعلم بعظمة الربّ سبحانه و وفور نعمه و تقصير المكلّف في أداء شكره ، كما قال تعالى « إنّما يخشى الله من عباده العلماء [٣] » و قال « و الّذين هم من خشيه ربّهم مشفقون [٤] » أو المعنى :

---

(١) النور ، ٥٩ .
(٢) آل عمران ، ٣٧ .
(٣) فاطر ، ٢٨
(٤) المؤمنون ، ٥٨ .

ألقيت في روعي أي قلبي عجائب الفطرة ، لكنّه بعيد عن الشائع في إطلاق هذا اللفظ بحسب اللغة . وقال الفيروزابادي : الحرّ - بالضمّ - : خيار كلّ شيء ، ومن الطين والرمل الطيّب ، و من الرمل وسطه . والثرى : التراب النديّ .

أقول : سيأتي شرح تلك الفقرات مستوفى عند ذكر الدعاء بتمامه في محلّه إن شاءالله تعالى .

٨٢ - **تفسير علي بن ابراهيم** : « خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين » قال : خلقه من قطرة من ماء منتن فيكون خصيماً متكلّماً بليغاً [١] .

٨٣ - **و منه** : « أولم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين » قال : أي ناطق عالم بليغ [٢] .

٨٤ - **ومنه** : « هو الّذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء » قال : يعني ذكراً وأُنثى ، أسود وأبيض وأحمر ، صحيحاً وسقيما [٣] .

٨٥ - **ومنه** : « ثمّ لقطعنا منه الوتين » قال : عرق في الظهر يكون منه الولد [٤]

٨٦ - **و منه** : « إذ أنتم أجنّة في بطون أُمّهاتكم » أي مستقرّين ، قوله « من نطفة إذا تمنى » قال : تتحوّل النطفة إلى الدم ، فتكون أوّلاً دماً ، ثمّ تصير نطفة و تكون في الدماغ في عرق يقال له الوريد ، و تمرّ في فقار الظهر ، فلا تزال تجوز فقراً فقراً حتّى تصير إلى [٥] الحالبين فتصير أبيض ، و أمّا نطفة المرأة فإنّها تنزل من صدرها [٦] .

---

(١) تفسير القمي : ٣٥٧ .
(٢) التفسير : ٥٥٣
(٣) « : ٨٧ .
(٤) « : ٦٩٥ .
(٥) في المصدر : في .
(٦) تفسير القمي : ٦٥٥ .

بيان : قال الجوهريّ : الحالبان عرقان مكتنفان بالسرّة .

٨٧ ـ **التفسير** : « لم يكن شيئاً مذكورا » قال : لم يكن في العلم ولا في الذكر [1] .

٨٨ ـ و في حديث آخر : كان في العلم ولم يكن في الذكر . « نبتليه » أي نختبره [2] .

٨٩ ـ و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « أمشاج » قال : ماء الرجل وماء المرأة اختلطا جميعاً [3] .

بيان : « لم يكن في العلم » أي علم الملائكة .

٩٠ ـ **التفسير** : «مخلّقة وغير مخلّقة » قال : المخلّقة إذا صارت دماً ،وغير المخلّقة قال : السقط [4] .

٩١ ـ و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام « لنبيّن لكم » أنّكم كنتم كذلك في الأرحام « ونقرّ في الأرحام ما نشاء » فلا يخرج سقطا [5] .

٩٢ ـ حدّثنا محمّد بن جعفر ، عن محمّد بن أحمد ، عن العبّاس، عن ابن أبي نجران عن محمّد بن القاسم ، عن عليّ بن المغيرة ، عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال: إذا بلغ العبد مائة سنة فذلك أرذل العمر [6] .

بيان : لا يبعد أن يكون « دماً » تصحيف « تامّا » .

٩٣ ـ **التفسير** : « إنّا خلقناهم ممّا يعلمون » قال : من نطفة ثمّ من علقة [7] .

٩٤ ـ **و منه** : « خلق الإنسان من علق » قال : من دم [8] .

(١و٢) التفسير : ٧٠٦ .

(٣) التفسير : ٧٠١ .

(٤و٥) التفسير : ٤٣٥ .

(٦) تفسير القمي : ٤٣٥ .

(٧) التفسير : ٦٩٦ .

(٨) » : ٧٣١ .

٩٥ ـ **مجمع البيان** : روي أنّ ابن صوريا وجماعة من يهود أهل فدك لمّا قدموا النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة سألوه فقالوا : يا محمّد! كيف نومك ؟ فقد اُخبرنا عن نوم النبيّ الّذي يأتي في آخر الزمان . فقال : تنام عيناي و قلبي يقظان . قالوا : صدقت يا محمّد ! فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة ؟ فقال : أمّا العظام والعصب و العروق فمن الرجل ، و أمّا اللحم و الدم و الظفر و الشعر فمن المرأة ، قالوا : صدقت يا محمّد ! فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء ، أو يشبه أخواله و ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال : أيّهما علا ماؤه كان الشبه له . قالوا : صدقت يا محمّد ! قالوا: أخبرنا عن ربّك ما هو ؟ فأنزل الله : قل هو الله أحد إلى آخر السورة [١] ـ الخبر ـ .

٩٦ ـ **الكافي** : عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : رجل ذهبت إحدى بيضتيه فقال : إن كانت اليسار ففيها الدية ، قلت : ولم ؟ أليس قلت : ما كان في الجسد اثنان ففيه [٢] نصف الدية ؟ قال : لأنّ الولد من البيضة اليسرى [٣] .

٩٧ ـ **الفقيه** : بإسناده عن أبي يحيى الواسطيّ رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : الولد يكون من البيضة اليسرى ، فإذا قطعت ففيها ثلثا الدية ، و في اليمنى ثلث الدية [٤] .

بيان : قال الشهيد الثاني ـ قدّس سره ـ : انحصار التولّد في الخصية اليسرى قد أنكره بعض الأطبّاء ، و نسبه الجاحظ في حياة الحيوان إلى العامّة ، ولو صحّ نسبته إليهم عليهم السلام لم يلتفت إلى إنكار منكره (انتهى) .

و اقول : هذا شيء لا يمكن العلم به غالباً إلّا من طريق الوحي و الإلهام ، و التجربة قاصرة عنه ، مع أنّه يمكن أن يحمل على أنّ اليسرى أدخل في ذلك .

٩٨ ـ **توحيد المفضل** : نبتدىء يامفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به ، فأوّل

---

(١) مجمع البيان ، ج ٣ ص ١٩٣ .

(٢) في المصدر : ففي كل واحد نصف الدية .

(٣) الكافي ، ج ٧ ، ص ٣١٥ .

(٤) من لا يحضره الفقيه ، ٥١١ .

ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ، ولا دفع أذىً ، ولا استجلاب منفعة ، ولا دفع مضرّة ، فإنّه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاءه حتّى إذا كمل خلقه ، و استحكم بدنه ، وقوي أديمه على مباشرة الهواء ، و بصره على ملاقاة الضياء ، هاج الطلق بأُمّه فأزعجه أشدّ إزعاج و أعنفه حتّى يولد ، و إذا ولد صرف ذلك الدم الّذي كان يغذوه من دم اُمّه إلى ثدييها ، فانقلب الطعم و اللون إلى ضرب آخر من الغذاء ، و هو أشدّ موافقة للمولود من الدم ، فيوافيه في وقت حاجته إليه ، فحين يولد قد تلمّظ و حرّك شفتيه طلباً للرضاع ، فهو يجد ثديي أُمّه كالأداوتين المعلّقتين لحاجته ، فلا يزال يغتذي باللبن مادام رطب البدن رقيق الأمعاء ليّن الأعضاء ، حتّى إذا تحرّك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ و يقوى بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان و الأضراس ليمضغ به الطعام ، فيلين عليه و يسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتّى يدرك ، فإذا أدرك و كان ذكراً طلع الشعر في وجهه ، فكان ذلك علامة الذكر و عزّ الرجل الّذي يخرج به عن حدّ الصبا و شبه النساء ، و إن كانت اُنثى يبقى وجهها نقيّاً من الشعر لتبقى لها البهجة و النضارة الّتي تحرّك الرجال لما فيه دوام النسل و بقاؤه .

اعتبر يا مفضّل في ما يدبّر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة ، هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال ؟ أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم و هو في الرحم ألم يكن سيذوى و يجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء ؟ ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤود في الأرض ؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ؟ ولو لم تطلع عليه الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام و إساغته ، أو يقيمه على الرضاع فلا يشتدّ بدنه ولا يصلح لعمل ، ثمّ كان تشتغل أُمّه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد ؟ ولو لم يخرج الشعر في وجهه [في وقته] ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان و النساء ، فلا ترى له جلالة ولا وقاراً ؟

فقال المفضّل : فقلت : يا مولاي ! فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه و إن بلغ حال الكبر . فقال : ذلك بما قدّمت أيديهم و أنّ الله ليس بظلّام للعبيد ، فمن هذا الّذي يرصده حتّى يوافيه بكلّ شيء من هذه المآرب إلّا الّذي أنشأه خلقاً بعد أن لم يكن ، ثمّ توكّل له بمصلحته بعد أن كان ؟ فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد و التقدير يأتيان بالخطأ و المحال ، لأنّهما ضدّ [1] الإهمال . و هذا فظيع من القول و جهل من قائله ، لأنّ الإهمال لا يأتي بالصواب ، و التضادّ لا يأتي بالنظام ، تعالى الله عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيرا .

ولو كان المولود يولد فهماً عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته ، و لبقي حيران تائه العقل إذا رأى مالم يعرف و ورد عليه مالم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم و الطير إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة و يوماً بعد يوم . و اعتبر ذلك بأنّ من سبي من ولد إلى بلد و هو عاقل يكون كالواله الحيران ، فلا يسرع في تعلّم الكلام و قبول الأدب كما يسرع الّذي يسبى صغيراً غير عاقل . ثمّ لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً معصّباً بالخرق مسجّى في المهد ، لأنّه لا يستغني عن هذا كلّه لرقّة بدنه و رطوبته حتّى يولد ، ثمّ كان لا يوجد له من الحلاوة و الوقع من القلوب ما يوجد للطفل ، فصار يخرج إلى الدنيا غبيّاً غافلاً عمّا فيه أهله ، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف و معرفة ناقصة . ثمّ لا يزال يتزيّد [2] في المعرفة قليلاً قليلاً و شيئاً بعد شيء و حالاً بعد حال حتّى يألف الأشياء و يتمرّن و يستمرّ عليها ، فيخرج من حدّ التأمّل بها و الحيرة فيها إلى التصرّف والاضطراب إلى المعاش بعقله و حيلته و إلى الاعتبار و الطاعة و السهو و الغفلة [و المعصية] .

و في هذا أيضاً وجوه اُخر ، فإنّه لو كان يولد تامّ العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد ، وماقدّر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة و ما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافأة بالبرّ و العطف عليهم عند حاجتهم

(١) ضدا الاهمال (ظ) .
(٢) يتزايد (خ) .

إلى ذلك منهم . ثمّ كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم ، لأنّ الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء و حياطتهم ، فيتفرّقون عنهم حين يولدون ، فلا يعرف الرجل أباه و اُمّه ، ولا يمتنع من نكاح اُمّه و اُخته و ذوات المحارم منه ، إذ كان لا يعرفهنّ ، و أقلّ ما في ذلك من القباحة ، بل هو أشنع و أعظم و أفظع و أقبح و أبشع لو خرج المولود من بطن اُمّه و هو يعقل أن يرى منها ما لا يحلّ له ولا يحسن به أن يراه . أفلا ترى كيف اُقيم كلّ شيء من الخلقة على غاية الصواب ، وخلا من الخطاء دقيقه و جليله ؟

اعرف يا مفضّل ما للأطفال في البكاء من المنفعة ، و اعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة و عللاً عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقّبهم ذلك الصحّة في أبدانهم و السلامة في أبصارهم . أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء و والداه لا يعرفان ذلك ، فهما دائبان ليسكتانه ، و يتوخّيان في الاُمور مرضاته لئلّا يبكي وهما لا يعلمان أنّ البكاء أصلح له و أجمل عاقبة ؟ فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنّه لا منفعة فيه من أجل أنّهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه ، فإنّ كلّ ما لا يعلمه المنكرون يعلمه العارفون و كثيراً ما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته .

فأمّا ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة الّتي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الاُمور العظيمة ، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البله و الجنون و التخليط إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة و ما أشبههما ، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحّة في كبرهم ، فتفضّل على خلقه بما جهلوه ، و نظر لهم بما لم يعرفوه ، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته . فسبحانه ! ما أجلّ نعمته و أسبغها على المستحقّين و غيرهم من خلقه ! و تعالى عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيرا .

اقول : قد مرّ شرحه و تمامه في كتاب التوحيد .

٩٩ ــ **العلل** : عن عليّ بن حاتم ، عن إسماعيل بن عليّ بن قدامة ، عن أحمد ابن عليّ بن ناصح ، عن جعفر بن محمّد الأرمنيّ ، عن الحسن بن عبد الوهّاب ، عن عليّ بن حديد المدائنيّ ، عمّن حدّثه ، عن المفضّل بن عمر ، قال : سألت جعفر بن محمّد عليهما السلام عن الطفل يضحك من غير عجب و يبكي من غير ألم ، فقال : يا مفضّل ! مامن طفل إلّا وهو يرى الإمام ويناجيه ، فبكاؤه لغيبة الإمام عنه ، و ضحكه إذا أقبل إليه ، حتّى إذا اُطلق لسانه اُغلق ذلك الباب عنه ، و ضرب على قلبه بالنسيان [١] .

بيان : لا استبعاد في ظاهر الخبر مع صحّته ، و يحتمل أن يكون المراد برؤية الإمام و مناجاته توجّهه وشمول شفاعته ولطفه و دعائه له ، فإنّ لهم تصرّفاً في العوالم يقصر العقل عن إدراكه .

١٠٠ ــ **التوحيد** : عن القاسم بن محمّد السرّاج ، عن جعفر بن محمّد بن موسى [٢] عن محمّد بن عبدالله بن هارون الرشيد ، عن محمّد بن أكرم [٣] بن أبي اياس ، عن ابن أبي ذئب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لا تضربوا أطفالكم على بكائهم [٤] فإنّ بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلّا الله ، و أربعة أشهر الصلاة على النبيّ و آله ، و أربعة أشهر الدعاء لوالديه [٥] .

بيان : يحتمل أن يكون المراد بالخبر مع ضعفه أنّ لوالديه ثواب هذه الأذكار و الأدعية ، فينبغي أن لا يملّوا ولا يضربوهم . و قال بعض المحقّقين : السرّ فيه أنّ الطفل أربعة أشهر لا يعرف سوى الله عزّوجلّ الّذي فطر على معرفته و توحيده ، فبكاؤه توسّل إليه والتجاء به سبحانه خاصّة دون غيره ، فهو شهادة له بالتوحيد ، وأربعة اُخرى يعرف اُمّه من حيث إنّها وسيلة لاغتذائه فقط لا من حيث إنّها اُمّه ، و لهذا يأخذ

---

(١) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

(٢) كذا في نسخ الكتاب ، وفي المصدر ، جعفر بن محمد بن ابراهيم السرندي .

(٣) في المصدر ، محمد بن آدم .

(٤) البكاء (خ) .

(٥) التوحيد ، ٢٤٢ .

اللبن من غيرها أيضاً في هذه المدّة غالباً ، فلايعرف فيها بعد الله إلاّ من كان وسيلة بين الله و بينه في ارتزاقه الّذي هو مكلّف به تكليفاً طبيعيّاً من حيث كونها وسيلة لا غير و هذا معنى الرسالة ، فبكاؤه في هذه المدّة بالحقيقة شهادة بالرسالة ، و أربعة اُخرى يعرف أبويه و كونه محتاجاً إليهما في الرزق ، فبكاؤه فيها دعاء لهما بالسلامة و البقاء في الحقيقة .

١٠١ ـ **الدر المنثور** : عن ابن عبّاس ، قال : حضرت عصابة من اليهود نبيّ الله صلّى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل ، فكان في ماسألوه : كيف ماء الرجل من ماء المرأة ؟ وكيف الاُنثى منه و الذكر ؟ فقال : إنّ ماء الرجل أبيض غليظ ، و إنّ ماء المرأة أصفر رقيق فأيّهما علا كان له الولد و الشبه بإذن الله تعالى ، إن علا ماء الرجل كان ذكراً بإذن الله و إن علا ماء المرأة كان اُنثى بإذن الله [تعالى] .

١٠٢ ـ و عن أنس ، قال : سأل عبدالله بن سلام النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال : ما ينزع الولد إلى أبيه و إلى اُمّه ؟ قال : أخبرني جبرئيل أنّه إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد ، و إذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها .

١٠٣ ـ و عن ابن عبّاس ، في قوله تعالى « ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم » قال : خلقوا في ظهر آدم ثمّ صوّروا في الأرحام [(١)] .

١٠٤ ـ وفي رواية اُخرى عنه : خلقوا في أصلاب الرجال ، ثمّ صوّروا في أرحام النساء [(٢)] .

١٠٥ ـ وفي رواية اُخرى عنه قال : أمّا قوله «خلقناكم» فآدم ، وأمّا «صوّرناكم» فذرّيّته [(٣)] .

١٠٦ ـ و عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : سمعت النبيّ صلّى الله عليه وآله سئل عن العزل فقال : لا عليكم أن تفعلوا ، إن يكن ممّا أخذ الله منها الميثاق فكانت على الصخرة نفخ

(١ و ٢) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٧٢ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٧٢ .

فيه الروح [١] .

١٠٧ - و عن ابن مسعود أنّه سئل عن العزل فقال : لو أخذ الله ميثاق نسمة من صلب رجل ثمّ أفرغه على صفا لأخرجه من ذلك الصفا ، فإن شئت فاعزل و إن شئت لا تعزل [٢] .

١٠٨ - وعن ابن عبّاس في قوله تعالى « من سلالة » قال : السلالة صفر الماء الرقيق الّذي يكون منه الولد [٣] .

١٠٩ - و عن ابن عبّاس - مرفوعاً - : النطفة الّتي يخرج منها الولد ترعد لها الأعضاء و العروق كلّها إذا خرجت وقعت في الرحم [٤] .

١١٠ - و عن عليّ عليه السلام قال : إذا تمّت النطفة أربعة أشهر بعث إليها ملك فنفخ فيها الروح في الظلمات الثلاث ، فذلك قوله « ثمّ أنشأناه خلقاً آخر » يعني نفخ الروح [٥] .

١١١ - وعن ابن عبّاس في قوله « ثمّ أنشأناه خلقاً آخر » يقول : خرج من بطن اُمّه بعد ما خرج ، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهلّ ، ثمّ كان من خلقه أن دلّ [٦] على ثدي اُمّه ، ثمّ كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه ، إلى أن قعد ، إلى أن حبا إلى أن قام على رجليه ، إلى أن مشى ، إلى أن فطم ، فعلم كيف يشرب و يأكل من الطعام إلى أن بلغ الحلم ، إلى أن بلغ ، إلى أن يتقلّب في البلاد [٧] .

١١٢ - و عن قتادة ، « ثمّ أنشأناه خلقاً آخر » قال : يقول بعضهم هو نبات الشعر و بعضهم يقول هو نفخ الروح [٨] .

١١٣ - و عن حذيفة بن اُسيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقرّ في الرحم بأربعة أو بخمسة و أربعين ليلة : أي ربّ أشقيّ أم سعيد؟ أذكر أم اُنثى؟ فيقول الله و يكتبان ، ثمّ يكتب عمله و رزقه و أجله و أثره و مصيبته

(١ و٢) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .
(٣ و٤) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٦ .
(٥) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٧ .
(٦) في المصدر ، دله .
(٧ و٨) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٧ .

ثمّ تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها [١] .

١١٤ ــ وعن أبي ذرّ ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا مكث المنيّ في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به إلى الربّ ، فيقول : ياربّ أذكر أم اُنثى ؟ فيقضي الله ماهو قاض ، فيقول : أشقيّ أم سعيد ؟ فيكتب ماهو لاق . و قرأ أبو ذرّ من فاتحة التغابن خمس آيات إلى قوله « و صوّركم فأحسن صوركم و إليه المصير » [٢] .

١١٥ ــ وعن عبد الله بن مسعود قال : إذا جئناكم بحديث أتيناكم بتصديقه من كتاب الله . إنّ النطفة تكون في الرحم أربعين ، ثمّ تكون علقة أربعين ، ثمّ تكون مضغة أربعين ، فإذا أراد الله أن يخلق الخلق نزل الملك فيقول له : اكتب ، فيقول : ما ذا أكتب ؟ فيقول: شقيّاً [٣] أوسعيداً ،ذكراً أو اُنثى ، ومارزقه وأثره وأجله،فيوحي الله بما يشاء ويكتبه الملك . ثمّ قرأ عبدالله : « إنّاخلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه» ثمّ قال عبدالله : أمشاجها عروقها [٤] .

١١٦ ــ وعن ابن عبّاس ، في قوله « من نطفه أمشاج » قال : ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان [٥] .

١١٧ ــ وعن ابن عبّاس ، أنّ نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قوله «من نطفة أمشاج » قال :اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذاوقع في الرحم . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم، أماسمعت أبا ذويب وهو يقول :

كأنّ الريش و الفوقين منه   خلال النسل خالطه مشيج [٦]

١١٨ ــ وعن ابن عبّاس في قوله « من نطفة أمشاج » قال : مختلفة الألوان [٧].

---

(١) الدرالمنثور ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ (مقطعاً) .
(٢) » » ، ج ٦ : ص ٢٢٧ .
(٣) في المصدر : اكتب شقياً ..
(٤-٦) الدرالمنثور : ج ٦ ، ص ٢٩٧ .
(٧) الدرالمنثور ، ج ٦ ، ص ٢٩٨ .

١١٩ ـ وعن مجاهد « من نطفة أمشاج » قال: ألوان ، نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء [١] .

١٢٠ ـ وعن قتادة « إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه » قال: طوراً نطفة وطوراً علقة ، وطوراً مضغة ، وطوراً عظاماً ، ثمّ كسونا العظام لحماً ، وذلك أشدّ ما يكون إذا كسي اللحم « ثمّ أنشأناه خلقاً آخر » قال : أنبت له الشعر « فتبارك الله أحسن الخالقين » فأنبأه الله ممّا خلقه وأبناه ، إنّما بيّن ذلك ليبتليه بذلك ، ليعلم كيف شكره ومعرفته لحقّه ، فبيّن الله له ما أحلّ له وما حرّم عليه ، ثمّ قال « إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً ـ لنعم الله ـ و إمّا كفوراً ـ بها ـ [٢] » .

١٢١ ـ وعن عكرمة في قوله « أمشاج » قال : الظفر والعظم والعصب من الرجل واللحم والدم والشعر من المرأة [٣] .

١٢٢ ـ وعن مالك بن الحويرث قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كلّ عرق وعصب منها ، فإذا كان اليوم السابع أحضر الله له كلّ عرق بينه وبين آدم ، ثمّ قرأ « في أيّ صورة ما شاء ركّبك [٤] » .

١٢٣ ـ وعن مجاهد « في أيّ صورة ما شاء ركّبك » قال : إمّا قبيحاً وإمّا حسناً ، و شبه أب أو اُمّ أو خال أو عمّ [٥] .

١٢٤ ـ وعن عليّ بن رياح ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ النبيّ ﷺ قال له : ما ولد لك ؟ قال : يا رسول الله ! ما عسى أن يولد لي ؟ إمّا غلام و إمّا جارية . قال: فمن يشبه ؟ قال : يا رسول الله ! ما عسى أن يشبه ؟ إمّا أباه و إمّا اُمّه . فقال : لا تقولنّ هذا إنّ النطفة إذا استقرّت في الرحم أحضرها الله كلّ نسب بينها وبين آدم ، فركّب خلقه في صورة من تلك الصور، أما قرأت هذه الآية في كتاب الله « في أيّ صورة ما شاء ركّبك» من نسبك ما بينك و بين آدم [٦] .

(١-٣) الدر المنثور ، ج ٦ ص ٢٩٨

(٤) المصدر ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

(٥ و٦) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

١٢٥ ـ وعن ابن أبي حاتم في قوله « يخرج من بين الصلب والترائب » قال: صلب الرجل وترائب المرأة ، لايكون الولد إلاّ منهما [١] .

١٢٦ ـ وعن ابن أبزى ، قال : الصلب من الرجل، والترائب من المرأة [٢] .

١٢٧ ـ وعن ابن عبّاس « يخرج من بين الصلب و الترائب » قال : ما بين الجيد والنحر [٣] .

١٢٨ ـ وعن مجاهد ، قال : الترائب أسفل من التراقي [٤] .

١٢٩ ـ و عن ابن عبّاس في قوله « و الترائب » قال : تريبة المرأة ، وهو موضع القلادة [٥] .

١٣٠ ـ وعن ابن عبّاس أنّ نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله عزّ وجلّ « يخرج من بين الصلب والترائب » قال : الترائب موضع القلادة من المرأة . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

و الزعفران على ترائبها ✩ شرقا به اللبات و النحر [٦]

١٣١ ـ وعن عكرمة ، أنّه سئل عن قوله « يخرج من بين الصلب و الترائب » قال : صلب الرجل وترائب المرأة ، أما سمعت قول الشاعر :

نظام اللؤلؤ على ترائبها ✩ شرقا به اللبات و النحر [٧]

١٣٢ ـ وعن ابن عبّاس ، قال : الترائب بين ثديي المرأة [٨] .

١٣٣ ـ و عن سعيد بن جبير ، قال : الترائب الصدر [٩] .

وعن عكرمة وابن عياض مثله [١٠] .

١٣٤ ـ وعن ابن عبّاس ، قال : الترائب أربعة أضلاع من كلّ جانب من أسفل الأضلاع [١١] .

(١-٧) المصدر : ج ٦ ، ص ٣٣٦

(٨) لم نجد هذه الرواية في الدرالمنثور .

(٩-١١) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٣٦ .

١٣٥ ـ وعن الأعمش ، قال : يخلق العظام والعصب من ماء الرجل ، و يخلق اللحم والدم من ماء المرأة [١] .

١٣٦ ـ و عن قتادة في قوله « يخرج من بين الصلب و الترائب » قال : يخرج من بين صلبه و نحره « إنّه على رجعه لقادر » قال : إنّ الله على بعثه و إعادته لقادر « يوم تبلى السرائر » قال : إنّ هذه السرائر مختبرة ، فأسرّوا خيراً و أعلنوه « فماله من قوّة » يمتنع بها « ولا ناصر » ينصره من الله [٢] .

١٣٧ ـ و عن ابن عبّاس في قوله « إنّه على رجعه لقادر » قال : أن يجعل الشيخ شابّاً ، و الشابّ شيخا [٣] .

١٣٨ـ وعن مجاهد « إنّه على رجعه لقادر » قال: على رجع النطفة في الإحليل [٤] .

بيان : قوله « كأنّ الريش ... » اقول : أورد الجوهريّ البيت هكذا :

كأنّ النصل و الفوقين منها ✡ خلال الريش سيط به المشيج

فائدة

قال بعض المحقّقين : مبدأ عقد الصورة في منيّ الذكر ، و مبدأ انعقادها في منيّ الاُنثى ، و هما بالنسبة إلى الجنين كالانفحة واللبن بالقياس إلى الجبن . و قيل : إنّ لكلّ من المنيّين قوّة عاقدة و قابلة و إن كانت العاقدة في الذكوريّ أقوى و المنعقدة في الاُنوثيّ أقوى ، ورجّح ذلك بأنّه لو لم يكن كذلك لم يمكن أن يتّحدا شيئاً واحداً ولم ينعقد منيّ الذكر حتّى يصير جزءً من الولد . و قال بعضهم : و لهذا إذا كان مزاج الاُنثى قويّاً ذكوريّاً كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس ، القويّة القوى ، وكان مزاج كبدها حارّاً كان المنيّ المنفصل من الكلية اليمنى مقام منيّ الرجل في شدّة قوّة العقد ، و المنفصل من اليسرى مقام منيّ الاُنثى في قوّه الانعقاد ، فينخلق الولد بإذن الله ، و خصوصاً إذا كانت النفس متأيّدة بروح القدس متقوّمة به بحيث يسري اتّصالها به إلى الطبيعة والبدن ، و يغيّر المزاج ، ويمدّ جميع القوى في أفعالها بالمدد الروحانيّ

(١ـ٤) الدر المنثور : ج ٦ ص ٣٣٦ .

فتصير أقدر على أفعالها بما لا ينضبط بالقياس ، كما وقع للصدّيقة مريم بنت عمران على نبيّنا وآله وعلى ابنها وعليها السلام حيث تمثّل لها روح القدس بشراً سويّ الخلق حسن الصورة ، فتأثّر نفسها به فتحرّكت على مقتضى الجبلّة ، و سرى الأثر من الخيال في الطبيعة ، فتحرّكت شهوتها فأنزلت ، كما يقع في المنام من الاحتلام (انتهى) .

و أقول : قد مرّ أنّ نفوذ إرادة الله سبحانه وقدرته في أمر لا يتوقّف على حصول تلك الأسباب العاديّة ، حتّى يتكلّف أمثال تلك التكلّفات الّتي ربما انتهى القول به إلى نسبة اُمور إلى النساء المقدّسات المطهّرات لا يرضى الله بها ، و الكفّ عنها أحوط و أحرى .

ثمّ قالوا : ابتداء خلقة الجنين [١] هو حصول الماء في الرحم ، و شبّه بالعجين إذا اُلصق بالتنّور ، ثمّ يتغيّر عن حاله قليلاً و يشبه بالبذر إذا طرح في الأرض و يسمّى نطفة ، ثمّ تحصل فيه نقط دمويّة من دم الحيض و يسمّى علقة ، ثمّ يظهر فيه حمرة ظاهرة منه فيصير شبيهاً بالدم الجامد ، و يعظم قليلاً ، و يهيج فيه ريح حارّة و يسمّى مضغة ثمّ يتمّ و يتميّز فيه الأعضاء الرئيسة الثلاثة [٢] و يظهر لسائر الأعضاء رسوم خفيّة و يسمّى جنيناً ، ثمّ يظهر فيه رسوم سائر الأعضاء و يقوى و يصلب و يجري فيه الروح و يتحرّك و يسمّى صبيّاً ، ثمّ تنفصل الرسوم و تظهر الصورة و ينبت الشعر ، ثمّ ينفتح لسانه و تتمّ خلقته . و تكمل خلقة الذكر قبل خلقة الأنثى ، و إذا كمل لم يكتف بما

---

(١) و الذى ثبت فى علم الفسيولوجيا أن فى منى الرجل حيوانات صغيرة جداً تسمى « اسبرماتزوئيد » وأن المرأة تبيض كل شهر فى الرحم وتخرج بيضاتها بدم الحيض ، فاذا وصل منى الرجل باحدى تلك البيضات اجتمع الاسبرماتزوئيدات حولها و دخل اقويها فيها و ربما دخل الاثنان او اكثر معاً فيتعدد الجنين و عندئذ يحصل للبيضة حالة لايمكن معها دخول سائر الاسبرماتزوئيدات ، وبعد ذلك لا يزال ينشأ وينمو و يتزايد بصيرورته بالانفصال اثنين ثم اربعة وهكذا ، ثم يظهر فيه نقطتان حمراوان احدهما موضع القلب والاخرى موضع المخ ، ثم يظهر رسوم الاعضاء ثم صورها حتى يكتمل جميع الاعضاء وينفخ فيها الروح .

(٢) وهى القلب والكبد والمخ

يجيئه من الغذاء من دم الحيض ، فيتحرّك حركات صعبة قويّة ، و انتهكت رباطات الرحم ، فكانت الولادة .

و قال بعضهم : الرحم موضوعة في ما بين المثانة و المعى المستقيم ، و هي مربوطة برباطات على هيئة السلسلة ، و جسمها عصبيّ ليمكن امتدادها و اتّساعها وقت الولادة و الحاجة إلى ذلك ، وتنضمّ إذا استغنت ، و لها بطنان ينتهيان إلى فم واحد ، وزائدتان تسمّيان قرني (١) الرحم ، و خلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة ، وهما أصغر من بيضتي الرجل و أشدّ تفرطحاً (و المفرطح : العريض) ومنهما ينصبّ منيّ المرأة إلى تجويف الرحم ، و للرحم رقبة منتهية إلى فرج المرأة ، و تلك الرقبة من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل ، فإذا امتزج منيّ الرجل بمنيّ المرأة من تجويف الرحم كان العلوق، ثمّ ينمى من دم الطمث ، و يتّصل بالجنين عروق تأتي إلى الرحم فتغذوه حتّى يتمّ ويكمل فإذا لم يكتف بما يجيئه من تلك العروق يتحرّك حركات قويّة طلباً للغذاء ، فيهتك أربطة الرحم الّتي قلنا إنّها على هيئة السلسلة و يكون منها الولادة (انتهى) .

و اعلم أنّهم اتّفقوا على أنّ المنيّ يتولّد من فضلة الهضم الرابع في الأعضاء، قال بقراط في كتابه في المنيّ : إنّ جمهور مادّة المنيّ هو من الدماغ ، فإنّه ينزل منه إلى العرقين اللّذين خلف الأذنين ، ثمّ منهما إلى النخاع لئلّا يبعد من الدماغ وما يشبهه مسافة طويلة فيغيّر مزاجه ، ثمّ منه إلى الكليتين بعد نفوذه في العرقين الطالعين المتشعّبين من الأجوف إلى العروق الّتي تأتي الاُنثيين ، ولهذا قيل : إنّ قطعهما يقطع النسل .

ونقل الطبريّ عن بقراط أنّ الصقالبة إذا أرادوا أن يرتّبوا(٢) أولادهم للدعوة أو للناموس بتروا منهم هذين العرقين ، فينقطع هذا المقطوع العرق عن الجماع ويصير بصورة النساء ، فيتبرّكون به ويتوسّلون به إلى الله تعالى ، ويرون أنّ دعاءه مستجاب و أنّ الله قد اصطفاه و اختاره و طهّره من الخبائث ! و جالينوس أنكر ذلك و خطّأ قول بقراط .

---

(١) قرطى الرحم (خ) .

(١) يربوا (ظ) .

و قال الشيخ : أنا أرى أنّ المنيّ ليس يجب أن يكون من الدماغ وحده ، و إن كانت خميرته منه ، و صحّ ما يقوله بقراط من أمر العرقين ، بل يجب أن يكون له من كلّ عضو رئيس عين ، و من الأعضاء الاُخرى ترشّح أيضاً إلى هذه الاُصول .

و قال القرشيّ في شرح القانون : إنّما يكون تولّد المنيّ من الرطوبة المبثوثة على الأعضاء كالطلّ ، و معلوم أنّه ليس في كلّ عضو من الأعضاء مجرى يسيل فيه ما هناك من تلك الرطوبة إلى الاُنثيين ثمّ إلى القضيب ، فلا يمكن أن يكون وصولها إلى هناك إلّا بأن تتبخّر تلك الرطوبة من الأعضاء حتّى تتصعّد إلى الدماغ ، و هناك تفارقها الحرارة المتبخّرة فتبرد و تتكاثف و تعود إلى قوامها قبل التبخّر ، ثمّ من هناك ينزل إلى العروق الّتي خلف الاُذنين وينفذ إلى النخاع في عروق هناك لئلّا يتغيّر عن التعدّل الّذي أفاده الدماغ ، فلا يتبخّر بالحرارة كرّة اُخرى ، فإذا نزلت من هناك حتّى وصلت إلى قرب الاُنثيين صادف هناك عروقاً واصلة من الكليتين إلى الاُنثيين ، و تلك العروق مملوءة من الدم ، فتتسخّن في الكليتين و تعدل ، فيحيله ذلك النازل من الدماغ إلى مشابهه بعض الاستحالة ، ثمّ بعد ذلك ينفذ إلى الاُنثيين و يكمل فيهما تعدّله و بياضه و نضجه ، و منهما يندفع إلى أوعيته .

و أيّد ذلك بما نقل من كتاب منسوب إلى هرمس في سرّ الخليقة قد فسّره بلينوس و هو أنّ المنيّ إذا خرج من معادنه عند الجماع ائتلف بعضه إلى بعض و سما إلى الدماغ و أخذ الصورة منه ، ثمّ نزل في الذكر و خرج منه .

و قال شارح الأسباب : مادّة المنيّ يأتي من الكبد إلى الكليتين في شعب من الأجوف النازل ، و يتصفّى فيهما من المائيّة ، ثمّ منهما إلى المجرى الّذي بينهما و بين الاُنثيين ، و هو عرق كثير المعاطف و الاستدارات ليطول المسافة بينهما فينضج فيه المنيّ و يبيض بعد احمراره ، ثمّ منه إلى الاُنثيين ، فهما يعينان على تمام تكوّن المنيّ باسخانها الدم النافذ في هذه العروق (انتهى) .

وقالوا : ونبت من الاُنثيين وعاءان مثل البربخين شبيهين بجوهر الاُنثيين يصعدان أوّلاً إلى العانة و إلى معلق البيضتين ، ثمّ ينزلان متورّبين إلى عنق المثانة أسفل من

مجرى البول ، ثمّ يتّصلان إلى المجرى الّذي في أصل القضيب ، و يسمّى هذان الوعاءان أوعية المنيّ ، و هذان في الرجال أطول و أوسع منهما في النساء . و في القضيب مجار ثلاثة : مجرى المنيّ ، و مجرى البول ، و مجرى الودي ، كذا ذكر الشيخ في القانون . و قال صاحب ترويح الأرواح : في القضيب مجريان : أحدهما مجرى البول و الودي و الآخر مجرى المنيّ . و كلامهم في ذلك كثير اكتفينا بذلك لتطّلع في الجملة على بعض مصطلحاتهم فتستعملها في فهم ما مرّ و سيأتي من الآيات و الأخبار ، والله يعلم حقائق الأمور .

و في القاموس : البربخ منفذ الماء ومجراه ، وهو الاردبة و البالوعة من الخزف .

(بسمه تعالى)

إلى هنا تمّ الجزء الرابع من المجلّد الرابع عشر ـ كتاب السماء و العالم ـ من بحار الأنوار ، و هو الجزء المتمّم للستّين حسب تجزئتنا من هذه الطبعة البهيّة . وقد قابلناه على النسخة الّتي صحّحها الفاضل الخبير الشيخ محمد تقي اليزدي ، بما فيها من التعليق و التنميق والله وليّ التوفيق .

محمد الباقر البهبودي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، و كما ينبغي لكرم وجهه و عزّ جلاله و الصلاة و السلام على رسوله و آله.

و بعد: فقد بذلنا غاية المجهود في تصحيح هذا الجزء من كتاب «بحار الأنوار» ـ و هو الجزء المتمّم للستّين حسب تجزئتنا في هذه الطبعة ـ و تنميقه و التعليق عليه و مقابلته بالنسخ و المصادر. نشكر الله تعالى على ماوفّقنا لذلك و نسأله أن يديم توفيقنا و يزيدنا من فضله والله ذوالفضل العظيم.

قم المشرفة: محمد تقي المصباح اليزدي

﴿ مراجع التصحيح و التخريج و التعليق ﴾

قوبل هذاالجزء بعدّة نسخ مطبوعة و مخطوطة ، منها النسخة المطبوعة بطهران سنة (١٣٠٥) المعروفة بطبعة أمين الضرب ، و منها النسخة المطبوعة بتبريز و منها النسخةالمخطوطة النفيسة لمكتبة صاحب الفضيلة السيّد جلال الدين الأُرمويّ الشهير بـ « المحدّث » و اعتمدنا في التخريج و التصحيح و التعليق على كتب كثيرة نسرد بعض أساميها :

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي	المطبوع سنة	١٣١١	في	ايران
٣ ــ تفسير فرات الكوفيّ	» »	١٣٥٤	»	النجف
٤ ــ تفسير مجمع البيان	» »	١٣٧٣	»	طهران
٥ ــ تفسيرأنوار التنزيل للقاضي البيضاويّ	» »	١٢٨٥	»	استانبول
٦ ــ تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازيّ	» »	١٢٩٤	»	»
٧ ــ الاحتجاج للطبرسيّ	» »	١٣٥٠	»	النجف
٨ ــ اُصول الكافي للكليني	» »		»	طهران
٩ ــ الاقبال للسيّد بن طاوس	» »	١٣١٢	»	»
١٠ ــ تنبيه الخواطر لورّام بن أبي فراس	» »		»	»
١١ ــ التوحيد للصدوق	» »	١٣٧٥	»	»
١٢ ــ ثواب الأعمال للصدوق	» »		»	»
١٣ ــ الخصال »	» »	١٣٧٤	»	»
١٤ ــ الدرّ المنثور للسيوطيّ				
١٥ ــ روضة الكافي للكليني	» »		»	طهران

١٦ ـ علل الشرائع للصدوق المطبوع سنة ١٣٧٨ في قم

١٧ ـ عيون الأخبار « « « ١٣٧٧ « «

١٨ ـ فروع الكافي للكليني « « «

١٩ ـ المحاسن للبرقي « « ١٣٧١ « طهران

٢٠ ـ معاني الاخبار للصدوق « « ١٣٧٩ « «

٢١ ـ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب « « ١٣٧٨ « قم

٢٢ ـ من لا يحضره الفقيه للصدوق « « ١٣٧٦ « طهران

٢٣ ـ نهج البلاغة للشريف الرضي « « « مصر

٢٤ ـ أُسد الغابة لعزّ الدين ابن الأثير « « « طهران

٢٥ ـ تنقيح المقال للشيخ عبدالله المامقاني « « ١٣٥٠ « النجف

٢٦ ـ تهذيب الاسماء و اللغات للحافظ محيى الدين بن شرف النورى المطبوع في مصر

٢٧ ـ جامع الرواة للاردبيلى المطبوع سنة ١٣٣١ في طهران

٢٨ ـ خلاصة تذهيب الكمال للحافظ الخزرجي « « ١٣٢٢ « مصر

٢٩ ـ رجال النجاشي « ... ... « طهران

٣٠ ـ روضات الجنات للميرزا محمد باقر الموسوى « « ١٣٦٧ « «

٣١ ـ الكنى و الألقاب للمحدّث القمي « ...... « صيدا

٣٢ ـ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني « ... ...في حيدرآباد الدكن

٣٣ ـ الرواشح السماوية للسيد محمد باقر الحسيني الشهير بالداماد

المطبوع سنة ١٣١١ في ايران

٣٤ ـ القبسات للسيد محمد باقر الحسينى الشهير بالداماد

المطبوع سنة ١٣١٥ في ايران

٣٥ ـ رسالة مذهب ارسطاطاليس للسيد محمد باقر الحسينى الشهير بالداماد

المطبوعة بهامش القبسات

٣٦ ـ اُثو لوجيا المنسوب إلى ارسطاطاليس المطبوع بهامش القبسات

٣٧ ـ رسالة الحدوث لصدر المتألهين المطبوع سنة ١٣٠٢ في ايران
٣٨ ـ الشفاء للشيخ الرئيس أبي على بن سينا « « ١٣٠٣ « «
٣٩ ـ شرح التجريد تأليف المحقق الطوسى للعلامة الحلى
المطبوع سنة ١٣٦٧ في قم
٤٠ ـ عين اليقين للمولى محسن الفيض الكاشاني « « ١٣١٣ في طهران
٤١ ـ مروج الذهب للمسعودى « « ١٣٤٦ « مصر
٤٢ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادى « « ١٣٣٢ « «
٤٣ ـ الصحاح للجوهري « « ١٣٧٧ « «
٤٤ ـ النهاية لمجد الدين ابن الاثير « « ١٣١١ « «

فهرس

✿(ما في هذا الجزء من الابواب)✿

﴿ أبواب ﴾

✿(الانسان و الروح والبدن و أجزائه و قواهما و أحوالهما)✿

«رموز الكتاب»

ب : لقرب الاسناد .
بشا : لبشارة المصطفى .
تم : لفلاح السائل .
ثو : لثواب الاعمال .
ج : للاحتجاج .
جا : لمجالس المفيد .
جش : لفهرست النجاشي .
جع : لجامع الاخبار .
جم : لجمال الاسبوع .
جنة : للجنة .
حة : لفرحة الغرى .
ختص : لكتاب الاختصاص .
خص : لمنتخب البصائر .
د : للعدد .
سر : للسرائر .
سن : للمحاسن .
شا : للارشاد .
شف : لكشف اليقين .
شي : لتفسير العياشي .
ص : لقصص الانبياء .
صا : للاستبصار .
صبا : لمصباح الزائر
صح : لصحيفة الرضا عليه السلام
ضا : لفقه الرضا عليه السلام .
ضوء : لضوء الشهاب .
ضه : لروضة الواعظين .
ط : للصراط المستقيم .
طا : لامان الاخطار .
طب : لطب الائمة .
ع : لعلل الشرائع .
عا : لدعائم الاسلام .

عد : للعقائد
عدة : للعدة
عم : لاعلام الورى .
عين : للعيون و المحاسن .
غر : للغرر والدرر .
غط : لغيبة الشيخ .
غو : لغوالي اللئالي .
ف : لتحف العقول .
فتح : لفتح الابواب .
فر : لتفسير فرات بن ابراهيم .
فس : لتفسير علي بن ابراهيم .
فض : لكتاب الروضة .
ق : للكتاب العتيق الغروى .
قب : لمناقب ابن شهر آشوب .
قبس : لقبس المصباح .
قضا : لقضاء الحقوق .
قل : لاقبال الاعمال .
قية : للدروع .
ك : لاكمال الدين .
كا : للكافي .
كش : لرجال الكشي .
كشف : لكشف الغمة .
كف : لمصباح الكفعمي .
كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة معاً .
ل : للخصال .
لد : للبلد الامين .
لى : لامالي الصدوق .
م : لتفسير الامام عليه السلام .
ما : لامالي الشيخ
محص : للتمحيص .

﴿ رموز الكتاب ﴾

هد : للعمدة .
مص : لمصباح الشريعة .
مصبا : للمصباحين .
مع : لمعاني الاخبار .
مكا : لمكارم الاخلاق .
مل : لكامل الزيارة .
منها : للمنهاج .
مهج : لمهج الدعوات .
ن : لعيون أخبار الرضا عليه السلام .
نبه : لتنبيه الخاطر .
نجم : لكتاب النجوم .
نص : للكفاية .

نهج : لنهج البلاغة .
ني : لغيبة النعماني .
هد : للهداية .
يب : للتهذيب .
يج : للخرائج .
يد : للتوحيد .
ير : لبصائر الدرجات .
يف : للطرائف .
يل : للفضائل .
ين : لكتابي الحسين بن سعيد او لكتابه والنوادر .
يه : لمن لايحضره الفقيه .